

١٦

ع اننتي
ي شح
ي شح
ي شح

ح
ي شح
ي شح
ي شح

مقدم من الطالب / محمد علي سيد احمد داود
الى كلية اللغة العربية جامعة الازهر القاهرة
تحت اشراف الدكتور / احمد الشرباصي

٠٠٢٧٧٢
٧٨٦





شكر وتقدير

=====

الحمد لله رب العالمين . . . علم الانسان ما لم يعلم وجعل منه رسولا

وهاديا يعطى من ثماره ولا ينتهى العطاء . . . فאלلهم اجعلنا من الشاكين

* ومع وجوب الشكر على هذه النعم ، فهو على نعمة العلم أوجب .
ولهذا :

اقدم الشكر خالصا الى استاذى الدكتور احمد الشرباصى على عظيم
مؤازرته لهذا البحث واثارة بالكثير من عنايته ورعايته واثرائه بخبراته الطويلة فى
ميدان البحث الأدبى

هذا وقد وجدت فيه ابا رحيفا وهاديا أمينا ، كما أقدم شكرى الخالص الى كل
من قدم الى عونى .

الى كل من أفادونى ، والى كل من يفيدونى بعلمهم وبناتجهم الأدبى
فى ميدان الأدب والنقد والعلم ،

الى من غرسوا فى قلبى حبّ الأدب . اقدم خالص شكرى وتقديرى كما اشكر
موظفى مكتبة بلدية دمنهور ، وموظفى دار الكتب المصرية وموظفى مكتبة معهد
الدراسات العربية بما قدموا لى من تسهيل وعون .

الى كل هؤلاء أقدم شكرى وتقديرى

محمد على سيد احمد داود

نسخ * طبع
مكتب سعيد لالة الكاتبة بدمنهور

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

بعد أن انتهيت من دراستي للماجستير ٠٠٠٠ وبينا كنت أعدد لاختيار
موضوع عصري لتسجيله لنيل درجة " الدكتوراه " في الأدب والنقد وفي الوقت الذي
أحدثت حركة الشعر الحر في حياتنا الأدبية صراعا ، فكريا خصبا ، كان لذلك
مدعاة للتفكير في الشعر العربي في الحديث والآفاق الجديدة التي وصل إليها
عندئذ وقع بين يدي كتاب الشعر العربي في المهجر " للأستاذ / محمد عبد
الغنى حسن " فمكنت على قراءته والاطلاع على ما فيه من أخبار الشعراء المهجرين
وأشعارهم الرائقة المتمه ٠٠ واقنى وجذبني الكثير من هذه الأشعار ، وطال بهي
التفكير في ظروف هؤلاء الشعراء ، وأحاطت بهي تساؤلات كثيرة ٠٠٠ وكيف استطاعوا
أن يحطوا قيود المادة ، وحجز الاستعمار وطارونه من بعيد معلنين الحرب
السموية على أولئك المفرقين المدثرين عصبة سوء وأحزاب الشيطان ٠٠٠٠٠٠٠
وأخذت بهم أخذا عجيبا وتوقفت طويلا تحت ظلال دوحاتهم الرطبية وإذا بهي
يحركني نحو اتخاذ أحدهم موضوعا لدراستي .

ولما كانت هناك بعض البحوث المتناثرة حول بعض شعراء المهجر من شماليين
وجنوبيين إلا أن تلك البحوث - وقتئذ - إن أعضاء جانب فقد تركت جوانب
وإن تتبعتم أكثر من جانب فذلك هو الكوام فهناك جوانب كثيرة في حاجة إلى متابعة
ودراسة واستقصاء ٠٠٠٠٠٠٠

وليس معنى هذا أنه لا توجد بحوث متمه ٠ لا فقد وجد الكثير الآن ذلك
الكثير راح يبحث في مجموعات من الشعراء أو القضايا المبهجرة فلم يفرد بحسب
شاعر .

حتى تضاهي جوانب حياته طولاً وعرضاً .

وقدم فيها النماذج الفنية ، وكشف جوانبه واتجاهاته وبيروزيه مواطن الجهاد والقوة
الفنية وبيروز لوحاتهم الشاهدة على تفوقهم في ميدان الجهاد الذي نما من علاقتهم

الوثيقة بأمتهم ووطنهم . وتجاوزهم مع ما تسر به الأهم من ظروف وحن .

« وقر رأيي على أن اتخذ "إيليا أبو ماضي" موضوعاً لبحثي ، ورغم أنه خطى بيته في

الدراسات إلا أنها لم تكن شاملة لجوانب فنيته . وكان مما جذبني إليه أنه أحد الرواد

المهجرين اليافعين ، وقد ناقى أدبه حياته الزمنية . كما عاش حياته الأدبية لأتمه

كسرت منظوماته وتعددت دواوينه ، وتنقل يفقه بين عالم الفكر والمطرفة

وعرج إلى ما بين العالمين حتى تحققت رغبته الصادقة في ترك ما هو جديد مفتوح من أدب

وفكر وشعر فلسفي وغير ذلك مما يخدم الإنسانية . وهذا ما جعل أدبه كثوا للقارئين

وحديثه للباحثين يأخذ كل منهم من جوانبها دون أن ينتهي العطاء .

« وجعلت موضوعي هو "الاتجاهات الفنية في شعر (إيليا أبو ماضي)" على أنني أستطيع

بعمق من الله - إبراز صورة كاملة لهذا الشاعر بالشكل الذي ينبغي أن يظهر به .

وكما يقول أدبه .

هذا بالاضافة إلى ما فيه من روح قومية كبيرة ووطنية حقة . وإنسانية رحبة فهو عيسى

وطنه في وقت كانت تباغ الوطنية والقومية على يد الكبير .

هذا بالاضافة إلى أنه واحد من الذين تعاونوا لحمل لواء التجديد في الشعر العربي

المهجري . وقد ساهم في ذلك بقسط وافر لا ينكر .

((هذه الرسالة إن شاء الله))

« دراسته للاتجاهات الفنية في شعر "إيليا أبو ماضي" »

ولا أحب أن أقول أن الطريق كان مخفوقاً بالاشواك فالله أعلم بما كان وما يكون .

وجدت في أن أشير إلى كتاب هام هو آخر ما خرج من "أبي ماضي" بعنوان "إيليا أبو ماضي"
 للدكتور جورج ديمتري سليم هـ ظهر بدار المعارف عام ١٩٢٨ وتضمن دراسات حريصة
 وأعماله المجهولة اشتمل الكتاب على معلومات هامة.
 ما جعلني بعد الاطلاع عليه . أغير كثيرا عن حياته الاجتماعية وعلاقته في المهجر بعد
 أن سرت في البحوث شوطا .
 وأما خطة البحث فتحتوي على أربعة أبواب وخاتمة .

يتحدث عن عمر الشاعر . يضم ثلاثة فصول

الباب الأول

(الفصل الأول) بعد الثورات السياسية التي عاشتها بلاد الشام في عهد محمد علي
 وبابليون والأتراك . ثم الاستعمار الغربي وقد أشرت إلى الطوائف
 الدينية . والنجرات الحزينة التي أثبت التاريخ أنها ما تولت فسي
 مكان الا اورثته ضعفا وخيبة وذلا واستعبادا . كما أشرت إلى بعض
 الفتن التي وقعت في لبنان وكان من جرائمها المذابح كمنبحة ١٨٦٠
 التي كانت قصه لظهور الوحدة في لبنان . وطاملا كبريا من عوامل
 الهجرة بالاضافة إلى كثرة ما شاع في البلاد من حقد وجهل وتعصب
 وتهممت بإيجاز حالة البلاد حتى الاستقلال عام ١٩٤٦م
 ثم شغقت ذلك بدراسة سياسية عن حالة مصر آنسند . وكان لابد من
 ذلك لأن الشاعر قضى فيها فترة زمنية ليست بالقصيرة ولا ريب
 أنها تركت في حياته أثرا لا يمحى إجمالا
 وانتقلت إلى

(الفصل الثاني)

حيث عرجت على الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وآثارها كما
 أوجزت أثر الاستعمار على الأفكار والمقول وما توتبت على

ذلك، واشفقت ذلك بالموامل التي أثرت في هذه الاتجاهات مع بيان أثر تلك طي

فكر الشاعر ونتاجه الأدبي . .
وفي
(الفصل الثالث)

تعرضت للاتجاهات الفنية التي سادت في عصر الشاعر على امتداد فترة الزخوة
ودار حديثي حول الاتجاهات الآتية - الإتباعية - والابداعية والرهوية والواقعية .
تناولت في كل منها عوامل ظهورها في الأدب العربي كمنهج أدبي - وخصائصها
وكيف تأثر بها الأدب العربي فانتقلت إليه مع موازنات بين هذه الاتجاهات في
الأدبين الغربي والعربي مع ذكر لبعض الأدياء الذين يمثلون هذه الإتجاهات

في أدبنا .

وأمَّا

الباب الثاني

من البحث فيتحدث عن الشاعر

وقد ضم ستة فصول هامة :

أما أولها : فيتناول حياة الشاعر . مولده وتربيته ونشأته وطفولته ودراسته

"ثقافته" وحياته . وصفاته . وما يمت إلى ذلك بأثر موضحا أثر ذلك وصلته على

فنه الأدبي .

* وكان لابتداء (للفصل الثاني)

أن يتحدث عن ظروف الشاعر النفسية والاجتماعية . وقد تعرضت في هذا الفصل لجذور

الأمر التي أثرت في نفسيته . بينا ذلك من البداية حتى النهاية . وأثر ذلك على

شعره متخذاً من دوائيه أمثلة شعرية كافية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وهي (الفصل الثالث)

فأسير مع الشاعر لأعرض حياته في المهجر مشيراً إلى أهمها اعتراه من أحداث وأثرها

(٥)
عليه • متخذاً من أشعاره على ذلك دليلاً • وجزئى الحديث عن حياته في المهجر إلى
الحديث السريع عن الرابطة القلمية التي كان "إيلياً" أحد أعضائها العاملين البارزين
لها من أثر في الانقلابية الكبرى في مفهوم الشعر هذه بعد انخراطه في هذه الرابطة •

وكان من اللازم أن يختصر (الفصل الرابع)

بالمقارنة بين الشرق وروحانيته والغرب وما دبت وأحسب أنني في هذا الفصل قد طفت في كل
طريق أتمس الآثار التي نمت في نفس الشاعر من ذلك مع سرد للبراهين الشعرية الموضحة
لذلك من أشعار أبي ماضي • وغيره •.....

كما تابعنا ذلك بالحديث عن أثر تلك العادية على الشاعر وشعره وفكره ضارياً بالأمثلة • لذلك

وتابعت الفصل الرابع

بالذي يليه • وهو من الدراسة الهامة في هذا الميدان وهو "أثر الخربة في شعره"
وتبعت جوانبها وضرورها في طرقها ودروسها العديدة مستشهداً لذلك بما تنطق أشعاره
في هذا الميدان •

كما أشرت إلى أثر الخربة النفسية في إظهار الوطنية المتببهة المتشابهة من أشعاره
واستقصيت كل ما ظهر له من شعره ووليد الخربة والفراق •

وختمت هذا الباب (بالفصل السادس)

وتناول الحديث عن دواوينه فتبعت كل ديوان بالدراسة الموضوعية الشاملة مشيراً إلى تاريخ
النشر والترتيب الديواني لقصائد والزميني (١) وعدد الأبيات وقسمت شعر كل ديوان إلى

=====

(١) ذكر ذلك د • جورج سليم في كتابه

(إيليا أبو ماضي) وقد أهدنا عليه •

مجموعات حسب أغراضها الشعرية مستشهداً لهذه الأغراض في كل ديوان بما يتناسب
والأغراض مع ذكر مظاهر التأثير بأشعار السابقين والمعاصرين • في كل ديوان إن وجد
مع ذكر بعض النظرات النقدية العابرة المنثورة في ثنايا هذه الأغراض كما أشرت إلى القيمة
الشعرية لكل ديوان وما شاع عنه من أقوال الأدباء والنقاد •

وفى

الباب الثالث

تحدث الفصل الأول فيه عن " الرومية الشعرية عند الشاعر " قمت من خلالها بفحص ميداني
لداوين الشاعر كي أعرض من خلالها نظرة (إيليا أبو ماضي) إلى الشعر وأهدافه
والشاعر وصفاته • ورسالاته وما ينبغي أن يقوم به ودوره في المجتمع ورأية في بناء القصيدة
من ناحية شكلها وفكرها • مدلالاً على ذلك من شعرة وأظن أنني استقصيت في ذلك ما له من
أشعار استقصاء تاماً ••

وتبع ذلك " الفصل الثاني " من هذا الباب والذي يتحدث عن البناء الفني
للقصيدة • تتبعت في ذلك بناء القصيدة عند " إيليا أبو ماضي " مشيراً إلى خطته الفكرية
في هذا البناء متتبهاً موضوع القصيدة وشكلها من الفاظ وصور وموسيقى • عنده مشيراً إلى
رأية الصريح في الشكل والمضمون • موضحاً أثر الرابطة القلمية والحياة المهجرية في ذلك •
وانتقلت من ذلك إلى " الفصل الثالث "

الذي يتناول التجارب الشعرية عند الشاعر • وتتبع ذلك بكل ما استطعت • وقمت من
خلال دراستي إلى استقصاء تجارب الشاعر من خلال أشعاره ذاكراً أنواع تلك التجارب
ومصدرها وأثارها الشعرية • من دواوينه مع الإشارة إلى بعض الجوانب التي تكشف عن
إنسانية الشاعر واجتماعيته الواضحة •

(٧)

ويجىء الفصل الأخير من هذا الباب

ليتحدث عن الأغراض الشعرية عند "أبيها"

فوضحت مع كل غرض فلسفته في تناوله وهدفه من ذلك مع تحليل لبعض اشعاره في كل غرض .

مع الإشارة إلى مدى الاختلاف بين قصائد الغرض الواحد في دواوينه حسب تدرجها ←

الشعري وما تبعه من تقدم ظاهر . في آفاق نظريته وأخير لمحت إلى اندثار بعض الأغراض

وضعف الشعرية في أخريات أيامه وعوامل ذلك .

وفى

الباب الرابع

والأخير

تأول "الفصل الأول" المدرسة التي ينتمى إليها الشاعر .

تناولت في هذا الفصل أدبيات الشاعر قبل انضمامه إلى الرابطة القلمية وإلى أي مدى تحقق

هذه الأشعار لأبي ماضي ما يصبو إليه شاعريته وانتقلت بعدها إلى أشعاره في أمريكا

والرابطة القلمية حياتها وأهدافها وآثارها . ومدى ما حققته للأدب العربي وسير

أبي ماضي على طريق هذه الجماعة ومدى التقدم الذي تحقق له تحت ظلالها

وتأول الفصل الثاني من هذا الباب "موقف الشاعر من الاتجاهات الفنية السائدة

في عصره" وهذا ما جعلني أسير مع شعره مرة أخرى لإظهار الموقف . مع بيان المسحة الفنية

الخاصة التي تأخذها شخصيته الشعرية مدلالاً لذلك . . .

مع الإشارة إلى اتجاهات أخرى ظهرت ضمن المجموعة الشعرية المجهولة التي أشار إليها أحد

الباحثين (٢) وانتقلت من ذلك مشيراً إلى الفارق الكبير والهوة الواسعة بين اتباعية الشاعر

الضميفة وابداعيته المضيفة والانقلاب الكبير بين ماضيه التقليدي وحاضره الإبداعي وروحياته

الهادفة

وهجى الفصل الثالث

تلامح التجديد في شعره * تناولت فيه البواعث الأساسية للتجديد هذه * وقضايا التجديد
مفصلا للتجديد في المضمون وواعده وكذا التجديد في الشكل الأزائي والقوافي والصورة
الشعرية وهيان الأثر الذي أحدثه التجديد على فكر أبي ماضي مدلا على كل ذلك
بأمثلة مختارة .

وفي النهاية أشرت في الفصل الرابع والأخير في البحث إلى الجديد الذي أضافه فن
أبي ماضي في مجال الدراسات الأدبية من خلال أبحاثه الوفيرة
وختمت بحشى بخاتمه تشير إلى نتائج البحث التي توصلت إليها من خلال هذا العمل بفضل
الله .

وان كنت أريد أن أسجل لنفسى شيئا في هذا البحث فإنما هو محاولتى الكشف عن نفسية
شاعر كبير من شعراء الرابطة القلمية كسفا ميدانها تطبيقيا واسعا بدراسة شاملة * تتخذ -
حكما من نتاجه الشعرى كما تكشف عن جدة في جوانب نفسيته

ولا أدعى اننى قد استقصيت البحث من جميع جوانبه وشتى نواحيه فإين أنا من الكمال
وقد استعنت بكل ما وقع تحت يدي من مصادر ومراجع في موضوع الشعر المهجرى
وغيره مما يمت للموضوع بأية صلة .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفيت ببعض ما نويت القيام به تجاه هذا الشاعر واتجاهات شعره .
فإن كنت قد أضيت بعض التوفيق فمن الله وإن كان غير ذلك فمن نفسى وهذا ما استطعت

والله سبحانه وتعالى اعلمى واعلم

محمد على سيد أحمد داود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

الفصل الأول

التيارات السياسية في بلاد الشام

التيارات السياسية في بلاد الشام

تقع جمهورية لبنان شرق البحر الأبيض المتوسط، ويحدها من الشرق الشمال سوريا وجنوباً فلسطين المحتلة وغرباً البحر الأبيض المتوسط. وتختلف تضاريس لبنان عن كل بلاد الشرق الأوسط وقد كان لذلك دخل في السياسة، ولبنان مقسم إلى أربع مناطق متباينة: × فالسهل الساحلي ويبلغ عرضه كيلومترين تقريباً وإن كان يخفى تماماً في بعض الأماكن الضيقة، وتقع فيه المدن الكبرى والرئيسية (طرابلس - صيدا - صور) وتكثر به الأنهار النابتة من قم سلسلة الجبال اللبنانية الغربية •

* أما سلسلة الجبال اللبنانية الغربية فتعده قريباً من البحر الأبيض المتوسط، وهي آهلة بالسكان لتدرج انحدار الجبل تدرجاً سهلاً مما يسمح باستغلال الأرض • والمنطقة الثالثة هي سلسلة جبال لبنان الشرقية، وتتدرج في الارتفاع متجهة نحو الجنوب الغربي موازية سلسلة جبال لبنان الغربية، وهي جرداء قاحلة ويرجع ذلك إلى طبيعة الجبال نفسها، حيث إن سفوحها تتحدر شبه عمودية مما يتعذر معه إقامة مساكن أو استغلال مساحتها منها، ويقع القسم الشرقي منها داخل حدود سوريا والقسم الشرقي أكثر عمراناً وحياة من السطح الغربي وذلك لطبيعة تدرجه واعتدال مناخه وقله أمطاره •

* أما المنطقة الرابعة فيطلق عليها اسم سهل البقاع، وهو الجزء الأكبر إنتاجاً للحبوب التي تعتمد عليها الدولة إلى حدٍ مسي (١) * وهذه الطبيعة اللبنانية المأخرة كانت سبباً أساسياً في جعله بلداً سياحياً هاماً وقد جاء في وصف لبنان أن جبل لبنان متوسط في سوريا، شاغل ليقمه جميله، منها ما يمين ولاية بيروت وولاية الشام المعروفة بولاية سوريا، وهو بأرتفاع قمه يشرف على معظم مدنها، ويظل ما يحيط به من بقاعها كأنها الطبيعة أقامة حارماً عليها، يدفع عنها كوارث الكهركما

=====



(١١)

كان يدفع في غير الزمان عن سكانها مطامع الشموس (١) .

وقد شجعت طبيعة لبنان الجغرافية على أن تعيش كل مجموعة من السكان داخل نطاقها في ظروف تختلف عن غيرها من المجموعات ، وساعدت طبيعة البلاد الجبلية على بقاء هذه الطوائف في عزلة عن الطائفة الأخرى ، إذ كانت كل منها تتمتع في منطقتها بحريتها في تصرف معظم شؤونها ، حتى أن بعض المناطق أعلنت استقلالها وانفصالها عن الحكومة المركزية خلال ثورة ١٩٥٨ في حين أن مناطق أخرى في قلب العاصمة أعلنت صراحة عصيانها على السلطات الرسمية (٢) .

وحصر السكان في لبنان من العناصر التي لها أكبر الأثر في حياة الدولة سياسياً أيضاً .

فهو ليس مجرد ركن من أركان تكوين الدولة بل هو الأساس الذي بنيت عليه الدولة . ولما كان لبنان يتفرد بين الدول العربية بتعدد طوائفه أصبح الحديث عن التيارات السياسية يستلزم الحديث عن الطائفية .

* فالطائفية في لبنان مسئولة عن كل شيء - تقريباً - يتعرض له لبنان في الداخل أو الخارج فهي مسئولة عن هجرة بعض سكانه من مناطق إلى مناطق أخرى . أو هجرتهم للخارج . وهي مسئولة عن استقلاله أحياناً وعن استعماره أحياناً أخرى . وعن مدى تخالفه مع الدول المحيطة به أو تخوفه منها ومحاولة الابتعاد عنها . بل إن الطائفية تحاول أن تفرض نفسها أحياناً على حدود البلاد فتريده لبنان كبيراً تارة ، وتريده لبنان صغيراً تارة أخرى كما أنها مسئولة عن علاقات السكان بعضهم مع بعض وعلاقتهم مع الحكومة . وقد

=====

(١) لبنان والدستور العثماني ٢ بولس مسعود .

(٢) سياسته الحكم في لبنان ١٨ حمدي الطاهري .

وصف أحد الكتاب ذلك فقال :-

• أما الحالة في لبنان فأحزاب تتنازع النفوذ وتتجازب السلطة تريد أموراً كثيرة ولكنها
 الآراء وتشجعها فيما تريد، أصبحت لا تعرف ما تريد فكانها لا تريد شيئاً • (١)

والباحث في تاريخ السياسة اللبنانية يجد أن الطائفة لم تدخل لبنان إلا عقب الاستعمار
 الغربي الذي فرض في منتصف القرن التاسع عشر • إن اللبنانيين لم يعرفوا الطائفة في
 عهد المماليك بالرغم من أنه امتد قرابه قرنين من الزمان في ظل الحكم العثماني • ما
 يدل صراحة على أن الطائفة إنما جاءت مستوردة من الخارج على أيدي الأوصياء
 والفتنات والسفارات المختلفة (٢) •

أما مفهوم الطائفة - قبل الحديث عن الطوائف - فهو شعور الفرد بالانتماء إلى
 طائفة معينة تكونت حول اعتقاد معين • وغالباً ما يكون هذا الاعتقاد دينياً في طبيعته
 حيث يشعر الفرد بانتمائه إلى هذه الجماعة أو تلك أنه متفرد عن غيره من الأفراد المنتظمين
 في صفوف جماعات أو طوائف أخرى •

وأما الطوائف في لبنان فنقسم إلى قسمين رئيسيين

- (١) الطوائف المسيحية
- (٢) الطوائف الإسلامية

وتفرع من كل عدة مذاهب مختلفة:

١- الموارنة :- طائفة مسيحية كاثوليكية كبرى • أثر فيها إختلاف المعتقدات الدينية
 في لبنان عن جيرانه والحروب التي قامت بين هؤلاء الجيران • وتناول التأثير جانب الطباع
 =====

(١) لبنان والدستور العثماني ٦ بولس محمد

(٢) رأي للدكتور زكي النقاش بجريدة صوت العمرة في ٢/١٠/٦٢ نقلاً عن سياسة

والاخلاق كما اثرت البعثات التبشيرية والفرنسية منها بوجه خاص.

وإزداد ذلك الأثر رسوخاً بعد إعلان فرنسا أنها حامية الكلكة في الشرق ، وقد اتاحست فرنسا للموازنة ثقافة أجنبية لم تتح لبقية السكان ، وقد اتجهت نية فرنسا عقب فرض الانتداب على لبنان وسوريا إلى جعل لبنان دولة مسيحية ، وكان ذلك ممكناً لوقوع لبنان صغيراً حيث يشكل الموارنة آنذاك أغلبية الساحقة ، ولم يمنح ذلك الفرنسيين من إسناد وظائف الدولة المهمة والحاسية إلى أبناء هذه الطوائف مدة من الزمان ، وما يذكر بالنسبة لهذه الطائفة " ولا ينبغي إغفاله " أنه عام ١٩٢٦ عندما أعلنت الجمهورية حاول كل من المسلمين و

والموارنة الوصول إلى منصب الرئاسة ، وبعد كل إلى حل وسط فمهدوا إليها إلى أرثوذكسي بينما احتفظ الموارنة برئاسة الوزارة ، وعهد إلى المسلمين برئاسة مجلس النواب ، وتلك ضربة ذات حددين لإزدياد حب الموارنة للفرنسيين حيث أن في أيديهم الأمر ، ومن جانب آخر فهي تضعف الروح القومية بين الطوائف ، وتجعل كل طائفة تحاول التقرب إلى الفرنسيين ، وكثيراً ما تسند الوزارات الأساسية إلى الموارنة وهي آنذاك الداخلة والحالية والعدل ، أما الوزارات الثانوية فتسند إلى المسلمين .

• وهذا تفكك الحرب الإسلامي وتوقفت كلمتهم إلتهموت فرنسا الفرصة وعهدت برئاسة الجمهورية إلى المارونية بينما عهد إلى المسلمين والأرثوذكسي على الترتيب برئاسة مجلس الوزراء ، ومجلس النواب

وسبب احتكار الموارنة للمناصب الرئيسية ساد التدمير بقية الطوائف الأخرى ، وظلت الخلافات بسبب ذلك زمناً طويلاً ، وتجلت نفوذ تلك الطائفة في منطقة جبل لبنان ، حيث جرى النصرف بأن يكون الرئيس منهم ومعظم الوزراء ، كما أن قيادة الأحزاب السياسية المارونية المختلفة في يد محافظه جبل لبنان ، كما أنها تمتد أن الدولة قامت على أكتافها ولذا يجب أن يكون لها في الدولة نصيب الأسد .

الروم الأرثوذكسي

هذه الطائفة عربية الاصل ، فهم ينتمون الى الفسائنة الذين كانوا في سوريا أيام الفتح العربي وقد ساعدوا العرب الفاتحين ضد الرومان وغلبت همصرتهم على دينهم فأسلم منهم قسم وبقى آخر على دينه القديم وانفج القسطنطينيا في المجتمع الإسلامي . وهذه الطائفة لم تطلب حماية من دولة أجنبية بعد تترك الثورة الشيوعية للدين وأصبحت لاتهمها الإصلاح البلاد ، ولقد ساءت تلك الطائفة إخوانهم في سوريا ، حيث مقرر البطريرك الأرثوذكسي في دمشق ، وكان لذلك أثره السيء في معاملة فرنسا لتلك الطائفة بعد الانتداب الفرنسي وخاصة أن هذه الطائفة هي المنافسة للموارنة وكان طلاب الأرثوذكسي يشتدون الرجال صوب سوريا ، يدرسون في جامعة دمشق ، وذلك لأن التعليم العالي في لبنان كان في يد أعدائهم اليسوعيين ، ولقد تأثر طلبة هذه الطائفة بجو الوطنية في سوريا ، ونظروا إلى الأمور اللبنانية من وجهة قومية مما جعلهم يحملون معهم إلى بلادهم الحقد على المارونية وتحكمهم في شؤون البلاد ومن هنا تاتي اهتمامهم في السياسة .

السرور الكاثوليكي

تلقى هذه الطائفة أصلاً إلى الكنيسة الأرثوذكسية وانقسموا عليها واحتدوا الكلكه واحتفظوا باسمهم القديم (للسرور) ، ونظر خلافتهم الدينية بيروت وتمتاز تلك الطائفة بالثراء الفاحش واحتلال بعض المناصب المهمة (١) .

الأرمن

هم قبائل تركية الأصل ، ثم كثر عددهم بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد أن بدأت مهاجرتهم في تركيا ، وكثرت دقتهم على سوريا ولبنان بعد أن ضم لواء الاسكندرية إلى تركيا ، فجنسوا بالجنسية اللبنانية وأقاموا في ضواحي بيروت ، وأغلب هذه العناصر شيعية ، والأرمن ينقسمون إلى فرقتين هما :-

الهانشاق والطاشناق وليس لهما من أثر في السياسة ، ولا يظهر لهما صوت

إلا حين تشدد الممارك بين أنصار الحزبين لخلافات قائدهما ٢٩٣ - ٢٩٥

والهانشاق ينظرون إلى الطاشناق على أنهم تابع وجواسيس للولايات المتحدة .

والطاشناق ينظرون إلى الهانشاق على أنهم عبيد للإتحاد السوفيتي وخائفوا القسوة

الأرضية ، وإن كانت مبادئهم لهم غالباً - حول تخليص الأرمن من حكم تركيا وظلمها ،

وخلق ظروف أفضل للناظر هنا لو كان من أسباب ضعف الهانشاق انشقاقه على نفسه حول

زعيمته عام ١٨٩٦ ، وجعل قيادته في لندن ، وقد تنبه الصنو الآخر إلى ذلك

=====

فتبش نظام اللا مركوية ، وانشئت للحزب فروع في بعض دول أوروبا وأمريكا .

((٥))

الأقليات

* بجانب تلك الطوائف الكبرى من مسيحية وغيرها توجد عدة طوائف أخرى هي

البروتستانت والانجيلية والمعالون والأشوريين واليهود .

والنسبة للطوائف الإسلامية :

فقد تعايش المسلمون مع المسيحيين مدة كفت اثنا عشر عاماً أحقاد المسيحيين لتستمر من

جديد . وبعد أن تبين للمسلمين موقف الطوائف المسيحية ومدى سعيهم لصيغ لبنان

بالصفة المسيحية أخذوا يتصرفون على ضوء ذلك وأصبحت تصرفاتهم انعكاساً لتصرفات

الطوائف المسيحية ، والطوائف المسلمة هي السنة والشيعة والدرز .

* أما بالنسبة فيتركزون في مدينتي بيروت وطرابلس ، فمسلمو بيروت جلهم سنون . وهم

محور قوة المسلمون وهويتهم ، وعندما أعلن الفرنسيون أن بيروت عاصم لبنان وضع هؤلاء -

لذلك بينما عارض المسلمون في الشمال والجنوب الكيان اللبناني وشددوا في مطالبهم

بالوحدة السورية ، ولذا وجد الفرنسيون الفرصة سانحة في اسناد ما يصب المسلمون من

مناصب - على ضالتها - إلى مسلمي بيروت ، وأما مسلمو طرابلس فهم قوم من السنة ويختلف

موقفهم من الكيان اللبناني عن مسلمي بيروت وذلك بحكم صلتهم الكبرى بعموريا ، وكان هذا

سبباً في تاجع نيران العصبية بينهم وبين الموارنة ، فحملوا على إقصاء أي مرشح ماروني

من المناسب وظل الحال كذلك حتى تمت التسوية بين المسلمين والمسيحيين عام ١٩٤٣

* الشيعة : - تلى السنة عدتها ، ومعظم أبنائها يقيمون في جنوب لبنان وفي بعلبك والهرمل

كما يقيم فريق منهم في بيروت ولقد عمل الفرنسيون على إشعال نار الفتنة بين الطائفتين -

(السنة والشيعة) ليضمنوا تأييدهم للكيان اللبناني ، وليجمع حوله الأكثرية المسلمة . وقد

أقصيت هذه الطائفة عن الوظائف نظراً لسلبيتهم مع الفرنسيين حتى غشيمم احتقار مسلمي بيروت ، وقد انتظم عدد منهم في صفوف المارونية .

الدرز : وهم إحدى الفرق الدينية المنفردة عن الشيعة وتتركز قوتها في محافظة النجيلة بجانب الطائفة المارونية ، وينقسم الدرز سياسة إلى آل رسلان ، وآل جنهلاط .
ومن مجموع هذه الطوائف يتكون الكيان اللبناني .

* ولبنان في العصور السابقة للتاريخ المسيحي كان بلداً فينيقياً ، يدين بالوثنية ثم تسربت إليه اليهودية من أرض فلسطين ، فتناثر أسباب المداة بينهما حيث لاقى اليهود المداة من جانب الوثنيين وعندما تسرب إليها الدين المسيحي الجديد وقف صفا واحداً أمام هذا العدو الجديد — كما زعموا — ثم دخل الإسلام على دفعات بدأ في عهد الأمويين وظل يتزايد حيناً بعد حين ، وظل لبنان يحتفظ بطابعه المسيحي حتى القرن الثالث عشر ، وعندما جاءت الحملات الصليبية فأسندتها الموارنة وحاول المسلمون الوقوف في وجههم ، ثم انتقل لبنان إلى الحكم العثماني ، وتحكمت في البلاد آنذاك طائفتان هما :

الموارنة والدرز ، وكلما أتت أحدهما وضعا يسمح لها بالانتقام من عدوتها همت به ، وظل الأمر كذلك مدة من الزمان ، ولما تولى الأمير بشير الشهابي الحكم على جبل لبنان واستقل بالولاية ، كان الجبل لم يزل منقسماً على ذاته ، تتنازع الأحزاب وتتجازر به السلطة المحلية في جهاته الأربع العشائر اللبنانية التي ألفت التحكم في سكانه من قديم الزمن ، وكان حكام الولايات المجاورة للبنان من البلاد الخاضعة للدولة يتجازرون الأمير من كل جهة ، وكل منهم سمل على استمالته إليه استد راراً لمظفه واستدءا لكفه ، ثم يقم على بشير الشهابي كثير من الناس دون ما اتفرك منه ، بل وقامت معارك كبيرة بينهم وبينه فأجرت — إلى الجزار حاكم عكا فعزله وولى منازعه (عباس شهاب) عام ١٨٠١ م ثم عاد بشير واسترضى

الجزار فأعادته إلى ولايته (١) ولما مات (الجزار) خلفه الأمير بشير علي صيدا وطرابلس وملحقاتها ، وألحقت هذه الولايات بجبل لبنان ، وفي عام ١٨٢٢ عزل هذا الأمير بعد أن قام الناس بالوقفة بينه وبين رجال الدولة ، فسار إلى مصر وتول على أميرها " محمد علي باشا " واستجده ، فأوقد محمد علي رسولا إلى الأستانة ليتمس له الفرعند الأمير وأعادته إلى ولايته ، ولم يلبث أن أصدرت الإدارة السنه بالعفو عنه وأعيد إلى لبنان ، وكانت تلك الفعلة ركنة لمحمد علي عندما أرسل ابنه " إبراهيم " لفتحها فوجد الأمير سندا له ، وعندما وصل " إبراهيم باشا " إلى حلب أرسل وإلى حلب " محمد باشا " إلى اللبنايين بشير عليهم أن يختاروا غير الأمير " بشير الشهابي " فانقسموا أحزابا ما بين موال ومنافق مانع - فاشتعلت الفتنة بين النصارى والدرز

وفي عام ١٨٢٥م خرج الشيخ " بشير جنبلط " عن طاعة الأمير " بشير الشهابي " واجتمع إليه بعض أعيان الدرز في قرية المختارة ، وهدد من الأمراء الشهابيين وفر قليل من مشايخ بيت الخازن ، فتأمروا على خلعة ، وتولية الأمير " عباس شهاب " مكانه على جبل لبنان ، وأعدوا العدة لقتاله ، ولكنه استنجد بوالى " صيدا " و " مصطفى باشا " وإلى دمشق آنذاك وغيرهم ، وصار لقتالهم ، انتصر عليهم ، وفر " بشير جنبلط " إلى دمشق فشققه واليها ، وفي ذلك الوقت رغبت بريطانيا في شدائز الدولة العثمانية والزام محمد علي بالجلاء عنها عام ١٨٣٩م بشرط أن يصرح لها بإدخال سفنها في البسفور وخذت حذوها روسيا وبروسيا ، وكانت فرنسا راغبة في تأييد " محمد علي " لما كانت بينهما من مصالح مشتركة في مصر وسوريا فعارضتها إنجلترا وتضاربت الأحوال حتى تضامنت إنجلترا وروسيا والنمسا ضد فرنسا ، ووصل الاسطول الانجليزي وقام بحرب المراكب العسيرة ومطارده " إبراهيم باشا " وعساكره وكان ما أرادوه حتى وصلت جيوش " إبراهيم باشا " إلى سهل البقاع ، ولما لم يستجب الأمير " بشير " لطلب العثمانيين أقالوه ، وولوا مكانه الأمير " بشير قاسم " وكان ذلك بإيعاز من الأميرال الانجليزي ، مما اضرم الفتنة بين الأمير الجديد والدرز بسبب نفره بيته وبينهم أدت إلى

=====
(١) سياسة الحكم في لبنان . ٢٧ وما بعدها .

ثم جاء من الاستانة "مصطفى نوري" لتدبير شئون لبنان ، فأسر الأمير "بشير" الكبير وأرسله إليها وجمع أعيان البلاد وكشفهم بما تم ، فأبى النصارى تولية أحد من غير الأُسرة الشهابية ، أما الدرّوز فازعنوا لشارته ، وكانت نتيجة ذلك أن تولّى عمر باشا النمساوى حاكماً على لبنان عام ١٨٤٢م فبالخ في أكرام النصارى وعين منهم كثيرين في خدمة حكومته ، فساء تصرفه هذا معشر الدرّوز ، واجتمعوا فيما بينهم بعد استمالتهم لبعض أعيان النصارى إليهم ، ثم عقد اتفاق يقضى بأن يكون الحاكم معسرين الشهابيين وانتهى الأمر بأن يكون الحاكم شهابياً وأحد الأمراء من اللمعيين معانداً بمدبرين أربعين من أئمة منهم دزيان ، وساروا لطرد معسكر "عمر باشا" ولكنه شتت شملهم ، ثم تولّى الحكم بعد ذلك حتى عام ١٨٥٥م فكانت الحرب الأهلية بين الدرّوز والنصارى واضطربت نيرانها بمذبحة ١٨٦٠م ، وعلى أثر ذلك أرسل السلطان "عبد المجيد فوّاد باشا" إلى سوريلاوعد إليه بالاقتصاص من الذين أضرموا نار تلك الفتنة المحرقة وأرسلت دولة فرنسا عدداً من الجنود ستة آلاف جندي باسم دول "أوربا" (٢) وذلك بعد شهر أغسطس ١٨٦٠م حيث عقد في ذلك الشهر مؤتمر في باريس حضرته كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا ثم انضمت إليه تركيا ، وقرر المؤتمر شوعية التدخل الأجنبي في شئون لبنان ، وعهد إلى كل من فرنسا وإنجلترا بالتدخل العسكري لاحتياط الفتنة الطاغية (٣) ثم أرسلت دولة فرنسا وإنجلترا والنمسا موفوضين إلى بيروت للمداولة والبحث فيما يجب إجراؤه من أجل تجديد الفتن في لبنان فاتفقوا بعد مداولات ومناقشات

=====

على ما يسمى ببرتوكول لبنان * ويقضى بمنح جبل لبنان استقلالاً لإدارتها بحكمه مسيحي من غير أهله ، وهم تعيينه باقتراح الدولة العثمانية وموافقة الدول الكبرى . . .

وأصبح لبنان إقليمياً واحداً ، بعد ان سلخته بعض المناطق * صيدا وطرابلس و* بيروت * ثم سارت الحال كما هي إلى وقت طويل فلما كانت الحرب العالمية الأولى أسرع * جمال باشا* التركي إلى احتلال لبنان والغاء استقلاله ، والغاء الامتيازات الأجنبية ، وبعد الحرب اجتمع الرأي على الوقوف في وجه الحكم التركي بعد تصرفات * جمال باشا* وانقسم اللبنانيون ما بين مؤيدين للاتحاد مع سوريا ومطالبين باستقلاله التام مع توسيع الحدود ، وظلت الحال بحر من الظلم من سبي* إلى أسوأ ، وحروب بين العثمانيين والدول الأوروبية حتى تم عقد مؤتمر سان فرميس ١٩١٩ والذي نص على فصل جميع المناطق العربية عن الامبراطورية العثمانية ووضعها تحت الانتداب وظلت فرنسا تحكم البلاد مدة - وهنالك هذا - فما هو الا هدوء كالذي يسبق العاصف وحاولت ان تحيل المعاملة إلى نوع من اللاتق حتى بالعبيد ، وكل هذا لم يتحقق فحكاهم البلاد الفرنسيون سيئوا النية ثم إن فرنسا لم تعتمد على أبناء البلاد في الأعمال إلا القليل الذي يُختار تبعاً لرغبتهم ، فانحط مستوى الانتاج مما يشجع الناس على الهجرة طلباً للرزق .

ومع فشل المسئولين في اختيار العناصر الطيبة والمعاملة السيئة للسكان وكبت الحريات تدهورت الحياة الاقتصادية وغيرها ، مما جعل الشعب يشور مراراً ويقوم بالمظاهرات حتى حصل على الدستور عام ١٩٢٦ م ، ولم يكن الدستور في حقيقة أمره بأحسن حالا من الانتداب ، فهو لا يحمل إلا كل ترفيف . وتضليل فالدستور ليس فيه إلا تفسير الحاكم الفرنسي بلبناني يختاره الفرنسيون أنفسهم ، وما أكثر من يبيعون ضمائرهم للأجنبي كما نص الدستور على نظام الطوائف الهدامة وإقرارها وكان ذلك ارساءً وتقوية للمواصل الهدامة التي جرت إلى ولايات حرب لبنان التي قامت في ابريل ١٩٢٥ ، وهذا شمل الاستياء اللبنانيين عدل الدستور بما يتفق وصالح البلاد إلى حد ما عامي ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ ،

كما عقدت معاهدة صداقة بين فرنسا ولبنان تنص على تقوية الروابط والصداقة والمحافظة من جانب كل منهما على مصلحتها الأخرى وتلاها اتفاق عسكري بين الطرفين تضمنت فيه الحكومة الفرنسية بتقديم بحثه عسكرية لتعليم وتدريب جيش لبنان ، على أن يتم ذلك بأسلحة فرنسية مع توحيد كافة الجوانب بين الجيشين وانتهى ذلك الاتفاق عام ١٩٣٨ وظل الأمر يسير في شئ من الهدوء ، وعندما أعلن استقلال البلاد عام ١٩٤٣ قُدم ل — الدستور مدة أخرى لصالح البلاد ، واجتمع الحزبان المسيحي والمسلم ، ثم توصل إلى اتفاق على بعض الأسس وتمت . الموافقة بشأن ذلك من جميع الطوائف وكان ما تم الاتفاق عليه هو الميثاق الوطني ، الذي جمع بين الأطراف لمصلحة لبنان قلا مناواة بالوحدة من جانب المسلمين ، ولا ضرورة للحماية الفرنسية من جهة المسيحيين ، كما اتفق الطرفان على توزيع المناصب .

ولكن ظلت الطائفية معول الهدم وسيف الفناء ، حتى أصبح الميثاق أمراً شكلياً ، وبين — تناحر الأحزاب ، وتنافر الأجناس واتفاقيات فرنسا ، ثم جلاء الفرنسيين عنها في ديسمبر عام ١٩٤٦ أصبح لبنان دولة كاملة السيادة ، ومارست الحكومات الوطنية سلطتها ولكنها أخذت تلك التجربة تسير بين عشر ونهوض ، وكان قد حكم على هذه البقعة من الأرض بأن — تكون مصدرًا للخلافات الطائفية في البلاد العربية الآسيوية ، تراهدت موجات النقد للقائمين بحكم البلاد ما بين سخرية وهمس ولغو ، ودخل دور النقد من طور الهمس إلى حيز العمل واتفاق بعض الفئات على التخلص من رجال الحكم بزعامة إيجاد حكومات أصلح من الحكومات السابقة ، وقد كان ذلك سبباً في أن أجبر الشيخ "بشارة الخوري" — وأول رئيس للجمهورية في عهد الاستقلال — على الاستقالة عام ١٩٥٢ م ، وأطلق على هذه الاستقالة ومما تبعها من تغييرات اسم الانقلاب الأبيض وتسلم الرئاسة السيد كميل نمر شمعون (وزير الداخلية والبرق سابقاً) ، وكان استجابة لاتفاق جميع الأطراف المعتمية دون أن يكون له منافس ، وأمل في أن يكون عهده عهد إصلاح ، إلا أنه قبل نهاية عهده بسنوات تكسرت نفس المآخذ التي كانت سبباً في التخلص من العهد السابق ، وكان نتيجة ذلك قيام ثورة

وظلت الطائفية وستظل ما دامت لبنان حيا نار حرب ولظى جحيم ومصدر قتل وشعوم وخراب
وهذا بيان للتيارات السياسية في فترة حياة الشاعر "إيليا أبو ماضي" ومع أنه
غادر لبنان عام ١٩٠١ م إلا أنه ما فتى يتحدث عنها في مصروفى سنناتى حاشا
لسكانها على طرد المستمر الذى عاش فيها ، وقد نال كل تقدير من بعض الأحزاب بينما
ناه أبناءه مشردين فى غياهب الظلمات ، لا يلقون تقديرا أو عونا ، كما أنهم
هاجروا وما جمعوا فى جمعهم إلا الفاقة والكراهية من رجال الدين السلبين ، —
والمداهنين الخائنين لمصالح البلاد ، وتتمه لهذا ينهض القاء الضوء على الحالة
السياسية فى مصر ، حيث إنها من البيئات التى دخلها الشاعر وفى دراستها
كشف لشخصيته والتأثيرات الأدبية التى تعرض لها وكما قال: " سعيد عقل " لا وجود
لأية شرارة جمال إلا وراءها عمر من الضمير والكسند (١)

=====

(١) أدبنا وأدبنا فى المهجر ٥٥ جورج صيدح

" التيارات السياسية في مصر "

من عام ١٨٢٩ حتى عام ١٩٥٤ م

~~~~~

كانت الدولة المصرية تابعة للدولة العثمانية ، وفي عام ١٨٢٩ م تولى توفيق الحكم وكان ضعيف الشخصية ، وضع حبه لمصر لم يكن له من سعة الأفق والفكر نصيب لقصر تعليمه على مصر وحدها ، فلم يكن لديه من الثقافة ما يمكنه من فهم المصريين ، فهو دائما هيباب للمصريين متخوف منهم ، بالإضافة إلى ظروف حكمة القاسية ، فقد وجد الخديوي نفسه أمام تيارين سياسيين يتجاذبان به بشدة ، وهما تيار القومية العربية الذي نما في آخر عهد اسماعيل ، والتيار الأوربي الذي ازداد توغله في مصر إثر الاستدانة الأوربية ، والحالة في مصر عقب خروج الحملة كانت مهيبة لظهور شخصية قوية متميزة ، واسماعيل تولى الحكم في جو ملائم ، أما توفيق فلم تكن تساعده الحالة عامسة (١) .

فمصر من الناحية السياسية جزء من الدولة العثمانية ، وتعترف الدرل الأوربية الكبرى بهذه النسبة وفقا لمعاهدة لندن ١٨٤٠ م مع الحماية المفروضة من بريطانيا وفرنسا وربط إشراف الدولتين الكبيرين على الأمور المالية ، وأهمل حينئذ كل شيء ، وتطرق الفساد إلى التعليم ، وأن الفلاح من كثرة الضرائب وهم السخط وضحفت الحكومة ، وظلت الحال تسير من سيئ إلى أسوأ حتى قامت الثورة المصرية ، والتي كان غرضها تخليص الشرق الاسلامي من قيود التسلط الغربي الأوربي إلا أن الخيانة وسوء النية الغربية أدبها إلى فشل الثورة ، بل جاء الاسطول الانجليزي وضرب الاسكندرية . ففي ١٩٨٢/٧/١١ ، وقام المصريون الانجليز ولكن انتهت المقاومة عند التل الكبير في ١٨٨٢/٩ م وهكذا دخلت مصر عهد الاحتلال البريطاني وأصبحت الأمور بين تعثر

=====

وارتظام حتى عهد عباس ١٨٩٢م ، ولكن لم تكن القومية العربية قد نضجت بل هي فسي  
 الدماء العربية وستظل مادامت الحياة على وجه الأرض ، وعلى الرغم من سماح الإنجليز —  
 باستمرار الحكم الوطني ، مثلاً في الخديوي روزرانه ، إلا ان إنجلترا حرصت على جمع  
 السلطة في يدها ، فالقت الدستور المثل في مجلس النواب والشورى اللذين أصبحا لا نفوذ  
 لهما ، وجرى الإنجليز على سياسة احتكار المناصب الخطيرة ، فضاغف عددهم ، واتبعوا  
 سياسة القمع ضد الأهالي ، وكمت الأقواء ولم تعد حرية الرأي تطل بوجهها ، وعامل  
 البريطانيون المصريين معاملة سيئة ملوهمها الاستعباد في أحط الدرجات الأخلاقية ،  
 وأضح الأمثلة على ذلك حادثه دنشواي ، كما عمل الاستعمار على إضعاف الروح القومية  
 وإهمال شؤون البلاد كما سرحوا الجيش ، وعندما فكروا في إعادة تنظيمه عينوا القيا دتـ  
 إنجليزياً ، كما حرصوا ألا يتوسموا في عدده ، كما سيطر الإنجليز على مالية البلاد  
 وخصوا نصف مخراتمة الدولة لسداد أقساط الديون ، وأهملوا مصالح الشعب كلية ، كما  
 توسعوا في زراعة القطن على حساب غيره من الزروع ، كما حاربوا الصناعة ونشروا لذلك  
 الدطيات الههامة ، كما أهملوا التعليم وجعلوه بمصرفات غالية وحصره في فئة قليلة  
 لمجرد تخريج الموظفين ، ولذلك إحتج العرب على هذه التصرفات ، وعارضوا البعض من  
 المسئولين ، وما لبث أن ظهر الفتى العظيم ( مصطفى كامل ) الذي جمع إلى أخلاقه  
 الوطنية قوة يقينه مواهبة الخطابية والصحافية والتي شجعت منذ أن كان طالباً ، وهاجسان  
 طالت جهودة وجهاده ، وكان لذلك الأثر الحميد في تاريخ الوطنية المصرية ، وعند  
 أن استشهد تأمعه على طريق الجهاد والوطنية ( محمد فرسيد ) ولكن مع حسن الطوية  
 وإخلاص النية ، إستعان الإنجليز ضد ذلك بسياسة القمع والكتب ، وأصدر الإنجليز قانون  
 المطبوعات ١٩٠٩ ، وقانون النفى الإداري ، بل إزداد الأمر إلى أن أزد غورست  
 مد أجل إمتياز القناة أربعين سنة أخرى ، وكان من أثر ذلك إغتيال بطرس غالى بإيسد  
 وطنية ، وكان هذا دليلاً على تقدم الوعى القومى إلى درجة كبيرة ،

ثم قامت الحرب العالمية الأولى ، وطاشت مصر خلالها تصطلى بنار الحرب والإحتلال ، وفى  
 ديسمبر ١٩١٤م أعلنت إنجلترا زوال السيادة التركية ، وفرضت حمايتها على مصر ، وقدرت

عزل " الخديوي عباس " الثاني والذي كان في زيارة لتركيا حينذاك ، ولجأت بريطانيا إلى سياسة العنف والبطس ، وفتح السجون ، وكم الشعب شعوره على مفضسى ، ومهد أن انتهت الحرب عام ١٩١٨ تطلعت مصر إلى يسزوغ فجر جديد ، واستعد " سعد زغلول " للسفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح الذي سيعقد فيها عام ١٩١٩ للمطالبة بحق مصر حيث أن المصريين - كما زعموا - امتد طموحهم إلى تقدير انجلترا لتلك المساعدات بالحمد وقران الجميل ، ولكن رفض المعتمد البريطاني السماح لهم بالسفر ، وانتهى الأمر بنفسى " سعد وزملائه إلى جزيرة مالطة ، وكان هذا الحادث بمثابة الشرارة التي فجرت الشرور المكبوت ، وأمام وطنية الرجال وقت بريطانيا صاغرة ، وسافر سعد ومن معه إلى مؤتمر الصلح بعد أن أفرج عنهم ، ولكنهم رجعوا قانطين لعدم تحقق آمالهم ، وعادت الحركات الوطنية تظهر واضحة جلية على مسرح السياسة لتقابل مرة أخرى بالكبت والظلم ، ونفى " سعد ومن معه إلى جزيرة شيسل ، ولكن أمام اصدار الشعب صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، والذي أعلن إلغاء الحماية البريطانية على مصر ، ولكن احتجت البلاد على ما به من تحفظات وحاولت بريطانيا - عبثا - تسكين الحالة فأفرجت عن سعد ومن معه ، وفي عام ١٩٢٣ أعلن الدستور وتكون البرلمان من مجلس شيوخ ، ومجلس نواب ليواكب تصرفات الوزارة ومع ذلك لم تستقر الحالة السياسية في مصر بسبب استياء المصريين وتذمرهم وتولى سعد الوزارة عام ١٩٢٤ ، وتحسنت الحالة في عهد فؤاد إلى حد ما وتشأت الأحزاب في عصر " فؤاد " ، وتعددت واحتدمت المناقشة بينها ، ولعبت الصحافة في ذلك دورا مهما ، وكثرت الاجتماعات السياسية واضطربت الأحوال السياسية بين المندوب السامى والمصريين وفي هذا الوقت مات " سعد زغلول " .

وجاء فاروق بعد أن مات " فؤاد " وذلك عام ١٩٣٦ ، وظلت الحالة بين سعد وجندب ، وعندما تجلسى للمصريين الأمر بالنسبة لمعاهدة



(٢٥٩)

١٩٣٦ طلبوا من بريطانيا سحب قواتهم من مصر بمجرد إنهائها  
الحرب العالمية الثانية . وجاهد المصريون إلى حد كبير ومنذ  
أن استبان للمصريين أن الاستقلال لا يتحقق إلا بالدماء الذكية المبذولة  
سارعوا إلى ذلك . وظل الحال يتردد إلى أن قامت ثورة ١٩٥٢ م .  
وأرغمت مصر بريطانيا على اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ م .

\*\*\*\*\*

الفصل الثاني

الاتجاهات الفكرية

في

بلاد الشام

## ( الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام )

=====

الفكر دائما وليد مناخٍ مختلفة ، يتدخل فيه الدين عدد من تعددت عدهم الأديان والتعليم ، والمعرفة ، والسياسة وغير ذلك من الموضوعات ، ومن يوجه النظر إلى لبنان في المراحل السابقة للاستقلال يجده يعاني كثيرا في مجال الدراسة والثقافة العربية \* فقد ظل التعليم الابتدائي والثانوي يخضع لاشراف جمعيات خيرية ضعيفة الإمكانيات ، مواردها من احسان المحسنين وهيئات المتبرعين (١) وما عدا ذلك هو ، في معظمه تعليم خاص ، تتنازع الثقافات الأجنبية من فرنسية وانجلوا أمريكية ، وشرف عليها مؤسسات دينية أو هيئات غير حكومية ، وثقف فسي وجهها الثقافة العربية (٢) فاما الثقافة الأمريكية فتمثلها الجامعة الأمريكية وما يتبعها من مدارس ابتدائية وثانوية ، وقد مضى على إنشائها في بيروت قرابة قرن من الزمان ، وكانت التيارات في أول أمرها \* فكرية أدبية ثم تطورت إلى نهضة سياسية \* ومن العوامل الأساسية في بحث اليقظة الفكرية الأدبية :

• المدارس التي أنشأتها الحكومة المصرية في عهد الوحدة المصرية السورية على قصره ، ثم مدارس الإرساليات التبشيرية ، وقد أدى تسامح حكومة إبراهيم بن محمد علي \* في سوريا إلى تشجيع هؤلاء البشورين على القدوم إليها بأعداد متزايدة وكان معظم هؤلاء من الكاثوليك الفرنسيين ومن البروتستانت الأمريكيين ، ومن أهم المدارس التي أنشأتها هذه الإرساليات التبشيرية كلية هتوره للبنين ، وكلية البنات في بيروت \* وكثرت المدارس فيها ، ثم أنشأت هذه الإرساليات عدداً من المطابع

=====

(١) سياسة الحكم في لبنان ، د. حكدي الظاهري ط ٤

(٢) تاريخ العرب الحديث د. أحمدى عورت عبد الكريم ، د. أبو الفتوح رضوان

كان أشهرها مطبعة الإرسالية الأمريكية ، وما ساعد على هذا الفكر الأدبي ونحوه كون التعليم في تلك المدارس باللغة العربية ، وتبته المبشرون أن سر نجاحهم هو تقديم تعليم قوى باللغة العربية ، ومن هنا كانت .

• العناية باللغة وآدابها وما ساعد على ذلك أيضا • المالان الأديهان —

• ناصف الهازجى ويطرس البستانى " أبو النهضة الفكرية الأدبية ، وكذلك خليل الهازجى " وكلهم من جهابذة الفكر الأدبى ، وإذا نظرنا إلى أحدهم .

وهو العالم سليمان البستانى " تجده تمكن من العربية والفرنسية والإنجليزية —

والطبيعيات والرياضة والتاريخ والجغرافيا فى خلال ثمانى سنوات وحرر فى الصحف وديبج المقالات الشيقة فى دائرة المعارف وبذل جهد استطاع فى نشر العلوم

فكان ركا من أركان النهضة السورية ، وتوفى عام ١٩٢٥ بعد رحلات انتهت إلى

أمريكا ولم يظأ أرضها حتى هرع لاستقباله والاحتفاء به المهاجرون من أبناء الوطن

ووفن بلبنان فى يكشتين ، ولا ينهفى أبداً أن ينسى أحد أن " لأرباب هذه

المدارس الأجنبية فضلا ( فى هذه الناحية ) على السوريين خاصة وأبناء العرب

عامة لا يحوه كزور الزمان ، ولن ينسوه ما تعاقب الملوان ، فقد تهبى فى ظلمهم

أجيال متتابعة لاتقم تحت خضر ، كان منها العلماء والأطباء والشعراء والكتبة

إلى آخره من هنالك من جملة العلم وأولى الفرقان الذين يقاخر بهم الشرق سائر

أم العالم " (١) ، ومع أن الأجانب قد نشروا الفاتهم فيما بين اللبنانيين إلا أنهم

أنعشوا اللغة العربية من عثرتها وحببوها بطريقة غير مباشرة إلى أبنائها عن غير عمد

فتداركوا قبس العلم عند الشرقيين قبل انطفائه ، واحتالوا فى تلك الشعلة

الضيئة حتى امتدت شيئا فشيئا وعمت البلاد الرئيسية .

=====

(١) ٥٨٣ تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا لفيف من الاساتذ ط ٢ باب

« ومن أسباب ظهور التيار الفكري الأدبي في لبنان ظهور المطابع منذ زمن قديم ، نجد " مطبعة دير قزحيا " أنشأها الرهبان اللبنانيون في أوائل القرن السابع عشر ، وطبعت فيها التأليف العربية بالحرف السرياني واقتصرت في الأغلب على إصدار كتب دينية . (١)

« ومطبعة " دير مار يوحنا " من لبنان ، وأخرجت المطبعة تأليف دينية ومطبعة القديس " جاورجيوس " للروم الارثوذكسي ، وأخرجت هي الأخرى كتباً دينية ثم تعطلت قرناً كاملاً تقريباً ، ونقل الانجليز مطبعتهم المنشأة في مالطة وتم النقل عام ١٨٣٤ م ، وأنشئت المطبعة الكاثوليكية عام ١٨٤٨ م ، وخدمت الآداب العربية ولا تزال بيروت مدينة المطابع جودة حالاً .

« كما أن مطبعة بولاق التي أنشئت ١٨٢١ في مصر كانت ذات أثر في الفكر الأدبي الثقافي ، حيث نشرت كثيراً من الكتب الأدبية والعلوم الحديثة التي ترجمها العلماء المصريون من أعضاء البعثات ، وكل هذه المنشورات كانت تصدر في مصر وتصل إلى بلاد الشام .

« وما ساعد على ذلك الجمعيات التي أنشأها ليازجي والبستاني " وسع أصدقاتها من الإرساليات الأمريكية كجمعية الفنون والعلوم ، والجمعية الشرعية التي أنشأها اليسوعيون ، والجمعية العلمية السورية التي كانت تضم مائة وخمسين عضواً من أبرز الشخصيات السورية من جميع الطوائف مسلمين ومسيحيين ، ولكن . وقت النية السيئة للدول الاستعمارية في طريق هذا الفكر التقدمي الثقافي . فهو لا يخدم مصالحها - تعاضه لتشخذ في الأذهان هذا الفكر الاستعماري ، وترج له . بإذلة كل مساعيها لتقويض كل فكر وطني ، فكامل بعثات التبشير الديني وإرساليات المعاهد والمستشفيات الأجنبية كلها أشكال للاستعمار ، فمن طريق مناهج التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات ، وعن طريق المحاضرات وغزو الكنيسة بتجنيت صفوف أبنائها واجتذاب ولائهم للكائس

الأجنبية بكل ما تشتمل من قيم وأفكار ، ضد رسالتها الأساسية . الاثارة وتتهيج  
 الراى العام ، وهذا كله بمثابة " المصل ضد تطلعات المواطنين إلى الإنسانية  
 العليا ، ثم ان لها دورا آخر وهو تجنيد الأقسام العربية ودور النشر إلى خدمة  
 الاستعمار ، وهكذا تقف الجامعة الأمريكية في بيروت قلعة بارزة من قلاع  
 الفكر الإستعماري ، ومؤسسة كبرى من مؤسساته الثقافية ضد الفكر العربي  
 الوطنى التقدمى فى الشرق العربى (١) بل كانت الجامعة الأمريكية إذن هى  
 المركز الرئيسى للإشعاع الفكرى الاستعماري وإلى جانب ذلك كان مدير  
 فرانكلين فى بيروت هو رئيس الدائرة العربية فى الجامعة العربية الأمريكية فى  
 لبنان و " دينية حبش " هو فيلسوف جماعة الندوة اللبنانية المادية للقومية  
 العربية والاشتراكية .

\*\*\* وهكذا لا مضت الجامعة الأمريكية فى بيروت تشع نيران الحقد على كل ما  
 هو وطنى ، وكل ما هو متقدم فى الفكر والحياة على السواء ، وتحاول جهدها  
 أن تربط المثقف بمجلة الفكر الأمريكى والحضارة الأمريكية ، سواء بالمنح السخية  
 التى توفر له الإقامة الطويلة فى الولايات المتحدة ، أو المرتبات المغرية التى  
 يتقاضاها بعد العودة والعمل فى المؤسسات المختلفة للاستعمار الحديث (٢)  
 ومن هنا كانت تصدر ملاحق أدبية وصحف عملية فى لبنان كجريدة " النهار " -  
 " لسان الحال " و " الحرية " و " الحياة " وهى تتابع تيارات الفكر العربى  
 وتميله ، واحتقار التراث العربى ، وعملت دور النشر على إصدار الكتب يومها  
 مع مجموعة من المقالات الممتازة ضد ذلك الشعب وتلك القومية ، وهناك فئته  
 كانت تعنى بأعداد الأجيال حسب الهوى ، فتبدأ معهم بالمجلات الحقيقية  
 ذات الطابع العلمى وغيره مثل المصنم ، وكلها تكمل الدور الهائل الذى تؤدىه

=====

(١) ٢٧ أمريكا والحرب الفكرية غالى شكرى  
 (٢) ٢٩ أمريكا والحرب الفكرية غالى شكرى

## أعلام المظاهرات الأمريكية . (١)

ومع ذلك " تعتبر الثقافة الفرنسية أقوى الثقافات الأجنبية الموجودة في لبنان ، وحتى إن اللغة الفرنسية تنازع وتنافس اللغة العربية في الحديث العامي عند بعض الفئات اللبنانية ، وتقوم بنشر هذه الثقافة جامعة " سان جوزيف " وتبعضها عدد ضخم من المدارس الابتدائية والثانوية المنتشرة في مختلف المدن والقرى اللبنانية فـ " السهل والجبل " وهي مرتبطة في برامج بعض كلياتها بجامعة ليهون الفرنسية (٢) .

\*\*\* ورجع تغلب الثقافة الفرنسية لأسباب تاريخية أهمها :-

إرتباط الكنيسة المارونية بالكنيسة الرومانية المقدسة منذ القرن السادس عشر وهذا الذي أدى إلى تغلغل النفوذ الفرنسي تدريجياً . .

\*\*\* وكان من أثر ذلك الغزو الاستعماري في الفكر والعقل المربيين .

عندما جاء الصليبيون إلى بلاد الشام حاول الموازنة بكل ما لديهم من جهد مساعدة الصليبيين ومساندتهم ، فهم حماة - في زعمهم للدين المسيحي ، وعمل المسلمون على منع تلك المساعدات وطرد العدو ، ولما اختلف تيار الفكر عند كل من الطائفتين اختلفت وجهات نظرهم الفكرية والعملية .

وبعد اتفاقية سايكس بيكو ، ووعدهم بلفور وفي ذلك الوقت بالذات أيدي الموازنة في لبنان رغبهم في أن تمنح فرنسا الإشراف على لبنان ، أو أن يوضح لبنان تحت الانتداب الفرنسي في حين أن غالبية العرب في سوريا كانت تكف العداة لفرنسا ، وكان يرون أنه إذا لم يكن هناك مفر من وضع بلادهم تحت إشراف دولة - أجنبية فلتكن هذه الدولة انجلترا أو الولايات المتحدة الأمريكية ، مع أنهم في هذا الوقت مجتمعين على المطالبة بالإستقلال التام ، إلا أنهم كانوا مختلفين على الطريقة التي تحقق ذلك .

=====

(١) المرجع السابق (٣٣) يتصرف

(٢) ٣٥ سياسة الحكم في لبنان ٣٩ حمدي الطاهري

وفي عام ١٩١٩ عقد مؤتمر صلح في فرنسا الذي ناقش الموضوعات المتروكة على  
إنهاء الحرب العالمية الأولى ، و صدر عن المؤتمر قرار يقضي بفضل جميع المناطق  
العربية عن الإمبراطورية العثمانية وقد حضر المؤتمر بعض الشخصيات العربية  
المتباينة الأهداف ، فيما أبدى بعضهم رغبة لقبول إستقلال لبنان على أن تدخل  
في اتحاد إقتصادي مع باقي دول المنطقة العربية في آسيا إلا أن بعض  
المدعوين اللبنانيين ذوى الميول الفرنسية الذين حضروا المؤتمر دون أن يكون  
لهم أية صفة تمثيلية طالبوا باستقلال لبنان وتوسيع حدوده ، ووضعة تحت الحماية  
الفرنسية ، وبعيد معاهدة لوزان عام ١٩٢٤ م والتي كانت خاتمة المطاف في  
تأكيد حق فرنسا الشرعي والدولي في إدارة سوريا ولبنان ومنذ ذلك الحين  
أخذت فرنسا تعمل جاهدة على تحقيق أكبر قدر من المصالح الخارجية .

ومما شجع فرنسا على المضي في السياسة " أن المطالبة بالإستقلال في تلك الفترة  
كانت تواجهها عقبات كثيرة ، فقد كان البعض لا يمارض القومية العربية في حد  
ذاتها ولكنه كان يكره الموافقة على أي عمل يسمى " إلى فرنسا ، ويكون من شأنه  
إضعاف مركز فرنسا العالمي " (١)

وهناك فئة أخرى من سكان البلاد ينظرون إلى الإستقلال على أنه مؤامرة انجليزية  
ضد فرنسا ، وكانوا يعتقدون أن إنجلترا هي التي تعمل على بعث فكرة القومية  
العربية للوقوف في وجه فرنسا ، حيث أن هذا السلاح ستكون نتيجة الحماسة  
هي تقلل النفوذ الفرنسي ، وخاصة في سوريا ولبنان ، وسيكون البديل لهذا  
التقلص امتداد النفوذ الانجليزي وسيطرته على كافة أنحاء المنطقة وخاصة إذا ما  
حققت فكرة اتحاد عرب يضم جميع الدول العربية بما فيها سوريا ولبنان .  
وفئة أخرى تنظر إلى القومية العربية على أنها حركة معادية هدفها منسحق  
العرب ( أهل البلاد ) من التمتع بالحضارة الغربية والتقدم الغربي .

=====



وفيه أخرى تنظر اليها على أنها حركة اسلامية متعصبة ، ولذا فمن الضروري أن يقف المسيحيون صفا واحدا في وجهها \* وشجعهم على ذلك البعثات التبشيرية هناك ، والتي كانت تستمد وجودها وحمايتها من فرنسا (١) وأخال أن تلك الأمثلة كافية لبيان أثر التيارات الفكرية الاستعمارية في فكر ونقل الطوائف ، وما جر ذلك عليهم من ويلات وتأخر وخلافات طائفية .

ولكن لا بد للحق أن ينتصر ، وللحقيقة ان تظهر . فملا ابرك اللبنانيون بوضوح نوايا الغرب واحصوا بما يهبت لهم هو لا بعد أن فرض عليهم الانتداب قسرا ، ومن هنا بدأ الفكر القومي والوطني يظهر وينضم إلى ما سبقه من فكر واتجاهات أخرى ، وحاول القوميون تحدى الدول الكبرى إلا أنهم فشلوا وكان ذلك عام ١٩٢٠م عندما اجتمع الأمير فيصل \* تاج سوريا ( وقصد بها سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ) وكان من قراراته .

\* رفض الوصايا السياسية التي ينطوي عليها نظام الانتداب التي تفرضه إنجلترا وفرنسا ، ورفض معونة الأخيره مهما كان شكلها ، وقيل \* فيصل \* الحكم ، ولكن قامت الحكومتان الانجليزية والفرنسية بعقد مؤتمر سان ريمو ردأ على ذلك وعندما أرسل القائد العام للقوات الفرنسية في لبنان انذارا نهائيا للملك \* فيصل \* وقامت معركة ميسلون التي كانت \* سببا مباشرا في بعث الحركات التحررية في المنطقة ، وتطور مفهومها \* (٢)

ومن هنا بدأ شمل الوطنيين يتجمع ، وتكثرت مرة أخرى للوقوف في وجه الاستعمار بعد أن وقفوا بجانبه من قبل بمحض اختيارهم على أمل أنه سيساعدهم على استخلاص استقلالهم من براثن \* تركيا \* (٣) وقام بعض الشبان المثقفين

=====

بتشكيل جمعية سرية في بيروت " انتشرت فروعها في المدن وثنا المنشورات التي تضمنت أول برنامج سياسي عربي . وذلك عام ١٨٨٠ وكانت مطالبة الرئيسية منح الاستقلال الذاتي لسوريا متحده مع لبنان ، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، والغاء الرقابة والقيود الأخرى التي تحول دون حرية الرأي وانتشار العلم ، وقد حددت الجمعية الاتجاه الذي يجب على العرب اتباعه ، وظل هذا التيار يتردد بين مد وجذر ، حتى اجتمع فريق من زعماء الطوائف الدينية المختلفة في يونيو ١٩٢٠ ، وأصدروا قرارا أعلنوا فيه حق لبنان التاريخي في الإستقلال وحياده السياسي ، كما قرروا أن يقوم التفاهم والاتفاق بين لبنان وسورية ، ولكن السلطات الفرنسية وجهت إليهم تهمة الخيانة وحكمت عليهم بالسجن والتشريد وظل الأمر يتردد بين طلب الحرية والاستقلال من جهة العرب والردع من السلطات الفرنسية لكل ذلك وترددت موجات الوطنية والمطالبة بالاستقلال بين الطي والنشر حتى تم جلاء القوات البربرانية عن لبنان وتلتها القوات الفرنسية آخر ديسمبر

سنة ١٩٤٦ م .

=====

ومن ذلك نأتى إلى ناحيتين مهمتين :-

أولاهما : العوامل التي أثرت في الإتجاهات الفكرية في بلاد الشام وهي :-

- ١- الأحداث التاريخية .
- ٢- الجمعيات والأحزاب السياسية .
- ٣- اغتراب الشاميين وهجرتهم .
- ٤- الحضارة الغربية وأثرها في الإتجاهات الفكرية .
- ٥- انتشار التعليم وأثره في الإتجاهات الفكرية وخاصة في لبنان .
- ٦- الترجمة والتأليف . (٧) نمو الحياة الاقتصادية .

( ١ )

ان للأحداث التاريخية الأثر الكبير في إيقاف مناخى ربما نامت من قبل ولولا هذا الحدث أو ذلك ما كتب لها الأنهكات ، فالثورات والحركات التحررية توقظ جانب التطلع إلى الحرية ، والتخلص من العبودية والاستعمار . كما أنها توحى للإنسان على الأقل بالبصير الأول من القدرة الحركية . التي تحركه نحو مسعاة إلى حياة أفضل ، كما أن لهذه الأحداث الآثار التي لا يستهان بها في الأدب ولكن ذلك تابع للأثر الفكرى .

ويكون الأثر ايجابيا أو سلبيا . حسبما يترتب على نتائج هذه الأحداث ففى المنطقة نفسها . . أما غيرها من المناطق فقد يكون التأثير من النوع الأول . وقد تنتج مضاربات فكرية . فيتكون منها ما يكون اتجاهات ينتصر الايجابى منها ففى النهاية . . وإذا نظرنا إلى بلاد الشام وجدنا أثر هذه الأحداث عند بعض الأدباء . . كاديب اسحاق . . أمين الريحانى . وجبران خليل جبران . . فالثورة الفرنسية تأثير علقى محدود ، ونداء إلى حياة أفضل تسودها الأخوة .

( ٣٢ )

والحرية والمساواة . ومثال ذلك قول أديب اسحاق " يخاطب الحرية " " أيتها  
الحرية ، ها مصدر كل أمر جليل في الأرض لقد علمنا أنه لا نجاح إلا بيد ونسك ،  
ولا سعادة مع البعد عنك ، فإن الأمة الحرة تكون كقرص غير مقيد ، يسير وأما  
رأسه ، تنشق على صدره الهواء النقي ، ويسرح في الرعي النضير ، أما  
الشعب المستعبد فهو كقرص مستعبد يدور حول الرعي منخفض العينين يسير  
السنة بتمامها ولا ينتقل من مكانه ( ١ ) ويقول " جبران " قد أحببت الحرية  
فكانت محبتي تنمو بمعرفتي عبودية الناس للجور والهواية ، وتتسع باتساع إدراكي  
خضوعهم للأصنام المخيفة التي فتتها الأجيال المظلمة ونصبتها الجهالة المستمرة  
لكني أحب هو لا العبيد بمحبي الحرية ( ٢ ) ولا شك أن هذا الفكر المحب -  
للحرية إنما هو وليد تلك الحركات والأحداث التاريخية ومن ذلك الحركة  
الوهابية وغيرها من حروب على المدى الزمني الذي يعيش في محيطه البحث  
الذي نحن بصورة . كل هذا حرك الأذهان إلى نداءات الحرية . ومع  
فكرة التحرير القومى .

( ٢ )

الأحزاب السياسية والجمعيات العلمية لها أكبر الأثر في اتجاه الفكر الشامى  
فالأحزاب ( الطوائف ) في مقدمة الأسباب التي أدت إلى انشطار الفكر  
حول المطالب القومية والسياسية وما زال هذا الانشطار يتقدم حتى يروا جميعاً  
أن الاستعمار لا يريد سوى نفسه ومن هنا تتجمع أفكارهم نحو منفذ واحد . ولكن  
مافتتاً تخرج منه حتى تتفرق مرة أخرى ، وهذا هو التأثير السلبي للطوائف  
إلا أن ذلك قد بست في فكر العرب أنهم يعرفون الحقيقة كاملة وأن انسياقهم  
أو انسياق بعض منهم تحت آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم ليس إلا سراً  
ومن هنا بدأت المعاملات تنتقل إلى الأفضل .

١- الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث ٣٥ جميل صليبا

٢- نفس المرجع ٣٥

أعلى الأقل عرفوا أن لبنة الأساس في وجودهم في تلك الديار - سوف تسقط

على رؤوسهم .....

« أما الجمعيات العلمية ، وكان من أعضاء الجمعية العلمية السورية بعد أن أعيد تأسيسها - سليم بطرس اليستاني \* ، ويكفي أن تعرف ما قالة في مجلة الجنان من مقالات سياسية يدعو فيها إلى الإصلاح الاجتماعي وغيره - من اصلاحات يقول ( إننا نظروا إلى العالم المتمدين وإلى أقسام كثيرة من العالم الذي لا يزال التمدن فيه ناقصاً ، نرى أنه يسير إلى التقدم والنجاح أدبيّاً ومادياً ، فتقام الشركات ، وتبنى المراكب ، وتمهد الطرق وتحفر المعادن ، وتصب فيه أنهر الثروة من جميع الجهات ، ومع أننا قد حصلنا على الوسائط التي تمكننا من أن ننظر إلى ذلك لاتوال في تأخر ، فلا نعريف أن تجمع ثروة ، مع أن في بلادنا من القوات الطبيعية ما هو ينبوع الثروة \* (١) ومن هنا قال إبراهيم اليازجي \* من قصيدة ألقاها في هذه الجمعية السورية .

تسيروا واستفيقوا أيها العرب فقد طوى الخطب حتى غاصت المركب  
وهناك الكثير من هذه الجمعيات كجمعية ( الآباء العربى ) ١٩٠٨ م -  
( والمنتدى الأدبى ) ١٩٠٩ م . ( والجمعية القحطانية ) ١٩٠٩ م . (٢)

( ٣ )

ولم يكن اتصال الشاميين بالغرب ، وهجرتهم إليه إلا ممول هدم للسياسة -  
العربية في الشرق ، كما كانت بداية سوداء على أركان الفكر السياسى الغربى  
فقد عانوا الحرية في بلاد الفرية ووجدوا في احضانها المستقر ، ونعموا  
بجوارها .

=====

( ١ ) الاتجاهات الفكرية ..... ٤٢ - ٤٣

( ٢ ) الاتجاهات الفكرية ..... ٤٤

(٣٩)

ومن هذا كثير في الديوان قصيدة "هنا وهناك" وصيحة للجهاد "القروي وأحد من المهاجرين".

وكل هذا ناتج من اليقظة القومية ونمو الوعي، واستجابتهم إلى نداء الفطرة - الإنسانية - بعد أن حرمت منها زمناً، كما أن ميلهم إلى تحسين واقعهم الأليم كل تلك الأسباب أيقظت شعورهم بالظلم المتعيق والضيق الاقتصادي، وحملهم على المخاطرة حتى بكل شيء.

(٤)

ولقد أثرت الحضارة الغربية في الفكر الشامي، حيث تطور الفكر الإجتماعي، (فتبدلت فيها مظاهر الحياة) وتصارعت القيم، وتزعزعت المعتقدات القديمة، - والعادات المألوفة (١) وهذا الإتصال بين حضارة قديمة بالية وأخرى حديثة أدى إلى اضطراب وتزلزل وتفاعل، حيث ينتصر الأقوى في النهاية، وأدى ذلك إلى حياة أفضل، فعمت الثورة، وتطورت حياة الأسرة إلى أفضل مما كانت عليه في الماضي وسرى هذا التطور في حياة العمال، فتبدلت مظاهر الحياة، وقلدا لمجتمع - الشامي المجتمع الأوربي في سياسة الحكم والإدارة وكل ما وجد فيه صلاح للبنانيين والشاميين.

(٥)

التعليم له الأثر الأكبر، حيث يصفل العقول، كما أنه جلاء للأذهان، ولا يخفى أثر التعليم في بلاد الشام من ظهور الشعور القوي بالقومية العربية - الضيقة أحياناً - والشعور بالوطنية، والدعوة إلى الجهاد لرد ما اغتصب من حقوق أسماها الحرية. والتحرير منها في مؤله السمو إلى غير ذلك مما يتشعب وينفطر من هذا الإتجاه. - ولكن لا قد يكون الأثر أعظم وأعظم لو عمل المتعلم بما علم - حسبما تمليه عليه وطنيته وقوميته، إلا أن لبنان... بما تجمع فيها من حريسة

=====

وظائفية • كان أثر التعليم فيها سلبيا نظرا لعدم اغتياق الأهداف • وانحسار  
الاستعمار في كل طائفة • وظل الأمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية فلما  
ظهرت الحقيقة أمام الشعوب والليثانيين وهي أن الاستعمار هو الاستعمار • بدأ  
التعليم يأتى بشماره إلى حد ما • إلا أن اختلاف اللغات والثقافات أدى إلى  
ظهور اتجاهات فكرية مختلفة متباينة ومتناقضة •

وانظر إلى الشاعر القروى وهو يقول فى نشيد الجامعة • وما أظن إلا أنه يرصد  
بذلك توحيد المشاعر والأفكار والأهداف نحو خدمة الوطن يقول: (١)

بك يا أم المعالى • • • تبت الرجال  
تفتنى نحو الكمال • • • يسير الأبطال  
وحدى فينا المبادئ • • • وحدى الأوطان  
واجملى حب البلاد • • • ملتقى الأديان

(( ٦ ))

وهذا أحمد فارس الشهبان • الذى كان وجهه زمانه ونايغة عصره فى علوم اللغة  
والأدب والكتابة والشعر • وله آثار حميدة تشهد بسعة اطلاعه وعلو كعبه فسى  
كل من تعاطاة وألف فيه • فمن مؤلفاته " الواسطة فى أحوال مالطه " وكشف  
المخبا عن أحوال أوربا " والجاسوس على القاموس " سر الليال فى القلب  
والأبدال " • وينتهى العجب فى خصائص لغة القرب " (٢) وغير ذلك الكثير  
• وسليمان البستاني المحنك • الشهير والشاعر النايغة واللغوى المؤلف الكبير  
الذى تمكن من اللغات والتاريخ وغير ذلك • فقد ألم بالصربية • الانجليزية •  
والفرنسية • والتركية • والسريانية • وأخذ يطرف من العبرية والألمانية والروسية  
والهندية • فأصدر دائرة المعارف • وعرب اليانعة هو ميروس نظرا • وتاريخ العرب

=====

(١) ديوان القروى ٦٢٢ - ٦٢٣

(٢) تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا ط ٦٥٤ - ٦٥٦

(٤١)

"مطرس البستاني" الذي ألف "محيط المحيط" وهو كتاب لغوي . ، كل  
هو لاء قاموا بنشر الكتب الأدبية في بيروت وعملهم هذا ، وعمل مدارس المشركين  
ومدارس لبنان الوطنية" أنتقلت الحركة الأدبية إلى الأقطار الشامية الداخلية .  
وإزدادت النهضة بعد الحرب العالمية الأولى وشوع ذلك تنوعا ملحوظا ، ولقد  
انتج شعراء الشام أدبا ما بين نشر وشعر بصور الحياة ، وكان لكل هذا كبير الأثر  
في النهضة الأدبية وأحياء التراث وتكريم الأدباء ، وتشجيع الناشئين .

(( ٧ ))

خلال الحرب العالمية الثانية تعلم الشاميون صناعات جديدة كانوا فيها عالمة  
على الغرب ، وقد اضطروا إليها لما وضعت الحواجز بين المالك ، كما توسعوا في  
الزراعة والتجارة فكثرت المبادلات التجارية بينهم وبين البلاد الأجنبية . وأدى -  
ذلك إلى ازدهار الحياة وكثرة الدخل ، وبذلك بدلت الاتجاهات الفكرية العامة  
كما تبع ذلك اختلاف النظرة إلى الحياة" كل هذا الموجة المتبرمة بالحياة في أنحاء  
متفرقة " تسمى لطلب المزيد من الربح ، وحتى صار الميزان الوحيد هو الميزان -  
المالي ، كما ولد ذلك اتجاهات مختلفة . كالميل إلى اللذة أو الدعوة إلى  
التقشف ، وسبب الفنى والتمتع بالعيش . أنتشر التقنى بالطبيعة ، ومدح الكرام  
والبطولة ، والهجاء للجبن واليخسل . . . . . وسترى .

والثانية :

====  
وقد شملت الاتجاهات الفكرية النواحي الآتية :-

اتجاه قومي : وهو المطالبة بحقوق العرب المهضومة كما سبق في أول هذا الفصل  
ولقد نشأ هذا التيار عن تآثر الأحداث التاريخية وانتشار التعليم ، وتأثير الكتاب  
والشعراء . اللذين ثاروا فكرا ضد الاستعمار - كما تجلى هذا الاتجاه في  
الاعتراف بالماضي المجيد الذي أرتسم بوضوح - " ولن يزال " في مخيلتهم تحسن



إليه النفس • وهوى رومته دائما قال اليازجى • (١)

سلام ايها العرب الكرام •• وجاد ربوع قطركم المنام

لقد ذكر الزمان لكم عهداً •• مضت قدما فلم يضع التمام

ولقد تداخل تأثير الحضارة الغربية في هذا الاتجاه ••••• وان ظهرت بعض

السلبيات •• إلا أن الغالبية كانت ايجابية ••••• ومن مظاهر ذلك مطالبة العرب

حقوقهم أيام العثمانيين والدعوة إلى الثورة والاستقلال •• ومقاومة الاستعمار وظهور

الكثير من الأدب الذى يخدم هذا المحيط ذى التيار الجارف من ذلك قول خليل

مروم فى قصيدة عنوانها الى "شهيد ايرلندا" ••

إذا كانت الرء أسراً •• فان الموت بالاحرار أحلى •• (٢)

وإذا نظرت فى الحياة الأدبية آنذاك فأناك لواجد الكثير ويقول "الكواكبى

" يا قوم كلنا أجدادكم لا ينحنون إلا ركوعاً لله •• وأنتم تسجدون لتقبيل أرجل

المنعمين مغموسة بدم الاخوان •• واجدادكم ينامون الآن فى قبورهم مستوين أعزاء

وأنتم أحياء مموجة رقابكم ازلاء •• (٣)

الوطنية والانسانية :-

سهما اختلفت الآراء والوجهات فان النفسيات لا تختلف فى حقيقتها من ناحية الحب

للوطن فالعزم مرتبط بذكياته وصور فيه لا ينساها •• وما رب قضاها له وطنه ••

ولذلك قال "ابن الرومى"

وحبب أوطان الرجال اليهم •• ما رب قضاها الرجال هنالك ••

وقال "شوقى"

وطنى لو شغلت بالظلم عنى •• نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

=====

(١) نقلا عن الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ص ٩

(٢) نقلا عن التيارات الفكرية ١٠٥ •••

(٣) عن نغم المرجع ١٠٧ •••••

وكما يحن الإنسان إلى وطنه ، فإنه يحن لأنسانيته .  
 ولكن التمسب الطائفي منافي لذلك ، إلا أنه أمر طارىء . وإن أخذ  
 طابحة - في لبنان خاصة . ما يشبه طابع الأصالة : إلا أن الشعور الإنساني  
 لا بد أن يظهر واضحاً عند نقطة معينة ، وهذا ما بدأ في فترات مختلفة في  
 تاريخ لبنان . . . . وكلما ازدادت قيمة الشعور بالوطن والوطنية . تابع  
 ذلك ارتفاع الأنسانية إلى قيمة التجميل والتعظيم حتى يعم ذلك الإنسانية  
 المطلقة :

يقول " جبران " البشر ينقسمون إلى طوائف وعشائر ، وينتمون إلى بلاد  
 وأصقاع ، وأنا أرى ذاتي غريباً في بلد واحد ، وخارجاً عن أمة واحدة .  
 فالأرض كلها وطني ، والعائلة البشرية عائلتي .

=====

( ٤٣ )

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
الفصل الثالث  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(( الاتجاهات التوجيهية ))

(( المساعدة في عمل النساء وخصالها ))

\*\*\*\*\*

## الاتجاهات الفنية السائدة في عصره وخصائصها

=====

يجدر بنا أن نشير إلى أن قيام المذهب الأدبي أو المدرسة الأدبية

يستلزم قواعد مرسومة ، وقوانين محددة تلزم بها المدرسة ويعتمد عليها المذهب

حسب ما رسمه كل منهما من فلسفة وهدف .

ونعني بذلك أن المذاهب الأدبية في الغرب قامت على أصول متبعة ومناهج تتقيد

بها ، وأزمنة محددة ظهرت فيها ثم أخذت تتصارع على مسر الزمن ، ولا يخلو

الأمر من تداخل في هذه المذاهب .

وأما في أدبنا العربي فلم يخل الأمر من وجود مشابهة في ناحية أو نواح فنية

التقى فيها أدبنا ( أعني سمات أو خصائص ) مع بعض سمات وخصائص أدبية كانت

بمعناها قائمة في المذاهب الأدبية الغربية .

وهذا يعني أن هذا الأدب ليس خاليا من مدرسة اتباعية أو ابتداعية أو رؤيوية

بمعناها الفني والذي يتناسب وطبيعة الأدب العربي ، والأدباء وظروفهم

العامة .

ولكن هذا لم يصل في الأدب العربي إلى درجة المذهب أو المدرسة

حيث لم تكن هناك قواعد أو خصائص أو سموات بالمعنى المفهوم من كلمة مذهب

أو مدرسة ، ويجدر بنا ونحن في معرض الحديث عن هذا الفصل أن نتحدث بما

يحتاجه المقام عن المذاهب الغربية الأدبية وتتبع كل مذهب أدبي بالاتجاه المقابل

له في الأدب العربي . وذلك ليؤدب الوضوح في هذا الموضوع .

## الكلاسيكية

### "الاتجاه الاتباعي"

لم يجد الأوروبيون أمامهم خلال العصور الوسطى • والمصرين السابع عشر والثامن عشر الألف المنهج الاغريقي الذي انعكس أثره على الأدب الرومانسي ، فتعلق الأدباء في ايطالية ، وألمانية ، وانجلترا ، وأسبانية ، وفرنسية ، بالتعاضد العالية من أدب اليونان والرومان ، وحذوا حذو هؤلاء في العصر والنشر طوال تلك المدة وظلت أفكار فلاسفة اليونان تصود الأدب الأوربي وتتحكم في أذواق الأدباء (١)

ولقد ظهر الاتجاه الكلاسيكي في الأدب الغربي في القرن السابع عشر الميلادي ، وكانت فرنجة مهددة الأول الذي نما وتوسع في أحضانها ، حيث استطاع الفرنسيون أن ينشئوا في مدى ثلاثين سنة ( ١٦٣٠ - ١٦٦٠ ) مذهباً أدبياً مفصلاً هو الذي عرف فيما بعد بالمذهب الاتباعي ( الكلاسيكي ) ، ويحتمل " بوالو " ( ١٦٣٦ - ١٧١١ ) الناقد الفرنسي ، مشرع هذه المدرسة ، وجامع دستورها في كتابه فن الشعر . (٢)

ولا ينسى أن يذكر فضل بعض زعماء المدرسة مثل " شابلان " و " اسكيري " - اللذين كانا من واضعي أسس وقواعد هذه المدرسة .

وقبل ظهور هذا المذهب في فرنسة سبقتة جهود لغوية عظيمة لإحياء اللغة وصقل الفاظها ، وجهود متصلة بالأهداف والغايات ، فهذه جماعة الثريا يتزعمها الشاعر الفرنسي " رنصار " تعتمد إلى إحياء اللغة كما دأبت على تجديد أساليبها وعباراتها (٣) .

(١) أنظر معالم النقد الأدبي د . عبدالرحمن همان ١٥٢ ط ١ (١٩٦٨)

(٢) المسرحية الاستاذ عمر الدسوقي ٩٤ ط ٥ دار الفكر .

(٣) معالم النقد الادبي ١٥٤ .

كما ساعد على ظهور المذهب بصورته الحية . ظهور الفيلسوفين العظيمة اللذين  
رسما للأدب بفلسفتها اتجاهاته الفكرية التي تليق به كفن له في الحياة رسالته  
الناقصة

أما أحدهما :

" فديكارت " المولود عام ١٩٥٦ الذي أصدر كتابها عام ١٦٣٧ بعنوان " خطاب في  
المنهج " وفيه تمكن لسلطان العقل الذي هو الموصل الوحيد إلى الخير والمعرفة ،  
وهو الذي رأى أن العقل والإرادة يتحكمان في أهواء النفس ، فالعقل هو الذي  
قيم سيرتنا ، والأرادة تحقق الميل النافع منها وتكبح الرغبة الضارة ، ولهذا تأثر  
النتاج الأدبي بذلك

\* كما طبق بسكال هو الآخر ( ١٦٢٣ - ١٦٦٢ ) في رسائله الرفيعة قواعد  
المذهب ، فلم يقنن غير الأسلوب المنطقي ، ولم يعتمد على غير العقل الذي هو  
عنده نقطة الهداية والنهاية ، كما حرص في كتابته على القواعد الفنية التي تمنح العمل  
الجميل من غيره . كما التزم بالموضوعية في رسالته

\* كما اشترط في الأدب الجيد شرطا هو توفير اللذة والفائدة ، والاهتمام بالأسلوب  
الواضح ، والمفصح عن الفكرة والذي تحقق فيه دراسة النفس الانسانية دراسة  
عميقة

وهكذا انتقل المذهب من فرنسة إلى انجلترا ، حيث ترجم الشاعر الانجليزي "جون  
أولرهام" ( ١٦٥٣ - ١٦٧٣ ) كتاب " بوالو " فن الشعر . كما أثر " بوالو " في  
جون ديردن " ( ١٦٣١ - ١٧٠٠ ) تأثيرا عميقا كما أثر " بوالو " في معاصري  
" ديردن " فساروا على منهج الكلاسيكيين الفرنسيين في أدبهم ونقلهم ثم انتقل

المذهب إلى ألمانيا (١) . . . . .

=====

(٤٨)

" ما تعنية الكلمة واهتقاقاتهما؟ "

=====

وكلمة كلاسيكية مشتقة من الكلمة اللاتينية القديمة Classis التي كانت  
تفيد في الأصل وحدة في الأسطول ، ثم تغير مدلولها ، وأصبحت تعنى وحدة  
دراسية أى فصلا دراسيا ( ١ ) ،  
وهذا المعنى ما أخذته الكلمة في اللغتين الفرنسية والانجليزية ، حيث ترى أن  
معنى كلمة Classe بالفرنسية " أى فصل " وكذلك في الإنجليزية ، والصفة منها  
Classic أى مدرس ، ويرجع السبب في هذه التسمية إلى أنه أدب خلد  
على مر الزمن ، وثبتت صلاحيته في تعليم الشبان ، وتربيتهم في فصول الدراسة .  
كما اعتبر الأدب اليوناني القديم والروماني أدبا كلاسيكيا ، لأن تدريس هذه —  
الأداب في المدارس والجامعات الأوروبية ، كان ولا يزال خير وسيلة لتثقيف  
الشبان وتربيتهم وتربية أرواقهم على خير وجه .

« ومن ظلال هذا الأصل اللاتيني ( لمعنى الكلمة ) " أخذ الفرنسيون في —  
القرن السابع عشر كلمة " كلاسيك " بمعنى الأدب الذي يصلح أن يكون أساسا  
لتثقيف النفس ، وتهذيبه فقالوا مثلا " غناء كلاسيك " على معنى أن ( هذا )  
الغناء بلغ الجودة بحيث يصلح أدواته التهذيب النفس في دور التكوين ( ٢ )  
ويقرر المؤرخون أن القرن السادس عشر هو عصر النهضة في أوربة في العلم  
والمعرفة والأدب ، فبعد أن تم سقوط القسطنطينية ، ووقوعها في قبضة الأتراك  
عام ١٤٥٣ ، ومنذ هذا الوقت بدأت بذور الكلاسيكية في الظهور فهذا الفتح  
دفع علماء الاغريق — ( مؤخرا وفي القرن السابع عشر — الذين كانوا يعيشون في  
كف الدولة الرومانية ، ويحتفظون ببقية هذه الثقافة المزروجة إلى الهجرة ، —

=====

(١) الأدب ومذاهية ٤١ د. محمد مندور

(٢) معالم النقد الأدبي ١٥٨ ج ١

والإتجاه غربا نحو ايطالية حاملين معهم مخطوطاتهم • وما تضم مكتباتهم من ذخائر  
الاغريق • والتقى هؤلاء المهاجرون في ايطالية بنفر من العلماء الذين كانوا  
يبحثون عن علوم الأقدمين ويعملون على بعثها وإحيائها • وهذا العمل ظهرت  
ثمارة اليانعة حينما ترجم إلى اللغات القومية •

فأنكب العلماء على آداب " هوميروس " من معيشتها اليونانية بدل من هذه الترجمات  
المشوهة •

\* كما اقتترنت الحركة الكلاسيكية في فرنسا بعاملين مهمين هما :

أولا : رفع قيمة اللغة أو بهذا الجهود اللازمة لإحيائها وتطويرها وإغنائها بالمفردات •  
ثانيا : قوة الروح الأدبية التي فهم منها استحالة تحقيق النهضة دون الرجوع إلى  
الآداب اليونانية والرومانية وخاصة الراقى المهدب منها •

\* كما كان " اللويس الرابع عشر " ملك فرنسا أثره الذي لا يستهان به • فلقد دقم  
ببلادة نحو المجد والقوة • ورعى الآداب والفنون وأسست الأكاديمية العلمية الفرنسية  
لينهض بها ( ١ )

\* كما كان للمرب فضل في توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانية • بما أقاموا به  
من ترجمات الفلاسفة اليونان وخاصة " ارسطو " فحاول رجال النهضة الرجوع إلى تلك  
النصوص في لغاتها الأصلية • ثم أخذوا في طبع النصوص اليونانية وترجمتها والتعليم  
عليها •

فكانت الدعوة إلى الرجوع لآداب اليونان والرومان ومحاكاتها بمثابة ثورة فكرية في ذلك  
المصر •

وطاد رجال الأدب في عصر النهضة إلى نظرية المحاكاة : محاكاة الأقدمين من يونان  
ولاهين • وكانوا ولوعين بما في هذين الأدبين من اتجاهات إنسانية ( ٢ )

=====

( ١ ) المسرحية الأستاذ محمد الدسوقي ٩٤

( ٢ ) الأدب المقارن د • محمد غنيمي هلال ٢٣



ان مجمل القواعد والسّمات التي قام عليها الإتجاه الإتباعى فى الأدب الفيلسوفى  
هـى :

١- محاكاة الأقدمين محاكاة فنية . وليس المقصود بها تقليداً آلياً أو شبهه من  
الطبيعة أو الحياة . لأن مثل هذا النقل هو وحدة الذى تتفق معه صفة  
الخلق والابداع فى الشعر بخاصة والفنون بعامة . فالقنان أو الشاعر لا ينقل  
عن الطبيعة أو الحياة رأساً وطريقاً مباشراً ، وإنما ينقل عن الصورة  
التي تنعكس فى نفسه عن بعض مشاهد الطبيعة أو الحياة ، ولا أدل على ذلك  
من أن "أرسطو" لم يحصر المحاكاة فيما هو واقع فى الطبيعة والحياة ، بل رأى  
أنها كثيراً ما تكون محاكاة لما يمكن أن يكون أو لما يجب أن يكون ، ولا يمكن  
أن تقتصر على ما هو كائن .

\* وهذه المحاكاة الفنية لأدب الأفرق ولا سيما فى طريقتهم الأدبية . لما  
وفر فى نفوسهم من ابداعهم الفنى ، وأخذوا حجتهم من "أرسطو" لقوله  
ان الشعر نشأ من مسهبين .

٢- المحاكاة التي يستقى الإنسان منها معلوماته الأولية ومعارفة .  
بد التعليم الذى يجد الإنسان فيه لذة . وليست المحاكاة فى كل ما أنتجوه  
بل فى الجيد من إنتاجهم ، وهو رأى "دومنياله" الذى يقول " لا أرسطو  
بمحاكاة القدامى إلا فى الأمور التي وقفوا إلى صنعها واتقانها بذوق وعقل " (١)  
ولهم فى تقليد القدامى حجة وهى

أن هؤلاء القدامى وهم أمراء الفن الذين بلغوا غاية الذروة ، ولم يستطع الزمن  
أن يقضى على آثارهم أو يتحيفها من محاسنها (٢)

=====

٢- تفضيل الصنعة على العبقرية ، ويعنون بالصنعة الإلمام بجوهر القواعد التي تؤدى بالأثر الأدبي إلى الكمال ، ويعنون بالعبقرية بما إلى الإنسان من موهبة طبيعية ، ويقول " هاردي " القرنس بلسان عصره ( ١٥٨٠ - ١٦٣١ ) " إن الذي يظن أن في الميل وحده ما يخلق منه شاعرا دون أن يتروى يعلم يكشف له القواعد . . .  
والأصول فقد جاد عن جادة الصواب " ( ١ )

فأصحاب المذهب وتقاد لا يهتمون بالعبقرية ، ولا يفضلونها على الصنعة ، وما أحسن أن يجتمعا فالفن العظيم نتاج صنعة عظيمة تمدها عبقرية والهام ، واعتماد الأديب على الموهبة ( ربما ) يحرمه من أصالة فنية تقوم على مبادئ ثابتة .  
٣- عدم الإهتمام بالموضوعات الاجتماعية أو السياسية أو الطبيعية ، والإهتمام بالإنسان ، يبدد أكتهم لم يبحثوا مشكلة الإنسان من حيث خلقه ومحتده ومصيره ، بل آثروا البحث في النفس الإنسانية من حيث طبيعتها وأهوائها ، وظهور تأثير " ديكارت " الفلسفي بوضوح في هذه المدرسة .

٤- الدعوة إلى سيطرة العقل ، وتحكمه في كل الفنون ، أي أننا نحسد في آدابنا من الخيال ، وننقاد للمنطق فحسب ، ولا نجعل للمواظف مجالا للظهور " ولا يستخدم الأديب الخيال إلا عندما يرى فيه الفائدة في إظهار الحقائق ، وتوضيح الخفى " ( ٢ ) " واحترام العقل حينذا التوجه النقد إلى وجهة عقلية ، فالجيد من الأدب ما كان من نتاج العقل ، ثم من عمل الشعور ، والأديب القصد هو الذي يلتزم جانب العقل ولا يضرب في آفاق الخيال ( ٣ )

=====  
(١) نقلا عن المسرحية ٩٥ وهو من قول " فان تنجم " (٢) معالم النقد الأدبي ط ١٦٠

(٣) المسرحية ٥٦ معالم النقد الأدبي ١٥٩

٥- الدعوة إلى أن يكون للفن مغزى أخلاقي ، فالمذهب الكلاسيكي مجموعة مبادئ  
 ينبغي تطبيقها لخلق عمل فني كامل بقدر الإمكان ، وتحقيق الجمال وحده لا يكفي  
 أولا يدرك إلا إذا كانت له غاية خلقية مع كونه مقما . ( فالملحة يجب أن تكون  
 خلقية غايتها إصلاح الماديات ، والشعر يجب أن يكون خلقيا يلقي الفضائل الدينية  
 والاجتماعية ، فالشاعر الحق هو من يتوافر في شعره الإقناع والإفادة ، فيغذي -  
 العقول ، ويساعد على إصلاح الخلق " (١)

٦- تجرهد الأدب بمعنى أنه أدب موضوعي لا ذاتي ولكي يتوافر له التجهد يجب أن  
 يتحقق أمران :

أ- العكوف على النفس البشرية ودراستها دراسة عميقة تتضمن تحليلا دقيقا -  
 لمواطنها وميولها .

ب- الفناء المطلق في الشخصيات التي يراد إبرازها .

٧- الإتجاه إلى تجويد الأسلوب وفخامته ، والتشدد في انتقاء الألفاظ والحرص -

الشديد على تقويم صور فنية تكون جازية على قواعد اللغة وقوانينها (٢)

٨- عمومية الأدب ، فهم يعمدون إلى تصوير نماذج بشرية لاشخصيات معينة ، -

فأبطال "كورنيس" مثل عليا في البطولة ، و"عشاق" "راسين" مثل عليا في الحب

والبخيل لدى "موليير" ليس شخصا بعينه ، ولكنه مثل مبالغ فيه لأي بخيل في

المعالم " (٣)

وأخيرا يلخص الأستاذ عمالديسوق " المدرسة الكلاسيكية " الاتباعية " بأنها هي

مدرسة تعنى بتقدير القدماء ، وتترهبهم عن الخطأ ، وتدعو إلى تقليدهم ، وهي مدرسة

تدعو إلى الصنعة ، وتقيم بالقوانين والمناهج المحدودة الضيقة ، وتتكر للمواطن

والخيال ، ولا تقدر إلا المنطق الجاف ، وهي مدرسة تدعو إلى موضوعية الأدب -

وتعميمه فلا تهتم بالفرد ، ولو كان الشاعر نفسه (٤)

=====

(١) الرومانيكية د . محمد غنيمي هلال ١٣ وانظر الأدب المقارن ٣٨

(٢) معالم النقد الأدبي ١٦٠ ■ (٣) المسرحية د . عمالديسوق ١٠٠

(٤) المرجع السابق ١٠٤

لقد بدأت عوامل التأثير بهذه المذاهب في أدبنا العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . حيث بدأت آنذاك بوادر النهضة تلوح في الأفق وتشرق شمسها على الشام ومصر ، وتمتد أشعتها منبها إلى بقية أقطار الوطن العربي ، وذلك " منذ الصدمة الأولى التي شعر بها العالم العربي على أثر الحملة الفرنسية التي قادها نابليون الأول إلى وادي النيل قبيل نهاية القرن الثامن عشر واصحاب فيها طائفة من العلماء والباحثين النقبين ، ومعهم مطبعتهم وأزوادهم من كتب المراجع ومصنفات العلم الحديث .....  
 وكان من أثر الصدمة الأولى بين العالم العربي وسطوة الحضارة الأوربية الحديثة أن المغلوب أخذ في محاكاة الغالب كما هي المادة العامة ، وان هذه المحاكاة بدأت بالتقليد الآلي الذي لا تمييز فيه ولا اختيار . ولكنها لم تنطلق فيـه إلى نهاية الشوط بل تحولت فيه بعد قليل إلى المحاكاة المميّزة المختارة ، ثم إلى الاستقلال الشعث المضطرب في أول الأمر ، فالاستقلال الناشط المسدد إلى النهاية من خطاه بعد حين .

\* ولم ترض سنوات على اقتتان الشرق المغلوب بمظاهر القوة في الحضارة الأوربية الحديثة حتى سمعت في مصر وفي العالم العربي صيحة الدعوة إلى إحياء التراث القديم ، ورد الأمانة إلى أهلها مرة أخرى قبل فوات الأوان ، لأن الحضارة الحديثة عند الأوربيين عارية مستعارة ، من هذا الشرق العربي أخذوها وأقاموا بنياتهم على أساسها الذي هو أولى بنا ونحن أولى به من أن نتركه للمستعمرين المتطغين عليه ولهمر بالعسير علينا أن نقيم بنا عما الجديد أساسنا القديم ( ١ ) ولهذا بدأ

=====

بعث التراث القديم ، ، كما بدأت النهضة في وقت واحد بالترجمة والنقل واعادة  
البلاغة العربية إلى الحياة في تراثها الماثور من النظم والمنثور ، وانقضى أكثر  
من قرن ونصف قرن منذ أيام الحملة الفرنسية تقدمت فيه النهضة في مراحلها الثلاث  
إلى مرحلتها الحاضرة التي أوشكت أن تسيء مع الحضارة الغربية جنباً إلى جنب  
في مراحل التقدم والاستقلال ، تقدمت من مرحلة النقل الآلى إلى مرحلة النقل  
المتصرف ، إلى مرحلة الاستقلال المبتدى ، المتعثر ، إلى هذه المرحلة الأخيرة  
من مراحل الاستقلال المتمكن من غايته ومن خطاه (١)

وكما كان للحملة أثرها في ذلك كان للاحتلال الإنجليزي والحرب العالمية الأولى  
والثانية ، إلا أن الأثر يختلف ، فالصدمات الأولى عملت على توليد الإنبعاث -  
الفكرى والثقافى ، والثانية عملت على الإستمرار والعمق فيه ، ومن هنا عملت هذه  
على الترجمة وازديادها والتأليف والبحوث والنشر ،

• وهكذا أصبح الأدب العربي متسماً لكل موضوعات الأدب الانسانية وعندما أخذ

الشعر العربي ينتقل من عهد الجمود إلى عهد النهضة مر بمراحل هي :-

١- دور التقليد الضعيف                      ٢- دور التقليد المحكم

٣- دور الإبتكار الناشئ من الشعور بالحرية القومية

٤- دور الإبتكار الناشئ من الشعور بالحرية الشخصية ومن الشعور بالإستقلال

الفردي في شعوره .

• ففي دور "التقليد والبعث" بدأ الشعر يتحرر من قيوده الثقيلة والقديمة ويأخذ

أسلوباً جديداً إلى البعث ، وذلك بالعودة إلى الشعر الجاهلى والمباسب ،

وأمام هذه المدرسة فى العالم العربى كله " محمود سامى البارودى " (٢) وإن كان

سلفياً أسلوباً وموضوعاً ، ولا ريب فى أن الفضل الأول يرجع إلى " البارودى " حيث

استطاع أن . . .

=====

(١) المرجع السابق ص ١ - يتصرف

(٢) أضواء على الأدب العربى المعاصر . أنور الجندى ١٣٣ / ١٩٦٩

بيعت الشعر العربي من مرقد الطويل ، بعد أن تردى زما في هاوية الضعف  
والفناشة . والركاكة ، وكان لما قام به الفضل في صون لغتنا من الضياع والعمل  
على عودة الإشراق البهية إليها ، كما ردا إليها صفاء التعبير والجزالة . . . الخ  
وكانت وسيلته ومن تبعه في ذلك . الرجوع إلى أمهات الكتب القديمة التي كانت  
وستظل مبعث الحيوية والجدوة في عروق اللغة ، ومراجعتها والتروء بما فيها  
من علم وبلاغ وشعر وسير على نهجها ، فهي خير وسيلة تقدم للتذوق  
نصاعة البيان ، وحلاوة النظم وجمال الأسلوب ، ورفعة النظم ، وبعد هذا  
المجهود الجذول في الاطلاع والقراءة ، والبحث والاهتمام بما في هذا التراث  
الأصيل . تطلع الكتاب والشعراء الذين عاشوا هذه المرحلة إلى محاكاة ما في  
هذا التراث من أساليب محكمة ، وصياغة مشرقة ، وتراكيب جيدة والتعبير عن  
مشاعر النفس وإزاء المواضع الذاتية والقومية .

« وبالطبع لا بد أن يختلفوا في ذلك تبعاً لمواهبهم وثقافتهم ، فكان منهم  
الشعراء المجيدون ، الذين أفادوا الحياة الأدبية بمحاكاتهم لتلك النماذج -  
المالية . وكما سبق على رأسهم البازدي . . . ومن شعراء هذه المدرسة "شوقي  
واسماعيل صوري" ، وعلى الجارم "عزيز أباظة" . . . . .

« وحيى الاتجاه الثاني (المرحلة الثانية) مرحلة التجديد الذي حمل لواءه -  
الشاعر "خليل مطران" وشعراء مدرسة الديوان ، ومدرسة المهجر "ميخائيل  
نعيمة" و"إيليا أبو ماضي" وهذه المدارس كلها تأثرت بالشعر الغربي عامة . تأثر  
"خليل مطران" بالشعر الفرنسي ، وتأثرت مدرسة الديوان بالشعر الإنجليزي  
وتأثرت مدرسة المهجر بالشعر الأمريكي ، وقد اتسمت هذه المدارس في مجملها  
بالاتجاه إلى الذات ، وتصوير الشاعر الشخصية مع الإيمان بوحدة القصيدة . . . .  
« ثم تلت هاتين المرحلتين مرحلة ثالثة : مرحلة تطور الشعر الوجداني والغبي :

وفى هذه المدة تبلورت المدارس الثلاث ، ومانسية مطران والديوان والمهجر  
وفى صورة لها طابع واضح حول جماعة ومجلة "أبولو" التى ضمت شعراء من  
العالم العربى كله وقدمت جيلا جديدا ، كما برزت مدرسة المهجر الجنوى  
ذات الطابع القومى .

« ولا يفوتنا أن نذكر " مدرسة لبنان وسورية ، التى تغلب عليها الحاجة إلى  
التحرر والانفصال من القديم سواء فى وطنهم الأول أو فى أوطان المهجر  
الأمريكى ، ومرت هذه التركة يرجع إلى حالة لبنان السياسية التى جمعت فى  
أيدى رجال الدين من طوائف المسيحيين سيطرة الدين والدولة ، فاندفع  
الفكرون والناشئون إلى تحدى هذه السيطرة ولا سيما المهاجرون منهم إلى  
أمريكا الشمالية والجنوبية . (١)

وهكذا بدأت تظهر اتجاهات أدبية مختلفة . وكما ذكر الأستاذ المرحوم "عباس  
محمود العقاد أن هذه الاتجاهات يصدق عليها مذهب (هيجل) .  
فان كل دور من الأدوار يتبعه ضدّة أو نقيضه ثم يلتقى النقيضان على حد  
وسط بينهما ، حتى إذا استقر هذا الحدّ الوسط على وضع متفق . نجم  
منه نقيضه دواليك على النحو المتقدم ، وفى كل عصر من عصور الأدب يستطيع  
الناقد أن يكون على يقين من تفاعل اتجاهين مختلفين . أحدهما تغلب عليه  
المحافظة ، والآخر يخلب عليه التجديد ، ثم يتوسط بينهما إتجاه معتدل لا  
إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك . حدث هذا فى الأدب العربى ، بين أواخر  
القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين . إذ تيقظت الأم الشرقية ، —  
وأخذت تنظر فى أسباب ضعفها ، وتحالجه بما بدأ لها من بواعث قوتها . —  
فراى فريق منها أن يرجع إلى القديم ، لأنه عهد العظمة والتفوق على غيرها

=====

ورأى فريق آخر أن الرجوع إلى القديم لا سبيل إليه لانقضاء زمنه ، وتبدل أحوال الزمن بعده ، وأن القوة إنما تكون بمحاكاة الأقوياء من أبناء الحضارة الأوربية في كل شيء ، ومن ذلك اتجاهات الآداب والفنون ، ثم اهدت بين المدرستين مدرسة متوسطة ، ترى أن المحاكاة لا تفيد ، سواء كانت محاكاة للقديم أم محاكاة للجديد ، وإنما الصواب أن نأخذ بالحسن من كليهما ، وأن نحذر التقليد الأعمى حيث كان ، فلا ندين لأحد ، ولا نتجه إلى وجهة في أدبنا وفنوننا غير الوجهة التي نستقل فيها بالرأى والشعور وتكاد هذه المدرسة أن تغلب على اتجاهات الأدب في العصر الحاضر ، وأن تتجح في تدبير الحلول الصالحة لأكبر المشكلات .

\* وينبغي أن نشير ( ونحن بازاء الحديث عن المذاهب والاتجاهات الأدبية ) إلى أننا " لا نتصور أنه قد قصد إلى خلقها ، فوضع الشعراء أو الكتاب أو النقاد أصولها من العدم ، ودعوا إلى اعتناق تلك الأصول ، وذلك لأن الحقيقة التاريخية . هي أن المذاهب الأدبية حالات عامة ولديها حوادث التاريخ وملابسات الحياة في العصور المختلفة ، وجاء الشعراء والكتاب والنقاد فوضعوا للتعبير عن هذه الحالات النفسية أصولاً وقواعد يتكون من مجموعها المذهب ، وثاروا على هذه القواعد والأصول لكي يتحرروا منها وذلك خلقوا مذهباً جديداً على نحو ما ثار الرومانتيكيون على الكلاسيكية " ١

=====

(١) في الأدب والنقد ١١٧-١١٨ د . محمد مندور ، أنظر دراسات و

نماذج في مذاهب الشعر ونقده د . محمد غنيم هلال ٦١ ، ٦٢



( ٥٨ )  
( الاتباعية في الأدبين : الغربي والعربي )

والطبع لا بد من وجود مناح يتفق فيها الاتجاه السابق في الأدبين الغربي والعربي  
وأخرى يختلف فيها ، فالظروف والأحوال العامة لا بد أن يمدوها الاختلاف بوجه  
ما ، كما اختلفت الدواعي والموجبات . . . . .

وهذه وجوه المشابهة ووجوه الاختلاف نسوقها بما يتطلبه المقام . . . . .  
\* فالاتباعية في الأدب الغربي محاكاة لآداب اليونان والرومان . بسبب ما وقرنسي  
نفوسهم من ان هذا الأدب بلغ الذروة في علوه وجلاله ، وهذا الذي ضمن لـ  
البقاء والخلود عبر القرون ، كما أنه خير وسيلة لتهديب النشء وثقيفه " كما سبق "  
الطبيعة لا تقلد مباشرة ، وإنما نجد الطهيمه فيها أثر من القدماء ، ونحن إذ  
نحتديهم إنما نتوصل إلى تمثيل الطبيعة ( ١ )

وفي ذلك ما يجعل الأدب الفرنسي " كذلك " يصعد ويرتقى حتى تشبه نماذج  
النماذج العالية التي استوحاها .

\* كما كانت الاتباعية في الأدب العربي تقليدًا ومحاكاة للشعراء والأقدمين وخاصة  
شعراء العصر العباسي " كالبحتري وأبي تمام " ، وليس في ذلك ما ينقص من قدر  
الأدب والأدباء ، فهم بتلك المحاكاة لا يمشون في عبور يادات وقدمت بعيد من  
الحياة التي يحيونها ، وإنما هذه المحاكاة وهذا التقليد محاولة لبعث الأدب من  
لحده مرة أخرى ، إذ لم يكن هناك من طريقة لتخليصه من حالته التي كان عليها  
سوى البدء من هذه النقطة ، وبذلك يستطيع أن يحيا ويسير على قدم وساق رافعاً  
أجنحته ليقع تحت ظلالها كل ما هو موجود من جوانب الحياة التي يحياها مشكلات  
التي يعاشرها .

( ١ ) فان ترجم نقلا عن معالم النقد الأدبي - ١٥٩١ د . عبد الرحمن عثمان

« وكما قامت الاتباعية في الأدب العربي على الوضوح ، حيث تحكم العقل الذي من صفاته الإعتدال ، والوضوح ، ثم العناية بالأساليب جودة وصياغة . . . قامت في أدبنا العربي على الوضوح كذلك ، فالشاعر يوضح قصده بأسلوب واضح بعيد عن النموض .»

« وكما خضعت الاتباعية في الأدب العربي لقواعد وأصول معروفة لدى النقاد والأدباء التابعين لهذا المذهب ، وقد حددها الناقد الفرنسي " بوالسو " وجمعها في قصيدة تسمى فن الشعر art Poétique (١) »

وهذه القواعد من شأنها أن تحقق للأسلوب الصحة والجودة والجمال تقيدت كذلك في أدبنا العربي بقواعد اللغة العربية من نحو وصرف وعروض - وملائمة واهتمت كذلك بالجانب الجمالي . من صانة الجمل وإشراق الديباجة . . . . . وجزالة العبارة . . . . . الخ ( يعرفها البدوي والحضري )

وزاد اهتمامهم بالألفاظ والمعاني مطروحة في الطريق ( يعرفها البدوي والحضري ) واللفظ هو الذي يحقق لها ثوبا براقا جميلا مشرقا .

ولكن كان الأدب الاتباعي موضوعيا . فهو أدب مسرحي ، نظرا لتقليدهم اليونان . وهو لا يهتم بقضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية ، بينما كان الأدب الإتياعسي في الشعر قنائيا ، لا تخلو فيه ذات الشاعر من الظهور . ، وبالإضافة إلى ذلك طالع الموضوعات السياسية والاجتماعية .

ولهذا لا نجد مجالا . في الأدب الاتباعي العربي - للمعاطفة ، فالألفاظ وحدها هي التي تحمل المعاني مجردة " وأما موقف الأديب من الخيال فهو موقف من يرى فيه الفائدة حين يستخدم في إظهار الحقائق ، وتوضيح الخفى (٢) بينما نجد المجال الفسيح للمعاطفة والخيال في الأدب الاتباعي العربي . . . . .

=====

(١) انظر في الأدب والنقد د . محمد مندور ١٢٠

(٢) معالم النقد الأدبي ١٦٠ بتصرف

(٦٠)

وكما سبق القول بعد " محمود سامي البارودي " رائد الكلاسيكية الجديدة ان  
صح التعبير ، أو الاتجاه الاتباعي لا في مصر وحدها ، بل في الأقطار العربية  
فهو الذي يمت الشعر من مرقده ، وأجرى في عروقه دماء الحياة ، بما أعاد إليه  
شوه القديم من إشراق الديباجة ، ونضاعة البهتان ، ومعان سامية وأغراض شريفة .  
وقول الأستاذ " عمر الدسوقي " في الأدب الحديث ح ٢ ٢٦٨ " وقد كان  
للبارودي مدرسة قوية تتلمذ عليه فيها شعراء نجباء فجارة في متانة أسلوبه ،  
والبعد عن مظاهر الضعف ، واختلفوا بعد ذلك عن أستاذهم تبعاً لاختلاف  
ثقافتهم ومواهبهم الشعرية وتأثرهم بأحداث زمانهم " .  
ولا ريب أن كثيراً من شعراء مصر الذين عاشوا في نهاية القرن التاسع عشر وواصروا  
أحداث العصر كلها تأثروا به ، وكان لهم القدوة المشرفة والنموذج القُد الذي  
يحتذى فيها يعكس على الأدب صورته المشرقة لغة هوضوعاً ومعاني وكان منهم  
الشاعر " أحمد محرم " و " أحمد شوقي " و " علي الجارم " ، كما تأثر به  
كثير من شعراء الأقطار العربية كأنور العطار في سوريا ووديع البستاني وإيليا أبو  
ماضي " في لبنان ٢٠٠٠ ؟

وجاء لهؤلاء الشعراء في الأغراض التقليدية من حماسة ومدح ورثاء وغيره ، كما تناولوا أحداث العصر الاجتماعية والسياسية ، وحاكوا قدامى الشعراء ، كما عارضوهم في كثير من القضايا .

وقد كان لظهور الاتجاه الاتباعي في الأقطار العربية أسباب منها .-

١- الاتصال الثقافي بين مصر وباقي الأقطار العربية الأخرى . من ذلك البعثات الطلابية ، وتبادل الأساتذة ، كما كان لوسائل الإعلام أثرها في بث الثقافة على مستوى واسع .

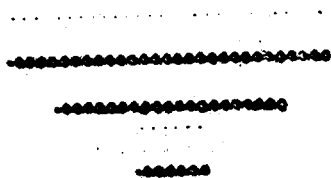
٢- سهولة الاتصال بين أجزاء هذه البلدان ، وتوفر السبل اللازمة لذلك ، فلم تجد هناك صعوبات الماضي ، حتى أصبح اليوم الواحد كافياً للتقليل بين أكثر من قطر عربي واحد بفضل اختراعات العلم فسيحان من علمها الإنسان ما لم يعلم .

٣- انتشار الصحف والمجلات الأدبية وكثرة الدواوين بفضل الله وتقدم الطباعة وسهولتها ، ومن ثم تداولت الأشعار وغيرها بشكل ينمي هذه الاتجاهات بين الشعراء والنقاد هؤلاء الذين وقفوا بجانب تعاليم الاتجاه الفنية ، وعلموا على جعلها أصولاً وقواعد عامة في الأدب .

٤- التقاء الشعراء والأدباء في المهرجانات الشعرية والمؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية والجماعات الأدبية . وكل ذلك تلقى فيه القاصد الشعرية والأعمال الأدبية ، والبحوث على مسع من الحاضرين ، والمعروف أن هذه المهرجانات وغيرها تقام على فترات متقاربة وكثيرة ، مما يشترك فيها الشعراء والأدباء من كل بلد وقطر ظاهراً ، ولهذا أثره في التأثير والتأثر .

٥ - تتطفر التظاهرات والاقامة في مصر ، وايضا الطلاب من كافة الاقطار المصرية للدراسة في الجامعة الأزهرية ، والجامعات المصرية الأخرى مما اتاح للأدباء على اختلاف مراحلهم أن يلتقوا ويتبادلوا الفكر والرأي ، وسمعوا وقرأوا وبلغوا القصائد في جو من التناغم الشريف ، وقد أعجب كثير منهم بشعر شوقي وغيره من شعراء المصريين .

٧ - أضف إلى ذلك روابط المودة والاخاء التي جمعت بين البلدان المصرية وأعلامها .



## الرومانتيكية ( الاتجاه الابداعي )

قام المذهب الرومانتيكي على انقاض الكلاسيكية ، ولم يتم لهذا المذهب الانتصار الا بعد ان هوجمت حصون المذهب الكلاسيكي على يد الأدباء والفلاسفة من قعدة التجديد طوال القرن الثامن عشر ، وخاصة في النصف الثاني منه ، فهدوا الطريق امام الرومانتيكيين الخلف فيما بعد ، وكانت هذه الحملات في جملتها موجها الى الكلاسيكية في مبادئها الفرنسية ، اذ كانت هذه المبادئ اوضح ما تكون في الأدب الفرنسي ، ومن فرنسا انتشرت الى اكر الآداب الأوربية .

( ١ ) وبعد هذا المذهب من اخطروا عرفت الحياة الأدبية العالمية ، سواء في فلسفته الماطفية او في مبادئه الإنسانية ام في آثارة الأدبية والاجتماعية وقد يسمى ( الرومانتيكية ) للانسان الحصول على حقوقه ، اذ مهدت للثورات وهاصرتها ، ثم كانت خطوة في سبيل نشأة المذاهب الأدبية لمختلفة فيما بعد ( ٢ )

« وقد كثرت الأقوال في تعريف هذا الاتجاه حتى اخصى بعضهم رضى الأدب بحسام ١٩٢٥ مائة وخمسين تعريفا للرومانتيكية ( ٣ ) ويقول " بول فاليري " لا بد ان يكون المرء غير معترن العقل انا حاول تعريف الرومانتيكية ( ٤ )

فمعرفتها تحتاج الى الإلمام باتجاهاتها وربط هذه الاتجاهات بالحقائق التاريخية والاجتماعية ومن هنا صعب حصرها في تعريف خاص ، وهكذا يقول الدكتور محمد غنيمي هلال .

( ١ ) الرومانتيكية د . غنيمي هلال ٧

( ٢ ) السابق ٨

( ٣ ) السابق ٤

( ٤ ) انظر المرجع السابق ٥

(٦٤)

وعرفت بها " مدام ديستيل " بأنها الشعر الذي يجيا فيه الماضي والحاضر (١)  
ويصرح " فكتور هيجو " أنهم قبلوا اسم الرومانتيكية على مضض ، فهو اسم لا معنى  
له ، فرضه علينا أعداؤها ، وقبلناه في استخفاف (٢) وعرفها بأنها الثورة —  
الفرنسية محققة في الأدب ، ألهمت هي حرية الإلهام ، وإخاء الفنون ، ومساواة  
الأجناس الأدبية بل مزج بعضها ببعض (٣)

وهذا كله تشعبت معاني الرومانتيكية ، وتعددت طرقها على حسب الآداب —  
الأوروبية المختلفة ، بل اختلفت كذلك باختلاف الأشخاص حتى قيل " إن هناك  
أنواعا من الرومانتيكية بعدد من الرومانتيكين (—)

وقد سبق أن اختلف مؤرخو الأدب ونقادهم في تعريفها اختلافاً في معنى الكلمة  
واشتقاقها ، فالكلمة مثلاً في الفرنسية Romantisme ثم انتقلت لتلك

Romantique

الصفة إلى اللغة الفرنسية

وفي الإنجليزية Romanticism ثم نسب إليها في الإنجليزية Romantic

أما الدكتور مندور فيقرر اشتقاقها من كلمة Romanius (رومانوس) التي أطلقت  
على اللغات والآداب التي تفرقت عن اللغة اللاتينية القديمة والتي كانت تعدّ في  
القرون الوسطى لهجات عامية للغة روما القديمة (٤)

وكل ما فهمناه عن الرومانتيكية (تعريفها) ببساطة ، أنها هي المذهب المناوئ  
للكلاسيكية الثائر على مبادئها وأصولها ، وهو المذهب الذي ثار على القوانين كلها  
إلا قانوناً واحداً هو إعلان الحرية في الأدب ، وهو المذهب الذي يشهد بالماطقة  
والتفنى بالآمال ، والاطمئنان إلى سكون الطبيعة ، والتعبير عن المشاعر الخاصة

=====

(١) ، (٢) السابق ٤

(٤) الأدب ومذاهبه ٤٤

(٣) السابق ص ٤

(٦٥)

بما يراه الأديب ، والمتوفى في الإحساس إلى حد التصوف .

Cretiope

ظهورها

وقد ظهر المذهب في " ألمانيا " ثم في إنجلترا ثم في فرنسا

وكان الشاعر الإنجليزي " وليام بليك " ( ١٧٥٧ - ١٨٣٧ ) أول صوت رومانتيكي

واضح ، ثم جاء بعده " وليام وردزورت " ( ١٧٧٠ - ١٨٥٠ ) شاعر

الطبيعة والطفولة والحدث العاطفي ، والذكريات الروحية ، وقد التقى بالشاعر

" كولريج " ( ١٧٧٢ - ١٨٣١ ) واشترك الاثنان في ديوان القصائد الفنائية

سنة ١٧٩٨ (١)

وازدهرت الرومانتيكية الإنجليزية على أيدي الشعراء " بايرون وشيلسي " -

و " كيتس "

كما يعد " فيكتور هيغو " زعيم الرومانتيكية في فرنسا غير مدافع ( ١٨٠٢ - -

١٨٨٥ ) في القرن التاسع عشر ، على الرغم من أن هناك من يقول أن الرومانتيكية

انتظرت حتى سنة ١٨٢٠م لتعلن بعثها في فرنسا على يد الشاعر الرومانتيكي

الأول " الفونس دي لامرتين " ( ١٧٩٠ - ١٨٦٩ ) لدى نشره ديوان " تأملات

شعرية (٢)

كما ذكر الأستاذ " عبد الرحمن عثمان " في كتابه معالم النقد الأدبي أن " فيكتور

هيغو " هو أول من أرسى أصول المذهب في مقدمة مسرحيته " كرومويل " وفي

المشروعات " وظاهرة في ذلك صديقه ثم عدوه النقد الأشهر " سانت بييف "

Sainte - Beuve في مؤلفاته النقدية .

=====

(١) الرومانتيكية . عيسى بلاطه ٢٧ - ٢٩

(٢) ص ٣٩



وقد قسم الأستاذ " عمر الدسوقي " ( المسرحية - ٢٣٤ - ٢٣٥ ) الإبداعية في  
فرنسة إلى حصين :-

الأول : الذي سيطرت فيه " مدام دي ستيل " وكان ذلك قبل سنة ( ١٨٢٠ )  
ولم تكن ثورتها ثورة أدبية ، وإنما هي ثورة أخلاقية ترمي إلى تجديد  
مناهج الإلهام لتجديد أصول الفن الأول .

الثاني : الذي سيطر فيه هوجو من ( ١٨٢٠ - ١٨٣٠ ) وسمى فيه  
لتجديد الفن المسرحي ، والتعمق في طبيعة الشعب الجوهريسة  
ثم تبع ذلك عصر اختص براسة النظريات الأدبية من ( ١٨٣٠ - ١٨٥٠ ) حيث  
يستمر التجديد في الإنتاج الأدبي ، ويحل المجتمع محل الفرد ، وتستقر  
الفلسفة الإبداعية .

وقد واثت أسباب وظروف لقيام المذهب الجديد على أنقاض المذهب الماضي ومن  
ذلك :

١- لقد حدث تحول كبير في الأفكار في القرن الثامن عشر ، فقد سادت أوروبا  
موجة عنيفة في نطاق الفلسفة والسياسة ، ونظم المجتمعات ، واتجهت عقول  
الفكرين إلى آفاق جديدة في فهم الحياة والفن . مما زرع الثقة بالاتجاه  
الكلاسيكي . ذلك الاتجاه الذي ساد في القرن السابع عشر .

وصحب ذلك موجة عنيفة تهدف إلى التمرد على ما كان وما هو كائن ، وظهور  
الطموح الصادق في إقامة مجتمع جديد تسوده الحرية ، ويدعمه الاستقلال الفكري  
والعاطفي دون تبعية أو التزام ، مجتمع تتمتع فيه البرجوازية النامية بحياة كريمة  
٤- لقد كانت حروب " لويس الرابع عشر " الذي توفي ١٧١٥ قد انتهكت فرنسة

وتركت فيها أنواعا من البؤس الذي خلفه يذخ الملك الكبير وثقافات الحروب -  
الطويلة ، فاشتغل ذوو العلم بمعالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

والفلسفية ، وانصرفوا عن الأدب كفن جميل يقصد لذاته ، ولهذا كان معظم كتاب  
المعصر فلاسفة أمثال " هولباخ " و " ديدور " و " فولتير " و " بروسو " و " دالامبير " ،  
و " كوندورسييه " حتى لقد اجتمع منهم جماعة سمو بجماعة دائرة المعارف ، الذين  
وضعوا دائرة معارف كبيرة تغلب عليها حمية الفكر ، والتحليل من التقاليد ، ومن  
الذين فكانت حركتهم فى الحقيقة حركة هدم وتمهيد للثورة الفرنسية ( ١ ) تلك  
الثورة التى قامت بعد أن بلغت حالة الميلاد إلى درجة كبيرة من اليأس كانت  
كافية لإثارة الشعب .

ذلك اليأس الذى صحبه الوعى الذى توافر عند الكتاب ، وكان لا يهد من ظهور  
تيار روحى يشيع الجانب العاطفى فى النفوس بجانب تلك التيار العقلى العمام ،  
وقد قام بتشكيل الجانب الروحى . الرومانتيكى الكبير " روسو " ومن هذه الناحية  
يعتبر روسو جد المذهب الرومانتيكى أو مصدره ، وكان هذا بمثابة تمهيد قسوى  
لوجود المذهب ( ٢ )

• ولذلك تطلعت الطبقة الوسطى فى القرن الثامن عشر على السنة المفكرين إلى  
تغيير القوانين الاجتماعية التى تحصى مصالح الطبقات المسيطرة على المجتمع فى  
حين أنها تهدد مصالح الطبقات الأخرى ، وقد وجدت الطبقة البرجوازية هذه  
فى المصلحين قادة وأئمة ، والتمسوا فى كتبهم الوسائل التى ترد إليهم سعادتهم  
المنتصبة ( ٣ )

فقد أسلم " روسو " إلى أن أطاع الانسان قد تطورت بتطور المجتمع ، وقد كان  
الانسان الفطرى سعيدا فى حياته البدائية لا يكاد يشعر أن انسانا غيره يسلبه  
حقه فى الحرية والمساواة والتمتع بحقه فى الحياة الكريمة حسبما يعيش الآخرون  
وهذا الشعور طاش سمينا فى كوخه ، واضيا من عيشه . وهكذا يمضى الفيلسوف

( ١ ) انظر ص ١٢٤ فى الأدب والنقد د . محمد مندور

( ٢ ) انظر ص ١٢٦ المرحوم السامح

( ٣ ) معالم النقد الأدبى د . عبد الرحمن حمان ١٦٤ - ١٦٥ بتصرف

المظيم في الدعوة إلى تحرير هذا المجتمع الفاسد ، وإلى الثورة على قوانينه  
الجائرة ، تلك التي شوهت نظام الطبيعة ، وسلبت المرء حقه في الشهور  
بالمساواة في ظل مجتمع يؤمن بالمساواة وحرية الفرد .

٣- كان للجهود السابقة أثرها الكبير حيث توجت بالنجاح بقيام الثورة الفرنسية  
التي كان لها تأثيرها المصيق " في الأدب الرومانتيكي في أوروبا جميعا بما  
أوحى من أفكار جديدة في علاقة الأدب بالمجتمع فأوحت إلى أدباء انجلترا  
باتجاهات ثورية كان لها صداها في أدبهم ، كما كانت أهم الأسباب في  
توجيههم الوجهة الجديدة ، فنادوا " بأن لوئسه ستعرض الحرية على العالم  
منذ أن قامت عملاقة وحلفت بيمينها هو السماء والأرض والبحار أنها ستصير حرة ،  
وقد كان للثورة الفرنسية كذلك أثر في الأدباء الألمان ، فراوا في الثورة فجسر  
عهد جسنيد<sup>٢٤</sup> (١)

وهكذا ظهرت من مبادئ الثورة الحرية والإخاء والمساواة وطبقت على الأدب  
حيث تعنى تحرره من القيود الكلاسيكية القديمة ، وعدم خضوعه للنقاد الذين  
يريدون ما تحتمه القواعد .

٤- للرحلات التي سبقت الثورة بقصد الموازنة بين العادات والتقاليد والمبادئ  
والفلسفات والديانات بصفة الوصول من وراء ذلك إلى معنى النسبية في الأدب و  
الفن .

وكانت نتيجة ذلك أن إمّحت العقلية الكلاسيكية (٢) التي كانت تؤمن بأن المبادئ  
والأفكار عامة لا يختلف فيها أحد من الناس ، وقد آدت الممارسة والموازنة إلى  
الشك في كل شيء .

=====

(١) الرومانتيكية د . محمد غنيمي هلال ٢٤

(٢) انظر المرجع السابق ٢٥

كما ساعد الرحالة على إطلاق خيال مواطنيهم في الحلم بحياة خير من حياتهم في  
الناطق البعيدة وفي الأفق المجهول (١)

٥- الاتصال بالآداب الألمانية والانجليزية إثر الهجرات التي سببتها الثورة  
الفرنسية " ومدام دستيل " Madame De Stael أثناء نفيها بألمانيا  
مستهدفا اضطهدتها نابليون الكبير ، قد نقلت إلى فرنسة الروح الرومانتيكية ،  
والمذهب الرومانتيكي في كتابها المسمى " عن ألمانيا " وشرحت فيه اتجاه الألمان  
الرومانتيكي ، ونقلت منه شواهد كثيرة (٢)

واعتجب بالأسلوب الجند يد الساري في أدب أهل الشمال إذ تقول ، " شمسر  
أهل الشمال يناسب تفكير الأمم الحرة أكثر مما يناسبها شعر الاغريق "  
وكذلك فعل " شاتوريان " إذ نقل عن الانجليز الذين عاش في بلادهم مدة نفيسة  
اتجاههم أيضا ، واعتجب بها وترجم الكثير منه ، وخاصة الفردوس المفقود  
" لملتون "

ومن أجل هذا يقول : " فان تهجم " : إن " مدام دي ستايل " و " شاتوريان "  
معلما الرومانتيكية المباشران ، (٣)

٦- اكتشاف " شكسبير " في القارة الأوربية ، وقد ظل " شكسبير " مجهولا في  
القارة الأوربية ما يزيد على مائة عام بعد موته ، وكان الفضل الأول في اكتشافه  
" فولتير " في رسائله الفلسفية ، إذ أعجب بما في مسرحياته من تحليل نفسي ، وقوة  
على التصوير .

ولقد أعجب المتطوعون إلى التجديد بما عابه عليه " فولتير " من حرية فنية وذلك  
لأنهم كانوا قد ضاقوا بقواعد الكلاسيكية نرطاً ، فما لبثوا أن فضلوا مسرحياته على

(١) انظر المرجع السابق ٢٦

(٢) انظر الأدب والنقد د . محمد مندور ص — ١٢٦

(٣) انظر الترمزية في الأدب العربي د . درويش الجندى ٣١

(٢٠)

المسرحيات اليونانية التي كان يقلدها الكلاسيكيون لأنها خير منها في فلسفة  
المواطن، والدراسة العميقة لطباع الناس، ولأن فيها تصويراً عميقاً للألم  
تصوراً فيه إثارة للشفقة بمخلوقات غير ذات مكانة في المجتمع، بل بمخلوقات  
محقرة أحياناً (١)

٧- اكتشاف الأدب القديم لدول شمال أوروبا الذي دارت بطولته في اسكندنافية  
أو في إرلندة، وسرعان ما سرى تأثير هذه الآداب في الآداب الأوروبية وكان  
له تأثير في الرومانتيكية من ناحيتين :-

أولها : زلزلة سلطان الأدب اليوناني والروماني على حسب ما كان ينظر  
إليها الكلاسيكيون .

ثانيها : أنها أذكت الشعور، وألهبت العواطف، كما أنه ملائم لعقلية  
الشعوب الحرة أكثر مما يلائم شعوب الجنوب كما قالت

"مدام دي ستيل" (٢)

.....  
سمات المذهب وملائمته  
.....

يتبين من الحديث السابق عن الاتجاه الإبداعي أنه ثورة على الكلاسيكية،  
ومعارضة لمبادئها وأصولها .

وتقوم أصول المذهب مجتمعة فيما يلي :-

١- الحرية مكفولة للأديب، فليست هناك نماذج تحتذى، وإنما هي موهبة  
تستخدم في كل مجال، وفي هذا يقول هيجو: جملة المشهورة "الحكم  
على العمل الأسمى بالجودة أو الرداءة هو كل شيء" في محيط النقد  
الأدبي، ثم يعضى في توضيح ذلك بقوله "لا تحفل إطلاقاً بالمنهج الذي

=====

(١) الرومانتيكية د. محمد غنيمي هلال ٣٥

(٢) الرومانتيكية د. محمد غنيمي هلال ٣٥ و ٣٦ بتصرف

(٧١)

اتبع ، بل هل كيف استخدم هذا المنهج ؟ ليست هناك موضوعات جيدة وأخرى رديئة في قرض الشعر ، وإنما هناك شاعر جيد ، وشاعر رديء ، وأن كل شيء صالح لأن يكون موضوع ، فلنفحص إذن : كيف كانت صنعة الفنان ؟ ولا تتعب نفسك في التساؤل . لماذا صنعه ؟ فالفن لا يعترف بالقيود والأغلال ، ولا يرضى بالجد من حرية القول ، ولا يؤمن بالمعالم التي تحدد له طريقه ، بل إن الفن هو : أن يعتقد الفنان كما يجب أن يعتقد ، وأن يفعل ما يريد أن يفعل . وهذا كله عكس ما كان في الأدب الكلاسيكي .

٢- من حيث نوعية الأدب . يدعو الاتجاه إلى أدب جديد يرفع من شأن الطبقة المظلومة ، ويرد إليها كرامتها وثقتها ، ويلبسها ثوب الرحمة ، وذلك بالاعتذار عن الجرائم النفسية والاجتماعية التي هي من صنع القوانين الجائرة ، والناداء بمعداة اجتماعية لمعالجة الأمراض المنتشرة ، ويظهر ذلك بوضوح في رواية " البؤساء " و " ليفكتور هيجو " ومن هنا تجد جنوح الرومانتيكية إلى الخيال .

=====

(١) معالم النقد الأدبي د . عبد الرحمن عثمان ط ١٦٩

بين الاتجاه الاتباعي والاتجاه الابداعي

١- الاتجاه الاتباعي ( الكلاسيكي ) يمجّد سلطان العقل ، ويحكمه في الفنون ولم يكن ليدع مكانا لجموح العاطفة وجهشائها ، فكانت الخواطر تمر في مجال التفكير وتهذب حتى تخرج منطقية وهادئة ، فليس للشاعر ولا للكاتب أن يطلق العنان لاجساسه وشاعره ، لأنها في جوهرها فردية محضة ، بل عليه ألا يسجل فيها إلا ما هو عام مشترك كما يقتضيه المنطق والفكر ولتعد في ذلك إلى ( بوالو ) — Boilleau الذي قال " فلتلبوا دائما العقل ، ولتستمد منه وحده مؤلفاتكم كسل ما لها من رونق وقيمة " ( ١ )

« بينما يجعّد الأدب الرومانتيكي " الاتجاه الابداعي " سلطان العقل ، وتوجّه مكانة العاطفة والشعر ، ويسلم القيادة إلى القلب الذي هو منبع الالهام ، والهادي الذي لا يخطئ ، لأنه موطن الشعر ، ومكان الضمير ، يقول " الفريد دي موسيه " معارضا " بوالو " فيما سبق : ان " أول مسألة هي ألا ألقى بالأل إلى العقل ، وينصح صديقا له ان " أقرع باب القلب ففيم وحده العبقريّة ، وفيه الرحمة والعذاب والحب " ( ٢ )

« وكان من أثر خضوع الأدب الكلاسيكي كسيطرة العقل ، ان ينصرف إلى البحث عن الحقيقة في معناها العام ، ومعالج الحالات المألوفة التي يمكن أن تنطبق على الإنسان في كل مجتمع وفي كل زمان ومكان ومن ثم كان أدبا معتدلا .  
« بينما أدى خضوع الأدب الإبداعي إلى العاطفة والشعر إلى الخروج عن المألوف في كثير من الأحيان ، ومن هنا كان أدبا متطرفا .

=====

( ١ ) الرومانتيكية د . محمد غنيمي هلال ٨ وما بعدها

( ٢ ) انظر المرجع السابق ١١

٢- الأدب الكلاسيكي إذا ما قورن بالأدب الرومانتيكي من حيث الأسلوب نجد أن الأدب الكلاسيكي معتدل يحترم قوانين اللغة وأصولها ، كما استقر عليها العُرف وقتن لها النحاة والصرفيون .....

\* بينما تميل الرومانتيكية إلى التجديد ، ولو كان خروجاً عن الأصول ، فالرومانتيكية قد تخرج - مثلاً - باللفظ عن معناه الاصطلاحي إلى معناه الاشتقائي ، أو العكس وقد تعكس بناء الجملة لتوليد تأثير خاص في نفس القارئ أو إثارة شعور معين .

٣- أشاد الكلاسيكيون بالفاية الخلقية ، وجعلوها شيئاً واجباً ، فالملحمة يجب أن تكون خلقية غايتها " إصلاح المادات ، والشعر يجب أن يكون خلقياً يلقى الفضائل الدينية والاجتماعية ، والشاعر الحق هو من يتوافر في شعره الإمتاع والإفادة فيغذى العقول ، ويساعد على إصلاح الخلق . والمسرح يجب أن يكون خلقياً " ١

بما أن الاتجاه الإبداعي فلا يتقيد بهذه الغاية الخلقية للأدب ، وذلك لأنه يرى أن الأدب استجابة للمواطن ، والمواطن ليست شراً .....

٤- مصدر الإلهام

\* الاتجاه الاتباعي يستوحى الآداب اليونانية واللاتينية ( الآداب القديمة ) فهي المثل العليا التي تحتذى ، والنماذج الكاملة التي تحاكي ، ولما كأي الأدب الرومانتيكي أدب تقدمي ينظر إلى المستقبل البعيد ليعبر الحاضر ويستبدل منه خيراً فقد ثار الأدباء الإبداعيون على ذلك دون اصغار .

وإنما نظروا إلى أن الشعراء متساوون ، وأن الأدب مقبول مهما كان مصدره مادام مستوحى من القلب ومدعماً بالعاطفة .

فالفرح حراً ، والفكر حراً ، والعاطفة حرة ، والتعبير الأدبي حراً ، والأديب يكتب فيما يشاء بما يشاء من أسلوب .. مادام القلب مصدره والعاطفة رواءة .

=====



\*\*\*\*\*

والرومان تتيكى لاستسلامه لشاعره وطاقته يحسن بجمال الطبيعة ، وسهيم بها  
ويصف مناظرها وخصائص كل منظر فيها ، كما يحب العزلة بين احضانها  
لا يرجع في ذلك إلا إلى ذات نفسه .  
\* أما الكلاسيكي فقلما يصف الطبيعة الا لاما ، وأكثر مناظر وصفه  
غير مقصودة لذاتها ، وانما لتوضيح الفكرة فالأدب الكلاسيكي أدب محافظة  
واستقرار .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*

الاتجاه الواقعى \*  
(٧٥)

\* ظهر هذا الاتجاه فى الأدب الغربى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .  
وإذا عرفنا أن الرومانتيكية • تصوير المواقف وتمييزها عن الذات فكثير ما يكون  
ذلك وليد الواقع • فبذور المذهب • كنهته فى الرومانسية ومن غير ما عـــــــ  
\* ويمد بلزاك ( ١٧٩٩ - ١٨٥٠ ) رائد الاتجاه الأول فى فرنسة •

والواقعية هـى : التمييز عن الواقع المحسوس والملموس فى الأدب ، ولا يد  
للأديب من مؤهلات • أهمها موهبة الحدس حتى يتمكن من التخلخل فى الأعماق  
التي يشملها أدبه • فالواقعى يصف المجتمع كما هو دون خجل وأية لفضب الجمهور  
الذى يخاف أن يرى نفسه على منضده التشریح ، ولكن ينبغى قبل تصويره الواقع أن  
يكون عالما وفيلسوفاً ورجل أخلاق

\* ولهذا كانت الواقعية من عوامل القضاء على المواقف الحزينة • " الرومانسية " فى  
الحب عام ١٨٢٠ • والمبالغة فى التصوير والتلوين التي كانت من انحرافات  
الرومانسية كذلك عام ١٨٣٠ •

\* والمذهب الواقعى فى جوهره يعتمد على الأصول التالية : (١)

١- الاتجاه بالأدب إلى تصوير الطبقات المختلفة على ضوء ما يحيط بكل طبقة  
من ظروف وأحوال • ، ويذكر الدكتور "محمد عيسى هلال" فى الأدب المقارن (٢٦٦)  
ط ٢٠ أنه " لا يد أن يختار الكاتب مادة تجاربه من مشكلات العصر الاجتماعية  
وشخصياتهم الأدبية • مأخوذة إما من الطبقة الوسطى " اليوجوازية " فى آفاقها  
التي تهدد المجتمع بالانحلال ، وإما من العمال فيما يعانون من حيف وما يشدون

(١) نقلنا نص هذه الأصول من كتاب معالم النقد الأدب الحديث د عبد الرحمن  
عشان ١٨٧٠ • فيما عدا ما بين علامات التنصيص فمشار إلى ترجمة •

من انصاف \*

٢- اتخاذ نظام الحياة وتصرف كل طبقة حياله اساساً في مصير الأشخص نفسه

القصة والمسرحية •

٣- عدم الاعتماد على الخوارق والمعاديات في بناء الأعمال الأدبية وقول صاحب

\* الأدب المقارن ٣٦٦ - ٣٦٧ \* والضحيمون يتخذون مادة تجاربهم في قصصهم

ومسرحياتهم من واقع الطبقات الدنيا ، ومن أدنى أعماق النفس الإنسانية ، فهم

يصورون الشر والآفات في تجاربهم لتببيه المجتمع إلى تلافى إنتاج مثل هذه

التجارب \*

٤- انتزاع الحدث الأدبي من تصرفات الناس في حياتهم اليومية ، والحد من

الاعتماد على الخيال في استحضار أحداث ربما تكون غريبة عن طبيعة الموقف الذي

يراد منه التأثير في الجمهور •

٥- حياة الناس تشمل الخير والشر ، وعلى الأديب الواقعي أن يصف الشر ويحدد

بواعثه لتببيه النفس البشرية - بمنطق تعرفه وتطمئن إليه - إلى بشاعة الشرور وسوء

منبتها •

٦- بذل الجهد في تحليل الطباع والأهواء للوصول إلى نتائج ثابتة خليقة

بالقبول والإنعنان •

( أسباب ظهيرة )

تضافرت عوامل أدب أدت إلى قيام الاتجاه في الأدب الغربي من

١- النمو المطرد والتقدم للحركة العلمية من علوم وهندسة ورياضة مما من شأنه

أن يجعل على تنمية الواقع في النفوس •• هذا مع ما حدث من التطور الاجتماعي

الذي طرأ على الحياة بسبب تقدم العلم والمعلوم وتسخير ذلك لرفاهية الانسان

وسعادته •

(٧٧)

٢ - ظهر الفلسفة الواقعية التي تُقر أن كل ما فى الكون موضوعى تحلله المعرفة العقلية القائمة على الحس والنطق ، أما الخوارق والخيالات فلا تبرح كونها أوهاما .

كما أثرت نشأة الفلسفة الوضعية التجريبية على عهد كل من "أوجست كونت ( ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ) ، جون استيوارت ميل ( ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ) وبيون ( ١٨٢٨ - ١٨٩٣ ) التي تقر أن المعرفة الشموية هي معرفة الحقائق وحدها ، وأن العلوم التجريبية هي التي تمدنا بالمعارف اليقينية ، والمعكوف على التجربة يجنب المرء الخطأ فى العلم والفلسفة .

٣ - كما كان لما دعا اليه "أميل" زولا " فى واقعيته الطبيعية الى التجربة الادبية فى القصة والمسرح ، ووجوب أن يسلك الكاتب فى دراسته الفنية للمجتمع سلك العالم فى معمله والطبيب فى تجاربه ، على أن تتفق هذه التجارب مع النتائج والنظريات التي انتهت اليها العلماء (١) كان لذلك أثره الكبير فى انتشار الاتجاه .

=====  
(١) النقد الأدبى الحديث ٣٣٥ - ٣٣٧ د . محمد غنيمى هلال

## (( تأثير الاتجاه في الأدب العربي ))

.....

الثقافات العالمية موهبات إنسانى يأخذ منه كل من أراد. ولكن الأخذ من ذلك لا يمكن من الاستفادة إلا إذا طبع المأخوذ بطابع يلائم أمر من بغى الاستفادة وما تأخذه نحن لا يفيدنا إلا إذا طبع بطابع عربى يلائم الذوق والحياة والمجتمع ولقد استهوى المذهب الواقعى الغربى كثيرا من الأدباء العرب فى المحيط العربى وحتى دخل ميدان الأدب طامة من شعر وقصة ومسرحية . فانطلق الأدباء يقلدون ذلك ، كما قلدوا المذاهب الأخرى ولكن (المحاكاة دون وهى كارثة كبرى ، والتقليد للاتجاه يلازم بعبادته وكنهه أذى إلى الخوض فى كل الموضوعات دون استثناء

بما فى ذلك من جوانب يجب أن تراعى إذا ما أريد الحديث عن واقعها . . . . .  
ينبغى أن تهذب وتشذب ، وكما سبق ينبغى أن يكون الأديب الواقعى فيلسوفاً وفناناً ورجل أخلاق

« وعلى هذا من الخروج : عن الواقعية وصف الأوضاع الشاذة دون التصرف بما لا يخرجها عن واقعها ولا يظهرها فى شذوذها الصارخ . وكذلك تصورها الجوانب القبيحة التى يتسامى الذوق عن وصفها ، واستخدموا جملاً وتعبيراً تنبؤ عن الذوق وتتجافى عن الحياء كما تتنافى مع الفضيلة .

ولهذا جاء الانجراف عن الطريق والغاية من الامعان فى تصوير الرذائل والقبايح ونشر الفضائح مدعين انه بالغ الصدق فى تصوير الواقع هل افقست اللغة فخلت من التلميح مثلاً . هل نصب معنيها فلم يعد فيها ما يستخدمه الفنان للبعد عن التصريح بالقبايح ومن غير أن نبهت عن الصدق ومن هذا تردى الأدب فى هاوية ضعف يتمثل فى غرابة الموضوعات .

وكان ينبغى الا يفهم الأمر على أن الواقعية التعبير عن الواقع حرفياً ودون تهذيب ، ولهذا تدهاى الأسلوب وامتهنت الألفاظ وأصبحت كثير من الصور تحوى بشعاً وقبحاً .

## عوامل التأثير بالاتجاه

١- لقد أسرف الاتجاه الإبداعي في التحويم في دنيا الخيال والتفهيم وتسخير  
المخاطف ، واللعب بالانفعالات المفتعلة .

ولهذا جاء الاتجاه الواقعي الذي فهم منه الأدباء والكتاب أنه يحارب نواحي  
الشطط في الإبداعية ، كما فهموا أنه أدب الشعب الذي يعارض أدب الإسراج  
العاليه .

وأنه يستقى مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشكلاته .

٢- التقدم العلمي والحضارى اللذان حدثا بعد الاستقلال لغالبية  
الأقطار العربية ، وعيشها في استقرار واطمئنان ، وهذا التقدم العلمي يعتمد  
على الواقع المحسوس .

والحياة اليوم أكثر احتياجاً إلى الواقعية التي هي مرآة توضح جوانب الشكوك  
والتخلف حتى يمكن العمل على سحق ذلك ودحره .

كما ساعد على التأثير بالاتجاه . النزعة الحسية المادية التي سادت أوروبا  
بعد الحرب العالمية الثانية ، كما سادت في بعض البلدان العربية والتي أخذت  
تقيس الفرد بمقياس مادي بدون النظر إلى جوانب أخرى .

- وما تقدم نرى أن

مدلول كلمة الواقعية يعنى تصور الواقع والتعبير عنه بما فيه من خير وشر

وذلك قديم في الأدب العربي . تقراه في الأدب الجاهلي والعباسي وغيرها . . .

فقد صور البيئة بحقيقتها وواقع النفس والظروف .

- وأما في العصر الحديث فقد تعددت الأقوال وكثرت الآراء حول مفهوم الواقعية . . .

— فمن قائل أنها تعنى الأدب الواقعي الذي يقوم على تصوير الواقع ~~والمشاهد~~  
الخيال —

بـوطائفة أخرى قصدت منه الأدب الذي يستقى مادته من حياة عامة الشعب ومشكلاته  
معارضاً أدب البهج العاجي

— وآخرون يقصدون به الأدب الموضوعي لا الذاتي •

ومن هنا يمكن أن نذكر بعض الفروق الهامة بين الاتجاه في الأدبين :

١— فهو في الأدب العربي اتجاه محدد بأصول وقواعد مهدت لظهوره ظروفه  
الموقوتة •• بخلاف ذلك في الأدب العربي فالاتجاهات مضطربة ولا تعدو أكثر  
من تأثير بعض الكتاب والأدباء بأهداف الاتجاه الغربي •••

٢— الأدب الواقعي قديم في أدبنا العربي القديم والمعاصر • وإن اختلفت النزعات  
ولا شك فالمتصفح دواوين الشعراء يجد الكثير من ذلك في وصف الأثار والليل  
والصحراء •••• الخ •

كما يجد التصوير الواقعي أو على الأقل فيه كثير من الواقعية بخلاف ذلك في الغرب  
فالأديب الواقعي ينهض أن يكون عالماً وفيلسوفاً ورجل أخلاق •

— وعندما قام تطبيق هذا الاتجاه في الأدب الغربي قام على تصوير الحقائق العامة  
القيحية ، ويرى الاتجاه أن الواقع سر في ذاته •

أما الواقعية في الأدب العربي فقد قام أصحابها بتطبيق النظرية على كل الحقائق  
الجميلة وغيرها ، وعلى طبقات الشعب بلا تفرقة هذا مع التزام الأديب الغربي  
الواقعي الحياد التام • وتجريده من عواطفه ••• مع أن الواقعية العربية تسأبي  
ذلك فلا يستطيع المرء التجرد من عواطفه جملة — وهو يرفع حقيقة • أو يفضّل  
صورة أو يترجم منظراً ••••• الخ

(٨١)

ومن طبخمة الواقعية الحديثة أنها أقرب إلى النثر وألصق به منه إلى الشعر.

فقد ظهرت عند "محمد تيمور" في قصة "في القطار" التي نشرت في جريدة

"المشور" سنة ١٩١٢ (١)

وقصة "زينب" للدكتور محمد حسين هيكل<sup>٢</sup>، ومن الشعراء الشاعر

"علي محمود طه" فيها قال عن فلسطين وقضايا القومية، والشاعر أحمد محمد

المعطي حجازي، والشاعر "صلاح عبد الصبور" ■

=====

(١) انظر الاتجاهات الأدبية في الشعر الفلسطيني د. كامل السوالهي ٣٤٣

فقد نقلنا منه هذه الأمثلة.



\* المقصود بالرمز هنا • الأيحاء • أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة • التي لا تقوى على آدائها اللفظة في دلالتها الوضعية • وقد ظهر هذا الاتجاه في الأدب الغربي في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر على يد " بودليو " رائدة الأول • الذي تأثر به " إدجار الان بو " فلقد قدم له " بودليو " ترجمة للأدب الفرنسي • عام ١٨٤٨ وكان في أدب الان بو - الكاتب والشاعر الأمريكي ١٨٠٩ - ١٨٩٤ - ألما صيغ غريبة شيرة للرهبنة والخوف • كما فرج الخيال بسحره وتهاويله بالممكن • مما لفت أنظار الأدباء الفرنسيين إلى أدبة الذي كان مجالاً للتأثير •

( ١ ) \* وكان من أشهر شعراء الاتجاه الشرعيين له " استفان مالرويه " و " بول فاليري " \* وقد ظهر هذا الاتجاه كرد فعل للاتجاهات التالية :-

الرومانتيكية : الذي أسرف في أخريات أيامه في المبالغات المفقوتة ، واستخدام الشعر باعتبار الوسيلة الهيمية للتعبير عن المشاعر الشخصية ، - والمواطف الخاصة •

كما جاء رد فعل للطبيعية الجاهلية التي تهتم بالتفاصيل متخذة من القصة والاقصوصة مجالاً لها • • ورد فعل للبرناسية التي وجدت مجالها في الغنائيات ، واتخذت من التجسيد هدفاً أساسياً لها •

\* الدراسات النفسية التي أثبتت أن في الإنسان حالتين ، واحدة يدركها العقل ويفسرها ، وأخرى يمجز عنها ، وهي التي توجه تصرفاتنا •

=====

( ١ ) انظر الرمزية في الأدب العربي • د • درويش الجندي ٩٥ ، المسرحية د • عمر

« كما وصل بعض المفكرين إلى ادراك أن العلم وحده والمقل بما فيه لا يستطيعان التفسير الحقيقي للوجود ، وليس في مقدورهما ذلك ، ففي الكون أسرار مختلفة وجوانب مجهولة لم تستطيع المنطقية كشفها وفتح مظاريف أسرارها

« كما يرى أصحاب الاتجاه "الرمزيون" أن العالم الوجودي في مادته التي تقع تحت الحواس ليس الا صورة قابلة للتبدل والتغير . صورة لحقيقة خالدة . لا تقع تحت حس ولكنها ملقط الفكر المجرد والمخيلة .

« وفي تساؤلهم عن الحقيقة الخفية . توصلوا إلى أن المادة ليس الا رزوا للحقيقة الخالدة ، وهي الجمال المطلق والعالم الذي نعيش فيه يتكون من مادة وجوهر

والأسماء تختلف مظاهرها . أما في جواهرها فانها تتقارب وتتشابه . وكل جوهر من هذه الجواهر جزء من الجوهر الأسمى الذي نبحث عنه .

« ومع هذا البحث عن المطلق والمجهول لم يصلوا إلى العائقة بين جواهر الحقائق المختلفة .

« وان العالم الخارجي ما هو الا صورة للعالم المتعسسي . ولا يتضح هذا العالم إلا في حالة الحلم ، فهي الحالة التي يتضح فيها كل شيء أمام الفكر . فيبصر حوادث الكون . بصرا لم يتسن للعيون أن تراه في حالة اليقظة ، وفي حالة الغيبوبة تأملوا أعماقهم وانظروا متأملين في أنفسهم

« وقد اتخذوا لذلك ما يوصلهم من ... »

« الاهتمام بالموسيقى الشعرية الموحية . بالخلق والتطوير . ليهلوا بذلك

الاهتمام والغموض إلى أحلامهم

« فالموسيقى توحى بانغامها وترجم الشاعر ، ويمكن للشعر أن يؤدي —

وظائفة عن طريق أنغامه التي تتكون من الجمل ، وأفضل . الموسيقى

ما كانت قادرة على نقل اهتزازات الحياة الباطنية . وعشاتها الغامضة

حتى لو خالفت قواعد المروض . فالأهم أن تكون حساسة

أى صورة نفسية قبل أن تكون نغما وإيقاعاً .

\* ومن هنا تغيرت دلالات اللغة الوضعية المحدودة القاصرة عن نقل حقائق الأشياء كما تشملها النفس الشاعرة . فأصبحت لغة إيحاء بما فيها من أصوات وتراكيب . كما أصبحت معقدة . وتبع ذلك تغير الوظيفة الشعرية من نقل المعنى والصورة البسيطة المحدودة إلى نقل الوضع النفسى حتى تتحقق المشاركة الوجدانية . .  
" فالرمزيون يريدون أن يفوضوا بشعرهم فى أحماق النفس ، فلا يجرون وراء صور الطبيعة للخروج من نطاق الذات " (١)

\* ومن رسالتهم الفنية فى ذلك . الافادة من تراسل الحواس . فتعطى السموات ألوانا ، وتصور المشوومات أنعاما ، وتصبح العرفيات طائرة لتوليد احساسات تغنى بها اللغة الشعرية . ولا تستطيع اللغة الوضعية التعبير عنها ، ورائدهم فى ذلك " بودليو " فى قصيدته التى غرناها " تراسل " وفيها يقول " الطبيعة معبد ذو عمد حية ، وتتطق هذه العمد أحيانا ولكنها لا تفتح ، ويجوس المرء فى غابات من رموز تلخظه بنظرات اليقظة ، وتتجاوب الروائح والألوان والأصوات كأنها أصداء مختلطة " (١)

\* كما أن من مبادئهم اللجوء إلى الصورة الشعرية الظليلة ، يجدون بعض معالمها ليتركوا الأخرى تسبح فى جو من الغموض الذى لا يصل إلى الالغاز " (١)  
كما " يلجأ الرمزيون إلى الألفاظ المشعة الموحية . التى تعبر فى قرائنها عن أجواء نفسية رحيمة كلفظ الشروب الذى يوحى فى موقعه مثلا " بمصرح الشمس اللامسي ، والألوان الغائرة الهادية ، والشعر بأن شيئا يزول ، والاحساس بالانقباض " (٢)

=====

(١) الأدب المقارن ٣٧٢ . محمد غنيمى هلال

(٢) السابق ٣٧٤ .

( ٨٥ )

\* كما " يولع الرمزيون بتقريب الصفات المتباعدة رغبة في الإيجاء كذلك مثل " السكون  
المقمر " و " الضوء الباكي " والشمس المرة المذاق " وكل تعبير منها في موضع شمس  
موج بالوان الأيجاءات النفسية •

\* كما دعوا إلى تحرير الشعر من الأوزان التقليدية لتساير الموسيقى فيه دفقات الشعر  
فدعوا إلى الشعر المطلق من التزام القافية • والشعر الحر من الوزن والقافية ، وفي -  
داخل القصيدة الواحدة تتنوع موسيقى الوزن على حسب تنوع المشاعر وخطبات النفس  
وتحقق وحدة القصيدة في تطابق الشعر مع الموسيقى المعبرة •

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(( الرمزية في الأدب العربي ))

الرمز يُطلق في اللغة ويراد منه المدلولات التالية :-

« الإشارة بالفتحة أو العينية أو الحاجبين أو اليد أو الفم • أو اللسان أو الرأس •

« الصوت الخفى الذى لا يكاد يفهم • حتى صار رمزاً بين المتكلم والسامع

« التصويت الخفى باللسان كالهمس • ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير

مفهوم باللفظ من غير توضيح الصوت • (١)

وعنى الرمز في الأدب واليلافية أمرين :-

(١) الایجاز : وهو من خصائص اللغة العربية حتى عرفها بعضهم بأنها

الایجاز •

(٢) والآداء غير المباشر : وهو التعبير بالمجاز بما فيه من تشبيه

أو استعاره وكناية من الأشياء الخفية • التى يحتاج فيها الانتقال

من الظهور إلى اللزوم للذكاء والروية •

=====

(١) انظر المقصود بالرمز - الرمزية في الأدب العربي د • درويش الجعدى

(٨٧)  
(( أسباب ظهورها في الأدب العربي ))

- ١- الكتب السياسية والاجتماعية تحت نيران الاستعمار التركي الفاشم والأوروبي الخبيث • بما صبه على الشعوب من ظلم وعسف وقهر وجور وتهديد ••• الخ
  - ٢- اتساع الثقافة الفرنسية في لبنان بوجه خاص أيام الاحتلال الفرنسي • وكثرت الترجمة من الفرنسية الى العربية • وكان مما ترجم من الفرنسية بعض انتاج أدباء الرمزية ومبادئهم في الأدب والنقد • فضلا عن تراجم سيرهم • وأخبارهم • فوجد هذا اللون هوى في النفوس بعد أن هين الراغبون فيه نفسيا لرغبة التجديد • وتقليد المذهب (١)
  - وأثر شعراء لبنان المهاجرون في شعرنا العربي الحديث يظهر التأشير واضحا في جماعة "أبولو" وشعرائها البارزين •
  - ٣- الثورة على القديم البالي وما فيه من نزعات تحريرية خطابية نشرة لا تتشقى وبالطاقة الشعرية المشعة • وقد ظهرت الدعوة إلى ذلك عند الشاعر اللبناني "سعيد عقل" الذي يعد زعيم المذهب الرمزي • ويشر فارس في مصر •
  - ٤- الدعوات التي صاح بها الأدباء داعين إلى التجديد في حدود المذهب الرمزي إلى جانب الدعوات العامة التي تدعو إلى التجديد بوجه عام •••••
- فمثلا •
- نشر الدكتور : نقولا فياض "كثيرا من المقالات في مجلة الأدب اللبنانية ١٩٤٢ يدعونيها إلى تجديد أساليب الشعر ومعانيه ويرى (٢) أن —
- التجديد في الأساليب يتناول المفردات والجملة وأسلوب النظم •

=====

(١) الرمزية ••• ٤٠٤ وما بعدها •

(٢) على المنبر ١ ١٩٧ — ٢٠٩ نقولا فياض نقلا عن الرمزية في الادب العربي

د • درويش الجنيد ي ٤٠٧ وما بعدها •

• فأما التجديد في المفردات عنده فليس إلا الانتحاء نحو التسميات الجرئية  
والاستعارات الغريبة التي تنتمي إلى نظرية العلاقات ، وتداخل معطيات -  
الحواس \*

• وأما التجديد في الجمل فأساسه عنده الاهتداء إلى قوالب جديدة تفرغ فيها  
المعاني • فتزيد من تأثيره على الأيكون في ذلك أساهة إلى اللفظة ، وحبها القائل  
الذوق ها ما فيما يحاول بناءه من جديد المبارات • وان كان عليه أن يتوخى  
الإيجاز في اظهار شعوره لحاجة المصير إلى الاقتصاد في الوقت ، فضلا  
عن أن الذهب بالتعبير إلى أقصى مداه تضيف الصورة بخلاف النموض الذي  
يلزم الإيجاز ••• وفي ذلك لذه اعطاء القارى لذة اكتشاف المعنى في قلب  
الشاعر كأنه شريك له في النظم \* ( ١ )

• كما أشار إلى التجديد في أسلوب النظم يدعو الدكتور إلى التخلص من القافية  
إذا دعت الضرورة إلى تنوع الأوزان في القصيدة \*

• ومصدر المعاني يذكر نظرية العلاقات فيقول : إن اللون الأصفر يذكرنا  
بالذهب ، ويذكرنا بالحريير ، ويذكرنا بالبرارة ، وإذا تغلفنا فيه وجدناه  
لون الغضب والخوف والحسد والهموم \*

يقول \* وقد وصل بعض المجددين من الافرنج إلى تشبيه عواطفهم بالألوان • -

فللتقوى لون ، وللفرح لون ، وللذة لون ، وللأم لون •

وللشبع كما للضجر لون \* وهذه الأمور من مبادئ الرمزية الغربية •

٤- التتبع للتيارات الأدبية والفكرية الغربية ، ومناهج البحث والأدب والنقد والاطلاع

على النظريات الحديثة ، وكل ذلك كان له أثره في أدبنا المعاصر في الشكل

والضمون والمبادئ والقيم • وأعجب بذلك الكثير •

=====

( ١ ) على المنبر ج ١ - ١٩٢ - ٢٠٩ نقولا فياض نقلا عن الرمزية في الأدب العربي

د • درويش الجندى ٤٠٢ وما بعدها •

وكان من الأدبيات التي ظهرت في المضار في مصر ولبنان غير قليل ومن ذلك

"ندامة بعد الموت" قصيدة مترجمة "ليبودليو" المقتطف القاهرية ج ٣ سنة ١٩٣٤

"مسرحة مفترق الطرق" المقتطف القاهرية ج ٣ -

عام ١٩٣٨

"عشروت والصدى البعيد" سعيد عقل "مجلة المكشوف عام ١٩٣٦"

"الرمزية والشعر الرمزي" ثقولا فياض "الأديب اللبنانية ٧ ٨ ٩ عام ١٩٤٢

ويجدر بنا أن نشير إلى سبب آخر ظهر خاصة في أدب المهجر وهو الحرية والانطلاق

الليذان كانا من أهم ما يبيغيه المهاجر • والحرية هنا في كل شئ •• في اختيار

الموضوع وشكله ووسائله ثم ما كان منهم من مبدأ مخالفة الأثواب البالية - كما قالوا

وترك كل ما من شأنه التكبير من التشبيهات والتعابير •

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*



\* الأسلوبية :

وتعنى التشبيهات والاستعارات ، والبديع ، والخموض في الأسلوب ، مما لا يحبر  
تعبيراً مباشراً .

وقد انتشر ذلك في الشعر العربي قبل " الانفتاح الأدبي " ان صح التعبير ،  
ومثل ذلك حافظ وشوقي .

يقول حافظ في وصف هرب كريت .

لعب الأكرى بمعاقد الأجنان .. وهفا السرى بأعنة الفرسان  
والليل منشور الذوائب ضارب .. فوق المتالع والربا يجـسـران  
لا تمتهين العين في ظلماته .. إلا اشتعال أسنة المسـران  
تسرى به ما بين لجة فتنة .. تسو غواربها على الطوفان

\* ويتقدم الحال بالرمزية - فتظهر في القصيدة التلميحات والاشارات الخفية ، -

التاريخية ، وما الى ذلك من صور جرثومة وتلميحات شجاعة .

يقول شوقي في سينيته .

وكانسى أرى الجزيرة أيكنا .. نغمت طيرة بأرخم جـرس  
هى " بلقيس " فى الخائل صرح .. من عباب وصاحب غير نكـس  
لبست بالأصيل حلة وشقى .. بين صنعا فى الثياب وقـس  
قدها النيل فاستحت فتـوارت .. منه بالجسر بين عرى وليـس  
وأرى النيل " كالعقيق " بوادية .. وان كان كوثر المتحسـسى

ويقول فيها :-

وأرى الجيزة الحزينة شكلى .. لم تقف بعد بن مناخة " رمسى " .  
أكثر ضجة السواقى عليه .. وسؤال اليراع عنه بهمس  
وقيام النخيل ضفون شعرا .. وتجردن غير طوق وسلسـس

• وتمتع خطي الرمزية بوضوح في شعر من قويت نزعتهم إلى التجديد وعلسى رأس هو " لاء " خليل مطران " الذي خلق لباس التشيع للأدب القديم ، وقد أبعده في التشبيه والاستعارة ، ومزج الفن بالفكر الفلسفي ففي قصيدة " المساء " مع ما فيها من الرومانتيكية البكية الشعرية الشعرية • تجسد الحسن الباطني يمج بين أحياتها ، وهذا ما أبعدها عن الطابع المادي المألوف ، وتجد فيها — التشبيهات الموحية المعبرة عن النفس وما حوت • يقول : —

شاك إلى البحر اضطراب خواطري • • فيجيني بريح الهوجاء  
 ثا وعلى صخر أصم وليت لسى • • قلبا كهذي الصخرة الصماء  
 ينتابها موج كعوج مكارهسى • • وثفتها كاللحم في أعضائسى  
 تفضى البرية كدرة وكأنهسا • • صعدت الى عيني من أخشائسى  
 والأفق معتكز قريح جفنه • • يفضى على الغمرات والأقذاء  
 يا للغروب وما به من عنبه • • للمستهام وعجوة للرائسى  
 أوليس نزقا للنهار وصرعنة • • للشمس بين ماتم الاضواء  
 أوليس طمسا لليقين ومبعثا • • للشك بين غلائل الظلمسا  
 أوليس محو الوجود إلى ممدى • • وإهادة لمعالم الأشياء  
 حتى يكون النور تجديدا لها • • ويكون شبه البعث عود ذكبا  
 وخواطرى تبدو تجاه نواظرسى • • كلمى كدامية السحاب إرائسى

=====

والشمس في شفق يميل نضارة • • فوق العقيق على ذرا سودا  
 موت خلال غمامتين تحسيرا • • وتقطرت كالدمنة الحمرا  
 فكان آخر دمنة للكون قد • • هزجت بها آخر آدمى لرائسى  
 وكأننى آنست يومى رائسلا • • فرأيت في المرأة كيف مسائسى

فلمع الرمزية تهدو في التشبيهات النفسية • كشبهة الشمس وهي تتلاشى في مساء  
 البحر عند الغروب بالدمنة الحمراء • وتشبيه موج البحر الطافي على الصخر يهتج

مكارهه ..... الخ .

ومن الواضح خروج التشبيهات عن المادية إلى الحس الباطنى .

فهى مستمدة من الحالة النفسية التى عاشها الشاعر .

وتأتى مدرسة المهجر بصورتها الشديدة القوة المتحركة .

التى تشرب أعناقها حتى تبتدو بعيدة عن المؤلف . وخاصة بتعبيراتها الجريئة

الفريسة .

يقول \* جبران خليل جبران \*

|                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| بين ضلمية خيالات الهموم   | قد أقمنا الحرفى واد يمسر      |
| فوق متيه كمقيان وسوم      | وشهدنا الهام أسرابا تطسور     |
| وأكلنا السم من فحج الكسوم | وشربنا المقم من ماء الفنديسور |
| فقدونا نتروى بالسرم ساد   | ولبسنا الصبر ثوبا فالتهب      |
| عندما نمنا هشيا وقت ساد   | واقترشناه وسادا فانقلب        |

ويقول إيليا أبو ماضى \* فى قصيدة العصفور :

|                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| الروح ركض الخائفين | السحب تركض فى الفضاء |
| صفراء عاصية الجبين | والسحب تبتدو خلفها   |
| فيه خشوع الزاهدين  | والبحر سجاج صامت     |

الرمزية الموضوعية

يتخذ الأديب من الموضوع رمزا لجانب من جوانب الحياة المختلفة فقد يكون روحيا

\* صوفيا ، أو وطنيا ، أو سياسيا ، أو اجتماعيا .

١- الموضوعية الوطنية :

كمر هذا النوع من الشعر فى أدب المهجر ، فكثيرا ما نكلم الشعراء فى حسي  
الوطن ، وجماله ، والحنين إلى ترابه ، وكثيرا ما رمزوا إليه بألقاب فهسنا

جبران يصف الغابة الممهودة فى القلوب . ( ١ )

( ١ ) الغابة المقفودة \* لأبى ماضى

( ٩٢ )

لا ، ولا فيها القطيع  
ليس في الثابت راح  
للذي يابى الخسوع  
خلق الناس عبداً

xxxxxxxxxx

لا ، ولا فيها القبر  
ليس في الثابت موت  
لم يمض معه السرور  
فاذا نيام ولى  
ينثنى طي الصبر  
إن هول الموت وهم  
كالذي عاش ريباً

وهل هناك احتمال آخر في أن الثابت هي أرض لبنان الحبيبة التي تبقى دوماً  
ولا تموت ، فحبيها قد تشربه قلبه وصار الحبر روحاً يعيش بها وعندما يفنى الجسد  
يبقى الحب كامناً في الروح ومن هذا الكثير .

" الغاية المفقودة " لأبى ماضى ،

( ٢ ) الموضوعية الروحية ( الصوفية )

وهي موضوعات تشتمل رغبة شديدة في الانفلات من ظلم المادة والالتحاق بعالم الروح  
الخروج من حظيرة المادة إلى نور السماء والاتصال بالشفافية . بالثبات الخالصة  
يتصلون بها اتصالاً تخفى به زواتهم فيكون الاتحاد . وتحقق الخلود . وذلك يصلوا  
إلى الكمال من ذلك .

قصيدة " على طريق ارم " لنسيب عريضة ، والبلاد المحبوبة " لجبران خليل جبران  
و " نار القرى " لأبى ماضى والتي يقول فيها :-

كيف الوصول إليك يا نار القرى .. أنا في الخفيض وأنت في الجوزاء  
لى ألف باصرة تحن كما تـرى .. لكن دونك ألف الفغطاء  
لو من ثرى . مذقتها بيد الثرى .. لكها سجد من الأضواء

xxxxxxxxxxxxxxxx

أسميت حين لمستني بيدي .. لى ألف باصرة وألف جناح  
 ولمحت نار الوحي في عيني .. والوحي كان سلافة الأرواح -  
 فنشرت أجنحتي وحميت عليك .. متوهما أنني وجدت صباحي  
 قد كان حثفي في الدنو اليك .. حثف الفراشة في فم الصباح

xxxxxxxx

### ● الأثارة للتمرد على الظلم -

ومن ذلك قصيدة " الشاعر والأمة " لإيليا أبي ماضي \* (١)  
 وهي قصة تحكى . الأمة كان لها ماضي مجيد ومجد عظيم يعتصم كل مجد إذا ما  
 قرون به ، حكمها ملك بلغت في عهده قمة العظمة وأعلى المراتب . فلما قضى أقامت  
 ملكا ضم في طباعة من الظلم والبغى ماضى فاذنقها سوء العذاب ولما مر عليهم  
 الشاعر وجددهم باكين خانعين ، فلما سألهم عزف أنهم يكون على الراحل الأول . -  
 ويشكون ظلم وغدر وخيانه الثاني فهزأ الشاعر منهم لخضوعهم وسكوتهم على ما هم فيه  
 من ظلم وطفيان ، وهد أن وضع لهم أخطاهم وهو أنهم لم يفعلوا فعل أجدادهم  
 ويفتكوا بالظالمين .

لو فعلتم فعل أجدادكم .. ما قضى الظالم منكم وطيرة  
 ما لكم تشكون من محتكم .. رَضُّمُ السنكم أن تشكروه؟  
 وجعلتم ضمك عسكرة .. وخلفتم أن تطيعوا عسكرة؟  
 كيف لا يبغى ويغضى أمر .. يتقى أشجكم أن ينظروه ..؟  
 ما استحال الهر لينا إتمنا .. أصد الآجام صارت هرة ..  
 وإذا الليت وهت أظفاره .. أنشب السنور فيه ظفاره؟

ومن ذلك قصيدة شكوى " هز الأنوف " وهي قصة تجمع بين الجد والهزل .. (٢)

=====

(١) إيليا أبو ماضي زهير ميموزا ٤٤٧

(٢) الرمزية في الأدب العربي د . درويش الجندى ٤٣٥

والسخرية الساخرة من الظلم والظالمين والتحريض على محاربة الظلم ، وأن السكوت يورث  
الخنوع والزلّة والذي يجاهد في سبيل احقاق الحق . سوف ينال ثمرة ، وكما قال الشاعر  
فما مات حق لم ينم عنه أهله .. ولا ناله في العالمين مفسر

" ومن الرمزية الموضوعية "

" النقد للأوضاع الاجتماعية الفاسدة والخطاظة "

يتخذ الشاعر من التعبير عن أفكاره بأساطير يصوغها على السنة الحيوان أو الجسد أو  
النبات أو أى شئ من الطبيعة هدفاً إلى نقد وضع اجتماعى أو حالة سيئة - كذلك  
تفشيت في المجتمع . . . الخ . بهدف الإصلاح .

من ذلك . " الضفادع والنجوم " " لا يلبس أبى ماضى "

وهى قصة ترمز إلى ذلك النفاق الجاهل قدره المتعالى على أقدار من هم أعلى وأرفع  
منه قدرًا . . . ومجمل القصة أنه فى ليلة مقمرة رأيت زعيمة الضفادع صور النجوم " ظلالها "  
فى الماء ، فخيّل إليها أن النجوم نزلت من رفعتها وغطت على ملك الضفادع ، فصاحت  
الضفدع فى رفاقها لتجمعهم لمحاربة هذا الياقى .

يا رفاقى يا جنودى احتشدوا .. غمّر الأعداء فى الليل النجوم

فاحتشد الجميع يضيحيتو وعجيجيه وحقارته .

و " فى أديم الماء من أصواتها .. رعدة الحمى وفى الليل وجوم

وظلت فى فلسها وصوتها وثورتها الكاذبة ، وماذا عساها أن تفعل ؟ حتى إذا  
أطل نور الصباح ، وانصرفت ظلال النجوم من الماء ، فزعمت زعيمتهم أن الرعية قد  
أحرقت النجوم وقد ثابت وآبى ولن تعود لمثل هذا أبداً ، وقد وقمت النجوم على

الهزيمة الكبرى كما زعمت الضفادع . وماذا صنعت بمسد ؟

(٩٦)

فمشت في سربها مخالفة .. كملك ظافر بين قـرهم  
ثم قالت لكم البشرى • ولـى .. قد نجونا الآن من كيد عظيم  
نحن لو لم نـقهر الشهب التي .. هاجمتنا لأزقتنا الحـوم  
وأقامت بعدنا في أرضنا .. في نعيم لم تجده في الغيوم  
أيها التاريخ سجل إننا .. أمة قد غلبت حتى النجوم

\*\*\*\*\*

باب الثاني

.....

العلم

.....

الفصل الأول

.....

.....

.....

.....

.....



"إيليا أبو ماضي" ذلك هو الاسم الذي أطلق على الشاعر الكبير، اللبناني الأصل .  
وهو اشتهر في الأوساط الأدبية، وقد ترد اسم الشاعر دون ذكر أبيه، حتى  
كاد أن يقع خلاف في اسم أبيه كما حدث ذلك في تاريخ ميلاد الشاعر . بينما اسم الكامل  
"إيليا ظاهر (ظاهر) إيليا طانيوس أبو ماضي" المولود عام ١٨٥٤ أما مسقط رأس  
"أبي ماضي" والقرية التي تفتحت عيناه أول ما تفتحتنا على جمالها، وروعة مناظرها  
فهي قرية "المحيثة" التي يحيطها حنين مع شروق الشمس، وتجتو عند أقدامها  
الغلال والأودية، وأشجار الصنوبر" (١) والتي تقع على مقربة من "بقييا".  
وما في ذلك خلاف، أما متى ولد؟ فهذا ما لم يقف فيه أحد على جلية الأمر، ومع  
ما جالت به أقلامهم أقوال . فـ (هناك اختلاف غير قليل في السنة التي رأى فيها  
"أبو ماضي" نور الوجود، فـجريدة "السائح" في عددها الممتاز لعام ١٩٢٧ م  
تذكر أنه ولد عام ١٨٨٩، وهي حتما لم تأت بهذا التاريخ اعتبارا لعضو من المهجر  
أعضاء الرابطة القلمية التي كانت السائح لسانها الرسمي وندوتها الفكرية، فلا يستد  
أنها أخذته من الشاعر نفسه، ولذلك ظل تاريخ السائح هو التاريخ الذي يعتمد عليه  
كل من يكتب عن "أبي ماضي"، ويتعرض لتاريخ مولده" (٢) .  
■ وعلى تاريخ السائح اعتمد الأستاذ "محمد عبد الغني حسن" في كتابه "الشعر  
العربي في المهجر" والدكتور "شوقي ضيف" في كتابه "دراسات في الشعر  
العربي المعاصر" . ونادرة جميل سراج "في شعراء الرابطة القلمية"  
■ غير أن الأستاذ (محمد قره علي) في مقالته المنشورين في جريدة (الحياة) اللبنانية  
على إثر وفاة الشاعر يقول :-

=====

(١) أدب المهجر للناعوري ٣٦٣ ط ٣

(٢) المرجع نفسه ٣٦٢ ط ٣

■ إنه سأل عن تاريخ مولده حين زار لبنان عام ١٩٤٨ . فأجاب " أبوماضى " بأنه ولد عام ١٨٩٠ والفرق واضح بين هذا التاريخ والتاريخ الذى ذكرته " السائح " مع أن المصدر فى التاريخين هو الشاعر نفسه .

■ كما ذكر الأستاذ " عيسى الناعورى " فى كتابه " الشعر العربى فى المهجر " من حديث للسيد " محمد قره على " استقى منه أن " إيليا أبوماضى " ولد عام ١٨٩٠

■ وقال آخرون بأنمولد عام ١٨٩١ وهم الأستاذ " جهوج صيدح " فى كتابه " أدبنا وأدباؤنا فى المهجر " والأديب " زهير ميوزا " فى كتابه " شاعر المهجر الأكبر " والأستاذ " عبد المجيد عابدين " فى كتابه " بين شاعرين مجددين " و " إيليا سليم حاوى " فى كتابه " نماذج من النقد وتحليل النصوص " ط ٣ ١٩٦٩ . . . . .

ولست أدري على أى سند اعتمد هؤلاء .

■ واستنادا على ما أذيع فى الأوساط الرسمية ، واجمعت . عليه دور الإذاعة والصحف يوم موته فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٧ عن أريحة وستين عاما قال آخرون أنه ولد عام ١٨٩٣

■ فتحن الآن أمام أريحة أحوال لأريحة تواريخ مختلفة . وربما ذكرت ترجيحها لا تحقيقا ، بل ربما بحدت كلها أو بعضها عن القيمة زمتنا لا يستهان به .

وحرى بنا ونحن فى مجال الحديث عن تاريخ ميلاده - أن نذكر رأى الأستاذ " محمد العليم القباني " (١) وما ساق من أدلة عقلية تقع موقع القبول . ، فلقد قال : " تكاد تتفق أغلب الروايات بما فيها المنقولة عن " إيليا أبوماضى " نفسه أنه أقام فى الاسكندرية أحد عشر عاما ، وأنه غادرها إلى الولايات المتحدة فى نهاية سنة ١٩١١ ، ومن هنا يمكن أن نتخذ منها نقطة ارتكاز فيما نهدف إليه من نتيجة ، فإذا إتفقنا على ذلك

=====

(١) إيليا أبوماضى " حياته وشعره بالاسكندرية بتصرف

■ مبدئياً فإن نسبة الخلاف يسيره نجد أن "إيلياً أبو طمض" وقد وفد إلى الاسكندرية وهو .

( ١٨٨٩ م ) في الثانية عشرة من عمره حسب الرأي الأول

( ١٨٩٠ م ) وفي الحادية عشرة من عمره حسب الرأي الثاني

( ١٨٩١ م ) وفي العاشرة من عمره بناء على الرأي الثالث

( ١٨٩٣ م ) وفي الثامنة من عمره بناء على الرأي الرابع

ويتحول خلال قصائد من ديوان الشاعر " تذكارات الماضي "

فيتخذ منه أدلة قد تكون قرينة راية من الحقيقة . يقول :

لو قرأنا قصيدة الشاعر " مصر والشام " (١) والتي يقول فيها :-

نحن إلى بلاد الشام نفسى ■ أقطر الشام حياك الخيام

وما غير الشام وساكنيه ■ لبانتنا وان بعد الشام

ولولا أن في مصر مقامى ■ لعمر أبوك ما طال المقام

مضى عام على بأرض مصر ■ وذا عام وسوف يجىء عام

وما مصر التي ملكت فوادى ■ ولكن أهلها قوم كرام

ودا دهر على الأيام بساق ■ وجارهم عزيز لا يضام

لعرفنا أنه نظم هذه القصيدة بعد أن أقام بالاسكندرية سنة ودخل في الأخرى ، وراح يرتقب

الثالثة . ، وعلى وجه التحديد نظمها سنة ١٩٠٢ . ومعنى ذلك أنه نظمها وهو في الثالثة عشرة

من عمره إذا أخذنا برواية الفريق الأول . وفي الثانية عشرة من عمره على الرواية الثانية .

وفي الحادية عشر من عمره على الرواية الثالثة ونفى . . . . . التاسعة من عمره إذا . . .

أخذنا برواية الفريق الأخير والذي يحتاج إلى شيء من النظر والتمقق إنما هي القصيدة

=====

(١) تذكارات الماضي ٧٥ ط الاسكندرية ١٩١١ ، ٢١٦ ط بيروت .

(١٠١)

نفسها فالقصيدة بما فيها من معان ، وآراء ، وصياغة ، واستخدام كلمات وأساليب ، ووجهات نظر . . . الخ مما يتفق ومدارك طفل في الأعمار السابقة ؟ وخاصة إذا عرفنا أنه لم يتلق من العلم إلا بذوره الأولى من مبادئ القراءة والكتابة ، مع ما شغل به من مطالب الحياة الضرورية ، ومشقة الفراق . . .

■ ومع أن قيمة الإطلاع الحر لا تنكر ، وكذلك ما يستفيده الانسان من المعرفة عندما ينتقل بين أعضائها ، ولكن . . . الذي أنكره على مثل هذا العمر . هو ذلك العمق الفكري .

■ وكما أن الموهبة لا تنكر ، وخاصة تلك التي يتميز بها الموهوبون على كل البشر . ، ولكن ليست الموهبة في حاجة إلى غذاء من واقع الحياة والتجارب الشخصية ، والاستفادة بتجارب الآخرين وبكل وسيلة تعمل على إتساعها مساحة وعمقا ، وذلك يحتاج إلى مراحل زمنية أطول من هذه السن ، حتى يحيط الشاعر بفردات الفصحى من لفته إحاطة تمكنه من حسن الاستغلال ووضع كل منها في مكانها بحيث يروق شعره . . ؟

■ وما يستبعد على طفل صغير - في مثل تلك الأعمار المذكورة - مهما أعطى مسن مواهب أن يحيط بما يدور حوله من تيارات ، سياسيات ، وثقافات ، ويصهرها في عبارات - رقيقة من شعر تشيع فيه الموسيقى الرنانة .

■ كما أرجح أنه يستبعد على طفل مثل هذا في سن كهذه ولم يكن له من تعليم يذكر ، أن يسبر غور النفس ليخرج بحكمة جيدة أو تجربة حيسة في ثوبها الشعري ، وإنما يتأتى مثل ذلك ممن جمع بين عمر مناسب وثقافة وتجربة تناسب وما يقول .

كما لا ننسى أو نتغافل ما قيل في نقد ديوانه الأول ( ١ ) ولكن من حق أن أقول . لو

شاعر تخطى إلى جسر الكمال دون العبور بهذه السقطات ؟

وأي جواد لم يكسب ؟

(١٠٢)

إنَّ جَلَّ الشعراءِ إن لم يكونوا جميعاً ما وصلوا إلى درجة من الجودة إلا بعد عشرات  
وسبب قانون الوجود هو السائد من ضعف يعمده قوة ، فما من شاعر إلا وعبر بمراحل  
ضعف في فنه الشعري ، بل ربما راجح بعضهم شعره قبل تدوينه وربما قرأه في اللهوى  
حذف وتعديل ، ومع كل هذا • تظل بواكير الإنتاج • أقل نضجا من إنتاج الشاعر •  
حينما تكون أدوات الفن الشعري آتية له طائفة • وخاصة •

ونحن نرى أن " إيليا أبو ماضي " ارتفع صيته الفني بعد أن وصل إلى درجة من النضج  
الفني العظيم • وخاصة بعد رحيل طلي أمريكا ودخول محيط الفن الأدبي من باب واسع •  
ولنعد إلى إنتاج الشاعر المأخوذ من بواكير شعره • لنرى ما فيها من خبرة تولدت  
عن فكر عميق وشعر فمّاض • تمخضت عن ذلك مشاركة وجدانية من الشاعر للمجتمع المصري  
في " أحداث شغلت الوطنيين آنذاك ، وظهر في ذلك كرجل من كبار السياسيين كما  
نفس عن شعوره بالحزن العميق وذلك لفراقه مسقط رأسه وتقديره ميزان الوطن وفراقه •  
يقول الشاعر في قصيدته " مصر والشام " (١)

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| أطلال الليل أم ظال المقام  | ■ أم الحزون خامره الهيام ؟    |
| فبات يصعد الزفرات وجداً    | ■ وأما ناح أسعده الحمّام      |
| تعود جسمه الاسقام حنتي     | ■ ليحذر أن يزايه السقام       |
| وأغرى جفنه بالسهد حنتي     | ■ ليشفق أن يطيف به المشلم     |
| تجمعت الهموم عليه تترى     | ■ كما اجتمعت على الماء السوام |
| وأعوزه على البلوى ممّين    | ■ وأعوز ليله القمر التمام     |
| فضاق فوادها بهم نرعاً      | ■ وضاق بهمه وبه الظلام        |
| كان نجومه أجفان بـاك       | ■ كأن الليل صبّ مستهمام       |
| أبا لأقمار ما بهي فهى مثلي | ■ تحاول أن تنام فلا تنام      |

=====

أبت إلا السكوت وت أشكـو  
وليس يفتا فعى منعها سكـوت  
كأنى قارىء والليل سفـر  
كذاك الهم أعسر ما تسـراه  
تحنُّ إلى بلاد الشام نفسى  
وما غير الشام وما كيبـه  
ولولا أن فى مصر مقامى  
مضى عام على بأرض مصر  
وما مصر التى ملكت فـوئدى  
وداعى على الأبيام بساق  
ومن أخلاقهم لين الحميـل  
وتبصر فى صدورهم أنـباء  
أبت إلا عقادهم الليالى  
يود الظالمون بأرض مصر  
فلا عجب إذا خفروا ذمامـًا  
نادم على الكلام وقد أصبـنا  
أتانونا قيودهم تسمى  
إلى م تمنع الدستور مصر  
بلى مصر على الأحفـات صبرا  
ولا يلحق بكم ضجرٌ فأنسى  
وأن الليل يحقبه صبـاح

وأنى يصحب الوجد أكتـام  
وليس نافع الشهب الكـلام  
له يدٌ وليس له ختـام  
إذا سكن الدجى وثقا الأنـام  
أقطر الشام خيـاك التمام  
لبانتنا وان بعد الشـام  
لعمرو أبوك ما طال المقـام  
وذا عام وسوف يجىء عام  
ولكن أهلها قوم كرام  
وجارهم عزيز لا يضـام  
إذا انتسبت إلى اللين المدام  
إذا الأحلام طاح بها الخصام  
فما يتسوا الفداة ولا استناموا  
لو أنهم بها أبدًا أقاموا  
شديد البطش ليس له ذمام  
وقد ضلوا الصواب فلم يلاموا  
إذا ما أنت الرجل اللثـام  
وقد كادت تفوز به (سيام)  
فقبل الصحو يجتمع الثمام  
رأيت الظلم ليس له دوام .....  
وأن الحرب آخرها سـلام

\*\*\*\*\*

وعند وفاة الأستاذ الإمام " محمد عبده " فى ١١ يوليو ١٩٥٥ رثاه بقصيدة بلغ فيها  
درجة من الإجابة ، والتعبير الصادق عن خلجات نفسه وشاعرها . المستمدة من

(١٠٤)

شاعر الجماهير المنصهرة في بوتقة الحزن المتولد عن عرفاتهم بما قدمه الإمام .....  
كما أشاد بنواحي الإنسانية في حياة الإمام مما جعل الشعب ينزله في قلبه ، كما  
جمعت حكما وصينه ، ونظرات صائبة في الحياة ، وقد استطاع أن يفضي الحزن على  
بعض مظاهر الطبيعة في أسلوب رائع ، واحساس صادق وشمول وعمق وان لم يصل  
في ذلك إلى ما وصل إليه شعره بعد هجرته إلى أمريكا . . .

يقول : في قصيدة له بعنوان " الخطيب القادح " (١)

هيهات بعدك ما يفيد تصير \* ولئن أفاد فأى قلب يصير  
إن البكاء من الرجال مذموم \* إلا عليك فتركه لا يشكر  
لو كان لي قلب لقلت له أرعوى \* انى يلا قلب فانى أزعج  
لازمت قبرك والبكاء ملامى \* واللبلب داج والكواكب صهرو  
أبكى عليك بأدمع هطالسة \* ولقد يقل لك التجيح الأحمر  
روددت من شجوى عليك وحسرتى \* لو أن لحدك نسي فوادي يخفر  
إتمى لأعجب كيف يملوك الثرى \* أنى نوى تحت الرطام النسر  
أسميت مستترا به لكمما \* آثار جودك فوقه لاتستر  
مرض الندى لما مرضت وكسادان \* يقضى من اليأس الملمس المعور  
يزجون إنك أنت جابر فكسره \* فإذا فقدت فكره لا يجبر  
وطث على تلك الوجوه سحابسه \* كدراء لا تصفو ولا تستطر  
كم حاولوا كتم الأسى لكمسه \* قد كان يخرق الجسم فيظهر  
حامت حوالبك الجموع كأنما \* تبخى وقاء الشرق ما يحذر  
والكل يسأل كيف حال إماننا \* ماذا رأى حكماؤنا ما أخبروا ؟  
وعودة إلى الأستاذ " عبد المليم القباني " حيث قال - بعد .

أن ذكر أدلة تتحل في هذه القصائد . ومدى تناسبها مع السن - من المستحيل (٢)

=====  
(١) تذكرا الماضي ٥٤

(٢) " ايليا أبو ماضي " حياته وشعره في الاسكندرية . للأستاذ " عبد المليم القباني " ٤٤

على صبي في الثانية عشرة أو حتى في السادسة عشرة من عمرة أن يقول مثل هذه القصائد وأن يفكر مثل هذا التفكير ثم - وذلك هو الأشق الأصعب - أن ينظم هذا كله شعراً

عربياً صحيحاً لا يهيبه رعونة الطفولة ، وقلة التحصيل ،

ومن ثمة يمكننا أن نقول . . . . . أن الشاعر كان أكبر سنّاً من كل ما قدر مرّاة تاريخه

جميعاً ببضعة أعوام على الأقل . . . . .

ويؤكد ذلك ما رواه الذين عاصروه من أبناء الاسكندرية في أحاديثهم معي عن

الشاعر " إيليا أبو ماضي " ، فإن الأستاذ " يوسف فهمي الجزائري " الذي ولد

بالاسكندرية في أول أكتوبر ١٨٩١ قال لي : أنه تعرف إلى " إيليا أبو ماضي " وأن

" إيليا " كان يكبره بسبعة أعوام <sup>أو ثمانية أعوام</sup> على الأقل ، بينما قال لي السيد / عبد المتعال

حلمي " ، الذي ولد عام ١٨٩٤ - في ٧/٢١ من العام نفسه - أن " إيليا " كان

يكبره بعشرة أعوام على الأقل .

ومعنى هذا أن " إيليا أبو ماضي " ولد عام ١٨٨٣ أو عام ١٨٨٥ على الأقل " ومن

هنا يكون عمره عندما نزل المدينة حوالي سبعة عشر عاماً تقريباً . . . ومن هنا يمكن التوافق

بين عمر الشاعر الزماني وبين القيمة الفنية لتلك القصائد .

ويبدو أن الأستاذ " صلاح عبد الصبور " ( ٢ ) تبني نفس الرأي حين قال أن الشاعر

" ولد عام ١٨٩١ ، ووفد إلى الاسكندرية في أوائل القرن العشرين ، وقادرها

إلى لبنان فالولايات المتحدة في عام ١٩١١ ، بعد أن أصدر بها ديوان " تذكارات

الماضي " " لإيليا طاهر أبو ماضي " وتوفي في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٧ عن أربعة وستين

عاماً بعد أن أصدر الجزء الثاني من ديوانه ، ثم " الجداول ، و " اللخائل " أمّا

" تبر و تراب " فقد نشر بعد وفاته - ويقول - ولكننا نستطيع الشك في تاريخ ميلاده

=====



(١٠٦)

ومخاصة حين نجده يثبت في ديوانه الأول قصائد كتبت في أعوام ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٥ فيها قدر كبير من المرائة والمقدرة اللغوية والصياغة ، بحيث يستبعد أن تكون نتاج صبي في السنوات الأولى من سنياه ، وهذا ما قاله الدارسون ، و فرّق بين ما قاله وبين الحقيقة . . . واعتقد أن القول الفصل هو ما جاء في كتاب ظهر أخيراً (١) فقد ذكر الباحث الذي عاش في الاسكندرية زمنًا وانتقل إلى نيويورك واتصل مباشرة بنجل الشاعر " الدكتور روبرت ماضي " الذي مكّنه من الحصول على بعض الرسائل ونشرها (٢)

ومعد ما ذكر عن تحقيق وتدقيق عن تاريخ ميلاد الشاعر ونشأته ص ٦٥١ من مقال لجرجى ابراهيم نصر " في مجلة المشرق البيروتية عدد تشرين الثاني - كانون الأول - نوفمبر - - - ديسمبر " ١٩٦٩ "

أنه ولد في ١٥ / ٥ / ١٨٨٩ . حيث وضعت سلمى - أم مراد - إيليا - وقد أوجد ذلك في صدرنارتيا .

وفي تلك القرية الجميلة تنفس عمو الحياة . الأولى ، وفتحت عيناه على أرضها . وصافحت رقة هوائها جيتهه بخنو وارتياح . وسكن قلبه حبّ لبنان . التي منح الله أرضها ثوبًا من العجد والجلال ، قضى الشاعر فيها سنتي حياته الأولى . . . ولا أخبرك أن للأوطان مكانه في قلب كل وطني لا تشغل بجنان الخلد . . .

وتركب الرعونة الطفل فيمرح جذلانا ، يلعب هنا وهناك . وتلك حياة الأطفال تسلسق الأشجار، ويناء الأكواخ .

والركض وراء الفراشات الجميلة ، كل ذلك دون ضجّ أو كلل ، وكتبوا ما يفرح الأطفال لوجل الشتاء . . . يجرون حفاة قوقه ضارين الماء والطين بأقدامهم ، وكم يضح الأطفال من الطين لصبًا مختلفة ، وكتبوا ما يتشيطن الطفل فيقوم بما يتناسب وعقلة من أعمال ، وعن هذا المحيط

=====

(١) إيليا أبو ماضي " دراسات عنه وأشعاره المجهورة . جرجى ديستري سليم .

(٢) السابق (١١٢)

لاتخرج طفولته الشاعر ، فاذا ما جره الزمن إلى مرحلة زمنية أكبر ، انقسمت عنه أشواب  
الشيطنة واللهاوشية نسيقاً تقرأ له تلك الشيطنة عندما وقف يناجى وطنه قائلاً (١) .

وطن النجوم . أنا هنا ■ حدى أتذكر من أنا ؟  
المحت فى الماضى البعيد ■ فتى غريباً أرغماً  
جدلان يرح فى حقولك ■ كالنسيم مدنندنا  
المقتنى الملوك لمحبته ■ وغير المقتنى .....  
يتسلق الأشجار لاجراً ■ يحسى ولا ونسى  
ومود بالاعضان يبريمها ■ سيوظا أوتننا  
ويخوض فى وحل الشتا ■ معهللا مثيرنا  
لا يتقى شر الصيون ■ ولا يخاف الألسنا  
ولكم شيطان كى يقول ■ الناس عنه " شيطنا "

\*\*\*\*\*

أنا ذلك الولد الذى ■ دنياه كانت ههنا  
أنا من مياهدك قطرة ■ فاضت جداول من سنا  
كم طنقت روى رباك ■ وصفقت فى المنحنى ؟  
للكرز بهزاً بالرياح ■ وبالدهر والقننا

■ ويظل فى لعبه وشيطنته ، لا يعرف ما خبأته الاقدار بين ظلماتها من فراق المش  
الذى ترعرع بين أعشابه ، وفراق الأهل الذى سيتجرع لظلامه .

ولما بلغ سن التعليم الحقة أبوه بمدرسة القرية التى تلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة ،  
ولكن سرعان ما غادرها حين فاجأته حقيقة الفهم .

ففر إلى الاسكندرية على ظهر إحدى السفن علىه ينجح فى سعيه فيكون لأبويه الصخرة —  
التي تصدم فقرهما وتحطمه ، وماله لا يتخذ من ذلك سبيلاً وقد خرج أخواه من قبل احدهما  
إلى الاسكندرية والآخر إلى أمريكا " سنسناتى " هروما من الظروف القاسية . المريرة . . . . .

=====

\* ولنتساءل حول هذه الفترة الزمنية من حياة الشاعر ، والتي نوى اثنتاهما للرحيل ،

وولى وجهته شطر مصر .

لماذا هاجر من لبنان ؟

ولماذا رحل إلى مصر ؟ وهل كانت مقصدة من أول الأمر ؟ أم

اتخذها وسيلة لينتقل منها إلى أمريكا كما قال بعض الباحثين ؟

وإذا كان هدفه مصر فلم رحل عنها ؟

\* أما أسباب الهجرة فقد خاضت فيها كتب الباحثين في هذا الموضوع ولثمد إليها

موجزين لهذا المعامل .

من هذه العوامل ما هو سياسي ، أو اقتصادي أو نفسي والآن نسوقها بإيجاز ،

لقد كانت سوريا ولبنان خاضعتين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم

العثماني القوي الجائر ، والتي تضطهد فيه الحريات وتواد الكرامات ، ويستحل

إراقه الدماء لو استدعى الأمر ، كما تساق الناس إلى السجون والمشاق لأتفه

الأسباب ولقد وصل الاضطهاد إلى حد سيء لم يحرف له مثيل من قبل يقول " أبو

ماضي " ( ١ )

لبنان لاتعدل بنيك إذا هم • ركبوا إلى الملياء كل سفين

لم يهجروك مالة لكمهم • خلّقوا لصيد اللؤلؤ المكنون

.....

لما ولدتهم نسورا خلّقوا • لا يقنحون من الملى بالسودون

والنسر لا يرضى السجون وان تكن • ذهباً فكيف محابى من طين

الأرض للحشرات تزحف فوقها • والجو لليازى والشاهيين

ولا ننسى الفقر المدقع الذي وضع أوتارة في ربوع سوريا ولبنان آنذاك حيث انتشر

الإهمال الذي خيم على الزراعة والصناعة بل وشتى مرافق الحياة ، فظل الحرمان

=====

يطارد كثيرا من السكان حتى أصبح من الضروري البحث عن الحياة الكريمة ، التي يتوافر  
في ظلها الحرية والحفاظ على كرامة الإنسان بالإضافة إلى ، الفن والثراء ، وكان  
ما أغراهم بتلك الهجرة أوائلهم من المهاجرين الأوائل وخاصة ، الفينيقيين الذين  
ولموا بحب الهجرة . من قديم سَمِيَا وراء البحر والرخاء والإطمئنان .

يقول "إيليا أبو ماضي" عن بني لبنان .

رثوا اقتحام البحر عن فينيقيا ■ أم الثقافة مصدر التمدين

■ غير أن الأمر لم يتوقف عند الفقر . وظلم الأتراك ، وفرض للرقابة الشديدة إلى الحد  
الذي جعل أهل البلاد يرحبون بغزو إبراهيم بن " محمد علي " لبلادهم ، ويساعدونه  
في ذلك حتى يخلصهم من هذا الظلم ، إلا أن هذا الغزولم يدم ، حيث اضطر إلى  
الرجوع من تركيا ، الذي كان قد وصل إليها وكاد أن يتوغل فيها ، وذلك بعد أن —  
أجبره الغرب على الرجوع ، مما جعل بعض اللبنانيين يتبعونه إلى مصر ، حيث الحياة  
الظالية من وطأة هذا السجن .

■ وبعد أن وصلت الأحوال إلى درجة لا تطاق ، وخاصة بعد مذبحه ١٨٦٠ والتي  
قامت على برائن التعصب والطائفية وصدر القانون الأساسي عام ١٨٦١ ، وهو الذي  
ضيق حدود البلاد وهذا التضارب الذي نتج عن انعدام المتوازن بين الزيادة نسي  
السكان ومساحة البلاد الزراعية ، أدى إلى ترك البلاد التي عجزت عن إمدادهم  
بالسكنة والأمن وكل ما تطلبه الحياة الحرّة الشريفة . .

■ ويذكر الأستاذ " زهير ميوزا " (١) نقلا عن الأستاذ " محمد يوسف نجم " دافعا  
آخر للهجرة ، وهو ضغط حكومة الأستانة على رعاياها ، ولا سيما غير  
المسلمين منهم ، والسبب في ذلك أنها بضعفها وتهالكها آونة ذاك ، كانت تخشى  
على كل حركة تحريرية تبدر بوادرها بين الشعب ، وتحاول خنقها في المهد ، لذلك

=====

(١) "إيليا أبو ماضي" شاعر المهجر الأكبر " زهير ميوزا " ١٨ ط ٢

(١١٠)  
كانت تأخذ بالشبهة وتجرم البرى، لا تضعف الشكوك، مما جعلهم يحاولون زحزحة  
عبء هذا الضغط عن كواهلهم بالمهاجرة، إما إلى مصر حيث مجال العمل أوسع،  
وأكثر إظهاراً للكفاءات، وحيث يتمتع الناس بحرية أكثر، أو إلى أوروبا أو أمريكا  
حيث يتنشقون عبر الحرية • المنعش •

وشم ماعم البلاد من إقطاع يضعج خلالعرق الضميف، حيث تمتص الأفاهى دماه، ولا حول  
له ولا قوة، يعيش فى أعماق البحار بينما يعيش أصحاب الإقطاع فى غنان السماء، حيث  
يتابعون البصق على أوجه لهؤلاء بعد أن يرمون من هذه المرتفعات نظرات اليأس —  
والسخرية إلى هؤلاء الفقراء.

ويجدد بنا أن نشير إلى ما ذكره الدكتور " محمد خليلى " (١) أن من الأسباب —  
سهولة الهجرة إلى هذه البلاد النائية، فلم يكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين  
إليها، وليس هناك فى قوانينها ما يقيّد حريّة المهاجر فى اختيار العمل الذى  
يريد، وفى شق طريق الحياة بالوسائل التى يختارها

• كما أن موقع لبنان — ومواجهته بلاد الغرب — وأهله على هذه الحالة — مما  
جعل هذا الموقع يلعب دوراً جغرافياً هاماً فى تاريخ الهجرة وأحداثها، كما لعب  
هذا الدور فى السابق أيام الفينيقين قديماً .....

• وتأتى حملة التبشير لتلعب دوراً فعالاً فى مجال الترغيب للهجرة وتحبيب البلاد  
الغريبة إلى نفوس أهل البلاد، خاصة إلى نفوس الناشئين الذين تعلموا فى المدارس  
التبشيرية، ولم تك هذه الحلّات الدعائية التى يقوم بها أولئك السيّاح، الذين  
كانوا يقدون فى موسم الحج إلى الأماكن المقدسة، بأقل أثراً من المدارس التبشيرية فى  
تشويق أهل البلاد المتطلعين إلى الحرية والحياة الكريمة وإلى هجر بلادهم •

=====

« أضف إلى ذلك .. ما كانت تقوم به شركات الملاحة المختلفة من الدعاية للغرب ففى  
العوانى اللبنانية التى وجدت فيها ، وتسهيل أمر السفر إلى حشد كبير لمن أراد .. »

« كما " أن كل تحويل ما لى يرسله أحد المهاجرين إلى ذويه ، أو كل قصر يشيده على  
سفوح لبنان مهاجر عائد إليه ، كان يدفع بمشروعات الشبان إلى السزوح عن لبنان (١)

« تلك هى أهم الأسباب التى ذكرها من تعرض كآرخ الهجرة اللبنانية وأسبابها  
والآن لنعد إلى الشاعر سائلين إياه عن سبب هجرته ، وتركه لهذه الجنة الساحرة ،  
فهل ترى عنده إجابة لما نريد ؟ نعم كم ترى للشاعر " إيليا أبو ماضى " من شكوى  
يشها على أوتار الحزن وسجلها بخداد الأسى .. يقول " إيليا أبو ماضى " فى  
عام ١٩١٠ م ..

أقبلت والدنيا إلى بنخيضة .. هلا سبقت إلى أسباب الشقا ؟

وتظل أمواج الكآبة وقتئذ تأخذ به بقسوتها لتجويه فوق صخرة اليأس ونيوان الحرمان ، كل  
ذلك فوق هذا الوطن الذى استكان إلى الشقا .

راضياً .. يقول : أبو ماضى فى قصيدة " وداع وشكوى "

وطن أردناه على حب العلى      « فابى سوى أن يستكن إلى الشقا  
كالمبد يخشى ، بعدما أفتى الصبا      « يلهو به ساداته ، أن يمتقا  
أو كلما جاء الزمان بمصلح      « فى أهله قالوا طفا وتزندقا ؟  
فكأنما لم يقية ما قد جننا      « وكأنما لم يكفهم أن أخفقا  
.....  
وطن يضيق الحر نرعاً عند      « وتراه بالأحرار زرطاً أضيقا  
ما إن رأيت به أديباً مؤسراً      « فيما رأيت ، ولا جهولا مملقاً  
.....

=====

وحكومة ما إن تزحج أحققاً \* عن رأسها حتى تولى أحققاً  
راحت تناصبا الیداء كأنما \* جننا قريباً أو ربنا موقفاً  
وأبت سوى إرهابنا فكانما \* كل العدالة عندها أن نرهقاً

\*\*\*\*\*

ولا يزال يضرب على قيثارة الحزن .. مرددا أصوات الاستغاثة ممن امتحن حقهم  
ومسجداً تاريخاً أسوداً لهؤلاء الشياطين الدخلاء ، الذي ترى في صدورهم أبالسة  
الجحيم ، يقول "إيليا أبو ماضي" (١) في قصيدته "ولمن الديار " .

أسي الدخيل كأنه رب الحمى \* وابن البلاد كأنه متطفل  
يقض ، فهذا في السجون مشيب \* رهن وهذا بالحديد مكبيل  
ويرى الجمال كأنما هو لا يرى \* ويرى الحيوب كأنما هو أحسنول  
حال أشد على النفوس من الردى \* المصاب شهيد عندها والحظيل

وتزداد الأمور سوءاً إلى حد جعل القتل شيئاً متوقفاً . بل هو كذا لمن لا يملك من القوة  
أسبابها ، وأنى لأهل البلاد هذه القوة ؟

\*\*\*\*\*

قد كان قتل النفس شرّ جريمة \* واليوم يقتل كل من لا يقتل  
\* ويستمر إقراره بالخسف ، واعترافه بالدلة التي عليها قومه — دون ما تحرك — والتي  
سامها الأعداء الدخلاء لأهل البلاد ، فقد أماتوا سنن المدل وملأوا البلاد جوراً ،  
واضرموا في قراها بسوء سياستهم ناراً تأكل الرعيّة . وتستاصلهم حتى لا يرى فيهم غير  
خيالات .....

يقول في قصيدته "ثمنى وأنتم تلمبون"

لا أرى غير خيالات تسير \* مهطعات عن يسارى واليمينين  
فوق أرض من دماء وسير \* في فضاء من هموم وشجون  
عجباً .. أين ابتسامات الثغور \* ما لقوس كلهم باك حزين

\*\*\*\*\*

كُلُّ مَا اسْمَعُ نَوْحٌ وَكَيْفَ

كُلُّ مَا أَبْصَرُ صِرْعَى وَرِقَامٌ

زُلْزَلَتْ زَلْزَالَهَا هَذَا السَّمَاءِ

أَمْ تَرَى فَضْتَ عَنِ الْمَوْتَى الرَّجَامِ

وَقَعَ الْأَمْرَ الَّذِي لَا يُدْفَنُ ۞ وَجَنَى الْجَانِي عَلَى تِلْكَ الرَّيْوَعِ

وَاحْتَوَاهَا نَهْمٌ لَا يَشْبَعُ ۞ فَاحْتَوَى سَكَّانَهَا خَوْفٌ وَجُوعِ

فَهِيَ إِمَّا دِمْنَةٌ أَوْ بَلْقَعُ ۞ وَهَمَّ إِمَّا قَتِيلٌ أَوْ صَرِيحُ

وَكَمْ أَنْ لَتَذَكَّرَهُ عَهْدَ الصَّبَا ، عَهْدَ الْأَلَامِ الْخَفِيَّةِ الْخُرْسَاءِ ، تَقَطَّنَ قَلْبُهُ فَتَتَكَاشَرَ

كَالْمَوَاصِفِ فِي جَوَانِبِهِ ، فَيَعْنُ لِهَذَا التَّشْرِيدِ وَالْمَيُوسِ ، وَالضَّيْمِ وَالْقَهْرِ ، مَتَّخِذًا مِنْ ذَلِكَ

الْأَيْنِ دَعْوَةَ لَهُوَ لَهْلَاءِ الْجِنَاءِ كَيْ يَهْبِئُوا مِنْ سِبَاتِهِمْ يَقُولُ " إِيْلِيَا " فِي قَصِيدَةِ " أَنْتِ " ١

مُقَلَّةَ الشَّرْقِ ! كَمْ عَزِيزٌ عَلَيْنَا ۞ وَأَنْ تَكُونِي رَمِيَّةَ الْأَقْبَادِ

شَرِدَتْ أَهْلَكَ النَّوَابِ فِي الْأَرِ ۞ ضِ وَكَانُوا كَأَنْجَمِ الْجِوَارِ

وَإِذَا الْمَرْءُ ضَاقَ بِالْمَيْسِ نَزَعًا ۞ رَكِبَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ الْبَقَا

لَا يِيَالِي مُخْرَبٌ فِي ذَوْبِهِ ۞ أَنْ يِرَاهُ ذَوْرَهُ فِي الْفُرْسَاءِ



أَرْضِ آبَائِنَا عَلَيْكَ سَلَامٌ ۞ وَسَقَى اللَّهُ أَنْفُسَ الْأَبَاءِ

مَا هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعًا ۞ لَا تَنْظِي الْمَقْرُوقِ فِي الْأَبْنَاءِ

يَسَامُ الْخَلْدَ وَالْحَيَاةَ نَمِيمِ ۞ أَنْتَرْضِي الْخَلْوَةَ فِي الْبِاسَاءِ ؟

.....

نَحْنُ فِي الْأَرْضِ تَائِهُونَ كَأَنْبَا ۞ قَوْمِ مُوسَى فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْسَاءِ

تَتْرَامِي بِنَا الرَّاكِبِ فِي الْبَيْدِ ۞ سَدَاءِ طَوْرًا ، وَتَارَةً فِي الْمَاءِ

ضَمْفَاءٌ مَحْقُورُونَ كَأَنْبَا ۞ مِنْ ظِلَامِ وَالنَّاسِ مِنَ الْأَلَا .....

.....

=====



(١١٤)

ما كفتنا مظلماً التُّرك حتى \* زحفوا كالجراد أو كالسواء  
طردوا من ربوعهم فأرادوا .. \* طردنا من ربوعنا الحسناً  
ما لنا ، والخطوب تأخذ منا \* نطلبهم كأننا في رخاء  
ضم أحرارنا وبيع حماننا \* وسكتنا ، والضمم للجبناء

\* وقد أقسم الحناء ألا يترك له ظلاً ، وأبى الخطوب إلا الإحاطة به ، ومن كسرة  
ما عانى من هوان وشقاء ، كاد يسلم موطنه إلا قليلاً - على حد تعبيره - يقول

"إيلياً" في قصيده ببلادي (١)

إذا ذكروا الشامُ بكيت وجداً \* وما تنفك تذكر الشاماً  
وكت سلوته إلا قليلاً \* وكت هجرته إلا لأمماً  
.....  
أرقد والخطوب تطوف حولي \* وأقمدم بعدما الثقلان قاما

=====

(١) السابق (٦٨٣)

— إن المسجون المظلوم الذى يستطيع أن يهدم جدران سجنه ولا يقبل بكون جباناً ، وقد كان " إيليا أبو ماضي " سجيناً مظلوماً استطاع أن يهدم جدران سجنه السنى بنتها ظلمات المجتمع البشرى بصخور الطفهان ، والأمواج التى تقذف بالأحمرار الآمنين ، إلى حياة مثقلة بالقيود والسلاسل ، أخرست فيها الأوجاع ، وختم اليأس على الشفاه ،

— كل ذلك وتلك كان سببها فى رحيله عن لبنان إلى مصر . ويبدو أن مصر كانت هدفاً لهجرته من أجل الأمر ، وليست وسيلة للهجرة إلى أمريكا كما قال بعض الباحثين إذ يستبعد ذلك بعد أن عرفنا أنه مكث فى مصر من عام ١٩٠١ حتى نهاية عام ١٩١١ ، ولو صح القول على اتخاذها وسيلة للهجرة إلى أمريكا ما طال المقام .

— ولو تساؤلنا مع القائلين أن هجرته إلى الاسكندرية وسيلة لاغاية — لما فى الهجرة من لبنان إلى الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة من صموية — لما نأ عاد إلى لبنان — مكث فيها بضعة أشهر قبل سفره إلى أمريكا ؟ كما ذكر الأستاذ " محمد قوه على " ( ١ ) وهو الذى قابله عند زيارته للبنان عام ١٩٤٨ .....

ولو ضربنا صفحا عن هذا الرأى ؟ ورجعنا إلى الأستاذ " محمد خفاجى " فى كتابته قصة الأدب المهجرى ( ٢ ) لوجدناه يضيف إلى عوامل الهجرة ... فى معرض الحديث عنها — عاملاً رابعاً " هو سهولة الهجرة إلى هذه البلاد النائية ، فلم يكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها ، وليس هناك فى قوانينها ما يقيد حرية المهاجر فى اختيار العمل الذى يريده " .

ويقول السابق نقلاً عن " توفيق ضمون " من كتابه ذكرى الهجرة :  
" إن الهجرة فى زمن المثانيين كانت محظورة رسمياً ، وبإحاطة عملياً ، بواسطة المهريين " فونظرنا إلى هذين القولين لوجدنا أنه من الممكن الهجرة مباشرة إلى

=====  
( ١ ) من كتابه " شعر من المهجر ص ٩١ منشورات حمد سنة ١٩٥٤ دار الانصاف بيروت "

أمريكا لو توفرت النية عند الشاعر ، وإذا نظرنا في أحوال المهاجرين لوجدنا الكثير من خاضوا التجربة المباشرة ، كالشاعر " الياس فرحات " ، والقروى وغيرهم — كما يستبعد ذلك أيضا إذا عرفنا \* ما كانت تبثه شركات الملاحة المختلفة من الدعاية للغرب في الموانئ اللبنانية التي وجدت فيها ، كما كانت هذه الشركات والبواخر تسهل أمور السفر لمن أراد ، وتساهم بالتكاليف بمنح القروض النقدية — للمهاجرين \* (1)

— كما لا يفوتنا — في هذا المجال — أن نذكر سهولة السفر إلى مصر إذا ما قورن بالسفر الشاسع إلى أمريكا ، وما فيمن مشقات تحتاج إلى الخبرة والتجربة والجيّدة وخاصة لمن يقصدها في المرة الأولى ، وما له لا يقصد مصر وقد سبق أن هاجر عنه واخوه إليها ، من قبل ، وفي الذهاب إليها واللقاء بهم ارتياح والطمأنان ، وربما فُكر أن ذلك يبسر له مجال العمل والحياة ، بالإضافة إلى سهولة التفاهم والتحدث ، فاللغة العربية الرباط الواضح والسريع بين بني العروبة . بيد أن أمريكا وقتئذ تتطلب منه معرفة لغة انجليزية أو غيرها مما لا يتوفر في جمهرة الشاعر آنذاك ، حيث لم يجمع غير القراءة والكتابة باللغة العربية .

=====

ولم لا تكون مصر هدفا له من أول الأمر ، إذا عرفنا أن هجرة الشومل إليها قديمة جدا ، ويتضح الأمر إذا عرفنا أن الأب بولس قرأ في الجزء الأول من كتابه — " السوريون في مصر " قد عرض قوائم بأسماء أفراد من السوريون الذين عاشوا بالاسكندرية منذ زمن بعيد ومن هذه الأسماء ، مريم قره ١٧٤٩ ، إلياس صابات ١٩٥٣ ويوسف وتقلا بيطار ١٧٧٢ (١) بينما أول مهاجر من الشام إلى أمريكا هو ~~هنا~~ جبر في عام ١٧٥٤ .

ولم لا تكون مصر مقصده إذا ما عرفنا رغبته في التكوين الأدبي وطموحه ورغبته في الإزدياد من علوم اللغة العربية وآدابها ، والإطلاع على مآثر الشعراء والكتاب ، ومجال ذلك في مصر واضح وكثير ، وخاصة لأمثال الشاعر من هم في دور التكوين . يقول الأستاذ " نجدت صفوت " (٢) أن "إيليا أبو ماضي " رحل إلى مصر ليتماطى التجارة ، وقد اتخذ لنفسه محلا لبيع السجاير والدخان ، وأخذ يستغل أوقات فراغه في المطالعة والدروس ، ونظم الشعر الذي أظهر فيه قابلية تنبئ بمستقبله " . . . . . — وفي يوم تاهت حدوده ، وانضاعت معالمه ، فلم يعد باستطاعة أحد أن يعيزه بين أيام عامي ١٩٠٠ — ١٩٠١ ، في ذلك اليوم المجهول هبط من إحدى البواخر القادمة من لبنان إلى الاسكندرية — فتى غض الإهاب ، ينظم الشعر ، ويحلم بالمستقبل البهيج ، يحفظ بين جنبه أحلاما ملأت عليه حياته ، استقبلت المدينة الفتى الشاعر ، كما كانت تستقبل — في ذلك العهد — آفا غيره من طلاب القوت الشرفاء ، وفي الإسكندرية عمل "إيليا أبو ماضي " بائعا للسجاير وطاش في رزق غير موفور كما يحلم مشرب توك بلادة الأولى . حتى يحقق ذلك ضمن أهدافه ، كما كان يدرس ليلا النحو والصرف والمروء ، كما يقرأ لأشعار معاصريه . . . . . وقد أورد الأستاذ / محمد قره على . رد "أبي ماضي" على سؤال له عن حياته في تلك

=====

(١) نقلا عن "إيليا أبو ماضي " حياته وشعره بالاسكندرية عبد العلم القبانى ٦٢

(٢) "إيليا أبو ماضي " والحركة الأدبية في المهجر ١٩٤٥ بغداد د

المرحلة فأجابه " أبو ماضي " بهذه الكلمات " وفي الإسكندرية تعاطيت بيع السجاير في  
النهار في متجر عمى ، وفي الليل كت أدرس النحو والصرف ، تارة على نفس وتارة  
في بعض الكتاتيب ، وقد أقيمت في الأراضي المصرية أحد عشر عاماً ، نظمت خلالها  
ديواناً من الشعر . أما قصائدي الوطنية فلم أودعها ذلك الديوان ، لأن سياسة ذلك  
الزمن كانت تعاقب بالسجن ، من شهر إلى ستة أشهر ، كل من قال بيتاً من الشعر  
يشتم فيه رائحة النقص ( ١ )

ويذكر الأستاذ القبانى . في كتابه عن حياة الشاعر في الإسكندرية وأعماله . معتمداً على  
محادثات شخصية مع مؤرخين وأدباء عاشوا في المدينة وطُصروا فيها الشاعر ، فيقول ،  
إنه بدأ يحمل بائناً للدخان في دكان أمام " بورصة مينيا البصل " وكان هذا الدكان  
مملوكاً " لأبي الياس " وظهر أن هناك صلة رحمة بين أبي الياس والشاعر . ثم عمل  
بدكان آخر " يحيى . القباوى " ثم انتقل منه إلى دكان آخر يحيى " العطارين " كان  
قد ملكه هو واخوه ثم عمل مستقلاً بدكانه يحيى " باب عمر باشا " وهو الذى شهد مفادرة  
الشاعر للإسكندرية في نهاية عام ١٩١١م وفي المدينة . وخلال هذه الفترة كان قد تصرف  
على كثير من أبناء المدينة ، وتعرفوا عليه ، منهم السيد / عبد المتعال حلمى . صاحب  
مكتبة الاستشارة - آنذاك - بالإسكندرية والذى يتحدث عن نفسه قائلاً : " إنه كان صديقاً  
يتحشق الأدب ، ويتقرب إلى أهله عندما تعرف على " إيليا أبو ماضي " بينما كان إيليا " .  
فتى يكبره ببضعة أعوام ( ٢ ) - والمؤرخ السكندرى الأديب الأستاذ / يوسف فهمى  
الجزائرى " والذى يقول عن الشاعر : " أنه كان يشاهده يوماً خلال سنتى ١٩٠٨ ،  
١٩٠٩ م ، وهو يعمل مع أخيه في دكان لبيع الدخان يحيى العطارين "

=====

( ١ ) أدب المهجر ٣٨٢ ط ٢ عيسى الناعورى ، إيليا أبو ماضي حياته وشعره في الإسكندرية ١٥  
" عبد الحليم القبانى .

( ٢ ) حياة الشاعر في الإسكندرية ٢٢٠ وما بعدها للأستاذ عبد الحليم القبانى .

ومن حديث آخر نقله الأستاذ " القباني " عن الأديب السكندري المرحوم " صديق شيبوب " قد أخبره بأن أخاه المرحوم الشاعر " خليل شيبوب " ١٨٩٢ - ١٩٥١ ، أدرك الشاعر " إيليا أبو ماضي " بالاسكندرية ، والتقى به قبل أن يهاجر إلى أمريكا . وهو

يعمل تاجر صغيرا للدخان يد كان يحيى - باب عمر باشا .

- ظل " أبو ماضي " ملازما لهذه المهنة البسيطة والتي لم يجن منها سوى ما تحتاجه الحياة الضرورية ، وربما لم يكن يدور بخلده أن القدر قد أخفى وراء أحلام الشاعر المرارة والأشواك ، فلم يحقق ما رعى إليه من المرحلة ، بعد أن وقفت له عواصف الدهر وأنوائه بالمرصاد ،

- وفي هذه الفترة المملوءة بالسحب المخيمة فوق رؤس الشعب وخاصة الوطنيين منه - والتي سيطر فيها الخديوي عباس ، بالإضافة إلى ما كان يدور من تضارب بينه وبين ممثل السلطة البريطانية في مصر " كرومر " وتقع آثار ذلك على أعناق الشعب ، كما لا يخفى ما كان يظهر وقتئذ من موجات الوطنية التي لا تلبث أن تتحطم على صخور الظلم والظلميان ولكن سرعان ما بعثت هذه الصيحات من جديد ، وقويت الموجات حتى ظهر دوسها ، - وتحقق أثرها ، وأتت بفضل الزعماء الوطنيين أمثال الزعيم " مصطفى كامل " والذي يشرف التاريخ العرس بما قدمه لما للزعيم من أعمال مشرفة ، وقد تولى الحركات النضالية بعده أبطال غرسوا بذور الحرية وشقوها بدمائهم حتى تم النصر ..... - وأزلا صيحات الأحرار ومسالح الشعب ، ترى من الشعراء من هو فاقع النفاق والملق تجاه الحكومة والراسمالية .

ويأتي أبو ماضي إلا أن يكون واحداً من هؤلاء الوطنيين يشاركهم في أحزانهم ومسراتهم بشعوره الطيب متعنياً لهم كل حياة مملوءة بدفء الوطنية وثمار الاستقلال ( ١ ) ويظل يذكرهم بالخير دائماً كما اتخذ موقفاً معادياً من بنى قومه الذين مالوا إلى التفرنج والجمود

=====

(١٢٠)

والتراخي ، بل جمعوا من الصفات أسوأها ، وهذا ما مكّن  
الاستعمار في بلادهم ، وهذه الصورة التي وجدها بعض أبناء قومه من  
الشوام في الاسكندرية ، كان قد عهدا في كبر من ساكني لبنان ، آنذاك  
ما زاد في سخطه عليهم . (١)

\*\*\*\*\*

(١) انظر قصيدة " الى الشباب المتفرنجين و ضيف ثقيل " ديوان تذكار  
الماضي .

— وجد يربنا ونحن في مجال الحديث عن حياة الشاعر في الإسكندرية . أن نقف متأملين العوامل التي ألقت به بعيدا عن محيط الثراء ودعة المييش ووضعت على شاطئ الفقر ، هذا الذي قرّمه ، وكان أحد العوامل التي جعلته يودع لبنان أسفا على فراقها .

(١) — لقد كثر تدفق الشوام إلى مصر من قديم ، وكان لبعضهم شأن في الإدارات آنذاك كما كان لبعضهم مكانة مرموقة في عالم التجارة والثراء ، بل لقد كان نفوذهم بالغا ، وذا أثر عميق بالنسبة إلى زعيمهم ، وخاصة في الإدارات التي يشغلون فيها مناصب بارزة . وإذا كان الأمر كذلك فلم لا يهنا " اينيا أبوماضي " بحياة مخفونة بالثراء والدعة نفسى الاسكندرية ؟

لقد كان مسورا وفي استطاعة الشاعر لو أنه روض قلمه على الملق ، وتخلّى قليلا عن كرامته ، وتقرب إلى ذوى الحلّ والربط من بنى جنسه الذين سيقوه مهاجرين إلى مصر وأصبح لهم الشأن السابق ، كان في استطاعته ذلك لو تقاضى عما يراه من سلوك معوج . . . . ولكنه اختار لنفسه طريقا رسميا ، أول ما اكتحل عيناه بنور المدينة ، لقد اختار الدفاع عن الحق والوطن ، مؤمنا بالشعب ودوره ، غير أنه بتلك الأفراد الذي يركع أمامهم صاغرا من أراد الخنى ، ولكنه لا يرى فرقا بين الحياة والكرامة ، بل وظل لاحيا كل ذى طبع سيئ — وخلق ردى ، ولو رغب في غير الكرامة لخفض جناحه للجاهلين وهذا ما يتنا في مع المبدأ الذي اعتنقه في حياته ، ثم رأ له ذلك في قصيدة " عباد الذهب " (٢) يقول فيها

ما ساء نفسى فى الدنيا سوى ذنبر \* لا خير فيهم ولكن شرعهم عسى  
ماتت ضمائرهم ، فيهم أنانية \* فليس تنشر حتى تنشر الرسمى  
ساءت خلاقهم أو لا خلاق لهم \* إلا الشراحة والإيثار والنهم  
إن رأوا صورة الدينار بارزة \* خرّوا سجودا إلى الأرقان كلهم

(١) الدليل المصرى للقطر المصرى . صالح جودت ١٩٠١ مطبعة الترقى مصر .

(٢) تذكّار الماضى ١٦



ويقول (١):

جنى على طلاب العلم في فئة ■ لا تعرف المرء إلا بالفتى رجلا  
 وكان للحر أن يثرى ثراء هـ ■ لو كان يرضى بمن عرضه بسدلا  
 أهوى الحياة فإن ضنت على ضعة ■ صدفت عنها كأنى أشق الأجيلا  
 ليست الحياة الفتى إلا كرامته ■ ساء الذليل مقاما أينما نزلوا

— ثم تأتي نظرة الشاعر إلى رجال الدين ، وموقفهم منهم ، هؤلاء الفئة من قومه التي قال فيها " جبران خليل جبران " " إن رؤساء الدين في الشرق لا يكتفون بما يحصلون عليه نفوسهم من المجد والسوداد ، بل يفعلون كل ما في وسعهم ليحصلوا ، أنسابهم في مقدمة الشعب ، ومن المستبدين به ، والمستدرين قواه وأمواله ، أن مجد الأمير ينتقل بالأرث إلى ابنه البكر بعد موته ، أما مجد الرئيس الديني فينتقل بالمدوى إلى الإخوة و أبنائهم الإخوة في حياته ، وهكذا يتمرر الظالمون كأنواعي البحر للتي تقبض على القريسة بمقابض كثيرة وتمتص دماها بأنفاه عديدة " (٢)

لواحب الشاعر الفتى على حساب شئ آخر ، لا صطنع الزلقى لديهم ، ولكنه خالف ما كان عليه الكيو — آنذاك — من الشعراء ، فأظهر نفوره الصريح من تلك الطائفة دون أن يستطيع كتمان تلح ذلك بوضوح من خلال قصيدة له بعنوان " ضيف ثقيل " (٣) —  
 يقول :-

جلست إلى طرسى وقد عسمر الدجسى ■ أسطر ما توحيه نفسى فى طرسى  
 وليس سوى نهر ضئيل بجانبى ■ يلوح ويخفى كالرجاء لدى اليأس  
 وكالتقع فى جوف الدواة أو الدجسى ■ وكالهندوانى بين أغلى الخمس  
 فصاحة قسرا أو دعت فى لسانه ..... ■ وحكمة لقمان وحب فى الخرس  
 ضعيف الخطى يادى التحول كأنما ■ يشد إلى قد يشد إلى حبس  
 أقلبه فوق الطروس وإنما ■ أقلب فوق الطروس سعدى أو نحى

(١) السابق (٧) (٢) الأجنحة المنكوتة ٤٣ بتصرف

(٣) السابق (٢٤)

(١٢٣)

فنبهني طرف على باب غرفتي ..... \* وصوت ضعيف وهو أقرب للمهمس  
نهضت ولكن مثلما ينهض الخ الذي \* به نشوة ، أو من يفيق من المسمى  
ولما فتحت الباب أبصرت وأهيبا \* ولو كنت طفلا قلت غول من الإنس  
فأزعجني موآه حتى كأنمنا \* رسول الردي قد جاء ينص لي نفس  
فقلت وقاني الله شرك ما الذي \* أتى بك يا مشعوم في ساعة الأنس  
أجاب . كهيت السوء جئتك طالبًا \* مديحك لي بين الأعراب والفرس  
فقلت وحق الشعر مدحك واجب \* ومثلي بقضية على العين والسر  
خبرت بنى الدنيا ونشتت فيهم \* فلم تر عيني قط أثقل من قس  
يضاف إلى ذلك مؤهله التعليمي المحدود لم يتح له الالتحاق بعمل يدبر عليه  
دخلا موفرا .

كما لا تنسى مواقفها المبروفة ضد أعداء الوطن ، فلقد طالعتنا من خلال مواقفها المشرفة -  
وطنيته الحقّة ، والتي تتجلى في اشعاره تجاه المحتلين وأعدائهم ، هؤلاء الذين  
كثيراً ما عانى منهم الشاعر وآله ونى جلده في لبنان ، لقد رصد " إيليا أبو ماضي "  
نواياهم السيئة ، وأهدافهم القاتلة ، ومن خلال هذا المبدأ رفض كل اتجاه نفسي  
يقول :- (١)

يود الظالمون بأرض مصر \* \* \* لو أنهم بها أبداً أقاموا  
فلا عجب إذا خفروا زماما \* \* \* شديد البطش ليس له زمام  
نُسلم على الكلام وقد أصبنا \* \* \* وقد ضلوا الصواب فلم يلاموا  
.....  
إلى م تمنع الدستور مصر \* \* \* وقد كادت تفوز به (سيام)

ويقول في قصيدة له بعنوان (عام ١٩١٠) (٢)

إن لم أزد عن أرض مصر موقفا \* \* \* أودى بأمالى الزمان موقفا  
ما بالها تشكروا ليهما \* \* \* وهي التي كانت عزيز الموقفا

=====

قد أخلفتك السياسة عهدها  
 كذبوا على مصر وصدق قولهم  
 وأبو علينا أننا لاننتهم  
 سلكوا بنا في <sup>كل</sup> واد ضيق  
 منموا الصحافة أن تبت شكاتنا  
 لو أنصفوا رفعوا القيود فانمنا  
 وسموا إلى سلب القناة فاختفوا  
 عرض الحساب المستشار ولم يكن  
 أيكون غاصبنا ويزعم أنم  
 أبني الكتابة استم أبناءها  
 إن تحفظوا وتحفظوا في نسلكم  
 \*\*\* إن السياسة لاتراعى موثقا  
 \*\*\* والشر أن يجده الكذوب صدقا  
 \*\*\* من مازق حتى نصادف مازقا  
 \*\*\* حتى قنطنا أن يصيبوا ضيقا  
 \*\*\* منموا الكواكب أن تبين وتشرقا  
 \*\*\* يشكو الأسير الأسرا ما أرهاقا  
 \*\*\* سعيًا وشاء الله أن لا نخفقا  
 \*\*\* لولا السياسة حاسبا ومدققا  
 \*\*\* أمس علينا محسنا متصدقنا  
 \*\*\* حتى تقوا مصر البلاء المطبقا  
 \*\*\* ذكرا يخلد في الليالي رونقا

ويتكرر موقفة في الأحداث السياسية ، حيث يقف - بصفة دائمة - مع أولاد البلد

خاصة بعد أن عاش فيها عدة سنوات ،

فعندما أعلن الدستور العثماني ، وتنفس العرب في مصر الصعداء ، وإيماننا منهم يقرب  
 انقشاع ما يخيم عليهم من ضباب ، وقرب استماعهم بدستورهم بالتبعية ، ورحب أغلب  
 الشعراء المصريين بذلك ، وبعض شعراء الشام ، ومنهم " إيليا أبو ماضي " الذي  
 نظم عدة قصائد منها تلك القصيدة التي يقول في مطلعها مخاطبا السلطان " عبد الحميد "  
 طاهر تركيا الذي عزله الجيش وأعلن الدستور .....

إلى حيث أقت يا زمان المظالم  
 ذهبت فلا باك وأنسى بكى الممى  
 وما عجب أن ليس في القوم نادى  
 نزلت على المشرقى فانحط شأنه  
 .....  
 صحبناك لا خوفنا ثلاثين حجة  
 وما ذاك عن حبنا فما فيك شيمه  
 \*\*\* ولا عدت يا عهد الشقا المتقادم  
 \*\*\* كيف رأى الأضواء ملء الموالم  
 \*\*\* ولكن عجب أن أرى غير باسم  
 \*\*\* وقد كان غنى الفخر غنى المكارم  
 \*\*\* ولكنها الدنيا وضعف الخرائم  
 \*\*\* تحب • ولسنا من غواة المآتم

ثم يوجب بالدستور مشيراً إلى فرحة الشعب به .  
(١٢٥)

ويا أيها الدستور أهلاً ومرحباً \* (على الطائر اليمون يا خير قادم)  
طلعت علينا كوكبا غير أنفل \* على حين أن الشرق مقلنة هائم  
فقرت عيون قبل كانت حيوياً \* وجاءت سروراً بالدموع السواجم  
ثم يشير إلى ما كان يخيم على القلوب من شكوك ضربت أطنابها حول تحقيقه ، وما كان  
يشيخه أعداء الحرية من استحالة تحقيق ذلك ، وماذا كان يحدث لهم يتم ذلك . . .  
توهم قوم إنما الشرق وأهـم \* وانك يا دستور أضفنا حالهم  
ورجم قوم إنما تلك خدعة \* فعدنا يرب الناس من كل راجم  
تجلبت فاسودت وجوه وأسفوت \* وجوه وامسى غانها كل غارم  
وما عدت حتى كاد يشتجر القنـا \* لأجلك والخطى اعدل حاكم  
واشك أن يهتر في كل ساعـد \* لكل أبي كل سيف وصارم (١)  
وذكر الأستاذ "عبد الحلیم القباني" (٦) موقفاً آخر للشاعر حول سجن الشيخ عبد  
العزيز جاورش ، فلقد كان للمقال الذي نشره هذا الأخير بمناسبة ذكرى دنشواي في  
اليوم الثامن والعشرين من مايو ١٩٠٩ أثره الكبير ، حيث كان مشيراً وضيافاً كما كان صورة  
صادقة من إحساس المصريين تجاه هذا الجرح الدامس ،  
اعتبرت السلطات ذلك المقال ما ساء بكرامة "بطرس غالي" ، وفتح زلزل ، أحد  
المحامين في القضية ، ومثل النيابة ، ومن هنا رُفعت ضده قضية قذف ، حكم فيها عليه  
بالسجن ، وأيد الاستئناف هذا الحكم ، واستقبلت الجماهير سجن الشيخ بسخط  
هائل ، ونشر في جريدة اللواء يوم ٣٠ من أغسطس ١٩٠٩ نبأ قيام مظاهرة كبرى ضد  
هذا الحكم ، وتعلن تعلقها بالشيخ عبد العزيز جاورش ، وعلى الرغم من وقوف كثير من  
الشوام وبعض الطوائف المصرية ضد سياسة الشيخ ، إلا أن "إيليا أبو ماضي" اختار

=====

(١) تذكارة الماضي (٦٦)

(٢) نقلاً من كتاب "إيليا أبو ماضي" حياته وشعره في الاسكندرية بتصرف ٩٧

الصف الجماهيري ، فوقف بجانبه ونشر بجريدة اللواء في عدد ٤ من سبتمبر ١٩٠٩ —

قصيدة تحت عنوان " الى بطل القومية " تحمل كل تقدير واجلال للمحجبن يقول فيها :

لئن حجبوك عن مقل البرايا     \*     فما حجبوا هواك عن الصدر  
وان تلك قد حبست وانت حر     \*     فكم في الحبس من أسد هصر  
كبير القوم أكبرهم خطوبيا     \*     لذاك رميت بالخطب الكبير  
لقد أعليت قدر السجن حتى     \*     أحب السجن سكان القصر  
ولا عجب إذا أسكت فيهم     \*     فكم في الليل من قمر نهر  
تعددت الطيور فلا حبيس     \*     سوى الفرد الجميل من الطير  
يقوم الشامتون السجن يرزى     \*     لئن صدقوا فبالجاني الكفر  
وما في صجة الأشرار عيب     \*     على الدلقى إلى ترك الشرور  
فصبوا يا نزيل السجن صبوا     \*     فما عرف الهناء سوى الصبر  
وحسبك عطف هذا الشعب فخرا     \*     وحسب عداك توبخ الضمير

وما خفى بالنسبة لما ذكره — كان أعظم اقرا له مقدمة ديوان تذكرا الماضي والتي جاء فيها " أمّا قصائد الوطنية فلم أودعها ذلك الديوان لأن حكومة ذلك الوقت — كانت تعاقب بالسجن من شهر إلى ستة شهور كل من قال قصيدة يشتم فيها رائحة السياسة كيترك الشاعر المدينة مولىاً وجهه شطراً أمريكا ، عالم يحقق الرخاء والثراء — إلى حيث يتنفس الإنسان عبق الحرية ، ويترجم عن فكره من غير خوف ، .....

— ولقد اختلف المؤرخون حول أسباب هجرته من الاسكندرية بعد هذه الصحيفة التي دامت طويلاً .....

فالأستاذ " نجدت صفوت " يرجح أنها ترجع إلى واحد من ثلاثة أولها : مهاجمة — ديوانه " تذكرا الماضي " في مصر ، مما أزعجه وأقلق باله وأظلم الدنيا في وجهه ، ، ، ، وثانيها : فشله في تجارته بمصر ، وأما السبب الثالث : فهو أنه منذ البداية كانت أمريكا مقصداً ، واتخاذ مصر إنما هي خطوة تمهيدية في سبيل ذلك ، ورجحت الدكتور

" نادرة جميل سراج " فى كتاب " الرابطة القلمية " السبب الأول بالاضافة إلى ما كان  
يسمى من أخبار سارة عن الذين سبقوه إلى المهجر الأمريكى .  
وقد سبق مناقشة السبب الثالث عند الأستاذ " نجدت صفوت " فى الصفحات السابقة  
من هذا البحث .

— وأما السبب الثانى فلا يحتاج إلى شىء سوى توضيح الحقيقة إن تجارة الشاعر  
كما ذكرنا لم تكن مريحه بالشكل الذى يروجوه مهاجر ، وهذا ما أكشفته مجربات —  
الأحداث من أول الطريق . . . وأما عملة الصحافة والأدب فلم يكن فيهما بالعضو  
اللصيح ، ولذا أرجح أن تكون ضئيل الدخل من الصحافة أيضا . . . . .

ولو كان موفر الدخل منها لما أراقبنا وجهه فى تلك الحوانيت التى لم يحمل فيهما  
سوى العاجزين عن الخوض فى الطرق الكفيلة بسد مطالب الحياة بشكل يرضى ذوى الفهم  
— وأما السبب الأول : — وهو مهاجمة الديوان " فموف نعود إليه بعد أن نذكر الأسباب  
مرتبة حسب ترسيبها فى نفس الشاعر ، . . . . . ومن خلال حياة الشاعر فى الاسكندرية  
عرفنا أن الجو لم يكن صافيا ، لقد كان ملوئا بالزواج الهدامة ، والنيوم الكيفية ،  
فالعلاقات الاجتماعية تقوم على الملق الصارخ والنفاق الصريح ، وهما خير بضاعة لمن يرغب  
فى الثراء ، إن لحظة واحدة يقدم فيها المرء موقفا مشوبا بالنفاق لجدير — وكفى  
بأن يرفعه إلى مرتبة لم يكن يحلم بها ، أو يلحقة بحمل يجنى منه أضعافا مضاعفة لو  
قهرن بدخله السابق .

— يضاف إلى ذلك المواقف السيئة لرجال الدين من بنى قومه ، من جشع فى أموال —  
الآخرين لقد ابتدع بعضهم — على عادة أمثاله فى لبنان — نظام الجزية العتي تولى  
ظلما وعدوانا من هؤلاء المهاجرين الشوام الذين كثر وجودهم فى المدينة ، أو على  
الأقل المواقف السلبية الصادرة من رجال الدين تجاه بنى قومهم ، وكان فى وسع  
هؤلاء لو حسنت سيرتهم ، وصدقت عزيمتهم فى الترحيب ببنى قومهم من المهاجرين  
وتقديم كل عون لهم ، من أمثال الشاعر الذين حضروا إلى المدينة فارغى الوطاب ، ولكن

ما رآه الشاعر في تلك الطائفة التي هي أكثر اختلاطاً بأمثاله يختلف تماماً ، فقد  
جمعت معاملتهم كل جفاف وغلظة وشدة .....  
ولا يخوب على الذهن أن مثل هذه المساوي كانت بعض العوامل التي كفت تحت  
هجرة كثير من الشوام عن لبنان ، .....  
وبما لا جدال فيه أن الاعشاب السامة وسط الحدائق الفيحاء ، لجديرة بالحاق المرض  
والضرر والفناء ببقية الأشجار ، فتبقى عديمة الفائدة كثيرها ،  
هذا ما ترك ، لديه الأمر السيء ، يوسب في نفس الشاعر لينضم إلى رواسب أخرى  
سبق أن ترسبت وحفرت لها مكانا في قلب الشاعر ، ثم استقرت فيه ، كما عكست تلك  
المعاملة صورا سيئة فما نفس غبارها بتركه لبنان ، وذلك سبب إثارة أحزان كامنسة  
أقلقت عليه حياته ، وربما عكست على غرور يذوق التشاؤم في نفسه .  
— كما لانسى الرغبة الملحة لدى كل إنسان في الحياة الرغبة التي ينضم فيها  
بالمطالب التي صنعتها يد العظمة الرومانية ، أن المهاجر حينما يتوفر له ذلك  
ربما ينسبه كثيرا مما تحمل من عذاب في سهيل ذلك .  
— وحينما يستمع من أخبار المهاجرين إلى أمريكا ما يسرُّ القلب ، ويبعث الأمل —  
البهجة وذلك بعد أن استطاعوا شق طريقهم على صفحات الصحف المهاجرة وعلى  
رأسهم " جبران خليل جبران " <sup>فذلك</sup> جدير بأن يبعث الأمل وأن يولد الاشتياق في  
نفسه ، مما أدى إلى نمو الحاجز — قليلا — بينه وبين استمرار الإقامة في مصر  
إن ما تصنعه الظروف القاسية التي ذكرناها في توهية أوامر العلاقة بين الشاعر  
والاستمرار في تلك المدينة لتساوي تماما عوامل الإغراء التي تجذبه نحو المهاجر  
الأمريكي عند سماع أخبارا سارة عن سببه مهاجرا إليها .  
لقد اتخذ الدهر من القدر حليفا ضد الشاعر ، فرصده الدهر سفرا له عما خيأ  
القدر بين صفحات من البلايا ذات الألوان ، أحداث تتوالى عليه مصمة ألا تتركه  
إلا مصدع النفس ، تلك أيام أظهرت للشاعر تلك المسرحية المأساوية ، وتلك ما  
أنسى الشاعر كل سعادة آست منه جزأحا سابقة ، لقد كانت هذه الأحداث كافيحة

لرسم جسم القرار البغيض ، لاتنقصة غير خيوط قلائل أثرت الأقدار من بعد أن -  
تختار نسجها من ألياف الموت ، ثم تمتد يدها إلى شخص الشاعر لتتخذ منها مادة  
لتلوين الجسم وإظهار لمساته النهائية ،

- على رأس تلك الأحداث موت أخيه عام ١٩٠٩ . والذي رثاه بقصيدة " البدر الآفل "  
إن هذا الحدث كان بمثابة سهم أحكم القدر تصويبه إلى قلب الشاعر ، لقد ترك  
هذا الأمر قلب الشاعر كهفا مهجوراً تسكنه اليوم ، وتتمب فيه الخربان ، وتجد  
عناكب الحسرة لتعالمه بنسجها ، لقد زابت نفسه حسرات يوم أن فارق أخوه الحياة على  
مرأى ومقرب منه ، بعيداً عن أم تاكل وأب حزين ، وأخوة صفار كان لهم رجاء ، ودع  
الحياة بدمراً وغيماً .

أورثة ذلك حسرة يعنى كل شئ دونها ، فارق الأنس والبهجة اللذين يراهما من  
خلال الأسرة والاختوة والحب والحنان مُملاً في شخص أخيه . . . . . يقول :-

أقبلت والدنيا إلى بغيضة . . . هلا سبقت إلى أسباب الشقا

هذا ما جعله يعيش ما بقي قليل الجناح ، حسيو البصر ، لا يرضى له الطريق غير  
شعاع أخير نسج الشاعر حوله خيوط الأمل في البقاء هناك . غير أن الأيام كانت  
له بالمرصاد لتقتضى على آخر أمل عنده .

- لقد كانت أمانى الشاعر التي نسجها حول ديوانه " تذكارات الماضي " هي الأمل  
الأخيرة فهو حياة أفضل قد تنسيه بمرض مما جرعه له الأيام من ككؤوس المرارة والعذاب  
ولم لا ؟ وهو الذي يرى في هذه الباكورة ما يرفع دخله ، ويعوضه قدراً من الرفاهية  
التي غربت عنه طويلاً ، لقد كان يأمل من خلاله ما ينفخ عنه غبار الإهمال والتسيب ،  
فيوقع ذكوره إلى مرتبة ربما تصل به إلى درجة المشهورين من الشعراء آنذاك .

بل ربما تساق إليه من خلال الشهرة كما حسب - منزلة ترفعه في أمين الآخرين ، هذا  
الذي يمكنه من امتطاء ظهر الفنى من خلال عمل جديد ، يقدم له تقدير الما

قدم من أعمال ترضى الحق والقرن الجميل . . .

ولكن ! قلب له الزمن ظهر المجن ، فناسبه العدا ، وبدد آخر شعاع من آماله ، فما كاد  
يصدر " تذكارات الماضي " إلا ووجه له النقد سهاماً من النقد اللاليع ، التي كانت حذاء  
فاصلاً بين البقاء والهجرة . . . . .



(١٢٠)

وهكذا جاء الشاعر إلى مصر وأحلامه تتصاعد بنفسه فتبلغها الكواكب ، والآن بعد أن عاش الحقيقة تنخفض أحلامه بقلبه فتلحده جوف الأرض ، كان بالأمس أعشى يسير فسي ضوء النهار ، فأصبح اليوم مبصراً يسير في ظلمة الليل ، لقد ترك الطفيان والكبت في لبنان مودعا الفقر الذي صنفته مخابل الشيطان ، ليقابل فقرا آخر صنعه الظلم كما تصنع الوحوش الضارية كهوفها في سفوح الجبال معصية وراءها الخلل والملمم . . . . .  
كم صعدت نفسه فرحا . . . بأحلامه التي راودته خلال تفكيره في المهجرة . . . كما يصعد للثغر إلى ما وراء النجوم ، ثم هبطت هبوط حجر الرخى إلى أعماق التيم عندما لمست أطرافه نيوان الفشل الواضح ، وألقت الحقيقة خطوطها بين بصره ، فهبت في طريق أحلامه السحب المميقة والتي انقبضت منها نفسه ، وسحقت كما تسحق روح الحب

بعد أن تحمصها يد القضاء . . ثم تسحقها بموت من تحب . . .

— وهكذا تتجمع أصابع الدهر . لتمتد بالشاعر ، كما تلوى الثلوج قامة غرصة ضعيفة ، فيترك الاسكندرية مولياً وجهته نحو الولايات المتحدة الأمريكية ، دون أن يضعف — القنوط بصوته عن الصور الجميلة الكامنة في نفسه ، ودون أن يصم البأس عن نداءات <sup>أذانه</sup> <sub>آذانه</sub> <sup>عن نداءات</sup> <sub>عن نداءات</sub> <sup>الجبب المميقيينه وبين لبنان ومصر . .</sup> ، فتراه يذكر أهل مصر بالخير ،

كما ذكر بعض المؤرخين — بشدة رحاله إلى لبنان مودعا لترابها ، ومكحلا عينيه

بمراها . متحذا من حبها زاد السفر إلى المهجر . .

وفي نهاية عام ١٩١١ يحث الشاعر مطاياها نحو لبنان وهو متشبع بالروح الوطنية وعالم

بحال لبنان وطنه الصغير . فقد تابع أخبار هذا الوطن وهو في مصر (١) فراح —

يطالب بالإصلاح بعد أن انضم إلى هؤلاء الوطنيين والمعارضين فراح كثير منهم

يناصبه العداء . . . . . يقول :-

=====

(١) "إيليا أبو طاض" . جورج سليم ٩٠ - ٩١

(١٣١) وطن أردناه على حب الوطن \* فأبى سوى ان يستكين إلى الشقا  
وعصابة ما ان تزحزح أحقبا \* عن رأسها حتى تولى أحقبا  
راحت تناصبنا المدا \* كأننا ! \* جئنا فرأيا أوركنا موقبا .  
ولما ضاق حوله الخنباق أخذ يصف حالتنا  
قوفى وقد اطربتهم زمننا \* ساقوا إلى الحزن والكمدا  
— ولما أحس بالخطر سارع بالرحيل إلى سنمنا في أوائل عام ١٩١٢ .

ولم يذكر أحد من الباحثين سبب قصده لهذه المدينة دون سواها ، ويبدو أنه  
يتم وجهته شطرها . لملائمة مناخها لجوه النفس ، ففيها يتمكن من التقاط الأنفاس  
وتجبير النفس من تصدعاتها السابقة وعلى الأقل ، التمام بعطر الجروح ، في رحاب أخيه  
"مراد" الذي يجد في أحضانه ، الطمأنينة ، والراحة النفسية ، مضافا إلى ذلك  
العزاء والصبر عن الأحداث الأليمة والمثلة بفقد الأخ الآخر بالاسكندرية وهناك —  
يعيش طليق الفكر ، لا يخشى أذى ، يتمتع بعينيه بضياء العلم ، ويمنى نفسه بحياة  
شبهية وعيش زاهر .

يقول :

إن الذي قدر القطيعة والنسوى \* في وسعه أن يجمع التفارقا !

.....

اصبت حيث النفس لا تخشى أذى \* أبداً وحيث الفكر يندو مطلقا<sup>و</sup>

نفس أخلى ودعى الحنين فأنسا \* جهال بعيد اليوم أن نشوقا

هذي هي "الدنيا الجديدة" فانظري \* فيها ضياء العلم كيف تألقا

إنى ضمنت لك الحياة شهية \* في أهلها والمير أزهر موقبا (١)

ونضيف إلى ما تقدم من اختياره "سنمنا" لتكون أول مدينة تستقبله في العالم

الجديد أنه عمد إليها ليملاً حقايبه من زاد ينغمه في مواجهة البشر في العالم الذي

=====

لم يعرف عنه - آنذاك - شيئاً ، وعند الأخوة تصيب ذلك مؤمراً وفي " سنناتى " يستأنف " أبو ماضى " نشاطه التجارى مع أخيه " مراد " ويظل على وداد مع التجارة طيلة أربع سنوات ، توقف خلالها انتاجه الأدبى ، حتى شك نفر من الأدباء أنه شغل بالتجارة عن الأدب وما يبدو لى . أنه كان يتعلم الانجليزية ليتخذ منها مصباحاً فى كشف الكثير من الطرق المهجورة فى هذا العالم ، وكان يقضى وقتاً ، يروض نفسه على السير فى غابات الفن الجميل ، مستوحياً كل ما يرفع السرعة فى هذا المحيط من عواطف حزينة ، ونثرات خاطفة من خواطر كسيرة ،

.....

ويشع عينيه بالاطلاع ما يتمخض عن الهدور من أضواء ، يقرأ الآداب التى تقع أسيرة يديه وخاصة ما كان ينتجه أولئك المشهورون ، وقد كانت تلك الفترة بمثابة التهيئة والاستعداد للدخول فى حلقة السباق ، للوصول إلى بناء صرح جديد بالروائع الخالدة ويذكر الأستاذ " جورج صيدح " فى كتابه " أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية " أن هذه المدة التى قضها بعيداً عن دنيا الأدب كان لها تأثير على شاعريته ، فقد تطورت بسرعة عجيبة ، حتى غاب عن قصائد المنظومة فى مصر ، والتي تطل عليك منها روح - التقليد . يظهر فيها الشاعر الذى كان شأنه فى مصر شأن غير من الشعراء ، يستلهم شعر العصر المباسى ، ويحاول أن يقلد البارودى ، وصيرى وشوقى وحافظ فى أساليبهم ، ولكنه حالما نزع عن المحيط المصرى . تمص شعره روحاً جديدة ، واستقل بطابع شخصى ، فنظم الروائع ، مثل قصيدة " ابنة الفجر " و " فلسفة الحياة " و " فى الليل " و " الخلود " وأصبح الركن الأول فى بناء الشعر المهجرى . . . . .

وتساءل . هل انتقلت الطهرة بالمدوى . . من الانسان والحيوان إلى الأدب ؟ وهل فى الإمكان أن ينتقل انسان من الشرق إلى الغرب دون وسيلة ؟ . . . . .  
والذى استطع قوله بصدده أى الأستاذ جورج صيدح " أن الأدب ككل كائن حى ، ينمو بالغذاء ، ويتفاعل مع كافة الظروف الفكرية والاجتماعية والنفسية والحلمية والثقافية ،

(١٣٣)

ولا اعتقد ابداً في الطفرة الأدبية ، وخاصة التي تنشأ من فراغ ، وأجزم بذلك إذا ما كانت الحالة هذه ، واتخذت الطفرة طريقاً مخالفاً (عكسياً) ، وما ذكر "الاستاذ" "جورج صيدح" من شواهد قد يكون ضميماً إذا عرفنا أن تاريخ قصيدة "الخلود" —

١٩١٦ وأيضاً الفجر ١٩١٧ وفي الليل ١٩١٦ (١) .

وأبو ماضي نفسه ، في ردة على السؤال التالي "لمحمد قوه على" هل ألهمتكم التجارة عن الشعر؟ فيجيب قائلاً: "كلا، بل ازدادت شاعري وتطورت قسطوا عجيبياً (٢) .

ويذكر الأستاذ "صلاح عبد الصبور" — في مجال الحديث عن حياة الشاعر — مؤكداً "أنه حرص على تعلم الانجليزية حين وصل إلى الولايات المتحدة ، لا انجليزية البيع والشراء" ولكن انجليزية القراءة والإطلاع (٣) .

ونؤكد هنا ما ذهبنا إليه ، أن "إيليا أبو ماضي" ، لكي يشق طريقه — آنذاك — اتخذ من القراءة وسعة الاطلاع وسيلته الأولى ، كما أخذ نفسه بشيء من الجداسة ، وخاصة بعد هذا الهجوم الضار على باكورة إنتاجه الشعري .

ومعد إقامة دامت أربع سنوات في سنيناتي ، استرجع فيها أنفاسه في رحاب أخيه (مراد) ، وبعد أن أحس بثمرة غرسه أوشكت على النضوج شد رحاله إلى نيويورك ، فهناك يلتقى برفاق الرحلة حول مائدة جمعت من الثمار الحب الظاهر ، وأمنيات الرفعة والعزة والكرامة للشرق وآله ، وهكذا يتكامل نظم هذا المقدم في جيد الأدب العربي والمهجري ، فتطلق منه الأشعة الضيئة موضحة هذا الهدف الجليل . الذي يجمع بين الحب الخالص للديار والخير والنفع الإنساني العام .

وهناك يبدأ حياته العملية في المحيط الصحفي ، وهذه الفترة يُلخصها "أبو ماضي"

=====

(١) انظر البحث الخاص بتاريخ الدواوين . في الفصل الخاص بذلك في هذا البحث

(٢) انظر الناعوري ط ٣ ٣٨٤ وأيضاً أدبنا في المهجر "جورج صيدح" ط ٢

٠٢٧٢

(٣) تذكارات الماضي دار العودة ط ٧٤ / ٢٦٥

(١٣٤)

نفسه ، في حديثه مع الأستاذ " محمد قره على " بقوله :  
" انتقلت الى نيويورك عام ١٩١٦ ، اذ تلقيت دعوة من بعض الشباب العربي  
الفالسطيني يصعدون الى بتحرير " المجلة العربية " التي كانوا يصدرونها في  
نيويورك . قبلت الدعوة ورأست تحرير المجلة المذكورة ، ولم يطل الوقت حتى أسهمت  
في تحرير " الفتاة " التي كان يصدرها اذ ذاك صديقنا " شكوى النحاس " صاحب  
الزميلة " رحلة الفتاة " اليوم . وفي عام ١٩١٨ انصرفت الى تحرير جريدة " امرأة  
القرب " وفي عام ١٩٢٨ تركت " المرأة " وفي نيسان ١٩٢٩ أصدرت مجلة " السمير "  
وكتت أصدرها مرتين في كل شهر ، وفي سنة ١٩٣٦ حولتها الى جريدة يومية .  
وقد ظلت " السمير " تصدر جريدة يومية ، كما ظل يحررها " أبو ماضي " حتى وفاته  
وفي نيويورك ينضم تحت لواء الرابطة القلمية ، ويمارس الشعر بأصالة فينظم الدواوين (١)  
وينعم بما كان يأمل من حياة وسعة ، وشهرة في عالم الأدب العربي - خلال إقامته  
في نيويورك -

كما حقق القدر للشاعر رغبة كثيرا ما تمنّاها . حيث زار لبنان عام ١٩٤٨ على اثر مساهمة  
فلسطيني وقضى فيها فترة قصيرة ، بعد خنيته الطويل إليها - ليتمثل  
هو والاستاذ " حبيب محمود " ، رئيس تحرير مجلة " العصبية " في البرازيل صحافة  
المهجر في مؤتمر اليونسكو ، الذي عقد حينذاك في بيروت ، كما لقي هناك كثيرا من  
الحفاة من الأوساط الرسمية والأدبية .  
وكتيرا ما كان يودّ زيارة لبنان مرة أخرى غير أن القدر لميسله فتأتى الرحلة الأخيرة التي  
سجلها يوم ١٩٥٧/١١/٢٣ . والتي بنها يتما تطوى حياة غضة لشاعر المهجر العظيم .

=====

الباب الثاني

الفصل الثاني

ظروف الاجتماعية والنفسية

« والى " المحيثة " نرجع مرة أخرى ، وبالتحديد في منطقة " المتن الأعلى " وتحت ظلال المدبوحة ، التي كان " إيليا أبو ماضي " أحد براعمها الجليلة ، جلسنا نسترد للأنفاس قوتها ، ثم أخذنا نلقى النظرات حولها ، من جذعها حتى تلك البراعم التي تتعانق مع هذا الشاح الفضى المستدير الذي صنفته يد العظمة الرنانة ، وذلك بعد أن ذكرنا ما دار حولها من أحداث - بإيجاز - كادت تسوي إلى اقتلاع الدوحة من أصلها ، لولا مشيئة ربه وفرحيم ، التي اكتفت بالسماح للريح بحمل بعض من براعم الدوحة - بعد انسلاخها - وتهوى بها في أماكن سحيقة ، .. وبينما يظهر الهيكل الخارجى للأصل ، تتشابه الأضغان بعضها حول بعض حتى أخفت عنا بعض ما ارتجيناها ، بعد أن توالت عليها العواصف من كل جانب .

إنها أسرة الشاعر " إيليا أبو ماضي " الذي نشأ في لبنان فقيراً ، بين قوم يقدرون المال وذوية ، ويقيسون الرجال بقايعهم الأبهة والثراء في الوقت الذي بسط الاستعمار العثماني على بلاد الشام ، يده بأحوتة من صولة وجولة ، وكان " أبو ماضي " كغيره من أحرار بلاده ، يهضر أشد الهضز هذا الصنف من الحكام .

• وكل ما تعرفه عن تلك الأسرة أنها توجت باب كرم ، هو " ظاهر أبو ماضي " فقد جاء في ديوان تذكارات الماضي " • وتحت العنوان نظم " إيليا أبو ماضي " • وقد جاء في قوله " عبد المسيح حداد " في جريدته " السائح " ( ١ ) عدد ( ٧ ) آذار ١٩٥٥ م : وذلك في معرض الحديث عن قصيدة الطين • ورأى النقاد فيها ، وهل هو مبتكر لمحايتها ؟ أم أغار على محاني قصيدة الرميث • والبسها ثوباً منيراً ؟

" إن قصيدة الرميث التي كشف الأستاذ العزيزي أن " إيليا أبو ماضي " أغار على محانيها ، وسرق منها الكثير فصاغ منه قصيدة الطين ليست كما ظن السارق -

=====

( ١ ) نقلاً عن الدكتور " محمد عبد المنعم خفاجي " دراسات في الأدب المعاصر "

( ١٣٧ )

متداولة ، فلقد سمعناها مراراً عديدة في إدارة هذه الجريدة منذ زمان ثلاثين  
عقود من السنين ، وكان الذي رواها لنا ، وهو من أشد الناس تحلقاً وإعجاباً بها  
المرحوم ( ظاهر ) أبوماضي والد ( إيليا أبوماضي ) نفسه ، وقد كان رحمه  
الله شاعراً قومياً ، ومن الذكاء بمكان ، وقد أسمعتنا الكثير من قصائد بدوية  
لشعراء آخرين حفظتها ذاكرته ، وكنا نترقب أحياناً كثيرة وفودة علينا لنصفي  
إلى ما يرويه مستانسينه ، ومستغربين كيف أن ذلك الشيخ ولح كل الولوع بشعر  
البدو " بينما ذكر الأستاذ ( عبد اللطيف شراره ) " ١ " في معرض الحديث عن  
أسرة الشاعر أن والده هو : ظاهر أبوماضي " وأنه كان يحمل بتربية دودة القسز  
والعناء بأشجار التوت . " كما كان ولعاً بحفظ الشعر وعلى حظ من الثقافة غير  
معروف وقد مات في حياة " إيليا " فوثاه بقصيدة عنوانها ( أبى ) " ٢ "

يقول فيها :-

طوى بعض نفس إذ طواك الثرى عسى ■ وذا بعضها الثاني يفيض به جفنى  
أبى خانى فيك الردى فتقوضت ■ مقاصير أحلامى كبيت من التبن  
وكانت رياضى حاليات ضوا حكاماً ■ فأقوت وعش زهرها الجزء الضنى

.....

فليس سوى طعم المنية فى قمى ■ وليس سوى صوت النوادب فى أذنى  
ولا حسن فى ناظرى وقلمى ■ فتحتهما من قبل إلا على الحسن  
وما صور الأشياء بمدك فصورها ■ ولتكمأ قد شوهتها يد الحزن  
على منكبي تبر الضحى وعقيقته ■ وقلبي فى نار وعيناي فى دجن  
أبحث الأسى دهمى وأنهبته دهمى ■ وكنت أعد الحزن ضرباً من الجبن

.....

=====

( ١ ) شعراؤنا دار صادر " إيليا أبوماضي "

( ٢ ) الخماثل ١٠٩ . بين شاعرين مجددين ١٥٠ للأستاذ عبد المجيد عابدين



- فواها لو أنى كنت فى القوم عندما \* نظرت إلى العواد تسألهم عسى (١٤٨)
- وباليتما الأرض انحوى لى بساطها \* فكنت مع الباكين فى ساعة الدفن
- لمتى أفى تلك الأبوّة حـقها \* وان كان لا يوفى بكيل ولا وزن . . .
- فاعظم مجدى كان أنك لى أب . . . \* وأكبر فخرى كان قولك : ذا ابنى ١
- لئن يلجأ المتروّب بمدك فى الحمى \* فيرجع ريان المنى ضاحك السن ؟
- جرى على الباغى ، عيوف عن الخنا \* سريع إلى الداعى ، كويم بلاسن
- وكنت إذا عطف شاعر سسر \* لهيب دقيق الفهم والذوق والفن
- فما استشعر المصطفى اليك ملالة \* ولا قلت إلا قال من طرب زدنى
- ضريحك مهما يستمر أولادة \* أقيمت بها تبنى المجامد ما تبنى
- أحب من الابراج طالت قبا بها \* واجمل فى عيى من أجمل المدن
- على ذلك القبر السلام فذكوره \* أريج به نفسى عن العطر تستغنى

هذه أبيات قليلة فى رثاء " ظاهر ( ضاهر ) إيليا . طانيوس أبو ماضى

أما آفة . فهى " سلمى جورج من اسكندر " من الحيدثة . وقد خلدتها الشاعر

فى شعره فى قصيدة " المساء " .

أما أخوته على الترتيب فهم .

مراد ١٨٨٢ الذى هاجر إلى أمريكا ، سنسناتى " بولاية أوهايو . وقد التقى

به إيليا بعدما هاجر إلى سنسناتى وقد توفى بعد شقيقه إيليا ، وله كتاب وحيد

بمنوان السنايل يحتوى على مجموعة مقالات كان يكتبها من حين لآخر ، وقد صدر

الكتاب عام ١٩٥٢ ( فى ٢٠٨ صفحة ) (١)

(١) انظر أدب المهجر للناعورى ط ٣ ٣٨٢ ، إيليا أبو ماضى . جورج سليم

إيليا : ١٨٨٩/٥/١٥ — ١٩٥٧/١١/٢٣ (١٣٩)

مترى " ديمترى " الذى توفى فى ١٩١٦/٣/٣١ فى سنينتى • منتحرا بالرصاص  
غير متجاوز العشرين من عمره (١) وقد رثاه بموشحة " مصرع القمصر "

طانيوس : الذى هاجر الى الاسكندرية قبل هجرة أخيه إليها وعمل هناك بالتجارة  
وقد التقى به " إيليا " وكان يتاجر فى السجاير • كذلك •••••  
وقد توفى عام ١٩٠٩ (٢)

ابراهيم : وتأبى الخطوب إلا أن تكون للشاعر بالمرصاد • فقد توفى خلال الحرب  
العالمية الأولى ما بين ١٩١٤/٦ — نوفمبر ١٩١٨ توفى ابراهيم  
بالمحيدته ••• (٣)

جبنى : تزوجت ابراهيم نمر الخورى نعيمة الذى اقترنت به فى أواخر عام ١٩٢١  
وكان يسكن قوسا يا البقاع • وفى منتصف جبل لبنان الشرقى وينتقل الأب  
والأم مع ابنتهما ليعيشوا فى كف عطفاه أهل ومرحب •  
ولكن أوجبنى تلفظ أنفاسها الأخيرة فى ابريل ١٩٢٣ فى قوسا يا البقاع  
إثر ولادتها الأولى •••••

\*

نشا : إيليا فقيرا بين أسرة فقيرة • لاتكاد تملك شيئاً يوفر لها حياة هانئة •  
بينما انتشر هؤلاء الاقطاعيون الذين يمتصون دماء المساكين • متخذين  
من جهد هؤلاء الفقراء لبنات فى بناء أفخم القصور • وفى جمع ما طاب  
لهم جمعه من المال : (٤) • سخوية يعرق الضعفاء • • أفاح شرسية

=====

(١) " إيليا أبو ماضى " جورج سليم (١٢٧)

(٢) انظر قصيدة البدر الأقل تذكرا الماضى

(٣) انظر " إيليا أبو ماضى " جورج سليم (١٢٠)

(٤) انظر قصيدة " وقف عليك الشعر " ٢٠٧ السابق •

تجمعت على دماء البلائل ، وامتصاص حياة الطيور الآمنة .....  
 فيا لله من شر هذا البلاء المطبق ، الذي ما انتشر في أمة إلا أذواق فقراءها  
 أسوأ العذاب ، وأسفأ لا يتركهم دون الموت .....  
 هؤلاء الذين يسامون القدر على أعمار هذا الخلق الذي استضعفوه ، نصهار  
 ضعيفا في نظر الوحوش ، وفي شريعة الذئاب ..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجمعت على القرية ، ذئاب القلاء ، ونسور  
 الجوع ، وشعابين البشرية ، وكل منهم يريد الفوز بسرعة اقتراسها وغشوا ، —  
 فهناك صراع داخلي بين الأعداء — للقرية — بعضهم يحضا ، يأمل كل منهم  
 أن يصرع الآخر على غرة منه ليفوز بها كاملة ، وهكذا تبقى تلك النفوس المسكيننة  
 هدفا لكل رام ..... ١

وما تقدم ما هو إلا لون من ألوان الصورة التي اختارت مادتها القوى الاستعمارية  
 وعملت على احتلالها الاقطاعية والدوافع الاستغلالية وهذا هو الذي غرس بذور  
 الكراهية وأدى إلى بحث يد التمرد في قلب " إيليا أبو ماضي " ولذا لانعجب  
 إذا رأيناه يقف ثابتا وسط الميدان ، شاهرا في وجه هؤلاء ومن والاهم سلاح البغض  
 والكراهية ، ويظل ثابتا أمام الظلم يزلزل أركانه ، ويحطم بنيانه بقذائف البركانية  
 وحمه الملتهمه ، تمثل ذلك في الوقوف ضد هؤلاء المرففين في ..... خيالاتهم  
 الرافلين في الحرائر ، الذين يضمنون بالدينار في إسعاف الفقراء ، بينما يجودون  
 بالآف في الفحشاء .....

— لم يكن أناني النظره ، بل رحبت نظرتهم لتشمل كل طائفة مسها الضر ، أو وقعت  
 تحت شباك العذاب ، لقد كانت نسمه رطبة تقتل نيران الحزن في قلوب الفقراء —  
 والبائسين ، كما كان ضوءا رقيقا يقضي على ظلمة اليأس في نفوس الحائرين ..  
 ( لقد عطف " أبو ماضي " على الفقير المحروم وتألم من أجله كثيرا ، ولا غرو فقد  
 أحس أبو ماضي بلذعة الجوع ، وهوان الفقر وملاءه الخميظ من هؤلاء الأغنياء فجمع

يمبر عن غيظة المر في أكثر من موضع ، وهذا يظهر السخرية حيناً والجِد حيناً (١٤١)

آخر فمن فلك قوله (١)٠٠٠

- كلوا واشربوا أيها الأغنياء \*\*\* وإن ملأ السكك الجائعون  
ولا تلبسوا الخز إلا جديدا \*\*\* وإن لبس الخرق البائسون  
وحوطوا قصوركم بالرجال \*\*\* وحوطوا رجالكم بالحصون  
فلا تبصرون ضحايا الطوى \*\*\* ولا يبصرونه الذي تصنمون  
وإن ساكم أنهم في الوجود \*\*\* وأزعجكم أنهم يعولون  
مروا فتصول الجيود عليهم \*\*\* تعلمهم كيف فلك المنون  
فهم معتدون ، وهم مجرمون \*\*\* وهم مقلقون ، وهم ثائرون  
وتلك العصى لتلك الروم \*\*\* وتلك الحراب لتلك البطون  
وتلك السجون لمن شدتموها \*\*\* إذا لم تزجوهم في السجون  
كلوا للظبي حلق هاماتهم \*\*\* فإن الملوك كذا يفعلون  
إذا الجند لم يحرسوكم وأنتم \*\*\* سراة البلاد فمن يحرسون ؟  
وإن هم لم يقتلوا الأغنياء \*\*\* فإليت شعري من يقتلون ؟  
ولا يحزننكم موتهم \*\*\* فأنتم للودي يولدون  
وقولوا كذا قد أراد الاله \*\*\* وإن قدر الله شيئا يكون  
ويا فقراء لسانا التمسكي ؟ \*\*\* ألا تستحون ؟ ألا تخجلون ؟  
دعوا الأغنياء ولذاتهم \*\*\* فهم مثل لذاتهم زائلون  
سيمسون في " سقر " خالد بين \*\*\* وتمسون في الجنة تنعمون  
فلا تمطشون ، ولا تستهبون \*\*\* ولا يوتون ، ولا يشبهون

\*\*\*\*\*

ما سبق تظهر نظرية السخرية الموجهة نحو هؤلاء الأغنياء الذين لا يرون في الفقراء إلا أنهم معتدون مجرمون ، ومن أجلهم شيدت السجون ، وصنعت الحراب ، وخلص الردى ..... ١٠٠٠٠٠٠

ويكاد قلبه ينفطر حينما على هذا الفقير الذى نأى النوم عن مقلته بعد أن وقف الهمم و الألم فى طريقه ، وسكت قطع النار قلبه حتى أصبح يقضى ليله شاكياً باكياً ، لا يقارن - جلس الدار ، سجنه الإغيا ، واستولى الجوع على القطرة الباقية من قواه فأصبح لا يستطيع الحركة حتى أصبح ميتاً فى عداد الأحياء يقول فى قصيدة " النقيير " ( ١ )

هم ألم به مع الظلماء \* فنأى بمقلته عن الاغفاء  
نفس أقام الحزن بين ضلوعه \* والحزن نار غير ذات ضياء  
يرعى نجوم الليل ليس به هوى \* ويخاله كلفا بهن الرئاسى  
.....

طرد الكرى وأقام يشكو ليلته \* ياليل طلعت وطال فيك عنائى  
ياليل قد أغريت جسمى بالضنا \* حتى ليولم فقدته أعنائى  
ورميتنى ياليل بالهم الذى ... \* يفر الحشا ، والهم أعسر داء  
ياليل ما لك لا ترق لحالتى \* أتراك والأيام من أعدائى ؟  
ياليل حسبى ما لقيت من الشقا \* رحماك لست بصخرة صماء  
بن يا ظالم عن العيون فرمما \* طلع الصباح وكان فيه عزائى  
وارحمتا للبائسين فأنهم ... \* موتى وتحسبهم من الأحياء  
إنسى وجدت حظوظهم مسودة \* فلأنما قهت من الظلماء  
.....

وماذا يستطيع "أبوماضى" أن يصنع من أجل هؤلاء ، وليس فى وسعه أن يرد إليهم الحياة كريمة ، وكل ما فى وسعه أن يؤفقر من أجلهم زفره صارخة مشيراً إلى هؤلاء -

=====

( ١ ) " ايليا أبوماضى " شاعر العربية الأكبر " زهير ميوزا " ١٠٧

المتشبهين بأموالهم مازجاً ذلك بالفكرة الدينية عن أصل الإنسان وأنه لِفناء .

لهفى ! ولو أجدى التمييز تلهفى \* لسفكت دمعى عند مود مائسى  
 قل للفتى المستعز بما لــــه \* مهلاً لقد اسرفت فى الخيلاء  
 جُبل الفقير أخوك من طين ومــــن \* ما \* ومن طين جُبلت ومــــاء  
 فمن القساوة أن تكون مــــكــــاً \* ويكون رهن مصائب ومــــلاء  
 وتظل ترفل بالحرير أما مــــه \* فى حين قد أمسى بخير كســــاء  
 اتحن بالدينار فى اسفافــــه \* وتجدد بالآلاف فى الفحشــــاء

وعندما ينبج بالخطاب إلى هؤلاء الأغنياء مستندراً عطفهم يكتمس أسلوبه نبوة خطيباء  
 الدين . فمن ذلك . . .

انصر أخاك فإن فعلت كيتــــه \* ذل السؤال وفضة البخلاء  
 أ ذوى اليسار وما اليسار بنافع \* إن لم يكن أهلاً وماهل سخــــاء  
 كم ذا الجحود وما لكم رهن البلا \* وم الفخر وكلكم لفنــــاء ؟  
 إن الضعيف بحاجة لنصار كــــم \* لا تقعدوا عن نصره الضعفــــاء  
 . . . . .

ان كانت الفقراء لا تجزيكم \* فالله يجزيكم عن الفقــــراء

\*\*\*\*\*

— ولا يفتر الشاعر عن موقفه تجامتك الطوائف التى أشهرت سيف التمرد والعصيان  
 فى وجه الملاقات الانسانية ، ويتجلى موقفه من خلال رمزياته الحميرة ، وفى مجال  
 البخل والبخلاء يطلع علينا بقصيدة ( التينة الحقاء ) ( ١ ) معبراً بها عن البخيل  
 الذى اتخذ من بخلة سكيناً ينتحر به وتلمس من خلال ذلك الدعوة الضمنية الحارة  
 إلى خلق حياة أفضل بعيدة عن الأوسمة . . . . . يقول فى هذه القصيدة :

=====

( ١٤٤ )

وتهنة غضة الأفنان بما سقته \* قالت لأترابها والصفى يحضر  
"بمس القضاء الذى فى الأرض أوحدى عندى الجمال وغوى عنده النظر"  
"لأجسمن على نفس عوارضها \* فلا يبين لها فى غيرها أنسر  
"كم ذا أكلت نفسى فوق طاقتها \* وليس لى بل لغوى الفنى والثمر"  
"لنقى الجناح وذى الأظفار وطير \* وليس فى العيش لى فيما أرى وطير"  
"انى مفصلة ظلى على جسدى \* فلا يكون به طول ولا قصر  
"ولست ثمرة إلا على ثقبه \* أن ليس يطوقنى طير ولا بشر"

\*\*\*\*\*

عاد الريح إلى الدنيا بموكبه \* فازينت واتسب بالمسند من الشجر  
وظلت التينة الحمقاء عارية \* كأنها وتد فى الأرض أو حجر  
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها \* فاجتثها فهوت فى النار تستمر  
من ليس يسخو بما تسخو الياتبه \* فانه أحق بالحرم ينتحر

\*\*\*\*\*

ولا ينال منصب أو فتور يخيران من منطلقة السابق • المحروف • بل لقد ظهر  
على نفس الصراط ضد فئة أخرى • فمقنونة • هالها وجود الفقراء وأمثالهم —  
المساكين • الذين يفسدون عليهم هواء الطبيعة وطمانينة الحياة • بل أحزنهم  
أن هواءه يشاركونهم فى الوجود • وكيف لا يحزنهم ذلك وهم يقولون أن هواءه —  
الفقراء • جرائم يجب إبادتها قبل أن تنجس فساداً فى الأرض • بل إنهم سحب  
تمكر صفو الوجود • فلا عجب إذا ساندوا فى حربهم هذا الشر الذى يجب  
أن يزول . . . . .

لقد ناصبهم ( إيليا ) الهداء وجعلهم هدفا دائما لحميه البركانية حتى كسر  
من زهواهم • وقع من طغيانهم • وطأ من اسرافهم • وحطم من كبرياتهم • . . . .  
الم يحرف هواء المتكبرون أصلهم الحقير • • معذرة لهم • فقد نسوا هواء أصلهم  
الحقير حتى صاروا يصلون تيبها • ويباهون بلبس الحرير وتمردون على الناس . . . . .

نسى الطين ساعة أنه طين حقيقى فصـال تمها وعـد  
 وكسى الخز جسمه فثأهـى \* وحوى المال كيسة فتمـرد  
 يا أخى لا تمل بوجهك عـنى \* ما أنا فحمة ولا أنت فرقـد  
 أنت لم تصنع ال ريو الذى تلبس \* والليوله الذى تتقلـد

.....

ولما نادى هذا التيه و  
 قمر واحد يطل عـينـا \* وعلى الكوخ والبناء الموطـد  
 أين يكن مشرقا لمعنيك انسى \* لا أراه من كوة الكوخ أسود  
 النجوم التى تراها أرها \* حين تخفى وعندما تتوقـد  
 لست أدنى على غناك الهـما \* وأنا مع خصاصى لست أبـد

ويا هذا إن كنت ترى القيقو دخيلا على دنياك ، فأنت - فى شرع النمل  
 - دخيل ، ولصرجان ، ومفسد كبير ، ومهما كنت غنيا فلست أسعد من  
 فراشة فى حقلها ، يقول :

وأرى للنمال ملكا كبيرا \* قد بنته بالكدح فيه والكـد  
 أنت فى شعوبها دخيل على الحقل ولصرجنى عليها فأفسـد  
 لو ملكت الحقول طـرا \* لم تكن من فراشة الحقل أسـد

ثم أى عزة تدعى وللبعوضة من خديك قوت ؟ ، وأى إختيال تتغنى ولولا دودة ما توشحت  
 الحرير ، وكفاك خذلانا أن تندعى القوة وما لك من محيص لرك ما يلم بفؤديك من شيب  
 ، وما يحيط بجسدك من ضعف ..... يقول مخاطبا ( المتكبر المضرور )

أم عزير ؟ وللبعوضة من خديك قوت ، وفى يديك المهنتـد  
 أم غنى ؟ هيها تختال لـولا \* دودة القز بالحباء المبيـد  
 أم قوى ؟ إذن مر النسـوم إذ \* يخشاك والليل عن جفونك يورـد



وامنع الشيب ان يلم بفودييك \* وم تلبث النضارة في الخسد

الست أيها المتكبر حتى انك من التراب الذي تدوسه وتتوسده ، من هذا التراب الذي يوطأ بالأقدام ، والتي تخشه ( لا أقول تبوك عليه ) الكلاب بأقدامها .....

أيها الطين لست أنتي وأسمى \* من تراب تدوس أو تتوسد

\* \* \* \*

وتظن نفسي " ايليا أبو ماضي " تتقاطر دماً ، بل ويكاد يتميز غمها بما رأى وعرف ، لقد عرف الوجوه ، لأنه نظر إليها من خلال ما نسجه بصره ، فرأى الحقيقة التي وراءها — ببصوته ، ماذا رأى ؟

رأى وجها مظهره واحد أبدا ، كأنما قد سبك في قالب ، رأى في آخر طلاوته الظاهرة ، قرأ تحتجها بشاعته المستتره ، كما رأى وجها يظهر بالف وجه ، يستسام للرياء ، مادام وراء ستاره الأصفر الرنان ، ذلك الوجه استحوذ عليه الشقاء فصرفه عن الرشد ، وأملى له الشيطان فورطه في الشرور ، وزين له قبيح عمله فأضله عن سواء السبيل ، لقد أطبق خاتم الحرص على قلبه فطبعه بالنفاق والرياء ، فأصبح يستنكف عن الجهاد في ميدان العدالة . متخذا من الرياء طريقا للوصول إلى مبتغاه من الشراء ، هذا الأمر الذي من شأنه أن يقف عائقا أمام سهام الحق الصوطة إلى صدر الباطل ، إن خفضهم الأجنحة لمن يراءون لطريق إلى مساندة التكبر ، وإيحاء منهم إلى هؤلاء بالاستمرار على طريق الصلصاف ضد شريعة الانسانية ، كما أنه طريق لاشباع غرورهم ، وتنمية النزاع الشريرة وطرق الشيطنة بين جوانبهم . بعد أن جعلوا من أنفسهم مطية زلولا لهم ، ومن أجدر بالنبذ من أغض جفنة على ذل ، وجعل نفسه منبع ضلال ، ومغروس فتنة ، ووكرا للباطل .

وليس أقل من أن يتوجه إليهم الشاعر مصوفا لعناته ، معلنا نبذهم لهم مثلا ذلك في نبذة لطائفة الشعراء . الذين أراقوا ماء حياتهم تحت هذا الطريق بعد إعلانة موقفه من هذبة القضية بوضوح . فمن ذلك قوله ( ١ )

=====

لا تسألوني المدح أو وصف السدوم \* انى نهدت سفاسف الشمسوا  
 باعوا لأجل المال ماء حياتهم \* قدحاً صكُ أصون ماء حياتى  
 .....

ضأقت به الدنيا الرحيبة فأنثنىسى \* بالشعر يستجدى بنى حواء  
 شقى القريض بهم وما سعدوا بسـه \* لولا هم أضحى من السمـداء  
 نادوا علينا بالمحبة والهـوى \* وصدورهم طبخت على البغضاء  
 ألفوا الرياء فصار من عاداتهم \* لمن المهيمين شخصى كزرائسى

والشاعر ان يقف من المرائين هذا الموقف لا يبالى بغضبهم أو كراهيتهم

له طالما كان هدفه نصر الحقيقة ونبذ الملاقات اللانسانية .

ان يغضبوا مما أقول فطالمـا \* كره إلا ديب جماعة الفوفـاء  
 أو ينكروا أدبى فلا تتعجبوا \* فالرمد يؤلمهم طلوع ذكـاء  
 أو كلما نصر الحقيقة فاضـل \* قامت عليه قيامة السفـاء  
 أنا ما وقفت اليوم فيكم موقـفى \* إلا لأندب حالة التمسـاء

\* \* \*

لقد فاضت نفس " إيليا " بالرافة ، حتى صار حبه للفقير مذهبا ، وأصبح  
 يرى كل ثائر يحقق أو يحا ول أن يحقق لأخيه المسكين أملا ، أو يدخل عليه فرحا  
 رسول إنسانية ، ويميزان عدالة ، ومنبع ضوء يهزم ظلمة البغى ، ويحرق جسم الطفيان ،  
 وكل من يعمل مفتنيا لهذا الميدان فهو جندى يدافع أملا فى ردة العزة والحرية ، السـ  
 أخية ، فى ردة الحقوق التى سلته إياها المطامح البشرية ، .....

— ومن هذا المنطلق صار رفيقا لدعاة الحق الذين يفلون حد الهاتل . وينكبون  
 أودية الظلام عن المنكوبين ، ويميطون عنهم الأذى ، ويطالبون بحقهم فى الحياة  
 الحرّة الكريمة ، إيماننا منهم بأن إشراقة الشمس تحل على إديار دياجير الظلام حتى  
 ولو ببطء جهد طويل ، وأن رسل الإنسانية ودعاة الخير هم أكثر الناس تحملا

للمصائب والآلام ، وأن الذي يحجب نفسه عن مأساة الحياة ، فإن الحياة تحجب —  
افراحها عن قلبه ،

و "إيليا أبو ماضي" إذ يُحِبُّهم • ويقف بجانبهم ، ويبارك روح الخير وانصاف  
الحق فيهم ، إنما يواز الحق ويساند العدل في خطاهم ، وما ذلك إلا نسوع  
من الجهاد ضد كل ظلم قد سبق أن رآه الشاعر في لبنان ، وطنى منه الآلام ، ووطنى  
نفسه على محاربتها أينما كان • ، ولهذا ردت له وطنيات وسياسيات كثيرة ففى  
أشعاره مشير إليها فى مكانها ولا يفوتنا قبل مغادرة هذا الميدان الذى يفيض  
بالمواطف الإنسانية الكريمة من الشاعر أن نقف أمام صورة مصغرة نستوحى صورة  
أخرى مواقف الشاعر من المارقين عن نطاق الإنسانية ، المشهورين سيوف التمرد  
ضد كل نزع رحيمة

تقرأ ذلكفى قصيدة (هدايا العيد) (١) الذى تضى لو يساغفة الدهر

فيهدى إلى كل فئة ما يناسبها • ، وما الذى كان يهديه إذن ؟

كتأهدى ، إذن من الصبر أوطا لا إلى المنشئين والكُتَّاب

.....

|                           |                                  |
|---------------------------|----------------------------------|
| والى كل تاجر حرم التـ     | فحق زقين من عصو الكُتَّابِ ..... |
| والى كل عاشق مقلّة تـ     | كم من ملاحه فى السـ              |
| والى الخادة الجميلة مـ    | ة تربها ضمائر التـ               |
| والى الناشء الخيرو مـ     | والى الشيخ عزمة فى الشـ          |
| والى معشر الكسالى قصـ     | من لجين وهسجد فى السحاب .....    |
| عنى استريح منهم فقد صـ    | روا كظلى فى جيلى وذهابى .....    |
| والى ذى الخنى الذى يـ     | الفرأزدهاد الذى به من عـ         |
| كلما عدما له مطمئنا ..... | أبصر الفـواقفا بالسـ             |

.....

.....

(١٤٩)  
فإننا لاح فوت الناس نَعْمًا \* من طريق المناقب الكتاب .....  
وإلى المؤمنين شيئًا من الشك \* وعض الإيطان للمرتساب  
وإلى من يهينني في غيابي \* شرفًا كي يصونه من سبابي  
وإلى حاسدي عمراً طويلاً \* لهدوم الأسي بهم ما بي  
وإلى الحقل زهره وحده \* من ندى لامح ومن أشباب  
قبيح أن ترتدي الحلل القشيب وتبقى الرُبى بخير ثياب  
لم يكن لي الذي أردت فحسبي \* أنتى بالمنى ملأت وطلبى  
ولو أن الزمان صاحب عقل \* كنت أهدى إلى الزمان كتابى

=====

=====

=

## اليأس

« لقد بدأ غبار اليأس يثير من بهجة الصفحة البيضاء في قلب "إيليا أبو ماضي" عندما اقتحمت نفسه عوامل الكراهية التي سبق ذكرها ، وذلك بعد روعة ومباينة تلك الطوائف العارقة عن محيط الإنسانية ، ولقد ساعدت الأحداث السوداء التي سمعها وعاينها - اللبنانية في نسج الخيوط الأولى ، ثم أخذت تنظم الخيوط إلى بعضها ، حتى اتسعت رقعة اليأس عنده ، فأصبح يحبر عن اليأس - الصارخ ، يأس من وطنه (١)

وطن أردناه على حبّ الملى \* فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا

.....

وطن يضيق الحرّ ذرعاً عنده \* وتراه بالأحرار ذرعاً أضيقاً

يأس من شعبه :

شعب كما شاء التخاذل والهوى \* متفرق وكعاد أن يتمزقاً

لا يوتضى دين الآله موقفاً \* بين القلوب ويوتضيه مفرقاً

يأس من رجال الدين :

كلف بأصايب التعبد والتقوى \* والشراً ما بين التعبد والتقوى

يأس من حكومته :

وحكومة ما إن تزحزح أحققاً \* عن رأسها حتى تولى أحققاً

راحت تناصبنا الهداء لأنسنا \* جئنا فرياً أو ركبنا موقفاً

=====

يأس من أقطار الوطن العربي :

(بَشَادُ) في خطرٍ (وَمَصْرٍ) رَهِينَةٌ \* وفدًا تَنَالُ يَدُ المَطَامِعِ (جَلْفًا)  
ضعفت قوائمهـا ولها ترَعَعٌ وى \* عن غيـها حتى تزولَ وتمَحَقًا .

يأس من الحالة التي تردى فيها الوطن :

أمسى الدخيل كأنه رَجَبُ الحِمَى (١) \* وابن البلاد كأنه مُتَطَقِل  
يقضى ، فهذا في السجونِ مَهْمَبٌ \* رَهْنٌ ، وهذا بالحديدِ مُكَبَلٌ

.....

حال أشدُّ على النفوسِ من البَرْدِ \* الصَّابُ شَهِدٌ عِنْدَهَا والحَنَظَلُ

يأس بسبب ما رمت به الدنيا من مصائب واغتراب: (٢)

رَمَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلْبِي لَمُتُّ \* رَمَيْتَ بِهِ الأَيَّامُ صَارَتْ لِيَالِيَا  
فلا يَشْتَكِ غيري البؤسَ فأنسى \* ضَمِنْتُ الرِّزَايَا واحتكرتِ الصَّوَادِيَا  
تمرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً إثرَ لَيْلَةٍ \* وأحزانِ قلبي باقِيَاتُ كَمَا هِيََا

.....

وكيف اغتباط المرءُ لأهلِ حَوْلِهِ \* ولا هو ممن يستمدِّبُ الصَّفْوَةَ نَائِيَا

\* وتقدم به الزمن فيستبدُّ به اليأس إلى حدِّ الإستسلام فينقلب من يأس مهموم

إلى إنسان استوى عنده الخير والشر ، والطموح والمقود يقول في ((قصيدة))

"بردى يا سحب" (٣)

رضيت نفسي بقسمتهم \_\_\_\_\_ \* فليراود غيري الشهباء \_\_\_\_\_

=====

١ - السابق ٥٧٨

٢ - السابق ٨٣٦

٣ - الجداول ص ٢٧ ط ٢ ١٩٦٠

وتطلُّ أشباح اليأس من بين أبيات القصيدة ، ولكنَّ إلهاماً أبو ماضي " يحاول  
 أن يضع حجاباً بينها وبين نفسه ، وسرعان ما تعمل خطرات الفكر عن غير ما عمد  
 - على انقشاع هذه الحُجب ، فكلما خطر له التفكير في الغد ، والسعى من أجل  
 متطلباته ، والاهتمام به ، أطلت عليه تجارب الحياة الماضية بسحبها المدخنة ، -  
 وتماثل أمام عينه • لترسم له - أو تذكره - صورة الماضي الجريح وما صنعه من مآسى  
 في وجهه وما تقدم يتضح أن المصير قد عصفت بآماله ، وما حققت له حتى أملاً  
 واحداً مما ارتجاه - خلال رحلته الأولى - وما كان يتشله ويوتجيه في مستقبل  
 الأيام ، هذا الذي جمعه لا يحفل بالغد ، ولا يصدق ما تصوره له الآمال أو الأوهام  
 فيه ، ما دام ذلك شيئاً نظرياً بعيداً عن الإحساس . (١)

ما غَدُّ يا من يصوِّره \* لي شيئاً رائعاً عجيباً  
 ما له عين ولا أنسُر \* هو كالأمس الذي ذهب

ثم ما هو الغد ؟ وما الحنين إليه ؟ (٢)

يا مَنْ يحنُّ إلى غَدٍ في يومه \* قد بعث ما تدرى بما لم تعلم  
 وكيف يترك الإنسان ذاته شهياً لمزاعم - كما يرى - يسمعها دون إحساس بها ؟  
 ليس يروني مقالكَ لسي \* أنها الحقيان مُسكب  
 إن صدقاً لا أحس به \* هو كالأمس الذي ذهب

فالحسُّ عنده هو طريق اليقين ، ولا وزن لغير ذلك • ويدب في سبوه ليصل إلى  
 طريق يسلك فيها مسلماً يتخذ فيه لونا من اللامبالاة •

=====

ويبدو لنا أن " إيليا أبو ماضي " أحسن بهذه الجبرية التي كانت مبعثا للتشاؤم عند  
" أبي الماء المخرى " كما كانت مبعثا لذلك عنده ، مع الفارق فتشاؤم الممصرى  
ينبع من النظر المجرد ومن الماضى والتاريخ ، تلك العقلية النظرية التي شاعت  
بين مفكوى المصور الوسطى الى درجة ملحوظة .  
أما تشاؤم " إيليا أبو ماضي " فيأسه مدعم غالبا بالتجربة ، هذة الجبرية  
التي أحسن بها " أبو ماضي " حين أحسن بثقل الحياة وتناقضها ، وحين  
تبرم بتعاكس الأوضاع فيها ، فإنك إن حرصت على اللذة لكى تتسبك همومك الثقالة  
قال الناس عنك إنك آثم فى حق الله والناس ، وإن احتقرت الحياة وقلت الموت  
خير من الحياة قالوا : إنك صنعت مفكوا عظيماً . إذن فلنعمش أولمت عبيدا  
مسيوين مجبورين . ( ١ )

إذا جدفت جوزيتت \* على التجديف بالنيار  
وإن أحببت غفـيوت \* من الجارة والجار  
وإن قامرت أوراهافتت \* فى النادي أو السدار  
فأنت الرجل الأثـم \* عند الناس واليهـارى

.....

وإن تسكر لكى تتسى هموما ذات أوقـار .....  
خسرت الدين والدنيا ولم تريح سوى المـار .....  
.....

وإن قلت : إذن فالعيش أوزار بـأوزار .....  
وإن الموت أشهى لى إذا لم أقضى أوطارى .....  
 وأسرعت الى السيف أو السـم أو النار .....  
=====



(١٥٤)

لكى تخرج من دنيا  
فهذا المنكر الأعظم  
اذن فاحس موت كائنك من عمداً غير مختار  
تلك الجبرية التى تحسبها فى قول عمر الخيام \* (١)

لبست ثوب العيش لم استشعر  
وسوف انضو الثوب عنى ولست  
وحررت فيه بين شتى الفكر  
أدرك لماذا جئت أين المفور؟  
.....

كان الذى صورنى يحلم  
فكيف يجزئنى على أنسى  
نصبت فى الدنيا شراك الهوى (٢)  
أصب الفخ لصيدى وإن  
فى الغيب ما أجنى وما أتم  
أجرت والجرم قضا مبوم  
وقلت أجزى كل قلب هوى (٣)  
وقعت فيه قلت غاص هوى

هذه الجبرية التى أوثقت الحيرة أمام مظاهر الكون والخازنه ، مما كشفت عن شمرة المميق بقصوره عن التغلغل فى حقائق الاشياء واستجلاء صفاتها وعلاقاتها ومصدر وجودها بقصيدته " الطلاسم "

يقول مستهلاً لقصيدة الطلاسم :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت  
ولقد ابصرت قد امسى طريقاً فمشيت  
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبوت  
كيف جئت • كيف ابصرت طريقى ؟  
لست أدرى •

=====

(١) رباعيات الخيام ترجمه احمد رامى ٤٠

(٢) نفسه ٦٢

(٣) نفسه ٨٦

فهو جاهل بمصدر وجوده ، ولا يعرف إلا حياة التي لا رأى ولا اختيار ولا ارادة له فيها ، ولذلك يلجأ الى مظاهر الطبيعة يسألها عن سر وجوده وصلته بها فـسـلا يجد عندها غير لست أدري \* يذهب الى الدير فلم يجد عندهم - بعد سؤالهم ما يشفى حيوته بل وجدهم مثله باهتون . حتى كان في نفسه كروب صار كروباً قسداً دخلت الدير استنطق فيه الناسكينا .

فإذا القوم من الحـيـوة      ■      مثلى باهتون

قلب اليأس عليهم      ■      فهم مستسلمون

وإذا الباب مكتوب عليه :

لست أدري

وينقل الى المقابر يسأل عن حقيقة الموت ، وما بعده من سمعيات .

أراء القبر بعد الموت بمسك ونسور

فحياة فخلود أم فناء قد ثور

أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور

أصحيح إن بعض الناس يسألني ؟

لست أدري

- فلم يجد جواباً إلا " لست أدري " يتولى أسفاً حائراً دون بارقه أمل . فيلجأ

إلى مظاهر الطبيعة دون أن يعرف شيئاً فهي مثله لا تدري من أمرها شيئاً .

قد رأيت الشهب لا تـسـد      رى لماذا تشـرق

ورأيت النـحـب لا تـسـد      رى لماذا تـسـد

ورأيت النـسـاب لا يـسـد      رى لماذا يـسـرق

فلماذا كلها في السـجـهـل مثلى ؟

لست أدري

كلها مجبرة تسير بدون ارادتها ، . . ومن هنا يعلم أن كل الموجودات مثلها

تخلق وتاكل وتشرب وتمشي وتموت لا تعرف من أمرها شيئاً .

فأعلن لا أدريته ، منتبها إلى أنه لا يدرك كنه ذاته ، ولا شيئا عن ماضيها أو حاضرها

مستقبلها ، من أين جاءت ، وإلى أين تصير ؟

أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضية

أنا لا أعرف شيئا من حياتي الآتية

لئى ذات غير أنى لست أدرى ما هيبة .....

فمتى تعرف ذاتى كنه ذاتى ؟

لست أدرى

• ويخرج منها كما دخل • وتبقى الفاز الوجود مائه أمامه بلا حل •

إننى جئت وأضى ، وأنا لا أعلم

أنا لفر ، وذهابى كجيشى                                                               

والذى أوجد هذا اللفر لفر                                                               

لا تجادل • ذوالحجى من قال إننى

لست أدرى

• ولم يجد الشاعر متفسا من هذه الدياجيو التى كاد يفرق بين هدير موجاتها

إلا أن يزيح أثقالها عن صدره بكوس التفاؤل الجميلة • فهى التى تريح نفسه من

كل هم وهم • فأصبح يفتخر فى هذه الكوس من الطيعة بكل أنواعها

تاركا التفكير فى أسمة وغده حتى أصبح يغبط البلبل لسعادة كنت فى حياتة

بين الأم ( الطيعة ) دون أن يفكر فيما يخص عليه سعاده •

يا أيها الشادى المخرؤ فى الضحى • أهواك إن تشد وان لم تشد

طواك إنك لا تفكر فى فسد • بدء الكابة أن تفكر فى غد (١)

بل أصبح يغمض جفونه عن الحزن ويتخذ منه مبعثا للطرب ، ويهون على نفسه كل غاية

يصعب تحقيقها يقول فى قصيدته ( بردى يا سحب )

=====

أنا من قوم إذا حزنوا \* وجدوا في حزنهم طربا  
 وإذا ما غاية صعبت \* هونوا بالترك ما صعبا  
 ... ولا شك أن ذلك أفلام أمام ميدان الحياة بل هروب واضح وخضوع  
 صارخ للصعاب ، وما أشبه ذلك بموقف التاجر الفلاس حين ينفذ يده من  
 آخر درهم في جعبته ، ويستمر في مكابرة ودخوله ميدان المزداد .  
 وأي شيء في ذلك إلا اغماض العين حتى لا ترى الحقيقة المؤلمة ، ؟ وأي شيء  
 في هذا الاعلان الصريح عن الانسحاب من ميدان الحياة ؟ بعد أن أعلن  
 هذه الانطوائية العدمية ، اننى لا أرى في ذلك إلا قناعة اليأس الراضى بما  
 تأتى به الأقدار ، المنسحب من ميدان كل صعب حتى ولو كان ضروريا  
 للوجود . وكما قلت سابقا . إن الذى يحجب نفسه عن مأساة الحياة ، فإن  
 الحياة تحجب أفراسها عن قلبه .....

• وأين هذا القول بجناب القائل

إذا الشعب يوما أراد الحياة \* فلا بُدَّ أن يستجيب القدر  
 ولا بُدَّ لليل أن ينجلي \* ولا بُدَّ للقيد أن ينكسر

أو قول القائل

وإذا هبت الشهب إلى الغايا \* شققت لئيلهن الجبالا

وما الشعب إلا مجموع الأفراد التى هو أحدهم .....

بئ هو نفسه يناقض ما قال ترى ذلك فى ديوان ( تير وتراب ) يقول فيه

اننى لأزهى بالقضى واجبه \* يهوى الحياة مشقة وصعابا

— ومع هذه الألوان التناقضية فأننى أحس تحتها بزمجرة تتنخج فى أغوار نفسه

منذرة عن نفور جامع ، ولكن " إيليا أبو ماضى " يحاول ضبط أعصابه متوسلا

إلى السحب أن تبرد من ظنائه ؟

وتنفض على هذه الحميم . يقول :

(١٥٨) \* واهطلى من بعد ذأ ذهبها  
 أو فكونى غير راحمة \* \* حَمَامًا حَمْرًا لا سَجَبًا  
 ولا كن وحدى لها هيدفأ \* \* ولتكن نفس لها حطبا  
 ومد هذا الظأ الذى كاد يحطم حياته ، ومد تلك الأهبالة يمود مسرة  
 أخرى هادئا بعد ثورة ، مؤمنا أنه لا راحة ولا سلوان إلا فى الكأس ، فهنسى  
 الخلاص من هذا اليأس الذى طناه يقول :

لم يبق ما يسليك غير الكأس \* فاشرب ودع للناس ما للناس  
 وقد اسلمتة المعاناة إلى ترك كل شئ ينخص حياته ، ويكدر صفوها .  
 ولعل الشاعر يمثل يقول الفارس " عمر الخيام "  
 الخمر توليك نعيم الخلود (١) ولذة الدنيا وأنس الوجود  
 تحرق مثل النار لكمها \* \* تجعل نار الحزن ماء برود .  
 فإذا ما همل أمر من أمور الدنيا ، وحاول أن ينال من صفوها فما من سهيل  
 إلى نسيان هذا الأمر وما يشوه من هموم غير الكأس فمن ذلك قوله (٢)  
 وانس الهموم فليس يسعد ذاكر \* \* واسق النجوم فانها جلاسى  
 واصرع بها عقل النديم ولبيته \* \* بما نخس الحاسى كمقل الحاسى  
 ويمد وأن صراعا عنيفا يجوب نفسه ، فهو تارة يخدره ، وتارة يقع معه فى  
 صراع فيهزم مرة ، وينتصر أخرى ، وبين هذا وذاك تتلاحم أقباس التفاؤل  
 واليأس ، واعتقد أن هذا الصراع أدى به فى النهاية إلى تبدل الأحاساس إلى  
 درجة صار معها كالصخرة فاقد الاحساس يقول :

=====

(١) رباعيات الخيام ترجمة أحمد رامى ١٠١ مطبعة غريب العقالة

(٢) الجداول ١٨٦ ط ٢ / ١٩٦٠

(١٥٩) كنت حتى مع ضميرى \* أمس فى حرب عوان  
لا أرى فى الخمر ممنى \* ولكم فيها ممان  
لم يعد قلبى كالسبر \* ق شديد الخفقان  
لم تعد نفسى كالنجم \* ذات اللمان  
بت لا أبكى لمظلمو \* م ولا حرمهمان  
صوت كالصخر سوا \* هادم غدى وممان

وليس معنى ذلك كما يبدو لى إلا شىء واحد • هو انتصاف خيمة اليأس حول  
قلبه فاصبح كل شىء مصبوغاً بهندة الصبغة السوداء •

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

## الحالة النفسية

(١٦٠)

وحين يتقدم به الزمن ، وينصرم عنه عهد الشباب ، ويترك نفسه نهياً لصراع حساد  
وخذوذ تقتصر عوامل النفر من الحياة ، فيملن صريحا أنه أصبح لا يطرب بشيء ،  
حتى لو كان هذا الشيء هو الطبيعة - التي كانت من قبل ملجأ له ومنبع راحة  
واستقرار في نفسه - وصار يرى من روضها فدفاً يقول :- (١)

قطعت باليأس خيوط المنسى \* وقلت للساوان - لا تبهـ  
وصرت لا يطربني بنشيد \* ولا أنا أصبو إلى منشيد  
أسير في الروضة عند الصحى \* حيوان كالمدلج في فدفسـ  
أمامي الماء ولا أرتوى \* وحولى النور ولا أهتدى  
يأليت شعري أين عهد الصبا \* وأين أحلام الفتى الأمرد  
وليت وولت كخيال الكسرى \* يلوح في الذهن ولم يوجد

ويعد أن أصبح يعيش يومه لا يفكر في الأمل المتقضى أو الفد المجهول أصبح يدين  
بنصف النظرة السابقة فيكوه السؤال عن الأمل بينما يوجه اهتمام السائل عن الفد

يا سائل عن أمل كيف انقضى \* دعه وسلنى يا أخى عن غـ  
أروح للنفس وأهنا لهـ \* أن تحسب الماضى لم يولد  
حتى إذا ألم الشيب بنوديه ، وحصد الزمان الأول أمانيه فتساقطت صرعى ،  
راح الأسى يرافقه ، ووهت قيثاره روحة وتركته فى قفر محل يقول :- (٢)

يا ليتما رجع الزمان الأول \* زمن الشباب الضاحك المتهلل  
عهد إترحلت البشاشة إذ مضى \* وأتى الأسى فأقام لا يترحل  
ولى الصبا وتبددت أحلامه \* أدى بها وبها قضاء حـ  
حصدت أنامله المنى فتساقطت \* صرعى كما حصد السنابل منجـ  
فالروح قيثار وهت وتقطعت \* أوتاره ، والقلب قفر محـ  
وتجد نعمة القلق تظهر فى أكثر من قصيدة فى ديوانه ( تبر وتراب ) وهو يملن

١ - تبر وتراب ط ٦ / ١٩٧٢ / ٢٩

٢ - السابق .

(١٦١)  
أن ما بناه من فردوس ضاع توثاقه ، كما أن ما صنعه من كوش راقه الناس سواء .  
يقول : ( ١ )

بنيت فردوس وزخرفته  
حتى إذا ما تهيئتمته  
أجريت في أنهاره كوشوا  
فذاقه الناس وما ذقتهم

( \* ) ( \* ) ( \* )

وحسرى بنا أن نشير - ونحن في مجال الحديث عن شعور إيليا أبو ماضي بالآلم  
إلى شيء مهم وهو أن جزءاً من شعوره بالآلم نشأ عن تأثره برفاقه في المهجر ووجه  
خاص " جبران خليل جبران " في قصيدته ( المواكب ) وفي هذا المجال أنقل  
منها هذه الأبيات لتكون مرآة . عاكسة لنظرة جبران حيال أوضاع الحياة ومسئولتي  
التشابة - إن لم يكن التماثل بين وجه نظرة " وإيليا أبو ماضي " يقول جبران .  
في ( مواكبة ) .

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا \* والشرف في الناس لا يفنى وإن قسبروا  
وأكثر الناس آلات تحركهم \* أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر  
فلا تقولن هذا عالم علم \* ولا تقولن ذاك السيد الوقور  
فأفضل الناس قطمان يسيو بهما \* صوت الرطاة ومن لم يمشى يندثر

ليس في الغابات راع  
فالشتا يمشى ولكن  
خلق الناس عبيداً  
فإنما ما هب يوماً  
أعطني النامي وغنن  
لا ولا فيها القطيع  
لا يجاربه الريح  
للذي يأبى الخضوع  
سائراً سار الجميع  
فالفنا يرعى المقول

( \* ) ( \* ) ( \* )

=====



وما الحياة سوى نوم تـسـراودة \* أحلام من يمراد النفس بأنـسـو  
 والسـر في النفس حزن النفس يـسـتره \* فإن تولي في الأفـسـاح يـسـتر  
 والسـر في العيش رغد العيش يـحـجبه \* فإن أهـل تولي حـجبه الكـسـر  
 فإن ترفعت عن رغد وعن كـسـر \* جاؤت ظل الذي حارت به الفكر

ليس في الغابات حزن \* لاه ولا فيها الهموم  
 فما إذا هب نسيم \* لم تجيء معه السموم  
 ليس حزن النفس إلا \* ظل وهم لا يسدوم  
 وغيم النفس تـسـدو \* من ثناياها النجوم  
 أعطني النأي وغـسـن \* فالفنا يحو المحن  
 وأنين النأي يبقـى \* بعد أن يفنى الزمان

(\*) (\*) (\*)

والحب في الناس أشكال وأكثرها \* كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمـو  
 وأكثر الحب مثل الراح ليسـره \* يرضى وأكثره للدم من الخطـو  
 والحب إن قادت الأجسام موكبه \* إلى فراش من الأغراض ينتحـو  
 كأنه ملك في الأمر معتقـل \* يأبى الحياة وأعوان له غـسـدروا

ليس في الغاب خليج \* يدعى نبل الفـسـوم  
 فإذا الثيران خـارت \* لم تقبل هذا الهيام  
 إن حبالنا سسى داء \* بين لحم وعظـام  
 فإذا ولي شـباب \* يخفق ذاك السقام  
 أعطني النأي وغـسـن \* فالفنا حب صحـيـح  
 وأنين النأي أبقـى \* من جميل وبلـيـح

(\*) (\*) (\*)

وما السعادة في الدنيا سوى شـبـح \* يروجى فإن صار جسمًا مله البـشـر  
 كالنهر يركض نحو السهل مـكـدحـا \* حتى إذا جاءه يبطى ويمتـكـر

لم يسعد الناس إلا في تشوقهم <sup>(١٦٣)</sup> \* إلى المنيع ، فإن صاروا به فستروا  
فإن لقيت سعيداً وهو منصرف \* عن المنيع فقل في خلقه المبر  
ليس في الشاب رجاء \* لا ولا فيه الملل  
كيف يوجو الشاب جزاً \* وعلى الكل حصـل ؟  
ربما الميش بنـاب \* أملا وهو الأمل ؟  
إنما العيش رجاء \* إحدى هاتيك الملل  
أعطني الناي وغـن \* فالفنا نار ونـم  
وأنين الناي شـوق \* لا يدانيه الفتـور

(\*) (\*) (\*)

والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة \* وللأشويء فهو البدء والظفر  
فمن يعانق في أحلامه سحـراً \* يبقى ، ومن نام كل الليل يندثر  
ومن يلزم تريباً حال يقظته \* يعانق التراب حتى تخمد الزهر  
فالموت كالبحر ، من خفت عناصره \* يجتازه وأخو الاثقال ينحدر  
ليس في الثابات موت \* لا ، ولا فيها القبر  
فإذا نيمان ولـسى \* لم يمت معه السور  
إن هول الموت وهـم \* ينشئ طق الصدر  
فالذي عاش ريباً \* كالذي عاش الدهر  
أعطني الناي وغـن \* فالفنا سر الخلود  
وأنين الناي يبقى \* بعد أن يفنى الوجود

(\*) (\*) (\*)

(١٦٤)

المعيش في الغاب | والأيام لو نظمت \* في قبضى لحدث في الغاب تنتشر  
لكن هو الدهر في نفس أسسه أرب \* فكلما رمت غابا قام يمتد نذر |  
وللتقادير سبيل لا تنفسيها \* والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا

.....

نراه في هذه القصيدة ثائرا على أوضاع الحياة الإنسانية ، بقوانينها ، ففيها الخير  
المصنوع ، وفيها الشر الذي لا يفنى ، والإنسان مجبور في سيئه كمن يعمى بين  
جدران سجن مظلم ، فما أفضل أن يتخلص الإنسان من هذا السجن بالفرار من  
حياة المدن والمدينة إلى حيث البساطة ، حيث لا توجد سيادة ولا عبودية ، ولا ظلم  
ولا عدل ، ولا خير ، ولا شر ، ولا كفر ، ولا إيمان .....  
ومن هذه الحياة يتطلع إلى المجهول المحجوب ، الذي يوزن إليه بالنأي والغناء  
ويلج على ذلك في نهاية كل نشيد .....

وهذه الرومانسية تسرى في أشعار الرابطة القلمية ، متدمجة بإحساس مفهم  
بالآلام بسبب ما تتخبط فيه الإنسانية من ظلمات ، تبعث على الحزن والألم واليأس .  
تأثر " أبو ماضي " بهذه النزعة ، إلا أن إرادة التفاضل دائما في عراكها مع  
عوامل النفور واليأس . كانت تحتكم إليه فيقف بجانبها وينفض عنها غبار اليأس ،  
كما ينفضها عن عالم الذي كونه لنفسه ، وإن بقيت عوامل التمازج عالققة بخياله .

يختلف إقبال الناس على الحياة حسب اختلاف رؤيتهم لها ، فمنهم من يراها  
ظلمًا وبؤسًا وشقاءً ، وحيرةً وألمًا فينبهون عليها مبتسئين يائسين كارهين لها --  
وهؤلاء هم المشائمون ، وفريق آخر يراها نورًا وسعادة ، وطمانينة ، وخيرًا

فيقبل عليها فرحًا مسرورًا سعيدًا بها ، وهؤلاء هم المتفائلون . . .

— ومنذ ظهر الشعر العربي والشعراء يتقاسمون هذين السلكين . . . ولكل مسير

ذلك أسبابه ، وعوامله ، والتي بذرت بذوره الأولى — تلك العوامل الاجتماعية

والنفسية وغيرها . . .

— هناك من يصور الحياة سقمًا ولذائفًا وهنا وصفاء ، ويرى ذلك يتحقق في نواح معينة

تختلف من شاعر لآخر ، فمنهم من يتماثل له ذلك في الخير والمرأة ومنهم من يراه في

العيب والمجون ، ومنهم من يرى ذلك مضافًا في القتل والسلب . . .

— بل يختلف الأمر كذلك من جهة أخرى ، فمن هؤلاء من صفا له الجو تامةً من كل

كدره ، ومنهم من اتخذ من ذلك عطاءً على كدره سبق أن ترسبت في كأس حياته ،

فإذا ما أراد الشراب حمل كأسه بحفر تام ، وجلس مقسزنا يشرب من سطح الإناء

بهدهو ، دون حركة ودون غرض خوفًا من اختلاط الكدرة بالماء الزلال . . .

— ومن بين هذه الطوائف "أبو نواس" ، وعمر الخيام ، وأبو العلاء المصري . . .

وغـيرهم . . .

كان "أبو نواس من بين الداعين إلى التمتع بصفو الحياة ولأسها ، وخمرها

ومجونها ، فلقد توافرت أمامه العوامل التي أورثته ذلك . مات أبوه وهو في المهد ،

وكانت الريبة تحوط أمه ، وألقت به الظروف في حجرة "والبة" أحد مجان عصره ،

فخرج ماجنًا من طراز لم يسبق له مثيل . . . . . فاختر فلسفة الخير والمجون . . . . .

— ويظهر الشاعر الفارس (( عمر الخيام )) الذى إختارته المقادير لكى يتناول قيثارة  
 الخمر ويشدو عليها أنغاماً جميلة ، ليقه استحوز القلق — زمنا — على كيان —  
 قلق أمام تصرفات الدهر وبعث الاقدار ، قلق أمام الكون والغايزه التى لا يستطيع  
 حل طلسماتها ، وفك رموزها صهماً غاض فى أعماق الحياة ، وكل ما يلقاه فيها من  
 حظ — إنما هو قدر مقدر ، لا يفر منه فما أحسن أن ندع التفكير فيما ينهض علينا  
 الحياة ، ويكدر صفوها ، وحسبنا أن نرتشف الخمر ونعيش بين صفاء الكؤوس ، ونطرب  
 حتى نباعد بيننا وبين عالم العقل والتفكير .....

— ويبدو أن أبا ماضى تأثر بنشأته فى أحضان أبيه الذى يقول فيه •

وكت ترى الدنيا بخير بشاشية \* كارض بلا ماء وصوت بلا لحن

كما تأثر أبو ماضى بفلسفة الخيام التى تطل علينا من خلال ما سنذكره من وجوه

تشابه فى بعض الأسمار •

— وجدير بنا أن نذكر أن تفاوله كان فلسفة أتخذها طوق نجاة مخلصاً من

أمواج هذا اليأس والكآبة ، وليفلت نفسه من عتمة التشاؤم وأنشودة القنوط ، وليخلق

لنفسه جواً من السعادة التى لا تنبع — كما رأها — إلا من نفس الإنسان ، ولقد

أدى اختلاط هذا الجو فى نفسه إلى ثراء فى المعانى والأحاسيس ، وأبو ماضى حين

يتفاؤل ، يكون بعيداً عن تفاؤل البلاء ، وهو لا يتفاؤل تفاؤلاً من يأخذون الحياة

من ظواهرها المضيئة دون النظر إلى جوانب الظلمة فيها ، حتى تراءى يقول :

وأرى السعادة لا وصول لعرشها \* إلا بأجنحة من الوسواس

وهذا ما سنشير إليه من خلال الحديث عن تفاوله •

(( ديوان إيليا أبو ماضى ))

— والشاعر يظالمنا فى ديوانه الثانى

بهذه النزعة ، ولعل خير قصيدة تمثل هذه النزعة في هذا الديوان • هي :

• فلسفة الحياة •

أي هذا الشاكي وما بك حاء ..... كيف تغدو إذا غدوت عليــــلا  
 أن شر الجناة في الأرض نفــــس ..... تتوقى ، قبل الرحيل ، الرحيلــــلا  
 وتزوي الشوك في الورود ، وتممــــى ..... أن ترى فوقها الندى إكليــــلا  
 هو عبء على الحياة ثقيــــل ..... من يظن الحياة عبئا ثقيــــلا  
 والذي نفسه بغير جمــــال ..... لا يرى في الوجود شيئا جميــــلا  
 ليس أشقى من يرى العيش مُــــورا ..... ويظن اللذات فيه فضــــولا  
 أحكم الناس في الحياة أنــــاس ..... علكوها فاحسنوا التعلــــيلا  
 فتعج بالصبح ما دمت فيه ..... لا تخفان أن يزول حتى يــــزولا  
 وإذا ما أظلم رأسك هــــم ..... قصرو البحث فيه كيلا يــــطولا  
 أدركت كنهها طيور الروابيــــى ..... فمن العار أن تظل جهــــولا  
 ما تراها - والحقل ملك سواها ..... تخذت فيه مسرعا ومقيــــلا  
 تتفتى والصقور ملك الجــــو ..... عليــــها ، والصائدون السهــــيلا  
 كن مع الفجر نسمة توسع الأــــز ..... هار شمما وتارة تقيــــلا  
 لا دجى يكوه الحوالم والنــــيا ..... من فيلقى على الجميع سدولا

■ ■ ■ ■

أي هذا الشاكي وما بك داء ..... كُن جميلا تر الوجود جميــــلا

وما يلاحظ أنه يدعو إلى أخذ القعة من الحياة دون التفكير في جوانبها المظلمة ، وهي نظرة لاتأني الأبعد بتصرُّب جوانب الحياة على اختلاف أحوالها . فالحياة جميلة ، وجمالها ينبع من النفس الإنسانية بعيدا عن عالم الحس .

ف ( الحس مجلبة الكآبة والأسى ..... قم تنطلق من عالم الإحسان )

ولا عبرة بما يظهر على شاشتها من مكدرات لصفوها ، ومصدر المشاشة والفرحة والسعادة

نفس الإنسان ، ومنها تنبع نوعية الرؤية •

لظاهرة الحياة ، فلنطرح الحُلم عن التفكير ولنطرح التفكير في أنفسنا الكبرى ( الفناء )  
 ولنرتشف من كؤوس السعادة حتى الثمالة ، فنحن لم نخلق فيها لنشقى ونتمب ، فمن  
 يجمع الهموم عليه أخذته شر إخذة ، ولكن طيراً ، يتغنى وقد أودعته سبحانه ضيقاً ،  
 ويشجيك وأنت تصوب نحوه قذائف الطفيان ، ومن القصيدة نلح أثر الخيام عليه ، في  
 تخدير الحمر نحو آلام الحياة ، يقول في رباعياته ( ٦١ )

تعاقب الأيام يدنى الأجل .. ويرها يطويك طي السجل  
 وسوف تغنى وهي في وكبرها .. ففضن ما تغنمه في جندل  
 لا تشغل البال بماضى الزمان .. ولا يأتي العيش قبل الأوان ..  
 واغنم من الحاضر لذاته .. فليس في طبع الليالي الأمس

كما تقابلنا في الجداول أكثر من قصيدة تشيع فيها هذه الروح .

ففي قصيدة " كم تشتكى " يدعوك إلى ترك الشكوى التي تجر أزيال الأيام بين طياتها  
 فما أحوجك إلى تركها ، والتمتع بما وهبك الله من مظاهر الطبيعة المتنوعة منها قصيدة  
 " كم تشتكى " يقول " أهلياً " :

كم تشتكى وتقول انك مؤسدم .. والأرض ملكك والسما والأنجـم  
 ولك الحقول وزهرها وأريجها .. ونسيمها والبلبل المستترنم  
 والماء حولك فضة رقائق .. والشمس فوقك عسجد يتضرم  
 والنور بيني في السفوح وفي السدى .. دوراً مزخرفة وحيناً يهدم  
 فكأنه الفنان يعرض عابثاً .. آياته قدام من يتعلم  
 وكأنه لصفاته وسنانه .. بحر تموم به الطيور الحوم

يدعو الشاعر إلى ترك الشكوى ، التي تجر أزيال الأيام بين لباسها ، فما أحوجك إلى  
 تركها ، والتمتع بما وهبك الله من مظاهر الطبيعة الحانية .

\*\*\*\*\*

فهبم للدنيا التي تبسمت لك ، ودع عنك الاكتاب ، فهو لا يرجع إليك عزاً قد مضى ، كما  
 لا يفيدك تجهم في صد ما قدر لك من الآم ، كما لا يرجع لك شياياً أنصرم .

هشمت لك الدنيا فمالك واجملاً .. وتبسمت فعلام لا تثبتهم  
 إن كنت مكتئباً لمرّ قد مضى .. هيهات يوجعة إليك تتقدم ..  
 أو كنت تشفق من حلول مصيبة .. هيهات ينفع أن يحلّ تجهمهم  
 أو كنت جازت الشباب فلا تقل .. شاخ الزمان فإنه لا يهيمهم  
 أنظر فما زالت تطلّ من الثرى .. صورتكاد لحسنها تتكلم  
 - ويعود مكرراً الدعوة إلى التمتع بالطبيعة الساحرة وما تهديك من ثمار .

ما بين أشجار كان غصونهم .. أيدٍ تصفق تارة وتسلمهم  
 وعمون ماء دافقات في الثرى .. تشفى السقيم كأنما هي زمزم  
 ومسارح فتن النسيم بحسنهم .. فسرى يهتفون تارة وبهمهم  
 فكانت صبّ بهاب حبيبهم .. متوسل مستمطف مسترحمهم  
 والجدول الجدلان يضحك لاهيباً .. والنرجس الولهان مغف يحلمهم  
 وعلى السميد ملاءة من سمنهم .. وعلى الهضاب لكل حسن بهمهم  
 فهنا مكان بالأرجح محطهم .. وهناك طود بالشعاع معممهم  
 صور وآيات تفيض بشاشتهم .. حتى كأن الله فيها يسهمهم

ويلح الشاعر في الدعوة إلى أعمال العقل للوصول إلى التمتع بما فوق الأرض من ملاحنة  
 وطرافة حوتها جنانها ، ولنترك الأوهام والوساوس التي من شأنها إحراق هيكل السعادة  
 ..... يقول :-

فامش بعقلك فوقها متفهمهم .. إن الملاحنة ملك من يتفهمهم  
 أنزرو روحك جنة فتفتوهمهم .. كيما تزورك بالظنون جهنهمهم  
 وترى الحقيقة هيكلًا متجسداً .. فتعاقبها لوساوس تنوهمهم  
 يا من يحن إلى غدٍ في يومهمهم .. قد بعث ما تدري بما لم تعلمهم  
 .....

- كما تعاقبنا قسيمة ( بردي يا سحب) في نفس الديوان ، وهي خير من يمثل النزعة -

التفاوتية في ديوانه وإن ظهرت فيها بعض ظلال النفور من الحياة كما تقدم (١) .

=====



(١٧٠)

كما أنه يذبح معها استسلامًا للقادير • يدعه إنكار شديد لكل ما يقال عن النفس  
المجهول • فهو ينتزع التفاؤل من بين مطالب اليأس يقول فيها :-

رضيت نفسي بقسمتهم ..... • • • فليروا فيرى المحبها

فهو راض يحظه القسوم • قانع - بالقوة - لا يفكر فيما يكتر عليه لذاته • فهو آيس  
بمحب العاض البغيض • أو مخاوف المستقبل المجهول • هذا الذي يفتن عليه حياته  
بل يتناس كل شيء • يكسّر صفو حياته •

ماله عين ولا أثر ..... • • • هو كالأمن الذي ذهبها

وسرعان ما يدعو صاحبه أن يصب له الصبها • ويحدثه عن وصفها وجوهاً تفي ذلك النجدة  
والراحة • والرضا •

أسقني الصبها إن حضرت ..... • • • ثم صف لي الكأس والحبيبا

ولكى يكتمل له هذا الجو يضرب صفحا بما يسع من حساب وحشر وغيره من هذه السمومات  
( السميات ) فكل ذلك أشبه بالكذب ما دام الحس به معدوم •

إن صدقت لا أحسن به ..... • • • هو شيء يشبه الكذبها

لا ينجى الشاة من سنب ..... • • • إن في أرض السها عسبا

وبينما يرضى الشاعر بما كتبه عليه يد القضاء وخطته له القادير • نراه يشعر بالألم الإنساني  
يتأمل هموم الانسان محاولاً ألا يتورط في تساؤم مريب • ولذا يندفع اندفاعاً تشرق به  
نفسه • وهذا ما جملنا نقول : إن تفاوته يزرع بفكر عميق •••

وبينما يطلب من السحب أن تجود من ظمائه • ولتتهطل على غيره ذهباً • إذ تتراحم له  
خبايا الصراع الداخلي • فلا يابه بها ولكن غير راحمة • بل قاذفة حسم • وليكن هو  
وحده هدفاً لها •

يردى يا سحب من ظمأي (١) ..... • • • واهطلني من بعد ذا ذهبها

أو فكونني غير راحمة ..... • • • حما حمرأ لا محبها

ولكن وحدي لها هدفا ..... • • • واتكن نفس لها خطبها

ويجود من خلال الحزن والألم فيقتبس الطوب والرضا •

أنا من قوم إذا حزونا  
وإذا ما غاية ضمنت  
(١٧١) وجدوا في حزنهم طرباً  
هونوا بالترك ما صعباً

• وتتلاقى مباحات التفاؤل مع موجات التشاؤم • وذلك بعد أن تصطدم جوانب نفسه  
بهذه الصدمات النفسية ، والاحساس بهجوم الحياة بجانب الإحساس بقمعها •  
فإذا ما ذهبنا إلى قصيدة "المساء" (١) فيجد أن يتساءل "إيليا أبو ماضي"  
مع "مسلمى" بم تراها تفكر؟ ولم يمررها اليوم؟ ويستشف ما يوردي بأمالها تحت  
ظلمة اليأس؟ يتوجه بدعوة - يكمن تحتها الإلحاح - إلى "سلمى" أن تتفائل ، ويطلب  
منها أن تقيم للبشر قصراً دائماً في كل أطوار حياتها ، ولتتم بما في الحياة من جمال  
وحب ، ثم يدعوها إلى تقبيل الواقع • هذا الذي من شأنه أن يجعل نفسها دائمة الفتوة  
والإشراق ، ويحفظ عليها ثوب صحتها في كل مراحل حياتها ، فما أجمل أن تتمتع بمباهج  
الحياة قبل ، وغنيها الندم على ما فات •

فاصفي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح  
واستنشقي الأبرهار في الجنات ما دامت تفروح  
وتتمسكي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلحح  
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان

لاتبصرين به الغدير  
ولا يلدُّ لك الحرير

\*\*\*\*\*

ولكن حياتها مملوءة بالأمال الضيئة ، واحلامها فنية ، وقلبها زهر دائم النضارة  
وكوكباً دائم اللعان لا يعرف له الأقول طريقاً •

لكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيباً

ولتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والشباب

مثل الكواكب في السماء وكالأزهار في الربيع

ليكن بأمر الحب قلبك عالماً في ذاتك

أزهاره لاتذبل  
ونجومه لاتأفـل  
(١٢٢)

وماذا يفيد التأمل ، والنهار يولد له موت ، والفد يفترس الحاضر ويفشاء بالنسيان  
والوساوس واليأس ، فلتدعى التأمل الذى يجمع الهموم ، ويهد أوجاع الحياة ، ولتحيث  
حياتك كلها مرحا ، يمتلى وجهك بالبشاشة . . . وشرق بلاآمال .

مات النهارُ ابن الصباح فلا تقولى كيف مات  
إن التأمل فى الحياة يزيد أوجاع الحياة  
فدعى الكآبة والأسى واسترجعى روح الفتاة  
قد كان وجهك فى الضحى مثل الضحى مهلاً . . . .

فيه البشاشة والبهـا  
ليكن كذلك فى المساء . . .

\*\*\*

ويروق لى أن أسوق عبارة لأحد الباحثين . (١) "إن إيليا أبو ماضى" - يطعم الإنسان  
خبز التفاؤل ، ولكنه يلقه فى النهاية ، وقد بات جائعاً متضوفاً .

\*\*\*

وفى قصيدة "تمالى" (٢) تتعالى صيحة الحُب التى تمتزج بالفرح بالطبيعة والخمر ، فنراه  
يدعو صاحبتة أن تنعم بليلتها ، وأحلامه فى رحاب الكأس ، وأن يخلصا اللذات اختلاسا  
فى ذلك المتعة والراحة والرضا والسعادة .

تمالى فتعاطاها كلون الثبر أو أسطع  
ونسقى النرجس الواشى بقايا الراح فى الكاس  
فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع  
ولا ينقل عند السبع نجوانا إلى النسا

\*

(١) انظر التفاؤل فى كتاب "إيليا أبو ماضى" إيليا حارى .

(٢) الجداول ٣٠

تعالى نسرق اللذات ما ساغتنا الدهر  
وما دنا وما هلمت لنا في الميسر آمال  
.....

وما أجمل إطلاق الروح من سجنها ، لنعيش طلقاء كهذة الطبيعة الجميلة وما أحسن العشق  
فهو مشيئة الله ، ولا يمكن لهذه المشيئة أن تضع سدى .. فإله هو الذي وضع الحب في  
القلوب ، وزينه بعشق الجمال ، ووجد في الطبيعة منطلقا له إلى تلك الثورة ، غير آبهين -  
بأوم اللاحين ، ونبهاتهم .

تعالى تطلق الروح من سجن الثقال  
فهذي زهرة الوادي تذيب المطر في الوادي  
وهذا الطير تياه فخر بالأغصان  
فمن ذا غف الزهرة أو من وخب الشادي

\* \* \*

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسننا  
وألقي الحب في قلبك إذ ألقاه في قلبي  
مشيئته ..... وما كانت مشيئته بلا معنى  
فإن أحببت ما ذنبك ؟ أو أحببت ما ذنبي ؟

\* \* \*

• ثم يدعو صاحبه إلى الغاب ، استجابة لنداء الحب ، فما أجمل أن يمتزجا كما في خمرة  
وأن يجاريا الطبيعة ويندمجا فيها ، متخذين منها سبيلهما الأوحس .....

تعالى إن رب الحب يدعونا إلى الغاب  
لكي يهزنا كالماء والخمرة في كأس  
ونغدو الثور جلبابك في الغاب وجلباب  
فكم نصق إلى الناس ، ونمص خلق الناس

\*

يريد الحب أن نضحك - فلنضحك مع الفجر  
وأن نركض فلنركض مع الجسدول والنهر  
وأن نهتف فلننهتف مع الليل والقمر

ثم لا تلبث دوافع القلق من المستقبل المجهول ومخاوفه ، وساء العمر وأشباحه الكثيرة  
تهب على الشاعر ، فيكرر النداء إليها ، ملتصقا منها السرعة في ذلك ، وتظلم  
الرغبة الشديدة نحو ملاذ الحياة ورفائها صارخة في أعماق نفسه لاستطيع الطبيعة  
بما فيها أن تنسيه هذه المتع الحسية ولم لا يسارع إلى ذلك مادام مهسراً لهما ، وقبل  
أن يفاجئهم القدر بيوم لا يمكن من أمرهم شيئاً . . . . .

— وقد ينطرق فكرة — لحظات — عالم الروح والسما ، ولكن سرعان ما تهوى به مطالبه  
الحسية إلى عالم الجسد ، إلى حيث تبدوله الحياة في ثوبها الحسن ، وحتى الم  
تكن جميلة ، خدر حسه حتى يستطيع الإقامة في حديقة من نسج خياله ، تبدو صور  
الحياة فيها جميلة فاتنة ، بما تيمت في نفسه من فرح بها واقبال عليها .

تعالى . . . . .

فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجرى ؟

تعالى قبلما تسكت في الروض الشحارير  
ويذوي الحور والصفاف ، والنجس والأسير  
تعالى قبلما تطمر أحلام الأعراس  
فستيقظ لافجر ، ولا خمر ، ولا كأس

\* \* \*

— وننتقل إلى ديوان " الخائل " فتلقانا فيه هذه النغمة في أكثر من قصيدة .  
ولكن المؤشر البياني — لهذه النغمة — يشير إلى انخفاض ، فقد أصبح " ايلياً أبو ماض " يرى  
الدينا مشرقة من جانب ، مدلهمة من جانب آخر ، وأنها إن اشرفت من جانب فلا فسك  
أن هذه الاشراق إلى أقول ؟ ولذا يدعونا إلى أغراض جفوتنا عن الواقع الذي يزعج اليوس  
واليامس في النفس ، فلا تفتح حتى لو ابتأست الطبيعة ، وكشرت عن أنياب حداد ، فالعسر  
ظل سريع ، والنهية إلى العدم بلا جدال ، فلما نأ نعيشها موشحة بهذا الثوب الأسود  
فجدير بنا — وإن تجسدت الآلام في أوضح صورة — أن نلقى الحياة بمتهجين ، ومع كسل  
ما تحكسه من سواد ودخان لا ينبغي أن نغصها بذكر شباب تولي ، أو محبوبه خانست

أو تجارة خسرت ، أو أعداء تجمعوا حولنا وكشروا عن نوايا خبيثه ، وليبتسم الانسان مادام حيا ، فانه سيعدم تلك الابتسامة حين تصور ماداً ، وهذه المعاني هي ما نراه في قصيدة " ابتسم " في ديوان الخمائل والتي هي خير قصيدة فيه تشمل هذه النزعة . يقول ( ١ )

|                                  |    |                                   |
|----------------------------------|----|-----------------------------------|
| قلت ابتسم بكفى التجهم في السما ! | .. | قال : الماء كتيبة ، وتجهتها       |
| لن يرجع الأسف الصبا المتصرما !   | .. | قال : الصبا ولي ، فقلت له : ابتسم |
| صارت لنفس في الخرام جهنما        | .. | قال : التي كانت سمائي في الهوى    |
| قلبي ، فكيف أطيق أن أتسمتا ؟     | .. | خانت عهدى بعدما ملكتها            |
| قضيت عمرك كله متألما             | .. | قلت : ابتسم واطرب فلو قازنتها     |
| مثل المسافر كاد يقتله الظما      | .. | قال : التجارة في صراع هائل        |
| لدم وتنفث كلما لهثت ، دمسبا      | .. | أو غادة مسلولة محتاجة             |
| وشفائها ، فاذا ابتسمت فرما ..    | .. | قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها     |
| وجل كأنك أنت صرت بالجرما         | .. | أ يكون غيوك مجرما وتبيت فسي       |

\*\*\*

|                                  |    |                               |
|----------------------------------|----|-------------------------------|
| أ أسرُّ والأعداء حولي في الحمى ؟ | .. | قال : المدى حولي علت صيحاتهم  |
| لو لم تكن منهم أجل وأعظما        | .. | قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بدمهم |

\*\*\*

|                               |    |                               |
|-------------------------------|----|-------------------------------|
| وتعرضت لي في الملابس والدُّمى | .. | قال : المواسم قد بدت أعلامها  |
| لكن كفى ليس تملك درهمما       | .. | وعلى للأجباب قروضي لا زم      |
| حيا ولست من الأحيّة معدما     | .. | قلت : ابتسم يكهيك أنك لم تنزل |

\*\*\*

|                               |    |                            |
|-------------------------------|----|----------------------------|
| قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما | .. | قال : الليالي جرعتني علقما |
| طرح الكأبة جانبا وترنما       | .. | فلعل كهيوك إن رآك ومنما    |
| أم أنت تخسر بالبشاشة مثنما ؟  | .. | أتراك تخنم بالتبرم درهمما  |

=====

- (١٧٩)
- يا صاح ، لا خطرَ على شفقتك أن .. تتلما ، والوجه أن يتحطما
- فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى .. تلام ، ولذا نحب الأنجما !
- قال : الهاشية ليس تسعد لا تنسا .. يأتي إلى الدنيا ويذهب مرفسا
- قلت : ابتسم ما دام بينك والسردي .. شبراً ، فانك بعد لن تتبمسا !

— وهكذا لتكن الابتسامة دائما مطلبنا ما دامت الحياة ، وهذا خير لنا قبل أن يقتلنا الردى ، فلن نتبسا .

وهكذا نلمح في القصيدة تناقض عما هو واقع من آلام الحياة ، كما نلمح التخدير .  
النفس الذي يخرجها <sup>عن</sup> عالم الحقيقة ويقلل من احساسها بمجروح الحياة ، ونهبع التناول في هذه القصيدة يعود إلى شيء واحد . هو الرضا بالواقع وقبوله كما يدفعنا اليها القدر ، حتى تشرق النفس وتملأ شفاهنا الابتسامات ، ونعيش بعيدين عن الاحساس بأشواكها ، وظلماتها ، وشرورها ، فنفس الانسان مرآة دقيقة تظهر بوضوح ما يوضع أمام سطحها العاكس ، ومن يعيش للجمال يراه في الطييمة في الجماد في كل شيء ، وكما يراها الأعمى فيطرب له طرب الجنون ، وينيب عن الرائي فيظل حزينا كئيباً .

يقول في نفس الديوان تحت عنوان " عش للجمال " ( ١ )

- عش للجمال تراه العين موثقاً .. في أنجم الليل أوزهر البساتين
- وفي الرُبي نصبت كفا الأصيل بها .. سراً دقاً من نضار للرياحين
- وفي الجبال إذا طاف المساء بها .. ولفها بسرابيل الرهابين
- وفي السواقي لها كالطفل ثرثرة .. وفي البروق لها ضحك المجانبين
- وفي ابتسامات " آيار " وروحها .. فإن تولى ، ففي أجفان " تشرين "
- لا حين للحسن لأحد يقاس به .. وإنما نحن أهل الحد والحسين

=====

(١٧٢)

فكم تماوج في سربال غانيمية .. وكم تألق في أسماك مسكينين  
وكم أحمر به أعي فجن لسه .. وحوله ألفرا غير مفتون  
عش للجمال تراه ههنا وههنا .. وعش له وهو مسرّ حد مكسون  
خير وأفضل ممن لا حنين لهم .. إلى الجمال ه تائيل من الطين

— ولم تظهر بعد ذلك في مجموعة الشعرية التي جمعت بعد وفاته في ديوان " تبر و تراب " إلى  
وضات ضئيلة جداً :- يقول (١)

خذ ما استطعت من الدنيا وأهلبيها .. لكن تعلم قليلا كيف تمطيها  
كن وردة طيبتها حتى لسارقها .. لا دمة خبثها حتى لساقبيها



## الشعر الوطني

الوطن وما فيه هو بؤرة تفكيرهم تفتى به الشعراء ولهذا حفل الشعراء  
 المهجري بحب الوطن والمُهايم به وذكر مناقبة وفضائله وتعداد مآثره ومعاليمه ،  
 والدعوة إلى المحافظة عليه والدود عن حماه ، واقتدائه بالمهج والأرواح وذم  
 من قرعوا فنام ، واستباحوا حرمانه ، ومدح الأبطال الذين حملوا أرواحهم  
 على أكفهم لتطهيره من رجس المستعمر الفاشم ، وقد صرفوا إلى ذلك  
 غايتهم ، واستنفدوا وسعهم ولا غرو فهو منبتهم ومقلهم ، تحوم أرواحهم  
 في سماء غادية وسارية ، وكيف لا وقد جُبلوا من طينه ومائه ، وأثبت هو لاء -  
 البليل أنه لن تستطيع بوائق الدهر ونوازل الحداث ان تقف عائقا بينهم  
 وبين الأوطان ، ففي أجوائها الودع الجميلة عائقوا شمس الحياة ، وقضوا  
 فيها ريعان الشباب وبيع العمر . وما أجمل قول ابن الرومي :-

وحب أوطان الرجال إليهم \* ما رب قضاها الشباب هنا لكا  
 إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم \* عهد الصبا فيها فحنوا لذلك  
 فقد الفته النفس حتى كآتسه \* لها جسدٌ إن بان غودر هالكها  
 وقول شوقي :-

وطني لو سُخِلت بالخلد عنسه \* نازعتني إليه في الخلد نفسي  
 ومع أن المهجريين بوجه عام قد وجدوا في مهجرهم حياة تتأقت لها أنفسهم من  
 حرية دينية ، ورفق اجتماعي وغير ذلك مما يُنير الحياة تجاه الناظر ويجملها مزدانة  
 بأبهى حللها بعيدة عن الظلم والطغيان ، طغيان الفقر والتحكّم والمذلة ، فقد  
 ظلت أرواحهم معتصمة بمماقلهم الأولى . محلقة في أجوائها ، تقوم بشكرها وتذم  
 محاسنه وتدعو للحفاظ عليه وتحرره .

(١٧٩)

\* وفي ظلال هذه الدوحة الشعرية تعالت أجنحتهم في سماء الجودة .  
محلاة بثوب من العاطفة الرقراقة . لترسم للناظر معالم الحسن والجمال ،  
والحبِّ والكمال نحو هذه الأم الحنون الذين رأوا فيها حنان الطفولة ومحدار  
الصبا . رأوا فيها الحبَّ الأول والبراءة بكل معانيها .  
وقد استطاعت هذه البلايل أن تنشر تغاريد الحب والشدة على خمائل  
جديدة ، ومصادر فنية تجاء فلسفة الحياة ، فتنوع المصادر ، وتلون التفريد  
مطلقاً في سماء الوطنية نغمات عذبة تفيض بالوجد والحنين ، والشوق  
والهيام في أثواب جذابة تأخذ معها كل لبيب ، وتشرح كل صدر .  
فالوطن دائماً في ضمير الشعراء لا يعزب عنه لحظة حتى أصبح الوطن  
والروح والضمير شيئاً مركباً يستحيل فصل مكوناته . كما يقول الطيبيون .  
ومن هنا اتسعت آفاق التجارب بين الشعراء النازحين وأوطانهم ، فما  
من دمة حزن . أو زفرة ألم ، إلا وسالت أغان حزينه تردد الصدى ، وترسم  
الأثر العميق في نفوس هؤلاء الشعراء .  
تقرأ الكثير من ذلك في أشعار أبي ماضي وغیره من شعراء الرابطة - وهؤلاء  
البلايل الذين ارتطموا على صخرة الإغتراب .  
تسمع الشاعر منهم حاضاً على إجابته نداء الوطن ، وتخليصه من شوائب الضعف  
ومخالب الموت وجرائم الهلاك ، وما أجدر بالعرب الكوام أن يهبوا لذلك ، وأن  
يثرروا ويثاروا لحبيبتهم ، فلا ينكثوا غزلهم ، ولا ينقضوا حبلمهم ومن الواجب  
والوفاء والعروة بذل كل جهد في رضا الوطن مهما بلغ الثمن ، ومنتهى ذلك هو  
الموت الشريف في سبيله ، وما أشهى الممات على هذه الصورة .  
يقول القروي (١) بحنوان " لعينك يا لبنان " .

=====

لنا وطن هلا سمعنا نحيبـــــــــــــــــة \* وهذا رأينا ضعفه وشحوبـــــــــــــــــة  
 أناسوا صحيفا في غنى عن دوائنا \* ويخفوا علينا قد أضاع طبيبـــــــــــــــــة  
 بلاد السوى لم تحرموها نصيبها \* فلا تحرموا برو الشام نصيبـــــــــــــــــه  
 إذا كان حب الفير فوضا على الفتى \* فكم هو فوض أن يحب قريـــــــــــــــــه  
 لمينك يا لبنان قوتى وقوتــــــــــــــــى \* وتعرفنى غنى الشباب رطبـــــــــــــــــه  
 . . . ما يغزل جهدى فى رضاك فان افز \* بقرب فما أشهى الممات عقيـــــــــــــــــه

حملت صليبي قاصداً أرض موعدي \* فمن شاء فليحمل ورائى صليـــــــــــــــــه

وها هو أبو ماضى يتصبب وفاض لبلاده يقول فى قصيدته " شيخ " (١) بلسان لبنان  
 أنا كالصرين اليوم غلب أسوده \* وتفرقوا منه لكل عريـــــــــــــــــن  
 . . . ونيتنى غافلون كأنــــــــــــــــى \* قد صرت فى الأشياء غير ثمــــــــــــــــين  
 أنتم ديون لى على آــــــــــــــــى \* ومن المرءه أن ترد ديونــــــــــــــــى  
 أوليس من سخر القضاء وهزئــــــــــــــــه \* أن يأخذ المثرى من السكــــــــــــــــين  
 عودوا فإن المار لا يثنيكمــــــــــــــــم \* عنى ولا هو عنكم ينثنيــــــــــــــــنى  
 وفيها يقول :-

لو أمت الدنيا لثوى كلمــــــــــــــــها \* ورأه لى ما كت بالمفــــــــــــــــون

ومن صفحات الفكر يلتقى بنماذج شمعية يورى فيها اتساع النظرة الوطنية الإنسانية  
 لتسير فى تيار رحب الجوانب ، انه تيار الصرمة ، والصرمة وطن كل عريــــــــــــــــى ،  
 وما أروع قول الشاعر " على الجارم " ،  
 وتجمعنا إذا اختلفت ديبــــــــــــــــار \* بيان غير مختلف ونطــــــــــــــــق

وقول الآخر:

فليست حدود الأرض تفصل بيننا \* لنا الشرقي حدٌ والعروبة موقـح  
وما أسوأ وأظلم ما يمشى العروبة في ديارها أو حريتها ، أوفى أى من حقـوق  
حياتها الكريمة ، كهذا الوعد المشئوم - مثلاً - وعد " بلقر " الذي هب  
كثير من شعراء المهجر . هو يهيب أبو ماضى . ثائراً على الوعد وصاحبه ، يطعمه  
فيقطره ، فهو بعيد كل البعد عن دائرة الأدمية ، إبليس متكرر في جلد آدمى  
فياله من انحطاط قدر وسقوط ذكر ، وخسة ونذاله جمعته وأمثاله الذين  
ساروا تحت فلكه المظلم المخبب ، بالسواد ، فياله من نذل سفیه تتخبط  
الأقوام غريقة في موجات ظلمه ، دماء بريته تراق ، وأرض طاهره تسلب وتدنس  
وظهور تقصم ، وأكباد تفتت ، حتى أصبح إليه هؤلاء الظالمين هو " الإله الأحمر "  
فالقتل من أكبر الكبائر إلا منهم ولنا فواجب ، فاللهم لك الأمر ولا حول ولا قوة  
إلا بك ، نصرتك لعبادك المؤمنين المظلومين .

قل لليهود وأشياعهم (١) \* لقد خدعتكم بروق المـنى  
الليت " بلقر " أعطاكم \* بلاداً له لا بلاداً لنا ،  
ودائماً لا يسلو أبو ماضى أو المهاجر ربوع الوطن ، وإن كانت سبباً في إشارة  
أشجانه وكان جثمت فيه صدره آلام مزيرة لا ينساها ، فالوطن وآله يشغلان قلب  
كل مهاجر .

وما أجمل ما يحسه القارئ من خلال هذا الشدو الجميل للشاعر " نسيم  
عريضة " في نشيد المهاجر (٢) يقول فيه :

أنا المهاجر ذو نفسيين واحـدة \* تسير سيرة وأخرى رهن أوطانسى

=====

١ - الخمايل . قصيدة فلسطين .

٢ - انظر هذا النشيد - الأرواح الحائرة .

أين العروبة - لا أسلوا الربوع ولو \* كانت مشيرة أوصابي وأشجانسى  
 . . . أنا المهاجر لا انسر الوداع وما \* جرى من الدمع فى أجفان غزلان .  
 . . . لى العروبة أمشى فى مغارفها \* من العراق الى ما بعد وهـوان  
 ازهو يثوب فغار من مناسجها \* حتى تقرب أيدى البين أكفانى  
 ويقول أبو ماضى (١)  
 وطنى أحب الى من كل الدنيا \* وأعز ناس فى البرية ناسى

\* \* \*

ودائما يعيش المهاجر مكتوباً بنار الجوى \* ضنين القلب، نحيل الجسم لا يقوى على  
 فراق الأوطان . ، يحن إلى ربوع الوطن ، سهران يرمى النجوم ، وما أكره البكاء  
 إذا هاجهم شوق إلى الأوطان ، ولا غرو فالشرق أصلهم . ومن الشهامة إعتراز  
 الإنسان بوطنه ، ولا شك أنهم يرون الدنيا دونه خطأ ، والحياة بعيد عنه جمة  
 يكونون بنارها .  
 واقراً بعض ما قال " ندره حداد " فى حفلة جمعية الاتحاد السورى (٢) عين  
 الأم المهاجر .

بيت كالمسوع فى كريمة

سهران يرمى النجم فى ليلته

يكنى ويستبكي إذا هاجته

شوق إلى الأوطان أو أهله

وأشد يوقع الأم الغربة على نفس المهاجر الكئيبة إذا تفجرت ينابيع الذكريات الشتى  
 سجلت خلف محراب الوطن ، فذكريات الغريب مع وطنه يرتعش لها النظر ، وتخيب

=====

١ - سوف تفصل القول عند أبى ماضى فى باب الحنين والغربة وآثرها فى شعوره .

٢ - انظر قصة الأدب المهجرى . د . محمد عبد المنعم خفاجى ١٩٤٦ ط ٢

( ١٨٣ )

العيون ، ويفرف القلب جريحاً ، ومع ذكروهم للوطان يأملون أن يسمح الزمان  
ويصدق مرة ليجددوا ذكريات الصبا والشباب ، يسهرون بين أشجار الكروم  
مع القمر والظلال والنجوم ، تطربهم موسيقى البلبيل ورعشة الأغصان ، والصخور  
التدية ، فهم مهما رأوا في ديار الخربة من قصور شاهقة وخزائن من ذهب  
ما غرهم سوى أنهم يرجون آملين أن تكحل أعينهم بمسرى الوطن وهناك  
يهللون مكبرين فسيرون النور من جديد بفيض من كل فج عميق .

يقول أبو ماضي في قصيدة " الشاعر في السماء " ( ١ )

رأى الله ذات يوم \* في الأرض أبكى من الشقاء  
فريق ، والله ذو حنان \* على ذوى الضر والنساء  
• • وشاد فوق السماك بيوتى \* ومد ملكى على الفضاء  
ومعد أن استل الله منه كل نقص في الخلقه الانسانية ولم يزد ذلك الأبناء  
قال الله له .

يا أيها الشاعر المعنى \* حيونى داودك الميناء  
هل تشتبهى أن تكون نجماً ؟ \* أجبت : كلاً ، ولا بهيئاً  
وحيث سأله الله عن مطلبه • فقال :-

يارب فصل صيف \* فى أرض لبنان أو شتاء  
ولما أشرف الله من علاه • بعد تعجب من صاحب هذا الداء الميناء  
لموى لبنان وما فيه •

فقال : ما أنت ذو جنون ، وإنما أنت ذو وفاء  
فإن لبنان ليس طوداً ، ولا بلاداً ، ولكن سماء

=====

( ١٨٤ )

\* ومحال على عين المهاجر أن " ترى لذة العيش في موطن ثانٍ " وهيمات  
ذلك وقد سجلت أحلام حلوة لذيدة رآها بعينه على شريط • الحب الذي أثمرت  
بذوره في أحضان أرض الوطن مخلقة شجرة فروعها ذكريات الطفولة وحياة الصبا ،  
وكلاهما كعبة الانسانيه ، ومريض كل قلب حساس تجذبه الى الوطن في الخيال  
ومن ذلك تغلى مراحل الأحزان بالذكريات في أجمل " بلاد وجباها الله لطفها  
ورونقا " فنيت حسناء بحمر ذيولا من ضياء النفر والجمال ، والحسن والخضارة  
في كل زمان ومكان .....

وللشاعر " الياس قنصل " مقطوعة شعرية بعنوان " في موطن ثانٍ " (١)  
يقول فيها :-

أبعد روع رصح المجد أرضها \* ترى لذة العيش في موطن ثانٍ ؟  
وهل بعد سمرًا تروق لشاعر \* بلاد .. وان كانت كجنة رضوان ؟  
وأحلامه مرت هناك فخلقت \* له في حنايا القلب نبضة حنان  
تعود به الذكري فتلقيه باكيًا \* وفي صدره تغلى مراحل أحزان  
يعود من حن الظلم بشعره \* يسر إليه همه دون كتمان  
فلشعر نجواه إذا الحزن حقه \* وفي الشعر من أحزانه بعض سلوان

— وصفة دائمة سيظل قلب المهاجر ، يتكوى بلوعة الفراق ، ويزرف دمعة الأسى ،  
ويقطر دماً على إخوانه ، الذين وقصوا ضحية الكذب والفدر والخيانة ، فاتخذوا  
المراء ملجأ ، بعد أن أوت ذئاب الفدر والخديعة وشدان الآفاق السى  
مضاجعهم الأضنة • مضاجع المرء • ، ويشتد وقع ~~تسلك~~  
الصيحات المدوية على كل قلب ذاب في يوتقة اليأس والعذاب ، وذاق مرارة  
الكأس ، على قلب كل عربي لسمته حرقه الجوى ، فلم يبق عليه إلا أن يهبط

=====

النجدة هؤلاء اللاجئين ، وإلا فمن يقى هذا القلب الكسير . بعض الآله  
ويرد إليه قليلا من ارتياحه ، ومضا من شهيق الحياة الى روحه السجينة ،  
ولقد أن مجرد العرس حسامه من غمذه حتى نستطيع إرجاع مجد الأبيوة  
وسودد الأجداد .

وهل هناك صيحة أشد من أوقسى إيلاما من تلك الدماء التي تنزفها خناجر  
الأم على لسان الأديبة الفلسطينية " أسمى طوبى " وقد سئلت - مرة -  
إثر خروجها من فلسطين بعد النكبة . لاجئة إلى لبنان - ماذا علمتكم :  
الحياة ؟ فتجيب قائلة : علمتني الحياة . أن أقتسى نكباتها هو يوم  
تنكب المرء في موطنه ، فيعيش على هامش أوطان الآخرين يعانى ذللمسة  
المتطفل ، ويشقى شقاء الخريب . شقاء الرجل الذي لا وطن له " وتبكي  
مع الزمن . سهام الحرب وسيوف القتال المصنوعة من الصلب ، أما سهام القلوب  
التي صنعتها أوتار القلب وترجمتها الألسنة فسوف تبقى دون فناء لاتزيدها  
مرور الايام الا بريقا ومضاء ،  
ولهذا يتمنى الشعراء العودة إليها ذلك أفضل ما يطلبون . يقول  
أبو ماضي :-

رب هينى لبلادي عـــــودة \* \* \* وليكن للخير فى الأخرى ثوابى



## الإصلاح الإجتماعى

— إن أي مجتمع تسوده المحبة وتنتشر فيه المودة ، ويفيض فيه المظف ، وتقوى فيه  
الروابط بين الأفراد ، لهو مجتمع متقدم ، وبلا تردد بشوره بالخير ، الكبر والتقدم  
الستمر ، وإذا انقلبت الآية وامتلأ الوطن نفاقا ورياء ونحسا وحسداً وتكبراً وأنايته فما  
هو إلا جهنم الدنيا ، عذاب مستمر ، وسموم تسرى فى عروقه ، ومدى تقطع جسمه  
وتخر عظامه ، فيعثر شبحاً شميماً تلتهمه كلاب الاستعمار ، وشعالب النهب والسلب .  
— وكما انطلقت السنة البلايل تضرب على أوتار الوطنية داعية إلى إنقاذ الأوطان من  
بهم العبودية ، وتحطيم قيود الاستغلال ، محلقة فى سماء الإخلاص لهذه الدعوة  
وللأمة التى أخرجتهم وللوطن الذى ولدوا فيه ، مشاركين فى كل حادثة ذات شأن فى  
الأقطار العربية مشاركين فى مخنه بقلوبهم وألسنتهم التى تترجم عن القلوب نغمات  
ذلك الأدب الفياعى بالوطنية والإخلاص .

كذلك انطلقت ألسنتهم نحو الدعوة إلى الإصلاح الجماعى ، بعد أن بعثوا  
الاستعمار شمل الجماعة ، ومزق جسم الوحدة الروحية بين أبنائه ، ونفت سمومه التى  
ما زالت الجروح الدامية أثراً من آثارها ، بل وضع العوائق التى فتتت القومية العربية  
ورفع حزب الشيطان الذى والاه فوق أعناق أسيادهم الآخرين ، تلك الطبقة التى  
تشعبت إلى فروع وأجناس ، حتى بات المجتمع يمشى ليلاً طويلاً .

— رأى المهجريون الحياة فى مهجرهم جنة من الحرية ، والحياة الكريمة . عدموا  
فيها ما هنالك من سحب ودخان ، يخيران وجه الحياة ، ولهذا بدأ الشعراء فى  
الوطن الجديد يزدون فى قصائد الشعر الاجتماعى . . . . . الذى يدعو إلى الحياة  
كما شاهدوها وعاشوها . . . . .

فما أجمل أن تعمم السعادة ، ويفيض الإخلاص بين أهل الوطن نبعثون مفترفين  
خيوات هذه الحديقة الروحية كشجرة النسي ، وفيرة الظلال ، ولذلك . . .

— أعلنوها حرباً شعواء على الملل والأمراض التي تنخر جسم الشرق العربي كالتمصيب الديني ، والطائفية ، والتكبر والاقطاع ، والأنانية ، والآثرة والجهل ، يالها من أمراض فتاكـة !

فكم من مريض يترك موعى للجراثيم دون مغيث ! ، وكم من قبيح تلتهمته مخالِب الجوع دون— منقذ ! ، على حين ترى الإقطاعيين فى حرصهم على كتوزهم يودون لو مات هذا القبيح الذى هو— فى نظرهم جرثومة تنخر فى جسم أموالهم ، ولذا كان الأفضل تركها حتى تموت فأن من شر نقصان أموالنا .

— وكم من أزهار ذبلت والماء كثير ! ، وما علم هؤلاء البخلاء أن أموالهم والحالة هذه إنما هى شجرة ثمر ثعابين تلتهم وجوههم يوم يحشرون فى نار جهنم اذا ما ودعوا — ثعابينهم فى الحياة على هذه الحالة ..

— وكم من السنة ألجمت والفصاحة لبا سها . ولذا رأى شعراء المهجر ضرورة المناداة بصلاح العلاقات الاجتماعية والدعوة الى السعادة ..

وما السعادة فى رأى هؤلاء إلا الحب الأخرى النابع من القلوب فهو رباط متين بين أبناء الوطن ، والتعاطف والمشاركة فى آلاء الوطن ، والقضاء على كل ما يفسد الحياة ، أو يلوئها بثوب أسود حالك .

— وماذا يحدث لو تم القضاء على تلك الآفات المنتشرة فى أوطانهم ..  
— والتي عملت ذئاب الغدر على نفث سمومها وبعثرة أشواكها بين الناس— وساد التراحم والحب ؟ من المؤكد أن ينتشر الرخاء والطمانينة والبركة والتماسك ..  
— وتتقدم الحياة فى شتى مناحيها كما رأى الشعراء فى الموطن الجديد ، وما أجمل ما يتمنون لإخوانهم ساكنى الأوطان من انتقال هذه النعم الاجتماعية وإحياء الحياة الجميلة بينهم ..

— وكما أراد الله لهذه الآفات أن توجد فقد قدر لها أدوية تفك بها وتقضى عليها— فيجوار مرارة الحياة وقساوة أحدا شها خلق الله حلاوة الانتصار أمام موجات ظلمها ونفاقها ، وما يوجد فى دواوين المهجريين من شعر اجتماعى ما هو إلا صرخات عارمة ضد الأوبئة الهدامة للعلاقات الإنسانية ، ونبوان تلتهم الفتك المصطنع الذى يشوه

وجه الحياة الأدمية ، ومن هنا لا يعجب القارئ لأدب المهجريين إذا ما رأى هذه الحملة  
الإنسانية ضد هؤلاء المتكبرين وغيرهم من أرباب النفاق ومعبود الذهب . . . . . وكلهم  
يرتدون ثيابا مضللة واهمين أنفسهم أنهم خلق آخر ، وما عرفوا أنهم أقل شأنا وأصغر  
قدرا في نظر الإنسانية . . .

— تحدث الشعراء كثيرا عن التكبر والمتكبرين ، الذين يظنون أنهم فاقوا الآخرين  
وما أجمل قول الشاعر " القروي " في قصيدة له بعنوان ( المتكبرون ) (١)

|                             |   |                                |
|-----------------------------|---|--------------------------------|
| هل استشـيروا                | ■ | بمولدهم ، وهل أمنوا الحماما ؟  |
| هل كشفوا من الأكوان سـرًا   | ■ | وهل عرفوا البداية والخاتما ؟   |
| هل جيلوا جـسومهم بخمر . . . | ■ | وهل نحتوا من العجاج المعظاما ؟ |
| هل يغدون تحت الأرض تـبرًا   | ■ | ويمس غيرهم فيها رظاما ؟        |
| أليس قوامهم ماءً وطينـا     | ■ | كما خلق الإله لنا قواما ؟      |

وأبو ماضي يأخذ من المتكبرين كل ما أخذ وله في ذلك باع طويل . . . . .  
في قصيدة ( الطيسين ) التي يقول فيها :-

|                            |    |                               |
|----------------------------|----|-------------------------------|
| نسى الطين ساعة أنسه        | طـ | بين حقيق فصل تيبها وعرسه      |
| وكسى الخنز جسمه فتياهـى    | ■  | وحوى المال كسبه فتمـرد        |
| " يا أخى لا تمل بوجهك عـنى | ■  | ما أنا فحة ولا أنت فرقد       |
| أيها الطين لست أسمى وأنقى  | ■  | من تراب تدوس أو تتوسد         |
| فإن كانوا كثيرهم أنا مـا   | ■  | علام إذن قد احتقروا الأناما ؟ |
| وإن لم ينفعوا الدنيا بشـىء | ■  | وإذن فعلام منتهم علاما ؟      |

\* \* \* \* \*

— وإن أقل ما يقال في أمثال هؤلاء أنهم حفنة من تراب ، جاءت والطهر رقيقها وولت  
والإثم والداء في غشون ثيابها

— وأنهم يتكبرهم وشروهم ، وأنانيتهم وجههم لكل هذه الصفات الذميمة إنما يعبرون عن

(٢)

"ارتقاء ناقص" جمع كل شر وروا كما يقول الشاعر السابق تحت عنوان "ارتقاء ناقص"

|                              |                              |          |
|------------------------------|------------------------------|----------|
| قال ما قاله ، وفـر لفـوره    | * يتوفى                      | تقرى     |
| فانبرى آخر بـدوره            | * قلت حقا                    | بمذهبي ا |
| **                           | **                           | **       |
| مادعوه الانسان من أنسه لـ    | كن دعوه الانسان من نسيانه    |          |
| نسى الخير ثم أوغل في الشر    | قداس الضمير في عصيانه        |          |
| ملأت قلبه أظعن الماصى        | فاسمعوها تفح في خفقانه       |          |
| حسد ناهش بقية ما فـسى        | نفسه من ابائه وحنانه         |          |
| طمع يضرم السعير حواليه       | ويحمى عيونه بدخانـه          |          |
| وانانية تحل له القتل         | مل لتحقيق غايته في كيانه     |          |
| **                           | **                           | **       |
| منح النطق والذكا ميزة تفـ    | رقه في الوجود عن حيوانـه     |          |
| فانذا بالأذى وليد جحـاء      | واذا بالشرور بنت لسانـه      |          |
| غاث في أرضه فخال جحيمـا      | فأتى الخلد عائنا في جناحـه ا |          |
| زج بالعلم في السماء طيـورا   | من جماد يديها بينانـه        |          |
| ما احتلاها إلا لقتل البرايـا | ولهدم البلاد في طيرانـه      |          |
| ليته لم يكن ذكيا ولين الـ    | كون لم يشهد ارتقا إنسانـه ا  |          |
| **                           | **                           | **       |

— ولقد رحب قلب هؤلاء المهجريين ، فشمّل جوانب الحياة الاجتماعية التي تعمل على زرع العلاقات الطيبة بين الناس ، وقتل كل جُرم يقطع كبد المودة ، ويترك الوُد جريحاً ، وأراد شعراء المهجر للعلاقات الإنسانية أن تظل مترعة الفروع مخضرة الأوراق آتية الأكل ، ولذلك تحدثوا كثيراً عن التقهر وما يلقاه ، حائسين وملتسين من بنى جنسه مساعدة هذا — التائه بين أطراف الحياة ، والذي ضل عنه الأنس ، وهجرته البهجة فطرده الأغبياء ، وتجنّبـه الأغبياء ، ولا ذنب له إلا أنه من صنع رب السماء ، ولمثلهم عروق مملوءة بالدماء ، ولأنه من الضعفاء هرعوا بحميدا عنه وكأنه مصاب " بأقيح دا " يقول الشاعر " مسعود سباحة " .....

فى قصيدة بعنوان "الفقير" (١) يقول فيها :-

- |                                     |   |                               |
|-------------------------------------|---|-------------------------------|
| قَدَّرَ اللهُ أَنْ أَكُونَ شَقِيحًا | ■ | فى حياتى من جملة الأُمُقياء   |
| لَيْتَنى لَمْ أَكُنْ فَإِنْ حَيَاتى | ■ | ومياتى لى مثل الهيباء         |
| إِنْ أَيَّامى الطويلة داء.....      | ■ | لفقير مثلى بسدون دواء         |
| كلما شاب مكرالى شَبَّ حزنى          | ■ | فى فؤادى وشب فيه غائى         |
| ليس فى الصيف لى مقر ولا لى          | ■ | ما يقينى قر الشتاء فى الشتاء  |
| ليس لى ملجأً أَحَنُّ إِلَيْهِ       | ■ | ظُدَّتى البلدان كالصحراء      |
| أبغضَ مِنى معنى الحياة فأنسى        | ■ | تائه بين صباحها والمساء؟      |
| لست أنسى يوماً تمعدت قومًا          | ■ | من كبار المترين والأغبياء     |
| طردونى فقلت : يا قوم إننى           | ■ | مثلكم ..... إنما من الضعفاء   |
| قلت : إن الجسموم منكم كجسمى         | ■ | والدما* فى عروقكم كدمائى      |
| إننى مثلكم ولدت ، وإننى             | ■ | مثلكم صنع رافع الزرقاء        |
| غير أن الظروف قد حرمتنى             | ■ | من نصيبى من الهناء والثراء    |
| أى ذنب لمن يفتح عينى                | ■ | إذا لم يجد سوى الظلماء؟       |
| تقتلون الأوقات فى حفرة الإس         | ■ | راف بين القمار باد ، والفحشاء |
| تسهرون الليل الطويل وانتهم          | ■ | بين سعد باد ، وسعد نساء       |
| قد اخذتم طبع الجوارح ضيماً          | ■ | واستعرتهم تلون الحرياء        |
| تعرفون الحياة أكلاً وشرباً          | ■ | ومأماً ومذلاً ماء الحياء      |
| فالسماوى جنهم إن أردتهم             | ■ | عندكم ، أو جهنم فى السماء )   |

=====

١- السابق ٢٢٧-٢٢٨ ، قصة الأدب المهجرى د . محمد عبد المنعم خفاجى

— وما أفضل ما نادوا به من هفت التعصب الديني والتفكير منه ، ولهذا رحبت نظرتهم إلى الأديان . (١) ولهذا اكتسى الشعر العربي في المهجر طابعا خاصا وقلبت عليه روح من الصفاء والشفافية ، في الأديان في نظرس هولاء ، داع إلى الفضيلة والحب والخير والتعاون والسلام ، وهي وحييدة المصدر وهي أقوى سبيل التوحيد والخلص من ريقه المستعمر يقبول أبو ماضي (٢) :-

ما كان أحوج سوريا إلى بطل \* .....  
 حتى يطهرها من كل ذى دنس \* .....  
 ويجعل الحب دين القانطين بها \* .....  
 حتى أرى ضارب الناقوس يطربس \* .....  
 ولكن الإصلاح سلاحا لتحقيق الرفاهية ، وعمودا من أعمدة الحياة الأساسية ، ولهذا كان من القسوة الشديدة ، والتصنع الاجتماعي القادح أن تقلب الأنفس فتقلب معها صفحة الحياة الباسمة عن الآخرين ، لتتمتع بها وحدها ، وأهممة أن سعادتها يمكن أن تتحقق وهي في معزل عن الآخرين ، ومن هنا ظهر حديثهم عن الحياة وتقلباتها ونفاقها ، تجد ذلك في قصيدة " نجمة الليل " (٣) للشاعر

إفذاك مؤرقة ها جيدة \* فهل أنت عاشقة واجيدة ؟  
 وهل مضك الحب يوما فهمت \* كما همت بالطيبة الساردة ؟  
 وهل أنت مثلى رأيت الحياة \* صمودا فجبت الفضا صاعدة ؟  
 وهل لفتك كما لفتني \* الليالي دروسا بها الفائدة ؟

=====

١ - انظر الشعر العربي في المهجر محمد عبد الغنى حسن ٤٥ - ٤٩

٢ - انظر ايليا أبو ماضي ..... زهير ميرزا ٤٨٦

٣ - قصة الأدب المهجري ٥٨٦ د . محمد عبد الغنى خفاجي .

(١٩٢)

- وهل سلمة الحق في سوقكم \* كما هي في سوقنا لأسلمة  
وهل عندكم من يدوس أخفاء \* لأجل مآربه الفاسدة؟  
وهل للنضار هناك عميد \* تظل محاسنه طيبة  
وهل يستر " القرش " عار اللئيم \* فيخفي عن الأعين الناقدة  
وهل في السماء كما في الثرى \* شرور ترى أبداً سائدة؟  
إذا كان هذا الذي في السماء \* فنفسه وبها زاهدة؟

\*\*\*\*\*

لا شك أن الحياة لا تخلو من مناسبات • وأى حياة تخلو من • ملاعبات عديدة • وما دامت عاطفة المهجرين يرحبت حتى • شملت جوانب الحياة فمن الطبيعي أن يظهر لهم شعر في هذا الشسوط من هذا اللون الذى لا يحاب • مادام نابعا من الشعور • ومتولداً من تلك المناسبة • ومزوجا بماطقة صادقة • ومستوفيا لأبعاد التجربة •

— ولكن هذا النوع الشعرى إذا ما هجرته الماطقة الحارة • أصبح نظاما بارداً • فيه سمات التكلفة وملاح الكذب الوجدانى • فلا أقل من أن يطرح بعيداً عن دائرة الشعر • فالشعر • بمعناه هو ما يخاطب الوجدان البشرى وشيؤه ويحرك سواكسنة •

فلماذا ما توفرت هذه المميزات للشعر مهما كان نوعه • فلماذا يوجد باب القبول فى وجهه • ؟ مع العلم أنه لا تخلو قصيدة شعرية فى الدنيا من مناسبة •

— ولماذا نقف — على سبيل المثال فى وجه المدح مادام هدفة إنسانياً — اجتماعياً ؟

والشاعر يقول • (١)

لا تعدلن على المدائح إن تكن \* تجنى ثمار الخير من كلماتها  
إن المديح على الفضائل أكثر \* منها • مقل من عهد عاداتها  
وإذا الكرم مدحته بقصيدته \* قرأ اللقيم الدم فى أبياتها

وكيف تلقى وراء ظهرنا صفحات خالدات • حملت بين طياتها عاطفة الوفاء  
والحب إلى الوجود الذى هو بدون ذلك صحراء تسكنها الذئاب والثعابين —

تحت قميظ من نيران جهنم ..... % ؟

=====

١ — ديوان فرحات



وهذه الصفحات السابقة هي التي أظهرت آيات صادقات إلى سماء الكون .  
 وبأى حق نصم الأذان عن عاطفة نمت في قلب شاعر ترجمها تعبوا عمن  
 فرحته بمولود أو زهرة حزن ، على زهرة ذهبت من بستانه ؟ وكيف نلكر  
 ثمار عاطفة خلقها الله في قلوب البشر ؟ ما ذلك - كما يدولى - إلا من  
 باب كسب النعمة . الإلهية . . .

- إن هذا النوع من الشعر - على تلك الحالة - ما هو إلا أنفاس مشرقة لما فيها  
 من حرارة ونبل ووفاء ، ولا ننكر الطاقات الشعرية والأذواق في تناول هذه  
 المناسبات .

ثم ماذا ؟ هل انفصمت جذور العلاقة بين تراثنا القديم والحديث وتوقف  
 التفاعل بينهما ؟ أو بمعنى أوضح حياة من سبقونا وحياتنا ؟

وصحيح ما يتراعى للبعض - كما يدولى منهم - أن بختمة المفاجأة ، وسرعة  
 القول فيها يعدم من قيمة القول ، ويقلل من قيمته ، ويحسن القول . . . . .  
 إذا ما اتضحت التجربة الشعرية لتلك المناسبة - في نفس الشاعر ، ووقف على  
 اجزائها بعقله وفكرة لتظهر في صورة متناسقة ملونة بالمعاطفة تلوننا مناسبا لكل  
 جزء من أجزائها ، ولها لكل ، بحيث يجلى ، كل ما في نفسه تجاة تلك التجربة  
 في صورة توفرت فيها الوجدان . الصادق النفاذ . ، وأرى أنه لا بأس بتذكر  
 تلك الأبيات للذبيب " إلياس أبو شبة " في غلواء حيث يقول :

إذا أنت لم تعذب وتغمس

قلما في قسرة الأمل واج

فقوافيك زخرف وبريق

كعظام في مدفن من رخام

وأعني بهذا أن قيمة هذه الأشعار ترجع إلى قوة الملكة الشعرية صاحبسة  
 الوجدان الأنساني الفذ .

وقد يتناول شاعر ما موضوعا من الموضوعات البعيدة عن هذا النوع ولا يحسن فيها

قولا • فهل تُعدّ من الشعراء لأنه قال شعرا في غير المناسبات ؟ أليس  
من الصواب • أن ينظر إلى ما نقرؤه نظرة عدل • فرما وجدنا معانى وأحاسيس  
قد تسكن القلب بلا استئذان ؟ وصدق الله حيث يقول :-

(( وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار )) •

— ولقد جال شعراء المهجر حول ذلك النوع من الشعر • من مدح وثناء  
واستقبال وتوديع .....

وهذه نماذج من شعرهم في هذه المناسبات • وليس المجال هنا مجال  
إحاطة بكل ما قيل في هذا الشأن • وإنما هي مختارات حسبما يقتضى المقام  
فها هو أبو ماضى يقف في موت أخيه " م ترى " ليلقى هذه المـسـجـرات  
الحارة من الرثاء • والتي يقول فيها :-

لوعة في الضلوع مثل جهنم \* تركت هذه الضلوع رمادا  
بت رمى للدهر بي يتحلم \* كيف يصمى القلوب والأكبـادا

\*\*\* \*\* \*

كلما قلت قد وجدت حبيبا \* طلع الموت بيننا يتمـادا •  
صرت في هذه الحياة غريبا \* ليت سهدى الطويل كان رقـادا

وينبغى هنا الإشارة إلى ناحيتين • مهمتين •

أولاهما :-  
\*\*\*\*\* أن المناسبة عند أبي ماضى لا تخلق الشعر بل تساعد على ظهوره

ثانيهما :-  
\*\*\*\*\* أن المناسبة عند أبي ماضى في كثير من الأحيان منطلق كبير

للتنفيس عما في النفس • ففي قصيدة ( مجاهد ) — مثلا — ( ١ )

تراه في ذكوى موسى كاظم باشا \* يتخذ منه مثلا وهاديا للشباب  
ويخرج إلى الوطن والنفاق والمنافقين والحض على الدفاع عن الوطن دفاعا

=====

" بشرى سعاد " تحت هذا العنوان استقبل الشاعر " زكي قنصل " ميلاد طفلة " سعاد " بهذه الأبيات (١)

ضحك الصباح فقلت لــــو  
أهلا عروم الفجر أهــــو  
هاض الأسي جنحى فلمــــو  
وتكاثرت في الجبرــــو  
لاها لما ضحك الصــــباح  
لا بالصباحة والاصــــباح  
لا جئت طرت بلا جنــــاح  
ح فكت برا للجــــراح

\* \* \*

أسعاد هل أحلى من اسم  
لكأنه أهز وجــــه  
لكأنه نجوى النســــم  
للأنس قبل النســــم  
ك بين أسماء البشر؟  
نشوى على شفة الوتر  
يم يهز أعطاف الشجر  
تنسب ما بين الزهر

\* \* \*

ماذا بكأوك يا ســــما  
غوى تمننه عن ســــر  
سلمت يداك لــــد أقــــم  
ومعت من أمالهمــــا  
هذا ملاك فارتــــمى  
واستمتحن منه بــــأذ  
ما أهون الأخطار يــــد  
ما أقرب القصد البــــمى  
د وعين أمك ساهمــــرة؟  
يرك كل عين شــــارة  
ت لها الأمانى العائــــرة  
ما ليس تدرك آخــــره  
فى ظله الشافى الظليــــل  
كى من شدا الخلد البليــــل  
فع شرها هذا الدليــــل  
د وأيمر العمى الجليــــل

=====

١ - الشعر المرصى فى المهجر ٣٦١ وما بعدها محمد عبد الغنى حسن  
قصة الأدب المهجرى محمد عبد الغنى خفاجى ٧٣١ تحت عنوان  
( ضحك الصباح )

— وعلى ضريح هذة الزهرة الذابلة وقف الشاعر يشاهد قطرات الدماء تنزف  
من كبده محاطة بحصيو الأس المتفجر من القلب وتحت عنوان ( على  
ضريح سعاد ) ( ١ )

|                    |                       |
|--------------------|-----------------------|
| رقت رفيف الأفحوا   | نة وانطفت في عمرها    |
| ماذا جنت حتى تصيب  | لدها الردى في فجرها ؟ |
| يارب ! لا تحبس فـ  | دى لحظة عن ذكرها      |
| أنا قد عبدتك بمسنة | وضاءة في ثغرها        |
| وشمت أنفاس الجنـ   | ن شذية في شعرها       |

\*\*\* \*\* \*

يا من يرد إلى شفاهى بسمة الأمل الـ  
وحيد لى ما أنفت الأيام من قلبى الصـ  
أنا من أساى ومن جراحى فى ظلم سرمـ  
قد كان يضحك لى غدى واليوم أهرب من غـ  
ماتت أنا شيدى الحسان وبع صوت المنشد

\*\*\* \*\* \*

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| أسعاد جنتك لا يشـ    | شة فى الصيون ولا بريـ |
| النار ملء جوانحـ     | والشوك فى عرض الطريـ  |
| دجت الحياة وشاه فـ   | عيني محياها الأنـ     |
| لا الروضاه بمـ       | لولى ولا عودى وريـ    |
| ويحى ! أغرق فى الدمـ | ع وليس لى أمل الخريـ  |

=====

(١٩٨)

\* وللشاعر ( جورج صيدة ) قصيدة يرثى بها أمة " نظمها سنة ١١١١ وهو  
في سن " الثامنة عشرة " بعنوان " أمى " (١) يقول : -

كسرت قلبى لمن يجبره ؟ إن تكن أمى التى تكسره ؟

\* \* \*

لست أشكوها فشكواى حـجـود ولها فى عنقى دين الوجـود .

إن قلبى ليس بالقلب الحقـود يلثم الكف التى تتحرره .

كسرت قلبى فمن يجبره ؟

ما لها يخشى محياها كساء أفلتت عنها الشمسون ؟  
بسة منها على ليل النحوس كانت الفجر الذى أشره .

كسرت قلبى فمن يجبره ؟

أتراها حملتى للحياة كي أفضيها على شوق الممات ؟  
نعمة الدنيا حنوا الأمهات خاسر الآمال من يخسره .

كسرت قلبى فمن يجبره ؟

ليتنى ما زلت فى المهد الذى جنبها ، توسع خدى قبلا .  
عادنى الداء ، فما عسادت ولا سهرت ليلى الذى أسهره .

كسرت قلبى فمن يجبره ؟

والكلمة الأخيرة فى هذا المجال أن الشربلا ، دافع هذيان .

=====

( ١٩٨ م )

الباب الثاني

الفصل الثالث

=====

العرف

(١٩٩)

وبعد سنين طوال عاشها "إيلينا أبوماضي" في أرض مصر ، يقرر الرحيل عنها مرة الأخرى ، بعد أن رأى ذلك الأمر لا مفر منه ويهرب إلى وطنه توجهاً ، فيشد إليه رحالة قبل سفره إلى أمريكا ، ويحوم الهدوء حصول قلبه مرة أخرى ، بعد حياة قضاها في مصر يواها بصحبة عن السلوان مضمومة بالآلام . فصار يمتنى نفسه بحياة يأهل فيها ما لم يتوفر له خلال إقامته في مصر ، يقول في قصيدته ( في السفينة ) (١)

|                           |   |                    |
|---------------------------|---|--------------------|
| تسير بنا على عجل          | ■ | وان شاءت على مهل   |
| وتسمى سمي مشتاق           | ■ | بلا قلب ولا عقل    |
| فانجب أجرب من أطوارها مثل |   |                    |
| ركبناها وتار الفس         | ■ | ق في أحشائها تخلص  |
| فما لله حتى السفين        | ■ | مثل ما لها مسلسل   |
| .....                     |   |                    |
| تركا غادة الشرق           | ■ | إلى لبنان ذي الفضل |
| فمن وطن إلى وطن           | ■ | ومن أهل إلى أهل    |

وبعد إقامة في لبنان استمرت زمناً ، استرجع الشاعر خيوط قنوة وتزود بـزاد السفر ، المتمثل في رؤية الآل وذوي القريى .

يحث مطالباه على الإسراع متوجهة إلى نيويورك ، فيودع أصحابه حائراً صامتا ، فهناك لحظات عجزت قواميس العربية عن التعبير عما يكسوها من شعور مرهف منها لحظة الوداع ، إلى فراق لا يحلم مداه إلا الله وبسبين خفقان القلوب ، وجوده الأعين ، وعشة الشفاة ، راح يودع الأصحاب ويصبرهم بقاءً إن ضحك له القدر " وما ذلك على الله ببعيد " فمن ذلك (٢)

=====

١ - ٦١٠ شاعر العربية الأكبر زهير ميرزا ٦١٠ ط ٢ ١٩٦٣

٢ - نفسهُ ٥٣١

أبانا خفاقةً ومهونتنا \* لا نستطيع ، من البكا ، أن نرقنا

.....

يا صاحبي تصبراً فلترمنا \* عدنا وطاد الشمال أبهى رونقا

.....

إن الذي قدر القطيعة والنسوى \* في وسعنا أن يجمع المتفرقا

\* وبعد رحلة بحرية استغرقت عشرين يوماً أو يزيد ، يناجي الشاعر ابنه الياسم .

واعيا إياها أن تتوجه إلى هذا البلد ، الذي أصبح محطاً انظارهم ومرتبب

آمالهم ، " نيويورك " التي سوف تعوضهم حياة تمنوها بيد أنهم لم يحققوا منها

في مشرقهم شيئاً .

" نيويورك " يا بنت البخار بنا اقصدى

فلمنا بالفرب نمنى الشرقا

ويظل مندداً بتخاذل قومه ووطنه تجاه العدو ، فيوجه إليهم أشد صفعات

اللسوم .....

وطن أردناه على حبيب العلى \* فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا

.....

.....

شعب كما شاء التخاذل والهوى \* متفرقاً ويكاد أن يتمزقاً

.....

.....

وحكومة ما إن تزحزح أحقفاً \* عن رأسها حتى تولى أحقفا

هذا الذي جعل بني وطنه يمشون في بؤسٍ وشقاء ..

أمسى وأمسى أهله في حالة \* لو أنها تمررو الجواد لأشفقا

ولهذا أصبحت أمته لاتنال منه اشفاقاً ، وكيف وهي لم تشفق على نفسها وبنيها .

إن لم تكن ذات البنين شفيقة \* هيها تلقى من بنيتها مشفقاً

— ومجرد أن وطأت قدماها أرض مهاجرة ، أخذ يعضى نفسه بحياة جديدة محسوسة

بالآمال محفوفة بالآمانسى



هذى هي الدنيا الجديدة فانظري (٧٠١) فيها ضياءُ العلم كيف تألقا  
 أنتي ضمنت لك الحياة شهيةً ■ في أهلها والميشرا زهر مؤقنا

(\*) و(\*)

ولكن على الرغم مما تقدم ، تظل صورة بلاد الشام ماثلة في خياله ساكنة قلبه ، مختلطة بكل  
 ذرة من فررات جسده ، يروجولها كل خير ، وتظل ألوية الرجا مرفرفة بين جوانحه ، معلنه  
 بضرورة مجي الوقت الذي سوف تتخلص فيه من كل ظلم . . . يقول في قصيدة " أنت "  
 أنا ما إلت ذا رجا كـ ..... ولئن كنت لا أرى ذا رجا  
 ومع ذلك نلاحظ نيوان الغضب تختفي بين أمواج اليأس التي تلبث أن تدفقو على السطح من  
 آن لآخر . فيعبر الشاعر عنها في معرض حديثه عن الأعذار التي أباحت له مفادرة الوطن  
 في أسلوب تبدو من خلاله الثورة المنيفة .

وإذا المرء ضاق بالميش ذرعاً ■ تركت الموت في سبيل البقاء  
 لا يبالى مضرب في ذويه ■ أن يواه ذوهه في الخرباء

.....

أرض أبائنا عليك سلام ■ وسقى الله أنفس الأبياء  
 ما هجرناك إذ هجرناك طوعاً ■ لا تغنى المقون في الأبناء  
 أيام الخلد والحياة نعيم ■ أفترضى الظود في البأساء ؟

ولا يجد ما يستعين به على لوعة الاغتراب ومرارة الفراق إلا بطأئينة نفسه بما سوف يلقاه  
 الخائفون من ويل وهلاك ، وسوف ينتصر الحق في النهاية .

وعسى الخائفون أنما بما تبغيه نبغى الوصول للعنقاء  
 سوف يدرون أنما العرب قوم ■ لا يبالون غير رب السماء  
 يوم لا تنبت السهول سوى النساء ■ س وغير الاسنة السمراء  
 يوم تمشى على جبال من الأشـ ..... تمشى في أبحر من دماء  
 يوم يستشعر المرأون منبياً ■ إنبأ الخاسرون أهل الرماء

وهذا الغضب الذي كثبوا ما ييديه الشاعر في مهجرة ، ما هو إلا سحابة صيف ، يكمن

=====

(١) إيليا أبو ماضي زهير مبرزا (١٥٣)

تحتها الحبيب الخال من ليل لادى كما يكسب ر  
اللقى تحت الرماد ، هذا الحب الذى يسفر عن اللون الوردى من شفافيتها ، فيتمخض ذلك  
عن زهرة حب يهديها اليها مبهولة على أغناق الإخلاص المعبود عن جميل العرفان لها .  
يقول لى ( قصيدة بعنوان ( يا بلادى ) منها ( ١ )

مثلا يكمن اللقى فى الرماد \* هكذا الحب كامن فى فوادى  
لست مغرى بشادن أو شاد .. \* أنا صب متيم ببلادى  
يا بلادى عليك ألف تحية

هو حب لا ينتهى والنية \* لا . ولا يضمحل والأمنية  
كان قبلى وقبل نفس الشجيرة \* كان من قبل فى حشا الأذلية  
وسيقى ما دامت الأبدية

.....

كل شئ فى هذه اللاتيات \* من جماد وعالم ونجات  
وقديم وحاضر أو آت .. \* صائر للزوال أو للمات  
غير شوقى إليك يا سوربة

.....

أنت ما دمت فى الحياة حياتى \* فإذا ما رجعت للظلمات  
واستحالت جوارحى ذرات .. \* فلتقل كل ذرة من رفاتى

عاش لبنان ولتمش سوربة

.....

ولتقل كل نفحة من ندى \* ولتقل كل دمة فى خند  
ولتقل كل غرسة فوق لحدى \* وليقل كل شاعر من بئدى

عاش لبنان ، ولتمش سوربة

.....

وفى غرته تظل خيوط الماضى جزءا من فكه ، مما جعله يخلو بنفسه أحيانا ، موازنا  
بين ماضى وطنه ، وحاضره ، وكيف كان ثم أصبح منحدرًا ؟ وفى ثوب شعرى مشرق

=====

يسوغ هذه المضامين الفكرية • التي ترسم صورة واضحة لمخازى القوم • ، وفسى  
جور من السكينة الشعرية يحبر في وطنيه عميقة الجذور عن طريق الخلاص الصحيح  
لبنى قومه ، وكيف يتسنى لهم الخلاص من ظلمات الخدر وطفيان الظلم ، مشيراً  
في نفس الوقت إلى المساوى الجبه التي يتعثر فيها بنو قومه ترى ذلك في أكثر  
من قصيدة شعرية ، ومنها قصيدة " الشاعر والأمة " التي يعبر فيها  
" إيليا أبو ماضي " عن المعانى السابقة في حوار طريف • يقول • (١)  
خير ما يكتبه ذو مرقم \* قصة فيها لقوم تذكرة

~~~~~

كان في ماضي الليالي أممة * خلع العز عليها حبره
يجد النازل في أكافها * أوجها ضاحكة مستبشرة
ويسير الطرف من أرياضها * في مفان حاليات نضرة
كان فيها ملك ذو فطنة * حازم يفتح عند القدره
يعشق الأوسر الذي تحشقه * فاذا ما استنكرته استنكره
بلغت في عهده مرتبة * لم تلتها أمة أو جمهره

.....

مات عنها ، فأقامت ملكها * طائش الرأي كثير الثرثوره
جوله ، عصبة سوء ، كلمها * جاء اذا أقبلت معتذره

.....

وتنادى القوم في غلتهم * فتماذى في الملاهى المنكوره

.....

كان فيها شاعر مشتهر * ذو قوافٍ بينها مشتهره

=====

- تشمس الحظ وهل أتمس من * شاعر في أمة محتشمه ؟
- يقرا الناظر في مقلته * ثروة طاهرة مستترة
- مر يوماً فرأى أسيما * جلسوا يبكون عند المقبره
- قال مالك ؟ ما خطبك * أي كنز في الثرى أو جوهه ؟؟
- ومن الثاوي الذي تبكونه * قيصر ، أم تبع ، أم عنتره ؟
- قال شيخ منهم مخلص * ودموع اليأس تغش بصره
- إن من نبيك لو أبصره * قيصر أبصر فيه قيصره
- كيف يا جاهل لا تعرفه * وحدادة العيس تروى خبره ؟
- هو ملك كان فينا ومضى * فضت أيامنا الزدهره
- ولبنا بعده في ظلم * واجبات فوقنا مفتكره
- فانتهى التاج إلى منسيف * لم يزل بالتاج حتى نثره
- كلما جاء إليه خائن * وأشيا قره واستوزره
- فإذا جاء إليه ناصح * شك في نيته فانتهمره
- هزا الشاعر منهم قائلاً : * بلغ السوس أصول الشجرة
- رحمة الله على أسلافكم * إنهم كانوا نقاة بصره
- رحمة الله عليهم إنهم * لم يكونوا أمة منشطه
- لو فعلتم فعل أجداركم * ما قضى الظالم منكم وطوره
- كيف لا يبغي ويظفي آمر * يتقى أشجعكم أن ينظره ؟
- ما استحال السهر ليثا انما * أسد الأجام صارت هزره
- وإذا الليث همت أنفاره * أنشب السور فيه ظفوره

(٢٠٥)

- ويبدو أن الشاعر عاش في سنيننا بين لوعة الفراق ، وفض الخربة ، وحرقة
البعاد ، ولا يجد منقدا ينقذه عن هوة هذه الآلام ^{بالأذكر} وآله وقومه يقول . (١)

في المنزل المهجور أركوكم * فأظالني في جنة الخلد
أنتم معي في كل آونة * والناس يحسب أنني وحدي

وتراوده سحب الماضي بأحزانها ، وسرعان ما تتعالى أمواج الحزن على سطح
غديره الهادي ، فتقلب الأعماق مصممة أن تكشف له الأستار التي اسدلها غبار
الزمن على ما مضى من فواجع وآلام ، فيتذكر ، وما أشد حرقه ماتنيره الذكري من
ماضي جريح ، كثرت كلومه ، وتعددت الضمائم في قلبه ، كموت الرفاق
وفقدان الأخوة

ولكن آه من الآلام وتجمعها على ذوى الإحسام ، إنها سيوف قاضية ، وسهام
محكمة التصويب إلى قلب الصفاء الذي يأمله الشاعر ، وهكذا لا يجد الشاعر إلا ألموده

السريمة إلى التجلد ، ولكن كيف يتجلد والمصاب شديد ؟ والخطب فظيع ؟

يقول في قصيدة تحت عنوان " مصرع القمر " (٢)

لوعة في الضلوع مثل جهنم * تركت هذه الضلوع رمادا
بتأمر مني للدهر بي يتعلم * كيف يصمى القلوب والأكبدا
لحظة ثم صار ضحكي وجيها * ونشيجا ، والنوم صار سهادا
رب لما خلقت هذى الخطوبا * لم لم تخلق الحشا فولادا

كلما قلت قد وجدت حبيبا * طلع الموت بيننا يتهددا
صرت في هذه الحياة غريبا * ليت شهدي الطويل كان رقادا

=====

١ - السابق ٢٨٢

٢ - السابق ٢٩٥

فتجلد أيها القلب الجروع	•	أوتدقق كلما شاء الولوج
عندما أودى سا هدير	•	أونارا
.....	•
يا ضريحا على ضفاف السوادي	•	جاد من أجلك الغمام البلا دأ
فيك أودعت ، منذ ست فوادي	•	وبرغى أطلت عنك البمادا
غير أنسى ، وإن عدتني السوادي	•	ماعدتني بالسروج أن ارتادا
أنبتت حولك الزهر السوادي	•	واللجالي أنبتن حولي القتادا
وذبول النصفن فن فصل الربيع	•	لورآه شجر الروض المريع
جيد الماء في الشجر	•	محتارا
.....	•
سدّ الدهر قوسه رمانسى	•	لم تحدد مهجتي ، ولا السهم حادا
هكذا أسكتت صروف الزمان	•	بلبلا كان نوحه انشادا
فهو اليوم في يد السجان	•	نشتمى كل ساعة أن يصادا . . .
فاحسبوني أدرجت في الأهان	•	وإن أنفتم أن تحسبوا القول بادا
ليس في هدى ولا تلك الولوج	•	ما تسلى النفس عن ذاك الضجيج
قبره ، جادك المطر	•	مدرارا

• وفي " سنناني " يعيش بشرا كثيره ، يضى وقته بين عمل وتفكير وراحة ، وبين هذا وذاك تحترقه هل وتقطع عليه الطريق أمواج الحزن ، فلا تلبث الأمراض إلا اعتراضه ، . . . والوقوف بقسوة في طريق صفوه - النسبي - وهكذا يزوره أصحاب فيهمش لخدوهم ، ويأنس بمراقبتهم ، ويفرح بمن يخفف ذلك عليه ، ويحزن كالعادة عند رحيلهم ، وقد كشفت لسه الشدائد عن بعض الأندال ، ذوى النفوس الوضيعة ، الذين لا يستطيعون حتى اخفاء شقاتهم والشاعر في هذه الظروف السيئة ، وعبثا ان نستطيع حجز ما تبديه النفوس الحزينة من آتبات من ذلك يقول (١) .

مرضت فأرواح الصحاب كئيبه	▪	بها ما بنفسي ه ليست نفسي لها فدى
تصرف خيالي كلما أغض الكسرى	▪	جفوني جماعات ومثني وموحدا
.....	
تهنئ اليها مقبلات جوارحى	▪	كما طرب السارى رأى الثمر فاهتدى
وألقى اليها السمع ما طال همها	▪	كذلك يسترعى الأذان الموحدا
ويغلب نفسي الحزن عند رحيلها	▪	كما تحزن الأزهار زایلها التدى
.....	
تهامس حولي العائدون ورجموا	▪	وعنف بعض الجاهلين وقتها
فما سائني إلا شماتة مشر	▪	رجوت بهم عند الشدائد مسدا
.....	
وود أنا من لو يما جلبنى الردى	▪	كأنى أرجو فيهم أن أخلدا
وما ضمنا أن لا يموتوا وانما	▪	يود زوال الشمس من كان أرقدا
إذا الليل أعماه مساجلة الضحى	▪	تمنى لو أن الصبح أصبح أسودا
.....	
أحب الأبي الحر لا ود عنده	▪	وأقلى الدليل النفس مهما توددا

* * * * *

ويظل شارد اللب في مسكنه الجديد يعيش بجسده هلاك ، بينما روحه ترفرف في سما لبنان ،
ويبدولى أن في قصيدة (يا جارتى) لمحات كثيرة من حياته هناك بكل ما تشتمل كلمة
الحياة من معانى ، فقد اشتملت على كثير من الأفكار والسلوك اللذين يدوران حول ذلك كما
يتراءى فيها بوضوح - أيضا - شعوره نحو بنى وطنه ، هذا الشعور الذى لا يموت أبدا
وهذا الشعور إن ترسب في أغوار النفس وقتا ، لاتبث خطرات فكره الأصيلة أن ترفعه على
سطح تفكيره ، وذلك لتغذفه به الأمواج كما فى وجه الزمن ، ولذا آثرت نقل القصيدة بمرتبها
لما لها من أهمية فى إظهار صفحة كاملة من حياته فى "سنناتى" .. يقول (١) .

=====

(١) إيليا أبو ماضى زهير ميوزا ٧٠٧ وما بعدها ..

- عتني ، وفي طرفها الوسان أشجان * قالت لجارتها يوماً تسألها
 كما توحد نساك وهيبان * ما بال هذا الفتى في الدار مستزلاً
 ويرجع الليل عنه وهو حـيوان * يأتي المساء عليه وهو مكتئب
 وللحديث مجال ، وهو ملسان * يمرُّ بالقرب مني لا يكلمني
 إلا كما يفقه التسيب سكران * وإن نكلمه لا يفقه مقاتلنا
 وإن بكى ، فله نزع وارثان * وإن تبسم ، لا تبدو نواجذ
 لأننا كل عضو فيه بركان * كأننا نسيطر الدنيا بما تقبسه
 ولا ابنة الحان تصببه ولا الحان * فلا ابتسام ذوات الفنج يحربه
 كما تلذ بمرأى النور أجفان * أما له أمل حلوى يلد به
 يا جارتى ، كان لي أهل وجوان * أما له جيرة في الأرض بالفهم
 كما تقطع أماس وخيطان * فبنت الحرب ما بيني وبينهم
 وكل ما حولهم يومس وأحزان * فالיום كل الذي في مهجتي ألم
 فيه لنفسى لپانات وخيلان * وكان لي أمل إذ كان لي وطن
 كما يصوري من الأشجار يستلن * فجزوته الليالي من محاسنه

.....

- تلك المغاني ، ولا السكان سكان * فلا المغاني التي اشتاق رؤيتهم
 بالشام ، ناع عليها الإنس والجان * لو العروة تدرى أي فاجمة
 لا هتزت الأرض لما أهتر لبنان * ولو بيت بنو لبنان لوغتهم
 وما كذبتك إن الحروب طوفان * قالت : شكوت الذي بالخلق كلهم
 هيها ، ما هان قوم مثلاً هانوا * تساوت الناس في البلوى ، فقلت لها
 كمن عليه أكاليل وتيجان ؟ * أمن يموت ولا ستر يظلمه
 فكف دموعك ، بعض الحزن أهوان * قالت ، ويابح نفسي من مقاتلها
 ماتوا وفي أرضهم ترك ولمان * لو كان قووك أهلاً للحياة لما
 لا يستحق بأن يبكيه إنسان * وكل من لا يرى في الدل منقصة

كفى ملامك يا حسناء واتحدى
 وانت من أمة تآبى خلافتها
 وان قومي طير غير كاسرة ...
 لا تحسبى أنى أبكى لمصرهم ..
 لكن بكيت من الباغي يحدبهم ...

.....

ورحت أشكو إليها وهى ساهية
 حتى انتهيت فصاحت وهى مجهشة
 بل ليتنى لم أسائل عنك جارتنا
 ياليت شمري وهذى الحرب قائمة
 وهل تمود إلى لبنان بهجته ...
 فاسح الطير تشدو فى خمائله ...
 بنى بلادى ، ولا أدعو بخيلكم ..
 بنى بلادى ، ولا أدعو جبانكم ..
 بنى بلادى ، وكم أدعو ، اليس لكم
 لا تضحكوا وأرضها الشام نائحة

لكنما قلبها الخفاق يقظان
 ياليت ما قلته زور وسهتان
 بل ليت قلبى إذ ساءت صوان
 هل تنجلي ولنا فى الشام اخوان
 وهل أعود وفى لبنان نيسان ؟
 وأبصر الحقل فيه الشيح والبان ؟
 غير البخيل له قلب ووجدان
 ما للجبان ولا لى فيه ايمان
 كسائر الخلق أكباد واذان
 ولا تناموا وفى لبنان سهران !

ولا يخفى أن الشاعر كان يشغل أوقات فراغه في النظم والإطلاع الذي أدى إلى استقامه شخصيته الأدبية وتبلورها ، وبعدها عن التقليد إلى حدٍّ كبير في تلك المرحلة ، بالإضافة إلى تعلمه انجليزية الإطلاع والقراءة ، وهذه الحياة المفعمة بالتفكير والإحساس والألم هي سرُّ إجابته على الأستاذ (محمد قرة علي) حين سأله الأخير قائلاً :

" هل الهتكُم التجاوة عن الشعر ؟ فيجيبه " أبو ماضي " قائلاً : كلا . . . بل ازدادت شاعرتي وتطورت تطورا عجيبا " .

وتترك " أبو ماضي " (سنناتي) ، وماله لا يتركها وقد لاقى فيها من شظف العيش وقلة الكسب ، وتوجه إلى هؤلاء الجماعة الذين اندمجوا في الحياة الأمريكية ، حتى صاروا ممن ذوى الأملك ، والصلات التجارية ، ونجحوا هناك ، حتى صارت لهم شهرة واسعة وخاصة في بعض الأعمال التي اقتصوا بها وبرزوا فيها مثل البقالة التي نجحوا فيها نجاحا كبيرا (١) ثم ما كان من مقابلات بينه وبين صاحب السائح عام ١٩١٥ ثم نشر له صاحب السائح عام ١٩١٦ . ومن خلال ما تقدم ذكره — في الصفحات السابقة — من شعر يمثل بعض ما قيل في ديوانه الثاني يتضح أن الإقامة في " سنناتي " لم تطب له ، فلم تتوفر له المادة التي يروجها مغرب ، كما كانت إقامته — هناك — بعيدة عن هذا الوكر الجميل الذي يجمع البلابل الصداحة " نيويورك " فلما ضاقت به الحياة هجرها عام ١٩١٦ إلى " نيويورك " !

وفي هذه الفترة الطويلة . امتهن الصحافة بجانب نظم الشعر ، وهذه الفترة يلخصها " أبو ماضي " نفسه في حديث له مع الأستاذ " محمد قرة علي " بقوله (٢) (انتقلت إلى نيويورك عام ١٩١٦ إذ تلقيت دعوة من بعض الشباب العربي الفلسطيني يهدون إليّ بتحرير المجلة العربية " التي كانوا يصدرونها في " نيويورك " قبلت الدعوة ورأست تحرير المجلة المذكورة ، ولم يطل الوقت حتى أسهمت في تحرير " الرسالة " التي كان يصدرها ، إذ ذلك صدقنا شكرى الباش صاحب " الرَّمِيَّة " " رحلته " الفتاة " اليوم . وفي عام ١٩١٨ انصرفت إلى تحرير —

جريدة " مرآة الغرب " وفي عام ١٩٢٨ تركت " المرأة " وفي نيسان ١٩٢٩ أصدرت مجلة " السمير " وكنت أصدرها مرتين في كل شهر ، وفي سنة ١٩٣٦ حولتها إلى جريدة " يومية "

=====

(١) راجع الرابطة القلمية ط ١٩٦٤

(٢) نقلا عن ادب المهجر ٣٨٤ ط ٢

وقد ملأت هذه المجلة فراغاً كبيراً بالنسبة لأدب المهجر، وقامت بدور خطير في تطور الحياة الثقافية والاجتماعية للمهاجرين، وكان أبو ماضي يكتب افتتاحيتها التي تحوى آراءه، وأفكاره بالنسبة لشئى الأمور الراهنة. من اجتماعية وسياسية، وثقافية وقد صدر العدد الأول منها بكلمة قال فيها: أجل قد رجعت إلى حومة الصحافة، لأنى أحسب كل يوم أنفقته في غير خدمة قومى وبلادى ولفكى. ليس من عمري، بل أنا اعتبر الفناء فى أمتى وجوداً والوجود فى غير أمتى فناً.....

ولأن تدمينى أشواكها أحب إلى نفسى من أن على سواها الورد والرياحين، أنا لأمتى ضاحكاً وماكياً. بل أنا لها ضاحكاً وماكية".....

وقد شارك فى تحرير المجلة عدد من الشعراء الكبار فى الشرق العربى منهم —
 "أحمد شوقى"، و"حافظ إبراهيم"، و"ولكل منهم قصيدة فى العدد التاسع من "المسمر" فى تحية مجلة "المقتطف" بمناسبة عيدها الذهبى، كذلك نشرت المجلة قصائد ومقطوعات لعدد من شعراء المهجر الجنوبيين.....

(٢١٧)

سيثا

ويبدو أن حالته المادية أخذت في التحسن • والانتعاش عما سبق ما وخاصة •
في الفترة التي عمل فيها بتحرير جريدة ((مرآة الشرب)) لصاحبها الوطني
نجيب موسى حداد • الذي تقاربت العلاقات بينه وبين " إيليا أبو ماضي "
وتونسنت الصلة بزواج الأخير من ابنة صاحب المرآة
فقد خطبها في ١٥/٤/١٩١٨ في منزل آل دياب • وفي ٢٥/٤/١٩٢٠ -

اقترب منها بنيموريك • • وفي ٢٣/٢/١٩٢٢ رزق بوتشود أول أنجاله
وقد اقترن بفتاة أمريكية اسمها " ماري لويز " وهو من علماء الذرة يحصل
درجة دكتوراه في العلوم الطبيعية • وتحمل زوجته درجة " أستاذ علوم " في
علم النفس •

وأما الثاني فاسم " روبرت " ويعمل في جيش الطيران بعرتبة ملازم وهذا التاريخ
منذ أرح وألف الأستاذ عيسى الناعوري أدب المهجر عام ١٩٥٥ • ولكنه الآن
برتبة دكتور •

والثالث فهو ادوارد المولود في ١٧/١/١٩٢٤ وكان مريضا لا يتعاطى علا
وقد توفي بنيموريك ١٩٦٨ ومن المؤسف أنهم لا يفهمون شعر أبيهم بل ربما
لا يستطيعون قراءته • لأنهم ولدوا وعاشوا في بيئة أمريكية ولغتهم هي الانجليزية
وأما والده فقد رحل عنه عام ١٩٢٣ على اثر وفاة أوجيني • وبعد مسده
وفي يوليو ١٩٢٨ ابخر والدته الى لبنان وهناك قضى نحبه أوائل عام ١٩٣١ •
وبقيت أم إيليا معه حتى أسلمت الروح في مارس ١٩٤٣ • • • • •
بأربعه عشر ظما في ٢٣/١١/١٩٥٧ اسلم أبو ماضي الروح بعد جهاد في
سبيل الأدب والصحافة
وانظوت يموتة صفحة مشرقة وتلك هي الحياة
(*) (*)

=====

١ - أدب المهجر ٣٨٥ ط ٢ • انظر إيليا أبو ماضي • جورج سليم ١٧٨

وما بعدها •

(٢١٣)

- وفي نيويورك " أخذت روحه تحلق في سماء الأخوة متعانقة مع أرواح الإخوة في هذا العالم الغريب ، وهذا المناق . عناق (الأحيوة حول هدف أسمى يتجلى في خدمة الأدب العربي والمروءة ، وانتشال هذا الأدب من هـووة الجمود والتقليد إلى دور الابتكار والجميل . نفس مضمونه وشكله ، ولقد بدأت تلك المجموعة - التي أصبح إيلها جزأ منها - في توجيه الأدب وجهه خاصة ويظهر ذلك جلياً من خلال الدعوة الجديدة التي رسم سبيلها " ناقده الجماعة " " ميخائيل نعيمة " ومجلتها . واهمها . (١)

أولاً : حاجتنا إلى الإقصاد عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية : من رجاء وبأس ، وفوز وفشل ، وإيمان وشك ، وحُب وكراهة ، ولدن وألم ، وحزن وفرح ، وخوف وطمانينة ، وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل . وأدناها من الانفعالات والتأثرات .

ثانياً : حاجتنا إلى نور نهتدى به في الحياة . وليس من نور نهتدى به غير نور الحقيقة - حقيقة ما في أنفسنا . وحقيقة ما في العالم من حولنا . فنحن وإن - اختلف فهمنا عن الحقيقة ، ولما لننكر أن في الحياة ما كان . حقيقة في عهد آدم ، ولا يزال حقيقة حتى اليوم . وسيبقى حقيقة حتى آخر الدهر .

ثالثاً : حاجتنا إلى الجميل في كل شيء . ففي الروح عطر إلى الجمال لا ينطفئ . وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال . فإننا وإن تضاربت أذواقنا في ما نحسبه جميلاً وما نحسبه قبيحاً ، لا يمكننا التماس عن أن في الحياة جمالاً مطلقاً لا يختلف فيه ذوقان .

رابعاً : حاجتنا إلى الموسيقى . ففي الروح مهل . عجيب إلى الأصوات والألحان لا تدرك كمه . فهي تهتز لقصف الرعد ولخبر الماء . ولحفيف الأوراق . لكنها

=====

تنكسر من الأصوات المتنافره ، وتانس وتنبسط بما تألف منها ..

هذه الجماعة (الرابطة القلمية) التي التزمت بدستور كتبه ناقد الجماعة ومستشارها وجاء في هذا الدستور ..

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً . ولا كل من حرر مقالا ، ونظم قصيدة موزونة بالأدب فالأدب الذي نعتبره هو الأدب ، قواء الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها ، والأدب الذي نكرمه هو الذي خص بوقه الحس ، ودقه الفكر ، وبعد النظر في توجهات الحياة وتقلباتها ، ومقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من " التأثير " كما جاء في دستورها .

" إن غاية الرابطة . هوبث روح نشيطة في جسم الأدب العربي ، وانتشاله من وهدة الخمول والتقاليد " ...

إلى هذه الجماعة " الرابطة القلمية " انتسب أبو طاضى ، تلك الجماعة التي أحسبت بوحدانية الهدف من عملهم . والتي اجتمعت في بيت صاحب " السائح " الأستاذ " عبد المسيح حداد " في مساء العشرين من شهر نيسان ١٩٢٠ ودعوا معهم رهطاً من الأدباء والأصدقاء ، وقرروا أنه لا بد لهم من رابطة تضم قواهم وتوحد مساهمهم في سبيل اللغة العربية وآدابها ، ويكون غرضهم بث تلك الروح التي ارتضوها - كما سبق - في هذه الصفحة .

• وفي الثامن والعشرين من نفس الشهر ١٩٢٠ أصبحت " الرابطة القلمية " حقيقة واقعة ، ففى اجتماع لهم عند " جبران خليل جبران " قرّر المجتمعون إخراج الجمعية إلى حدّ الوجود وتسميتها باسم " الرابطة القلمية " والذين حضروا هذا الاجتماع هم " جبران ، ميخائيل نصيبه عبد المسيح حداد ، ندره حداد ، إلياس عطا الله ، ولیم كاتسفلين ، نسيب عريضه ، رشيد أيوب ، وهؤلاء جميعاً أقرّوا شروط الرابطة وهي كما يلي :

١- أن تدعى الجمعية " الرابطة القلمية " بالانجليزية

ARRABITAH

٢- أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم : الرئيس ويدعى الحميد ، فكلم السر ويدعى

المستشار ، فأمين الصندوق ويدعى " الخزن " ..

٣- أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات : عاملين ويدعون " عمالاً " فمناصرين ويدعون " أنصاراً " ،

فمراسلين ..

٤- أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين ،
وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية .

هـ أن تعطى الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء ، ثم انتخب
الحاضرون جبران عبيداً باجماع الأصوات ، وميخائيل نعيمة مستشاراً ووليم كاتسغليس أميناً
للصندوق . وانضم إلى أعضاء " عمال " الرابطة فيما بعد الشاعر المهجري إيليا
أبو ماضي (الذي انضم إلى جماعتهم عام ١٩١٦ . لا إلى الرابطة ، ولذلك كان اسمه
بين أعضائها حينما أنشئت عام ١٩٢٠ وإن لم يتمكن - لا سبب لانعزافها - من حضور
جلساتها الأولى (١)

كما انضم إلى " عمال " الرابطة الكاتب وديح باحوط ووكلوا إلى ميخائيل نعيمة أمر تنظيم -
قانون الرابطة ، فنظمه ووضع له مقدمه شرح فيها روح الرابطة وأهدافها . .
ورسم جبران للرابطة شعاراً جميلاً يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته خطوط
هذه العبارة " لله كنوز تحت العرش مفتاحها السنه الشعراء " ومن فوق الكتاب سراج -
شطره الأيمن محبوه قد أنخسر فيها قلم فتحول حبرها إلى لسان من نور خارج من طرف
السراج الأيسر ، ومن تحت الدائرة اسم " الرابطة القلمية " مخطوط بأحرف مستقيمة
الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومن تحته اسم الرابطة بالانجليزية عنوانها وهو
عنوان " جبران "

- وقد ذكرت الحياة على لسان أبي ماضي . اختلف عما سبق في تاريخ تكوين الرابطة فهو
" يرجع بتاريخ إنشائها إلى عام ١٩١٤ ، أي قبل انتقال " أبي ماضي " إلى نيويورك بعامين
ويذكر أبو ماضي - في رواية " مجده قره علسي " في " الحياة " أنه انضم إلى الرابطة
عام ١٩١٦ ، كما يذكر أن الريحاني كان أحد أعضائها وهما روايتان متناقضتان جداً . فبينما يذكر
نعيمة أن تاريخ إنشائها ١٩٢٠ تبين رواية (محمد قره على) أن ذلك كان عام ١٩١٤ . وعلى
القول الأول . الأصح اتفق أكثر من كاتب في أدب المهجر (٣) .

- =====
(١) أدب المهجر ٣٨٦ ط ٢
(٢) كتاب جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ١٧٩ وما بعدها .
(٣) الأستاذ محمد عبد الفتى حسن الشعر المرسي في المهجر ٣٨٦ ط ٢ وميخائيل نعيمة في
كتابه سيمون والياس فنصل في أدب المعترين (٢٩-٣٧) وناديه سراج - الرابطة القلمية
٨٣ ٨٤٥

ويقول الأستاذ عيسى الناعوري • إنه في حياة الرابطة نضجت شاعرية "أبي ماضي" وبلغت قمة نضجها • فكان شعره عنوانا للشعر المهجري الجديد في روحه وأفكاره وخيالاته وصياغته لقد كان شاعر الرابطة الأكبر كما كان جبران ناثرها وفيلسوفها • ونعميمة كاتبها وناقدها الفنان • وفي رحاب الرابطة استقل "أبو ماضي" بشخصية شعرية قوية كما تأثر أحيانا ببعض الأفكار الجبرانية كما نلح ذلك في بعض قصائده • ويقول الأستاذ الناعوري "الحقيقة" أنه لولا وجود هؤلاء الثلاثة في الرابطة ما كان للرابطة شيء من ذلك الأثر البعيد في المحيط الأدبي • الذي أحدث انقلابا كبيرا في مفاهيم الأدب وأسطاليه في أقطار المروسة فهي مدينة لهم ولمواهبهم الأدبية العظيمة •

وشخصياتهم الفكرية المتفوقه • قبل كل شيء • ومدينة يحد ذلك للتجاوب الروحي العميق الذي كان يسيطر على مجموعة أعضائها •••••••••• وكان هناك "رشيد أيوب" وندرة حداد • وهما شاعران • ولكنهما لم يبلغا من قوة الموهبة • واستقلال الشخصية • شيئا مما بلغته أبو ماضي • • وإن يكن لكل منهما شعر رقيق غير قليل • وكان هناك "نسيب عريضة" وهو الشاعر الثاني في الرابطة بعد أبي ماضي • فقد كان ذا طابع خاص • وشاعرية لطيفة وقصائد إنسانية غاية في اللطف والرقة والحنان • إلى جانب قصائده التأملية الجميلة • ولكنه لم • يبلغ شأرا "أبي ماضي" في سعة الأفق • ونصاعة العبارة • ووفرة الحيوية • والحرارة • ومد الخيال • وجمال الصور المنتزعة من قلب الطبيعة • وصدق الشعور في ما يمالجه من حياة المجتمع •••••

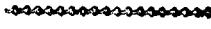
(٢١٧)

الباب الثاني

الفصل الرابع

.....

بين مادية الغرب وروحانية الشرق



• لقد غرست من بساتين الروحانية أينسج أزهارها الشجرة الندية في قلب الانسان العميق
فكر الحمد والثناء على أمل ينتظره المؤمن يوم أن يشب عن الطوق
لقد امتزجت جذور الشجرة بخلايا قلبه وسقيت بكل عذب سلسبيل وتخذت على كل صالح
ولذا كانت الثمرة حبا ونورا ، واحسانا وتسامحا ، وعدلا ورحمة . وهذا الذي أراح كل
ماركد من عادات آسفة على شاطئ نهر الحياة المعطاء .
أثمرت تلك الزهور ، وآتت أكلها ، وظهر ظلها الظليل الذي أحرق سحب الطمغ
والتسارع والانايبنة .
أعطت فأدمى عطاؤها كل شكوك وشوك فاسد ، وخنق كل غرس سام ، وقضى على مستنقعات
الكذب والريا

وهكذا لمست أصابع المحبة جذور شجرة الروح عند أبي ماضى فأروتها . من روافد العذوبة
فكان الجنى من عمق المسك وروائح الشذى والياسمين . ، والعطر . الذى حياها
جوانب الحياة فتوهجت أفاقها العربية محيية بمثلها . وازدواج التحيين كانت الثمرة
منلقة بنور الحب والبهجة التى خلعت ثوبها على كل شئ على الزرع والزهر ، على الأرض
والسما . على الشمس والقمر فأصبح كل شئ يهمس - فرحا - فى آذان - الحب ، ويتجاوب
مع صدهاء ، زال الوقر من آذان القلوب ، فأصبحت تسمع أنين الشاكين وأصوات الباكين .
فيموج فيها الفؤاد مضطربا ، وتنزف منها الدماء الملتهبة مواساة للباكين فتهدب سرعة
جاهدة لزرع السرور فى قلوب الحيارى ، حتى يعقبون من أريج الفرح ، وينعمون برائحة
المودة ، ويلتحقون بدفء الأخوة الصافية

إن هذه شب طائفة لمسح هذه المبررات ، محيلة إياها إلى لآلىء ضيئة من الفرحة
والحبر ، وما هذا إلا من فوط الشعور الحبير وللمطف النابع من عذوبة أنهارها ، حرصا على
إرضاء القلب - وراحة الضمير ، وإطاعة الخالق العظيم ، أحسوا أن فى ذلك الخليود
والأبدية ، تلك الأبدية التى أبصروها من خلال نظراتهم فى الكون وما أصبح فيه ، من
خلال كل شئ حتى الحجارة الصماء ، إنها الروحانية فى أقوى أثوابها

فسبحان من هزّ القلوب فتساقط رطبها ، وأثار العقول فأنتت شمارها ، وعسر الكون —
 فهدى من خلاله كل ما أراد ، وسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، روحانية تحول الحبيسة
 إلى بسمّة تمسح غبار الكون ، وظلمات العنف وتمزق ستائر الظلام ، وتقتل نيران الجهل
 فما أحسن أن يمشي الجميع تحت أفق السعادة التي نسجت يد الرحمن خيوطها ، —
 وأوحت إلى الخلائق بجمعها ليظهر الثوب بكامله ، تتلألا ألوانه ، فترسم شمارها
 بسمّة على وجه البشر .

— ومن خفايا الروحانية في الشرق الشعور بالواجب ، وما أفضل الشعور بالواجب تجاه
 الآخرين ، وأفضل منه تأديته طواعية من غير انتظار لدفع ثمن أو مقابل ، ..
 — لقد مدت الخلائق أرواحها المضيئة إلى روح التائه ، التي أصبحت فريسة الظلام بعد
 أن عبثت بها أنامل الأحداث فتفردت بوحشتها وأينها ، أنحنت هذه الأرواح نحوها
 فمزقت ثوب وحشتها ، وألقت به في بئر المدم ، وألبستها ثوب أنس وسهجة فصارت في
 بيت من الحبّ والمهنا ، أسست جدرانها من المحبة ، وأقيمت عمدته من الصفاء ، وسقفه
 المهنا ، وأبوابه الرحمة ، ونوافذه عيون في القلب تدعى البصائر .
 — الروحانية الشرقية غني لكل من يشتكى فقرا ..

لقد إنسابت الروحانية تنهادى في خطاها إلى من مدت الأيام مطالبها إلى لوح بهجته
 فأحالت ألوانه السحرية إلى هبّ وقتام فصار طريد الفقر ، ..
 — والله في ذلك حكم لا يدرك أحد منتهاها وعمق أسرارها — الفقر الذي هو من تقديس
 العزيز المليم " يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " وما من داء إلاّ له دواء ، والله قدر ذلك
 جلّ في علاه

إنه الفقر ، فلو وقف هؤلاء الذين منحهم الله مالا من هؤلاء الفقراء موقف الكافر بالنعمة ،
 لتحوّل الفقر — آنشد — إلى جرثومة تكثر من إفرازاتها السامة في جسم من خيم عليه
 الشقاء ، فتتخب بنيان أسرته ، ثم تمدّ مطالبها الحادة إلى براعم قلبه ، إلى الزهر
 التي تفتحت أمام نفسه وناظره ، فتعمل فيها الذبول ، ويقطع القنوط خيط كل رجاء لديه ،
 وفي هذا الوقت المصيب لا ينحدم المرف بين الشمرا ، إن مات بين ما نسيمم الأغنياء

فتحول كل أنه في صدر هذا الشريد إلى شوكة تدمى قلوب من وهبهم الله الشمو —
 الفياض الجميل ، ووهبهم المقدرة على إظهاره ، إنهم الشعراء المهجريين وفي مقدمتهم
 "إيليا أبو ماضي" الذي خص من إنتاجه جزءاً كبيراً لأمثال هؤلاء ، لأن هذه الموجات
 المشحونة كثيراً ما تنفذ الفقراء من موجات العذاب . ذلك عندما يسمع الأغنياء ويههبوا —
 أو بعضهم مقتسمين ما يملكون من غطاء الحياة ، واهبين طرفاً منه لهؤلاء الساكنين يتدلى
 عليهم فيتسترون به ، وحينئذ يعم الرضا والحُب ، وتعانق البسمة المنبعثة من القلوب —
 الشفاء ، .

— فأهل الإحسان الخير وخاصة الشعراء منهم ، يعيشون لغيرهم وبإيجاز أسوق قول أبي
 ماضي في تعريف الشاعر وهو من يعيش لغيره ويظنه
 من ليس يعرفه يعيش لنفسه
 يحث الشعراء الناس على مساعدة إخوانهم ، ولم لا نساعدهم ونحن مثلهم من طين " وكلنا
 صائر للزوال . غير ربي وصالح الأعمال " .

يقول "إيليا أبو ماضي" من قصيدة له بعنوان "الفقير" : (١)

إني وجدت حظوظهم مسودة	■	فكأنما قدت من الظلماء
أبدًا يُسرُّ بنو الزمان ومالهم	■	حظٌ كغيرهم من السرا
إني لأحزن أن تكون نفوسهم	■	غرض الخطوب وعرضة الأرزاء
أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي	■	إلا لأندب حالة التحسأ
على أحرك بالقرى قلوبهم	■	إن القلوب مواطن الأهواء
جبل الفقير أخوك من طين ومن	■	ماء ، ومن طين جبلت وما
فمن القساوة أن تكون منعمًا	■	ويكون رهن مصائب وملاء

— وهذا هو الشاعر " ندره حداد " يطالعنا في " أوراق الخريف " بالشيم المسيرة —

للنفس الكريمة ومنها نفوس الشعراء . المعطاة فيقول (٢) .

=====

لا تفرح النفس الكريمة إن رأت أختها حزينة
فابكى مع الباكي ومُـدَى للضعيف يد المعززة

* * * *

لقد امتدت نسمة الأرواح الحفونة الحلوة إلى الفريب ، هذا الذى أعارته الوحدة بسوق
النحيب ، ووجه الكآبة ، فهبت نيران الشوق لاعبة فى حشاشته ، فبجأوسها الدمع
وما يفيد ،

امتدت الأرواح لتبنى له بيتاً من الحنان والمطف بدىلاً من الوحشة والكآبة أنه البيت
الذى أسس من حرارة المطف وارتفعت جدرانها تظللها ظلال الأنس والمطاء ، المطاء
الروحى الذى يقتل ظمأ الأرواح بماء الصفاء ، ويرد الرضاء ؟

— لقد سمعت آذان الروحانية ممثلة فى شخص أبى ماض وإخوانه المهجريين أنات
الجرحى الذى خلا وكوَّ حيا تسهم من الطيب ، والطمأنينة حتى ظن أن الحياة لم
تعد تنقسم له ، كسره الزمن عن أنياب الإفتراس ، حتى أصبح لا يجد الراحة
والأمن إلا فى الحفائس .

فما إن سمعت الأرواح عن ذلك حتى أسرع مطيبة الجروح بدوائها ، مبدلةً دنياه
الموحشة إلى حدائق غناء ، وساتين فيحاء فيها من كل الثمرات ، لينعم بها مبتسماً
للحياة ، مطمئناً بالرضا مرتويًا من نهر السعادة الخضراء ، فالحب جوهر الحياة . . .
ومن غيره تصبح للحياة بلقماً

ما الحب يا صاح سوى نفحة * قد سية بين النهى تسطع
فإن نشأ فهو لنا بلسم * يشقى ، والأحيية تلسع
والناس لولا الحب فى مهممه * وكل شىء حولهم بلقسع (١)

كما أن الحب دليل على سمو النفس وتجميلها بالمثل العليا ، وتفهما لرسالتها فى الحياة

=====

إذا فيض المحاسن راع قلباً * تدقق منه إحساساً وحباً
وأصبح هائماً بالكون صبياً * فليس يطيق إلا أن يحباً

ولو لاقى من المحبوب حتفاً

— ما أشدَّ هناء " أبي ماضي " عندما يرى الناس متعاونين متحدين في سبيل محاربة
الصلاب ، وسحق العقبات ، فالحياة طريق وعمر طويل ، على حافته تكمن المخاطر
والمهلك ، وفي وسطه تتروصد الثعابين المارة لتنفث سمومها في قلوبهم ، وتكمن الذئاب
منتظرة فريستها . ويقف المكرو الخداع والخسة والندالة . وخير الناس ^{من} يأخذ بيده
الآخرين ليأخذوا بيده في الشدائد فيكونوا قوة لاتغفل الصلاب بأسها .
عرفت كل هذا الرياحُ الشرقية فوثبت روحانيات أهلها ناشرة أعلامها الخفاقة وملنة عن
التعاون المشر من أجل الحب والخير والنجاح ، ولذا انطلقت السنة الشعراء تهج
بالثناء ، جادة في الدعوة إلى ما يحقق للناس آمالهم وينقذهم من الويل والثبور ؟؟؟؟

* * *

— ما أعذب قضاء شئ من الوقت بين الأحلام الحسان ، والذكريات المذاب ، والخيالات
الهنئية ، بين جمال زهرة الأقحوان ، بين الحب والعشق الذي قدره الله وأراد له
أوجد الحسن ، عشق الأرواح ، وتمانقها في سماء الجمال وعالم الصفاء ، ذلك الجمال
الذي تتهاوس به السنة القلوب وشفاها بوموز لا يعرفها إلا من عرف الجمال والصفاء ،
السبيل إلى قلبه .

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسن
وألقى الحب في قلبك إذ ألقاه في قلبي
مشيئته وما كانت مشيئته بلامعني

=====

فإن أحببت ما ذنبك؟ أو أحببت ما ذنبي؟ (١)

إن الحياة التي ينعدم فيها الحب ليست حياة بل هي عوالم رباح مصونة إلى صدور الأحياء ، وقطع حديد مضطربة يتكوى الخلق بلمهيبها ، فإذا ما زفرت في فضائهما أجنحة الحب ، وطيور الرحمة ملأتها صنوفا من الآمال والأحلام . وأحالتها إلى زهر لا ينفد شذاها ، ولا يعرف الذبول لها طريقاً ، فالحب هو الحب والحب هو طريق المعرفة والوصول إلى خالق الحب الله عز وجل . يقول " أبو ماضي " (٢)

إن نفساً لم يشرق الحب فيها * هي نفس لم تدر ما معناها

أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي * وبالحب قد عرفت "الإله"

— أثمرت الحياة الشرقية بحبها الرضا في القلوب ، والشفافية في الأنفس ، والقوة في العقول والبسطة في الأمل . والجودة في الخيال ، فأصبحت عين الحياة قريبة ، وأصبح غذاء أهلها الأساس من بين أعضاء الحب وثمرات المودة

فالحب الذي يلتقط غذاءه من روحانية العلاقات الإنسانية هو الذي ينشر الدفء والتقارب بين أرواح العائلة الإنسانية أينما وجدت ، وهو أحلى عون ساقه الله — عز وجل — في شخص الإنسان لأخيه الإنسان .

يقول نسيب عريضة " مناديا أخاه الإنسان (٣) ؟

وإذا شئت أن تسير وحييداً * وإذا ما اعترتك مني ملامسة

فامض . . . لكن ستسمع صوتي * صارخا يا أخى يودى الرسالة

وسياتيك أين كنت صدى حُبي * فتدري جماله وجلاله

— هذا هو الحب الحي الدائم الذي لا تعرف طريقه جراثيم المنفعة ، وميكروبات الجشع والتي إذا ما سطت على شيء إلا أحالته إلى بغض وقتام ثم جعلته كالرميم

— الحب الحي الذي يهدف إلى منح السعادة ، وفتح آفاق المودة الشريفة أمام الآخرين

يقول " نسيب عريضة " (٤)

=====

(١) الجداول ط ٢ ٣١ قصيدة " تعالي " (٣) الأرواح الحائرة (١٤٨)

(٢) الجداول ط ٢ (٢٠٨) (٤) الأرواح الحائرة (٢٧)

أعطني في الرخا خلا يقضى * زمن اللهب والمسرات عندي
 وإنما ما مضى الرخا فدعني * لقراع الخطوب في العيش وحدي
 لقد ظلت بلاد الشرق حصناً للروحانية ، ووكراً لهذا المعلم الإنساني العظيم ، بما
 أجمعع لها من اقتراب من مهبط الرسالات وأماكن الوحي ، موطن الحب والخير
 والجمال ، ثمرات لئلا تضيع وتذوقها قاطناتها فأتت أكلها ، أنهار من لبن لم يتغير
 طعمه ، وقراية القلوب من الفطرة الإنسانية .

— ولقد جذب مذاق تلك الثمرات الشهية قلوب البشر فاجتمعت حول هذا المنبع العذب
 الصافي انعكس هذا الجمال على الطبيعة الساحرة ، فهناك في أرض الجهد
 يرى الناظر زرقة السماء الصافية ، وسمرة الشمس الساطعة التي تأتي إلا أن ترسل على
 الدوام خيوطها السحرية فتصافح بها وجوه القوم . مصحوبة بحرارة الحنان .

يقول أبو ماضي في قصيدة " شاعر الشهر " (١)

"أيار" يا شاعر الشهر * وسمرة الحب في الدهر
 وخالق الزهر في الروابي * وخالق العطر في الزهر
 وباعت الماء ذا خريبر * وموجد السحر في الخريبر
 وغاسل الأفق والدرارى * والأرض ، بالنور والمببر
 لقد كسوت الثرى لباساً * أجمل عندي من الحرير

قبيلات النسيم الندية الرطبة يطبعها على وجنات البشر ، ومن حولك الأشجار الجميلة
 التي أشارت إلى فروعها أن تنبسط لتحتضن اليبابيل والطيور فتروفضها وتدللها كما تفعل
 الأم بصغيرها . فتعلمن الطيور عن حرارة المطف والحنان والرضا بتفاريدها الحلوة —
 ورتقتها الباسمة ، فسيحان رب الكون !

— خرج المهجريون من بلادهم محاطين بأثواب من الروحانية ، الكاملة المعاني . فلما
 شدوا رحالهم إلى العالم الجديد الذي كان مرقب آمالهم ففيه ما فيه من كل ما يوجونه كما —

=====

(١) الخائل

كانوا يحسبون ، ولكن . كانت الصدمة . والصدمة القارعة في يدهم الأمر فلم يجدوا ما كانوا ينتظرون ، ا

كانوا يتوقعونها توفرو لهم رغباتهم بيسر وسهولة ، فماذا وجدوا ؟
 وجدوا الآلة بضجيجها ، والمصانع بدويها والمعامل التي تندلع منها السنة الدخان . . .
 " فتكاد لا تشمر بالشمس ، ولا ترها ، لأنها مقلعة بقناع أغبر كثيف ، ليس ضباباً ولا سحاباً ، إن هو إلا أنفاس التين المتصاعدة من ألوف المداخن وملايين النوافذ ، وجبال متراكمة من الحديد والجرم والقار ، والأسفلت وقوافل لا يدرك أولها وآخرها من المجلات المسيرة بالفازات والمسيرة بالبخار ، والمسيرة بالكهرباء ، تتصاعد هذه الأنفاس في الهواء فينوء تحتها الهواء ، ترفسها الأرض بكل قواها إلى فوق ، فتشتمز منها السماء وتضغط بها إلى أسفل فتبقى على القسي بين الأرض والسماء حافظة من الشمس حرارتها ، خانقة من النسيم أنفاسه (الراحل)

— وهناك لم يجدوا إلا قوماً يتسابقون ويتزاحمون في سبيل الحصول على لقمة العيش ، فكان عليهم أن يكدحوا ويمملوا دون أن يتركوا أنفسهم تذوب في موجة الصراع القاتل ، بل تبقى القناعة ما بقيت الروح . يقول الشاعر " ندره حداد "

إذا ما رمت من دنياك شيئاً * يسرك فالمسر هو القليل
 وكن بقليل ما جادت قنوعاً * فليس إلى التي ترجو وصلاً
 كشمس الأفق تلمسها خيوطاً * وإن رُمنا المزيد فلا سبيل

— لم يكن هناك من وقت يضيئه المرء في نزهه مرحة . أو حلم جميل ، بل هناك التزاحم والتكالب والصراع . .

ضاق الأدباء بذلك ذرعاً ، وكان عليهم أن يسوروا في خلق جبري يروح النفس مبهماً كان ، يقول " ندره حداد " .

فلنسر ولتكن الذكرى لما قد مرّ لنا

وهذا " إيليا أبو ماضي " يتبود من لهيب زفراته ، ويخفف من حرقة لثاته . بالقاء السلام على هببة الروح كمنجاة " ساصي الشوا " التي تحي نفخة فيها أرواح أهل الهوى ، بل إن نفخة واحدة تبلغ بصاحبها ما لا تبلغه هذه الناطحات المجيبة في نيويورك

نبيورك ! يا ذات البروج السنى * سمت وظالت كى شمسى الغمام °
 لن تبلغى والله باسى السما * إلا بأوتار كمار الشمام °
 فاصفى إلى الحانه لحظنة * تحتقرى كل صنوف الكلام °
 وتدركى أن قصور المبنى * تبقى وتنهّد قصور الرجاء °
 فرحيتى محتابه واهتفىسى * هذا أمير الفن ، هذا الاسم

بدأت تتعالى الصرخات ، وتظهر الزفرات من لهيب هذه الحياة ، فلم يجدوا مكاناً
 فى هذا العالم المادى تحوم فيه الأرواح مفرقة ، وما عليهم إلا السير فى هذا الطريق
 المحفوف بالشوك . التماساً للرزق دون أن تكون أرواحهم مشدودة بأفراس المادة ، ولا
 ممزوجة بترابها ، ولهذا حاولوا أن يخلقوا لأنفسهم جواً روحياً يخلصهم من أصفاد
 المادة وأغلالها .

فهذا " رشيد أيوب " يقول فى أغانيه . . . (٢)

لما رأيت المال يستعبد السورى * وآمال نفس الحر تقضى بأن يحياً
 فكفت على الاقلال علماً بأنسه * يلدّ نفسى الانتصار على الدنيا

وتواصلت السخرية من هذه الحياة التى تقدر محبوبها " الذهب " ، فراحوا يواصلون

هذه النظرات نحوها . يقول " الياس فرحات " . . (٣)

صعدت لقرب الهلال المنير * أفتش عما يزيل الكُـرْبُ
 وسرحت فى الكون طرف الخبير * فشهدت فيه صنوف المجب
 أناساً تدوس إلى الضمير * وتحنى الرومى لمجل الذهب
 ويذهلها المال كل الدهول * فتدنى الجهول وتقضى للبيب
 فرحمت ربي على من يقول * بأن النضار يخطى الميوب

=====

(١) الخمائيل ط ٩ (١٨٢) دار المعلم

(٢) أغاني الدراويش ٩٨ (٣) ديوان فرحات ١٠٩

(٢٦٦)

ما قام فيهم أخو وفاء

يحفظ عهداً ولا رميم

فكل مستضعف مؤابسي

وكل ذي قوة غشوم

إن كان للوحش من تميبوب * فالناس أنيابهم حديد

فكان والله للحروب * لولا بنو آدم وجود

لواحمى عالم الخطوب * لقام منهم لها محيد

قد نسبوا الظلم للسماء

وكلهم جائز ظلموم

لم يخل منه أخو الثراء

ولا الفقى البائس الحديم

=====

أقبح من هذه الضلاله * أن يحكم الواحد الألوفا

ويدعى الفضل والنبالاه * من يسلب العامل الرغيفا

ياقوم ما هذه الجهاله * من خاف أن تنصفوا الضحيفا

فراقبو ذممة الاخاء

ولتنس أحقادها الخصوم

لا تتبعوا سنة البقاء

وخانها سنة ظلموم

* * * *

باتت تجربة الغربة تشق طريقها بكل ما أوتيت من قسوة ، وذلك لتسكن مكانا فسيحا فسى

أغوا نفسه الشاغرة والشديدة الحساسية ، فباتت تنهمر من نفسه " دموع وتهدات " حتى

أصبحت هاتان الكلمتان عنوانا لواحدة مما أنتج ركن الغربة فى قريحته .

إنه الحب الذى ينساب حيننا مثقل بأشهى ثمرات العرفان ، إنه أفضل منظار يسمح

ويقول "إيليا أبو ماضي" في قصيدة "عباد الهيب" (١)

ما ساءَ نفسى من الدنيا سوى نَفْسِي * لا خَيْرَ فِيهِمْ ولكن شرهم عَمَّ
 ماتت ضمائرهم فيهم أنانيّةٌ * فليس تنشرُ حتى تُنشرَ الرّممُ
 ساءت خلائقهم أولا خلاق لهم * إلا الشراهة والإيثارُ والنهمُ
 إذا رأوا صورةَ الديناريّةِ رزةً * خرّوا سجوداً إلى الأذقان كلهمُ
 قد أقسموا أنهم لا يُشركونَ بـ * بئسَ الإلهُ وبئسَ القومُ والقسمُ

ويصور "القروي" ذلك الصراع المرير من أجل المادة ، وما ينشره على الصفاء من غبار
 الآلام والهموم . في قصيدة "وقفه على الشاطىء" يقول :-

وإذا الفتى من الهم شينخ * تمتريه الأوجاع والآلام ...
 وكان الورى وحوش بأجـا * م ، وتلك الشوارع الأجام ..
 منكبُ حك منكباً وجبين * شج رأساً علام هذا الزحام ؟

ولا يجد من ذلك منقذاً إلا أن يناجى ربه ، وهو مع ذلك شاكر لله على ما تجر به عليه
 المقادير ، وحتى بعد أن تظاهرت أمواج الهم ورياح الحزن على السخية منه والتوجـ
 بسفينة عمره ، وسط بحر من الظلام صاحب الهدير ، يقول في قصيدة "يارب" !

يارب انك صاحب الأمر * وأنا إليك موكل أمرى
 من لى سواك إذا الهموم طمت * وتلاعبت بسفينة الحمـر
 أكذا أظل الدهر مرتطمـا * أنجر من صخر إلى صخر ؟
 خسضت واليوم سادسـة * من غرمتى فى إثرها تجـرى
 لم ألق فى اثناها سنـة * إلا واهون ما بها فقـرى
 شكوا على ما سرنى وعلسى * ما ساعنى ! شكوا على شكـرى

لقد كانت هذه الدرجة من المادية صدمة على شعراء المهجر فى أول الأمر ، إلا أنهم
 تماسكوا أمام طغيانها ، وشقوا على سبيلها عصا الطاعة ، بل كان لها . الفضل عند

هو لاء الصفوة من الأدياء الذين استطاعوا أن يخلقوا من الليل أصيلاً ذهبياً • ندى
النسمات ، لأنها عملت على تعميق هذه الصفة العالية ، لأن هذه الصفة القوية عملت
على تعميق أبسلك الروحانية في عالمهم

لم تستطيع حياة الضجيج أن تطيع بصمتها القائمة على الصفحة المشرقة ، التي صقلتها
وسطرتها عادات بلاد الجمال ، بل بقي الحب والجمال والمساعدة والاشراق والدمائنة
والرحمة • الحب • الذي يقول عنه الأديب العظيم جبران خليل جبران " في المجموعة
" سأخذ من الحب سهيراً ، واسمعه منشداً ، وأشربه خمراً ، وألبسه ثوباً
عند الفجر سينتهي الحب من رقادي ويسير أمامي إلى البرية البعيدة ، وعند الظهر
سيقودني إلى ظل الأشجار فأريض مع المصانير المحتمية من حرارة الشمس • وفي المساء
سيوقفني أمام المغرب ، ويسمعي نغمه وداع الطبيعة للنور ، ويريني أشباح السكينة
سابحة في الفضاء ، وفي الليل سيمانقني فأنام حالماً بالموالم الملوية حيث تقطن أرواح
العشاق والشعراء " (١)

— فالحب هو وحده الممرج إلى عالم من الجمال والشفافية والصفاء " المحبة هي الحرية
الوحيدة في هذا العالم ، لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتعاليدهم
ولا تسوده نواامير الطبيعة وأحكامها " (٢)

— فالمحبة هي المنظار الذي لا يديل عنه إلى الكشف عن الحياة ومخباتها ، وكما قال —
الفيلسوف الأديب ميخائيل نصيمة • المحبة ناموس الله ، فأنتم ما أحببتم إلا لتعرفوا المحبة
وأنتم ما أحببتم إلا لتعرفوا الحياة •

والحب وكعدة هو مفتاح منشا ظير القلب لتطلق الرويا فتشمل كل العالم ، فـ " أنت
أخي وأنا أخوك • أحبك ساجدا في جامدك ، وراكما في هيكلك ، ومصلياً في كنيستك •
فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح " (٣)

=====

(١) المجموعة الكاملة العربية ج ١ ص ٥٠

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٤

— بقيت الروح تتزعزع فروعها ، وتشتد ضاربة في الأعماق ، روح ورجان ضد هولا
 البلايل ، وهول على تعميق هذه الروح عوامل كثيرة ويجدر بنا أن نذكر منها
 أنهم تركوا أرض الجدود بين يأس ورجاء بعد أن ضاقت أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما
 رحبت ، بما تصنعه مظالم الفقر الظالم في بني قومهم ، وما تقيدهم به كلاليب الجهيل ،
 وما تصنعه أسواط التعصب ، ونيران الاستعباد .
 فلما حطوا رحالهم في العالم الجديد لمسوا من بين ما لمسوه هذا الصراع العنيف الذي
 سوف لا تتيسر معه الحياة التي حلموا بها ، وعليهم أن يشعروا عن سواعدهم بحثا عما
 يريدون ، كما زاد من آلامهم أن رأوا بعض البشر هناك تمتريهم — هم الآخرون —
 الخطوب ، وتلعب بهم المهالك ، وتمش من لحومهم أنياب الفتور .
 وهذا (جبران) عميد الرابطة القلمية حمل معه دعماً وغذاءً لما كان قد سكن وولد مسح
 كل منهم من ثمار الروحانية . وأدى ذلك بدوره إلى تعميق هذه الروح فيمن حوله ، ولا —
 ريب أن كثير من ذلك يرجع إلى تأثر (جبران) أثناء وجوده في فرنسا بالشاعر والفنان
 " وليم بليك " هذا الذي منحه الله من المواهب ما ساعده على الوصول إلى مرتبة روحية
 عظيمة فقد كان (رجب الخيال ، كثير التأمل والتفكير ، حتى لقد أوجد لنفسه سماء
 خاصة من الفن والخيال ، فهو يخلق دائما ، وكأنه يعيش في عالم آخر غير عالم الناس
 حوله ، وذلك هو عالم الروح الذي شخصه لنفسه ، وأحس بوجوده ، ويدبى أن يأتي
 شعره عبارة عن تأملات شخصية وتعبيرات نفسية خاصة ومعاني روحية عميقة فيها صوفية
 ظاهرة) " ١ "

ومن هنا نستطيع أن نفسر عبارة " جبران " بالنفس والروح ،
 — كما تأثروا كذلك بالحركات الروحية في الأدب الأمريكي ، وثوقوا طويلا أمام الحركة
 الروحية التي دعا إليها " امرسن " (٢) والذي ينادى فيها بتفوق الروح ، وتعاليتها
 على كل ماعداها ، وهذه النزعات الروحية كثيرا ما صادفت أرضا طيبة في نفوس هؤلاء —
 البلايل في كثير من الأحيان .

— كما لا يفوتنا أن نذكر أن هؤلاء الشعراء كان لهم الفضل الأكبر في ظهور هذا التسوع من الأدب الرومانسي الذي يفتح مجال الماطفة والنوعمة الشعرية التي يلعب فيها القلب دوراً رئيسياً .

— وهذا الفيلسوف (ميخائيل نصيمة) يُطلق المادة طلاقاً بائناً ، حتى عاد لا يؤمن بما يسمى مادة وعند ما ما كان يراها . لا يراها إلا بمنظار الروحية المحببة ، فكل ما في الحياة من ظواهر مادية .

قد فاض عن الذات العملية ، واستسرت في داخله أسرارها ، واستبطنت في أعماقه جواهرها فالأحلام الصوفية عنده هي التي تطمئن نفسه إزاء محن الحياة التي هي ضرورة — ضروريات الوجود ، أرادها لنا مبدع الكون ، وكل ما فيه من خير وشر إنما هو من إرادته في صورتها الفعلية وعلينا ألا نرفض وجهها ونقبل الآخر .

فلا إنسان الكامل — نسبياً — إنما يكمل إحساسه بتقلبه بين الخير والشر
— وبين سباحات القلب المنطلقة نحو عالم السماء ، وأجنحة الحب المحلقة في هذا الجو المقدس تتزاحم وتتعانق الشفافية والنور ، فيضيئان الحياة ، ويطبعان على ما فيها ألواناً حلوة براقعة من قبيلات المحببة .

ولقد وصلت به درجة هذه الانطلاقة في هذا العالم إلى اعتبار القلب كل شيء فهو الهادي إلى كل الأمانى ، والموصل إلى كل سبيل ، أما العقل فهو عاجز عن إيصال الإنسان إلى كل أمانية الروحية لأنه جمر به فأظهر عجزه ، ومن هنا أعلن إهماله له وازدراءه به .
يقول (١) :

روحاً أجوب ما استتراً * من الدنيا وما ظهرها
وأبحث في غبار العيش * عن خرف وعن صدف

أراه بفكرتى نورا

=====

(٢٣١)

ورحت أقيس أيامي * وأعمالى وأحلامي
وما حولى ومن حولى ■ وما تحتى وما فوقى
بأفكارى وأوهامى

فأطرح كل ما جاداً ■ عن القياس أو زادا
وأفصل ذاك عن هذا ■ فأدعو لبعض أشباهها
وأدعو لبعض أضدادها

وعندما عرف ضلال فكره عاد إلى القلب فهو وحده الذى يستطيع التحليق بالنفس بعيداً عن
أرجاس المادة ه ويطير بها وسط حدائق الشافية والصفو والهنا ه يقول
أقلى احكم ولا ترهب ■ فمالى منك من مهـ سوب

فانت اليوم سلطانى ■ وانت اليوم رؤانى
أدرنى كيفما ترغب

ودم كل لظى وارى ■ وفضح كل أسرارى
وان تمثر فلا تندم ■ وان تأمر فلا ترحم
وزد ناراً على نار

أفاق القلب وأطربى ■ أفاق القلب وأحربى
فم يا فكه ، أفا خضج ■ لقلب كان من حجر

فصار اليوم من لهب

وهكذا لجأ " ميخائيل نعيمة " إلى القلب على يروى ظمأه ويخلق به فى عالم الروح الذى لا
يخضع إلى مقاييس العقل ولا لأحكامه ه فهذا العالم لا يدرك بالفكر ولا بالحس ه وإنما
يدرك بالبصيرة ه

يقول فى قصيدة بعنوان " فى الطريق " ه

وسبقى نفخ الأثار من هذا ومن ذاك
وبينما ندرك أن الدرب فينسا لا هنساك

(٢٣٢)

وسنقى فى انتقال * وشقاء وعذاب
وصمود وهبوط * وذهاب وإياب
.....
ريثما نلقى منانا * ريثما نلقى الطريق

وهكذا عرق الطريق بعد ما ذا ؟ بعد أن عاش فى قلب عميق ؟ اذاء اكتشاف هذا الدرب المريح
الذى بحث عنه كثيرا ، بعد أن عبثت به الأمواج ، فكانت تلقى به ثارة فى أعماق السيم
المظلم ، وأخرى ترفعه على سطحه ساخرة هازنه لتعيوه لأخرى .
فكثيرا ما اكوى بنيران الأمانى ، وهو لا يدري أن ذلك من مطالب الجسد أو الفكر وشكوك
العقل ، أو من مصدر القلب . تائه فى مهمه سحيق .

يقول فى قصيدة (التائه) (١) .

أسير فى طريقى * فى مهمة سحيق
ووجدتى رفيقى * ووجهتى الفضا
مطيتى السراب * وخوذتى السحاب
ودرعى السراب * ورائدى القضا

وأخيرا يتضرع إلى ربه ليوحى له من هذه التصادمات الخطيرة إلى عالم البرء والطهارة

أخالقى رحمتك * بما يوت يداك
ان لم تكن صداك * فصوت من أنا ؟
رسى الا ترانى * أساق كالحملان
رسى أما كنانى * عماء والوانى ؟
فابدل لظى نيرانى * بجمرة الإيمان
واجمل من الحنان * للقلب مرهما

وبعد كل هذا اللأى تمكن من الوصول إلى عالم الخلود بعد أن هبت الروح تنفض ما يخيم -
عليه من غبار المطالب الجسدية ، فالروح هى الخالده بعد أن تطلق سجنها وتسكنه
ملكوتا آخر .

=====
(١) انظر همس الجفون ٤٨ وما بعدها .

(٢٣٣)

— أصبح يرى كل شيء في الوجود من خلال نفسه بمنظار آخر يستمد أشعة من هذا الشعور
الروحي العميق ، وصار يقرر بقلبه إدراك وحدة الوجود ، فالكون وما فيه وإن اختلفت
الأقدار عند البعض على اختلاف نظراتهم — في حقيقته شيء واحد تتجلى فيه الذات
الإلهية . يقول تحت عنوان (السى دودة) " ١ "

فيها أنت عمياء يقودك مبصر * وأمش بصيرا في مسالك عميان
لك الأرض مهد والسما مظلمة * ولى فيها من ضيق فكري سجان

=====

وأنت التي يستصغر الكل قدرها * ويحسبها بعض زيادة نقصان
تدبين في حصن الحياة طليقة * ولا هم يظنونك بأسرار أكوان
فلا تسألين الأرض من مد طولها * ولا الشمس من لظى حشاها بنيران
ولا الريح من قصد لها من هبوبها * ولا الوردة الحمراء عن لونها القاني

=====

وما أنت في عين الحياة ذميمة * وأصغر قدرا من نسور وعقبان
فلا الثبر أغلى عندها من ترابها * ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوما غرابا ببلبل * وهل أهملت دور لتلهو بنفزان ؟

=====

وهل أظلمت شمسا لثرق عوسجا * وتلا سطح الأرض بالأس والبان ؟
لعمرك يا أختاه ما في حياتنا * مراتب قدر أو تفاوت أثمان
مظاهرها في الكون تبدو لناظر * كثيرة أشكال عديدة ألوان
وأقومها باق من البدء واحدا * تجلت بشهب أم تجلت بديسان

=====

— وهكذا رقت القلوب وفاض حنيقها للضعفاء ، فكان من الحب يوقا يدعم العيون والتماون ،
واينمت فروع الحنان وثماره حتى أظلمتهم بوارف الظلال وأطمعتهم أشهى الثمار ، فأصبحوا
لا يتجهون إلى شيء سوى القلوب فهي منبع كل خير . فهذا " إيليا أبو ماضي " ٢ " يقول .

=====

(١) انظر همس الجفون ٧٤ وما بعدها .

(٢) انظر الخماثل ط ٢٣٧

(٢٣٤)

فى معرض الحديث عن الفقر والمطف

أنا ما وقفت فيكم موقفى * إلا لأندب حالة التمساء
على أحرك بالقريض قلوبهم * إن القلوب مواطن الأهواء

— روح فياضة - ملوها معهم من بلادهم ، وتمهدوها بعد رحيلهم بكل اعتماد حتى
ظلت قوتها تزداد ديوماً بعد يوم ، فلم يستطع تئين نيويورك أن يؤثر فى نسيمها وما أجمل
أن يعيش الإنسان بعيداً عن سحب المادة التى تعكرو صفو الوجود وخاصة إذا ما ضربت
خيامها حول فكه ، فيصبح لا يرى الحياة إلا من خلالها ، مثل هذا الذى تحدث عنه
الشاعر " أبو ماضى " فى خمائلة فى قصيدة " هدايا الصيد " ما ذا كان يهدى له
لو تيسر له الأمر ؟ يقول :-

وإلى ذى الخنى الذى يرهب * الفقر اذ ينادى الذى به من عذاب
فإنذا عدّ ماله مطمئناً * أبصر الفقر واقفاً بالباب

ولكن : هو لاء البلبيل عاشوا للحب والخير والجمال ..
فهذا " إيليا أبو ماضى " يقول (١)

عش للجمال تراه العين موقفاً * فى أنجم الليل أو زهر البساتين
هذا الجمال الذى تلمسه القلوب والبصائر .. وأحياناً كثيرة لا يفتن له ذوو الأبصار ..
فكم أحمر به أعمى فجن له * وحوله الفراء غير مفتون
والذى لا يحس به ولا يحن إليه خبير له أن يكون حجراً أو صخراً أو تمثالا من الطين ..
خير وأفضل من لا حنين لهم * إلى الجمال تماثيل من الطين

=====

— وهكذا كان الحيمان خير من كل بيان آتئذ ، فقد أخذ الحيمان بأيديهم ليضمها على
أشواك الحقيقة الوجودية لهذا العالم الذى سمعوا عنه كثيراً وأقل القليل أنه العالم
الذى سمع عنه أنه وقت نزول الإنسان على شاطئه سيحمل ما تستطيع من أكياس الذهب التى

=====

أعيانها طول الانتظار له ولأمثاله .. وذلك ليدخل السرور على قلوب أولئك البائسين الذين

يلتظرون أن يضحك لهم الدهر ولو مرة ..

وكان لهذه المفاجآت أصداء قوية ، فلقد راح المهجريون في غربتهم يخنون إلى اليسار وحبيب
أو قريب يملأ عليهم فراخ تلك الحياة ، ويثنون إليه شكواهم من مصائب الدنيا وأحزانها —
الحياة ..

وكثيرا ما افتقدوا ذلك فماذا يفعلون ؟

أيكثبون ؟ أم يرضخون لما هم فيه وكفى ؟ أم أن لكل فراشة تسبح في الفضاء زهرة تناسبها
فتختارها لتعانق معها ، ولكل بلبل فنن لا يستريح على سواء ولا يخرد إلا عليه ؟
وما كان من هؤلاء إلا أن خلق كل منهم لنفسه عالما يريجه ويدخل عليه السكينة والطمأنينة
وما هو هذا العالم ؟

ليس هو القديم الذي ترك فيه جحيما لا يطاق ، والصوده إليه تحرق القلوب فخرانها —
وذئابها وراء كل طير مكسور الجناح ، ودم مراق ،

وإن كانت أرضه وسماؤه ، وطيره وماؤه ، ووهاده ونجاده هي التي عمر بها عقلم الباطن
فليس معنى ما سبق ذكره أنهم تركوا وطنهم دون تفكير وتذكير ، لا . فهناك الحسب
والإرتباط ، والتغنى به ما عاشوا ، فهي الكعبة التي تقصدها أفكارهم ، ويحج إليها
خيالهم بين الحين والحين فهم كما عبر أبو ماضي بلسانه ..

أنا في نيويورك بالجسم ■ وفي لبنان بالروح

— وليس هو العالم الجديد فقد استقبلتهم فيه صدمات لم تكن في الحسبان والخيال لا يد
إن من عالم آخر يجد من فيى ، ظلاله رغباته وأهوائه ، إنه عالم من صنع الخيال ، يسبح
بين موجاته ، ويرتوى من مائه ، ويستغنى بضيئه ، ويضرب فيه سيرا فلا تنتهي طرقه وسراديبه
— إنه عالم النفس ، ما هيئتها ، تكوينها ، أطوارها ، تطوراتها ، مصيرها ..
وهم إزاء ذلك ضروب ، فمنهم من عكف على نفسه بعيدا عن الخليقة ، وأخذ يجوب أنحاءها
ويكشف دروبها ، وقبابها ، ويستوحى الهامها ومخزنتها علمها تعينه وترشده في هذا الليل
البهيم ..

فربما يكون في هذا العالم الروحي الجديد ما يشفي صدورهم ، ووجهب صدق قلوبهم
ويخفف من آلامهم ، فهو خير رفيق ، يحدث الانسان ويسليه ، ويبصره بآماله وآلامه
فهذا " جبران خليل جبران " يتخذ من نفسه صديقاً ييشها أسرارها وآمالها وما يطمح فيه
من خلود فيقول :

يا نفس لولا مطمئني * بالخلد ما كت أعني
لحناً تغنيه الدهر

بل كت أنهمى حاضرى * قرأ فيغدو ظاهرى
سراً تواريه القبر

يا نفس إن مال الجهول * النفس كالجسم تزول
وما يزول لا يموت

قولى له إن الزهر * تمضى ولكن البذر
تبقى وذاك الخلود

وهي لؤلؤة تشع نوراً إلى الأبد ، ما أجمل قول جبران
وهذا " ميخائيل نعيمة " يقف عند النفس يسألها عن كنهها وطريقها ، وما يتعلق بها
من غموض ، إلى غير ذلك مما في ضرورتها وينتظر الإجابة فلا يجيب . يقول في قصيدة
(من أنت يا نفسى)

إن سمعت الرعد يذوى بين طيات النمام
أو رأيت البرق يفرى سيفه جيش الظلام
توصدى البرق إلى أن تخطفى منه لظلماء
ويكف الرعد لكن تاركاً فيك صداداه
هل من البرق انفصلت ؟
أم مع الرعد انحدرت ؟

.....

(٢٣٧)

إن سمعت البلبيل الصّداح بين الياسمين
يسكب الألحان نارا في قلوب العاشقين
تلتظي حزنا وشوقا والهوى عنك بمحيب
فاخبريني (هل غنا البلبيل في الليل يميد
ذكروا ضيـك إلبك ؟

هل من الألحان أنت ؟

إيه نفس ! أنت لحنٌ نسي قدرن صداه
وقمته يدُ فئان خفتي لا أراه
أنت ريحٌ ونسيم . أنت موجٌ ، أنت بحرٌ
أنت برقٌ ، أنت رعْدٌ ، أنت ليلٌ ، أنت فجرٌ

أنت فيض من السـ

— وحتى ذلك ما استطاع أن يشر لها على حقيقة ، وهالته خباياها وما فيها من نزاع وعراك
وحين يريد الوصول مرة أخرى إلى معرفة ذلك فتعرضه حجب الخفاء لتحول بينه وبين إرادته

حتى كاد يشرك بواحدانية الله . يقول في قصيدة "العراك" (١)

دخل الشيطان في قلبي ■ فرأى فيه مـلاك
وبلح الطرف ما بينهما ■ اشتد المـراك
ذا يقول : البيت بيتي ! ■ فيصيد القول ذاك ..
وأنا أشهد ما يجـري ■ ولا أبدى حراك
سائلارسي " أفى الأكوان من رب مـواك ؟

ولما لم يستطع هو وغيره الوصول إلى ما ينفع غلتهم ، ويشفي علتهم ، وينير فكورهم ، ويوسح
النفوس إزاء مظاهر الوجود وتناقضها ، حيث بقيت النفس يثرا مظلما لاقرار لها ، لأنهم
كلما ظنوا أنهم أصابوا منها اقترابا عرفتهم أنهم زادوا ابتعادا ، ومن هذا المنطلق بدأت
الشكوك العميقة .

=====

(٢٣٨)

فهذا "إيليا أبو ماضي" يعلن عما فى نفسه من صراع وعراك • دون معرفه كنه ذلك ، وعندما يبحث ذلك ويظن أنه اقترب من مصدر المعرفة لينهل منها فيستريح ، يعتمد إلى قفس قاحل • فيالله من هذه المتاعب يقول فى طلاله •

إننى أشهد فى نفسى صراخاً وعراكاً

وأرى ذاتى شيطاناً وأحياناً ملاكاً

هل أنا شخصان يابى ذاك مع هذا اشتراكاً

أم ترانى وأهماً فيما أراه • • • لست أدرى • • • (١)

وعندما يظن أنه - قريباً - سيجنى ثمره بحسه فى الصباح ، أو قارب من النور ، وصار قلبه يستانا عامراً • • •

أقبل العصر فأمر موحشاً كالقفر قاحل

كيف صار القلب روضاً ثم قفراً ؟

لست أدرى • • •

- وهذا الشاعر "نسيب عريضة" يحدو بحد أن عصفت به رياح الشكوك إلى نقطة بدء جديدة يتساءل عن الحياة وحقيقتها ونهايتها ، وما فيها من متناقضات وأشياء تستحق النظر ، ولا يترك الشاعر من شىء إلا ويتساءل عنه وعن علتها • • •

يقول فى الأرواح الحائرة تحت عنوان "ولماذا" (٢)

لماذا نحب الزهر • • • ولا نعشق الزهرة الذابلة ؟

وما قيمة الحياة إذا كنا نموت ، وإلى التراب نصير ، ونطوينا صحف النسيان ، ولم لا نبقى فى دنيانا ؟ إذا كنا سنحيا بعد الموت ؟ ولماذا ؟ • • • ولماذا ؟ • • • ودون جدوى فلا يذهب لفتاوى ، ولا تنفخ له حيرة ، حتى راح يرفع - أمام الشكوك كلتا يديه معلناً استسلامه وانسحابه من هذا الميدان الذى سيفنيه ويقضى عليه إن هو داوم السير فيه • • • • •

(١) الجداول ١٦٣ ط ٢ دار العلم ١٩٦٥

(٢) الأرواح الحائرة ٤٤ ، ٤٥

(٢٣٩) * نَحْيُ نَا حُجَّةً عَادِلَةً
لعمري وعمرك هذي أمر
* سيفنك قوته الحاقلة
ومن راح يطلب نفسه

.....

* ويشكو أمانيه الهائلة
فصمتا أيا من يلوم الزمان
* نحلّ بها عقدة شاذلة
فإن الحياة لأقصر من أن

ومع كل هذا ..

حاربوا اليأس بسلاح الأمل هركوا نور الصين المحدود وذهبوا يصرون بنور
القلب الذي لا تحجبه أسناد ولا تحده حدود .

عرفوا أن قيمة الإنسان من خلال عطاءه وليس من خلال سيره على هامشها فأعطوا
من القلب ما لا يفنى .

أحالو بنظرهم الكبرياء إلى تواضع ، والحاجة إلى قناعة ، والإلحاد إلى مزيد من الإيمان
والخوف إلى مزيد من الاطمئنان ، زرع طيب نبت في أرض طيبة تحت سما الهدوء ، وأرض
السحر والجمال .

فأين ! أين !

أين تلك الحياة من ذاك اليأس !

الغربة

الباب الثالث

الفصل الخامس

الغربة وأثرها في شعرة

يقول أبو تمام

كفى منزل فى الارض يالفه الفتى * وحينئذ ابدأً الأول — منزل

إذنا كانت الغربة فى أقرب معانيها

هى النزوح عن الوطن والبعد عنه ، وإذا كان الوطن فى مفهومه هو تلك البقعة من أرض —
الله يقيم فيها المرء . فهل تتساوى الأوطان التى يقيم فيها الإنسان حينما ينزح من وطن
إلى آخر ؟

وإذا كان هذا النازح سيمترك وطناً إلى آخر ألا يكون آنفذ صاحب وطن يقيم فيه ، بل ويخفيه
كما ننزح عنه ففية الأرض والسما والشمس والهواء ، والخبز والماء ، وربما يتوافر له فى مقره —
الجديد من المطالب ما لم يتوافر فى موطنه .

أما بالنسبة لمفهوم الوطن فما تقدم عن ذلك إنما هو فى عرف اللغة ، وهو ما عنته من مدلولات
(الوطن والغربة)

ولكن للنفس عرف خاص فى ذلك وضعتة قواميسها ، وهذا العرف يختلف اختلافاً جذرياً عما
يعنية فى قواميس اللغة ، ويتبع ذلك اختلاف عرفها فى مفهوم الغربة ، فتحدد النفس للوطن
غريب حقاً . فهو فى عرفها تلك البقعة من الأرض التى عرفت فيها النفس نور الحياة لأول مرة
وتنسبت أنفاسها الأولى فى هذا الوجود ، وارتبطت بأهلها وقرباتها ، إنها مواطن الأجداد
يعظم شأنها ، إنها أرض الطفولة البريئة ، التى كانت مسرحاً لحيوه ، ثم لوقوفه وسيوه ، فيتعثر
آونة وينجح أخرى ، إن هذه العثرات تظل أجنحة للحب يرفرف بها على سما هذه المنطقة
وهو فيها أوبعيداً عنها ، وتستمد هذه الأجنحة غذاءها من حنين صاحبها ، تلك البقعة
فى عرف النفس هى الوطن الحقيقى والروحى وكثيراً ما ينتقل المرء داخل الوطن الذى فيه لست
بشرته نسيم الحياة ، وحين يعتمد عن نفس البقعة — المدينة أو القرية — التى هى موطن
طفولته ، تدفعه النفس بشوقها الناتج من طاول الخيبة إلى مسقط رأسها ومدرج طفولتها . . .
حيث الصحبة من الآل والخلان مع أن الوطن واحد .

— فرابطة الانسان بوطنه رابطة ووحية ، وعلاقة كائنة فى هذا الحب العميق الضارب بجذوره

فى اعماق النفس الوارف الظلال فى حياة المرء ، انه الحب الذى قال عنه " ايليا أبو ماضى "

ويصعب على النفس مفارقة هذا البستان التي فيه نمت ، وعلى ثمارة ترعرعت حتى صارت
قبلُ وبعدُ بعضاً من مادته

اليس سرُّ هذا التعلق هو أصل الإنسان ؟ وهو عندما يستمر في هذا الحُبِّ وذلك
التعلق إنما يعدُّ ايفاءً للأصل)

حقاً المرء قطعة من ترابية وبعض من مائه وليس جديراً بالانتماء إلى الإنسانية من يتنكر لهذا
الانتماء .

ويبقى سؤال مهم هو: اختلف القرية في مكان عنها في آخر؟

لسان حالى وأظنك معنى أن الاجابة بنعم إن لم تكن بالف نعم)

فاقامة إنسان ما . في محيط مصره وبالتحديد في بلدته لا يتساوى عند النفس بإقامته في بلد
اخر من نفس الوطن ، كما لا تصدّل تلك بأى حال المقام في وطن آخر غير وطنه الام .
بمعنى أن هناك غريباً في وطنه ، وغريباً في وطن تجمعه بوطنه رابطة قومية وغريب في وطن
غريب .

— والعربى بما منحة الله من شيم الوفاء والحب وثيق الصلة بوطنه ، وخاصة المكان السدى
شرف بمسقطه فيه . وكما يرتبط المرء بوطنه الصغير (دولته) فله ارتباط آخر بوطنة الكبير
الذى تنتمى إليه دولته وإلى لغته وفكره .

— وللخبرة أياً كانت الام وأشجان ، وعويل ، وصراخ ، وأتى التمييز عن ذلك عند الأدباء
بنفثات الحنين الصادق ، ذلك الحنين الذى تمكسه نيران القرية على صفحة النفس فتظهره
مرآة الفؤاد فى صور شتى ، منها فلك النوع الساذج البسيط القريب من فطرة النفس
والذى يتجلى فى ذكر معاهد الطفولة ، ومدارج الصبا وجمال البلاد وطبيعتها الساحرة
وساحة أهلها ، وذكر أمجادها ، وتذكروها لما فيها من خلال ما يمر على شريط فكرة وشعيرة .
— وأحياناً لا يجد المخترع من ذلك ما يشفى غلته ، ويروى ظمأته ، فماذا يفعل ؟ حينئذ
يستغرق فى رؤيا يخال نفسه فيها فى الوطن فينعم بمعطيات الخيال ، أو يحاكي أشبه

المعاناة بسبب ما يحتاج الوطن من ما سوي استثمار ، وأحيانا أخرى
 ينسلخ من هذا الواقع الأليم إلى ما يشغله وينسيه ولو إلى وقت قصير ولكن إلى أي شيء ؟
 * إلى الغاب ففيه المروء والرياحين ، وهو خير حافظ لما يباح فيه من أسرار فيتزج به
 الشاعر ، ويثبه أفكاره . ووجدته وحنينه على أوتار الحس المرهف .
 * أو ينسحب داخل النفس لينشغل بالتفكير في دروبها الصعبة المظلمة ، ومحاولة التعرف على
 ما هتيتها ، وحقيقتها (بداية ونهاية) وعن أشجانها الفاضة وما ول كشف أسرارها ،
 وازاحه الحجب والوصول إلى خفاها . أو يلجأ إلى ما وراء الطبيعة علة يجد في ذلك منسأى
 عن الهموم .

(())

وفي هذا المجال ونحن بصدد الحديث عن الثرية وآثارها في شعر شاعر اكوى بنيان الثرية
 وتجرع حتى الثمالة مرارة مذاقها ، حتى أصقلته أصابع الاغتراب يجدر بنا أن نترث مشيرون إلى
 ألوان تلك الثرية متبهمين آثارها كما وكيفا مثله في دواوينه واضمين - ما استطعنا - في
 الاعتبار الملاحظة الواعية للمؤشر البياني الخاص بذلك انخفاضا وارتقا .
 * غادر أبو ماضي لبنان ميمما وجهته شطر مصر بصحبة عمه نعيم (١) وقد سبقه إليها أخوة
 " طانيوس " وهذا ما رثق كثيرا من ثوب نفسه وملا آتذ - فراغا كثيرا من حياته ، ولولاها
 لاقرست أبا ماضي نيران البعاد وحرقت ، وغلبان الفكر ، وعقارب الوحدة .
 * اتجه " أبو ماضي " إلى الاسكندرية والأمل حاديه والرغبة تكسوه ، ونفسه في ظلمة إلى
 حياة كريمة يستطيع من خلالها الشلخ بمناخ مناسب من الحرية بعيدا عن المصيبة ورائث القصر
 وقريبا من منابع العلم حتى يمتد من بحر العلم وحياض المعرفة عجا ، ويجمع ما يستطيع من
 خبرات ومعارف وتجارب يخزنها ويكنزها في وقاضه حتى ينفق منها وسط معامل الحياة .
 ولا بأس إذا ساعدته المقادير فعمل هرج ما يستطيع منه العيش ومد يد المونة والمساعدة إلى
 آله ((بمحيدثة لبنان)) وربما تلك أوليات المطالب التي كان يأملها ، ومن أجلها شدرخاله
 إلى مصر .

والجدير بالذكر أن هناك كثيرا من الثغرات القابضة

التي تعمل الثغرة على بحشها وحياتها قوية وثابتة في نفس الضريب فتندلع منها نيران بركانوية غير أن نيران البراكين تهدأ أو تنفى ، بينما نيران الثغرات الاغترابية التي تندلع في النفس تزداد توهجا كلما مرّ عليها الزمان مستمدة غذاءها من نفس صاحبها ، وأشد الناس إحساساً بذلك من كأيدها وغانها ،

* وربما وجدت مهدئات تقلل من لهيب بعض هذه الفوهات النفسية وربما تودي ببعضها .
فضريب يعيش بين آله (المخترين معه) غير آخر يعيش بين قوم لا يعرف عن طباعهم وحياتهم شيئا ، كما لا يعرفون عنه شيئا ، وزان غير ثالث يعيش غريباً بين قوم غرباء ممن بنى قومه .

فالضريب الذي يعيش بين بعض من آله المخترين معة . أخف وطأة من غيره السدى اغترب وحده فلم يعد يراهم في غريته ، لأن أهله يملأون عنده فراغا قاتلا ، ويجد في رحابهم بعض ما يحوضه - ولو قليلا - عن غريته ، وبعادة عن مسقط رأسه وأسرته .
* واذنا ما فتحنا صفحة الغربة لدى شاعرنا " إيليا أبى ماضى " وجدناها لا تلتزم وتسير واحدة ، لقد عاش في لبنان ثم في مصر (بالاسكندرية) ثم في أمريكا ، ولم يقتصر الأمر عند هذه الظواهر بل لقد تدخلت المقادير في هذه المراحل فصيفتها بصبغ مختلفة في كل من الاسكندرية ، وأمريكا .

* فهو في لبنان يعيش غضا بين قرابته وآله وخلانه ، ولكنه لمس على صغره غربة نفسية وروحية بين أمثاله وأولئك المكرين الذين شوهاوا عليه وعلى آله وأمثاله وجه الحياة إنهم رجال الدين وغيرهم من الذين امتلكوا أشياح الرجال بيد أن الانسانية هجست قلوبهم فصارت لا تثن لباك ولا تنصف شاكيا غلظت وجفت فأصبحت كالحجارة فحوا إنهم من طينة خبيثة ، أما الحجارة فمنها ما يتشقق فيهبط منها الماء فيروى قلوباً قتلها الظلم ، ومنها ما يهبط من خشية الله ، أما قلوب هؤلاء فأصبحت لا يطربها غير روية غيرها في بلاء وظلم وطمغان من صنمهم من صنع الشياطين ،

* كل ذلك شق طريقة إلى قلب الشاعر ، وبذلك أصبح يرحب بنيران الاغتراب مع

الحرية ضارها بغيري * الاقتراب في رحاب الوطن تحت أعمق البحار * وقد هجر لبنان وما فيه
قبل أن تتساقب أنغامه الأولى لتسجل انطباعاته النفسية عن كتب * * * * * وقبل أن تبرى ما فسى
وطنه آنثذ من غيوم تمكو صفو حياة الناس هناك * * * * * ومع هذا الرجيل الميكر وعى بعضا
من ذلك * حتى انعكس صدى ذلك فى بواكيره الشعرية " تذكار الماضى " فقد حكى لنا
قصائد منه انطباعاته عن الانسان * ورجال الدين وغيرهم من أولئك الباغين * وعلى سبيل
المثال .

يقول فى قصيدة " الانسان والدين " ١

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| إبنى عرفت من الانسان ما كاننا | * فلست أحمد بعد اليوم إنساننا |
| بلوته وهو مشدد القوى أسداً | * صعب المراسى وعند الضعف ثعباننا |
| تعود الشر حتى لو نيت يده | * عنه إلى الخير سهواً بات حسراننا |
| خفه قديرا وخفه لاقتدار لسه | * فالظلم والقدر إاما عز أو هاننا |
| أذان ذئب القلامن غدرة طرفنا | * فلا يزال مدى الأيام يقظاننا |
| ونقر الطير حتى ما تلم بسه | * إلا كما اعتادت الاحلام وسناننا |
| سروره فى بكاء الأكرين لسه | * وحزنه لئن ترى عيناه جـذلان |
| هو الذى سلب الدنيا بشاشتها | * وراح يملأها همما وأحزاننا |
| قالوا ترقى سليل الطين قلت لهم | * الآن تم شقاء العالم الأننا |
| إن الحديد إذا ما لان صار مـدى | * فكن على حذر منه إذا لاننا |
| واسمعه وهو يصف بعض أبناء جلدته (٢) | |
| وما شئنا ما فهمهم | * إن جثتهم غير الوعدود |
| متفرنجين وما التفرنج | * عندهم غير الجمودود |
| لا يعرفون من الشجاعة | * غير ما عرف القردود |

واقراً له يصفه ^{خطوة} هو لاء الشباب وانسيا همم وراء لذاتهم ولذا ذمهم وتقليدهم — بكل أمانه
للإفترنج بينما يطرحون بكل ما ترك الجدود ظهرياً . .

- | | | | |
|---|-----------------------------|---|--------------------------------|
| ■ | صَبُّ وهذا بالحسان مقسيم | ■ | الهمتهم الدنيا فهذا بالطلسى |
| ■ | ترف يكاد من النساء يسقم | ■ | والخير فاتكة فكيف بناعهم |
| ■ | يستسلمون لها ولا تستسلم | ■ | قد أصبحوا وقفا على شهواتهم |
| ■ | ان البلية أنهم لم يفهموا | ■ | لم يفهموا معنى الحياة وكتمها |
| ■ | خبر الشيوخ بهم ولما يهرموا | ■ | فليقلعوا عن غيهم انى أرى . . . |
| ■ | تقليده الشرقى فيما يحصم (١) | ■ | قد قلدوا الغربى فى آفاقه |

واسمعه يسجل لنا شعرة وكراهيته لرجال الدين فى شخص هذا الضيف الثقيل يقول (٢)

- | | | | |
|---|--------------------------------|---|------------------------------|
| ■ | أسطر ما توحيه نفس فى طربيسى | ■ | جلست الى طرس وقد عسعس الدجى |
| ■ | يلوح ويخفى كالرجاء لدى اليا من | ■ | وليس سوى نور ضئيل بجانبى |
| ■ | وصوت ضعيف وهو أقرب للهمس | ■ | فنبهنى طرق على باب غرفتى |
| ■ | به نشوة أو من يضيق من المس | ■ | نهضت ولكن مثلما ينهض السدى |
| ■ | ولو كمت طفلاً قلت غول من الأنس | ■ | ولما فتحت الباب أبصرت راهباً |
| ■ | فلم تر عيني قط أثقل من قس | ■ | خبرت بنى الدنيا وفتشت فيهم |

وكم من مرة يهجو رجال الدين دون ميلاه بهم . حتى قال مرة .

■ إن كان لى ذنب وهم عقرانه * أثرت أن أبقى بلا عقران

والشاعر فى مرحلة اغترابه الأولى والأخف وطأة . كانت تخذيه وتعيينه فيها أمان عذاب
— ولكل حتى أمان . .

— وللأمانى بريق شديد العمان ، وأضواء هائلة جذابة أحياناً فاتنة قاتلة على غمرة
أحياناً أخرى . . ومن الناس من تغره الأمانى كيف كانت فيجربى وراء بريقها غير آبه

=====

(١) نفسه ١١

(٢) نفسه ٢٤ ٥ ٢٥

بأى شىء فينقل من مكان إلى آخر ، ومن وطن إلى غيره لا يتحرك فى نفسه وترو واحد . . . ومنهم من يحاول تحقيقها بهدوء الواثق فى نفسه ، فيحمل عصا ترحاله تاركاً بلاده فى سبيل تحقيق ما تصبو إليه نفسه دون أن ينسى شيئاً مما سجل على شريط ذكرياته الوطنية الأولى . حاملاً فى وفاضه زاداً كافياً من أحلى وأغلى الذكريات ، ضيفاً إليها ما تنتج أنوال المستقبل من —
أمان لطيفة .

— ومن هؤلاء الأخرين " إيليا أبو ماضى " الذى رحل إلى مصر بصحبة عمه نعوم وعزم زوجته مقام أخية طاب نيو من الذى رحل إليها قبلة وفى رحابهما قضى وقتاً ليس باليسير .
— غور أن القدر لم يبق على تلك الصحبة الغالية الشافية فقد لظانيوس ألف القدر ليضمه إلى صفحة الأولين الذاهبين فى أسرة الشاعر فتوفى فى ١٢/٨/١٩٠٩ (١)

وكما سبق نوّهت أن لهذه الصحبة الغالية أثرها فى قتل حدة الآلام وكسر شوكتها أو على الأقل تخفيفها فى نفس " إيليا أبى ماضى " وقد انضم إلى هذا العامل فى تهوين الأمر عليه
آماله الطموحة فى تغذية النفس بنفذاً الروح (العلم بعد الأدب) فى تلك التربة الطيبة ولا بأس إذا تحققت بجانب ذلك أهداف آخر من كسب مادي ، عليه يشفى — بمساعدة منه — غلة المساكين (أهله) بلبنان فيروى ظمأ قلوب أيمسها الجوع والحرمان ، وحينئذ يشمر بحين الرضا أنه قام بشىء مما أوصاه به الرب العظيم تجاه والديه أولاً ، وأخوته ثانياً ،
— ولا بأس إذا ما كتب القدر لأما نية الحسان البحث فى هذا المحيط العرسى الذى يكثر فيه الشوام ، فهو جو " إلى حد ما " قريب إلى نفسه ، فهناك مع الإغتراب الجسدى قرابة روحية تجمع بين الأنفس فى عالم الصفاء هذا — كما بيد ولى — ما كان يروده

ولكن آه ممن يتخذ الدهر منه مرمى يتعلم به !

لقد وقف الدهر له بالمرصاد . فضل يلاحقه دون أن يتحرك له فرصة يسترد فيها أنفاسه ، بل كال له الطمان والكيل واف ، ترصده الدهر حتى نسج له حجاباً قاتماً ، وظل يحاربه بأصرم البواتر ، متتبعا كل عون له فى غربته . لينتزعه ويضرب مكانه طوداً وعائفاً أمام مسيرته

=====

(٢٤٨)

وماذا عند ذوى النفوس الشاعرة إلا أن يطعموا فى صفحات النفوس بعضاً مما طبعته
الأحداث فى صفحة نفسه .

* يقول "إيليا أبو ماضى" (١)

يبحث إلى الدهر كل رزئيصة * * على عجل حتى كأننى واتسره
وهكذا كان أشد ما رماه به الدهر موت أخية فى ذلك الذى حرك فيه كل ساكن ، ومزقه
كل ممزق ، وأشعل فى حياته جمرات الخربة التى احترق بلمهيبها ، وتركه كسير الجناح
فما كاد يصف أحجار آماله حتى أخذ الدهر فى بحشرتها وتحطيمها ، بل وضع أعنى
الحواجز وأقواها أمام رغباته ، فانهمرت عبرات الشمو الحزين . فسبحان عــــلام
الغيوب . الحكيم الخبير . !

* يقول "إيليا أبو ماضى" (٢)

أتبكت والدنيا إلى بـمـيـضة * * هلا سبقت إلى أسباب الشقا
علقت أخى كفا المنون وكسدت أن * * أسسى على آثاره لولا التشقى
أصبحت مثل النسر قمر جناحه * * فهوى ، ولو سلم الجناح لحلقنا
وموت أخيه فقد زينة الدنيا ونهبل الشق الأكبر من رجائه ، وتقطعت نفسه حسرات
وليس من محين يشاطره الأحزان . ويكشف عنه غمة الألام . فانقلبت حياته سهاداً ،
ونهاراً حُزناً وسواداً .

* يقول فى قصيدة "البدر الآفل" (٣)

ذهبت بزينة الدنيا جسمها * * فما فى الدهر بحدك ما يزين
وكت لنا الرجاء فلا رجاء * * وكت لنا المحين فلا معين

=====

عليك تقطع الحسرات نفسى * * وفيك أطاعنى الدمع الحسرون
فمك جوانحى حزن مذيبى * * ومك محاجرى دمع سخيين

=====

١ - تذكار الماضى ٨٠

٢ - تذكار الماضى ٧٧ - ١٩١١ ٣ - السابق ٥٨

لقد طال السهاد وطال ليلى * فلا أدري الرقاد هتى يكسون
 كأن الصبح قد لبس الد يا جسى * عليك أسى لذلك ما يمين
 - ومذ لك هبّت رياح الخريف عاصفة بشجرة آماله لتسقط كثيراً من أوراقها الذابلسة
 والتي كانت فى وقت ما خضراء ناضرة ، وتحل محلها أحد أشواك الاغتراب لتأخذ
 مكانها فى صدره ، فتدمى عشر إلفه ، وتبدد غزل أنسه ، كما جدّت الأم الغريسة
 فى فصح مكان لها فى أعماقه ، فبدأت تملو صرخاته ، وتتابع آهاته المتهببة
 التى لفحت بظاها وحرقها قسامت وجهه ، وطبختها بطايح العتمة والإعياء ..
 ولم لا . ! وقبند جدّ الدهر فى اغتيال هنائه بعد ما أخمد الحياة فى
 صدر أخيه ، فحلف فى صدره - هو - جرحاً ظائراً ، وترك فى قلبه ناراً لا تنطفئ
 حتى بات يخيم القلق على خيمته ، كما بقيت روح أخيه مهيمنة على فكه ، ولذلك
 ظهرت نزعات الألم المخلقة بألوان الخربة وأسواطها فى تلك القوائد المبهوثة فى
 ديوان "تذكار الماضى" .

((أسباب قلة القوائد التى تصبر عن الخربة))

- وقد جاءت هذه القوائد قليلة العدد ولعل سبب ذلك راجع إلى بدء التكوين
 الشعرى ، وما سبق من وجود عمه وأخيه بجواره فترة غير قصيرة ، والجد فى تحقيق
 الرغبات التى شغل بعضها الكيو من وقته . ، بم قصد الفترة الزمنية بين موت أخيه
 ورحيله من مصر
 كما لا يفوتنا بعد ما تقدم أن نذكر عاملاً آخر . هو معاملة أصحاب البلاد له ، وما
 أصاب عندهم من كرم ووداد ، وحسن خلق . وهذا ما جعله يذكر مصر وآلها بالحب
 والعرفان كثيراً بعد رحيلته إلى أمريكا .
 - وهكذا كان الاغتراب مصدرًا مدرارًا للحنين الذى ظهرت بواكيره مزوجاً بالضجر
 والقلق ، وشكوى الآلام ، فنجد فى هذه البواكير . قصيدة (مصر والشام) يصور
 فيها ما يعترية من أسقام وأحزان وما يقلقه من سهاد ، وما احتشد حوله من هموم

حتمت كلا كلمها على صدره ، وما صاحب كل ذلك من وجد واكتئاب شديدين ، • **إلهية**
 هموم وآلام ، وأى وجد واكتئاب ! • لقد بلغ ذلك به حدًّا أطاح عن عنقه المنسلخ
 وأورثه السقام ، وجعله يحن إلى الشام ، • ولم لا يحن إليها ؟ وكيف لا تظهر
 الصورة السيئة لما يحيط به إلا بالنظر في سطور الماضي ، تلك السطور التي أصبحت
 حلوة في نظره برغم ما فيها من قاتم •

* يقول (١)

أطال الليل أم طال القمام * أم المخزون خاضه الهيبام
 نبات يصعد الزفرات وجدًّا * وأما نوح أسعده الحممام
 تحوّد جسمه الأسقام حستى * ليحذر أن يزايه السقام
 وأغرى جفنه بالسهد حستى * ليشفق أن يطيف به المنمام
 تجمعت المهوم عليه تسترى * كما اجتمعت على الماء السمام
 وأعوزه على البلوى مميمين * وأعوز ليله القمر التمام
 فضاقت فؤاده بالمهم نرعمًا * وضاقت بهمته وه الظمام
 وما أقسى الليل الطويل ، وبالله من طول الليل • وعمر المهم عندما يسكت الدجى
 ويغض الأنمام •

كأنى قارىء والليل سقم * له بدء وليس له ختمام
 كذاك المهم أعسر ما تراه * إذا سكت الدجى وغض الأنمام
 تحن إلى بلاد الشام نفوس * أقطر الشام حياك الفمام
 ولولا أن في مصر مقامسى * لصر أبوك ما طال المقمام
 وما مصر التي ملكت فرسوادى * ولكن أهلها قوم كرام
 ودادهم على الأيام بساق * وجارهم عزيز لا يضمام

الفراق قتال خفى ، وموت بطىء أحيانًا ، وما هو الشاعر يصرح في قصيدته " أنا إمام

الذين هاموا " (٢)

بما أصابه من الفراق الذى فسح لمأسى الدهر المختلفة التردد له ، والإنفراد به ، دون ما معين ، من خل أو قريب يساعده على كسر شوكة الفرية ، وفل سيف البعاد . . . ومع قلة الأبيات ، ووصولها إلى حد التقرير ، إلا أنها تسفر وتخير عما يحتلج جوانحه من آلام نتجت عن الفراق المرير . يقول :-

أصاب سهم الفراق قلبي * وأخطأ قلبه سهامى
إن فراق الحبيب عسى * أشدّ وقعاً من الحمام

=====

وتجلبف فكرة ، وينمو معه حينه نمواً مقولاً نسبياً إلى حد يكاد يقترب من مرحلة الشباب ، فنراه يصور هذا المنحى بقدر يتضح فيه الحب الخنون والحنين المحبوب فى قصيدة بعنوان " فى سبيل الإصلاح " (١)

والقصيدة تبلغ سيعة وعشرين بيتاً ، والشاعر فى شطرها الأول

يتجه بقلبه وكل ثقله إلى لبنان وساكنيه ، فيحمل القبا أرق تحية إلى رباها
فهى كعبة هواه ، وموطن حبه ، ومسقط رأسه ، وما بها من جمال وحسن وسهاء . . . يسدو
كل حسن أمامها ضئيلاً ، ويضاف إلى ذلك ما به من آله الكرام
ولذلك لا يرتضى به بديلاً ، وكيف ذلك . . . وقد قيدت النفس بهواه !

ومن يا ترى الذى يسمح لنفسه أن تفرط فى جنة الخلد التى بشر الله بها قديماً بنى الانسان
وما أجمل وأروع والطف أن توجه التحية الرقيقة عبر رقة الأثير ، إلى قوم طبعوا على الرقة
والجمال ، إلى سكان تلك الناحية يقول " إيليا أبو ماضى " فيهم .

حيث القبا عنى ربا لبنان * حيث المهوى ومراتع الضوزان
وعى المهيين ساكنيه فانهم * فى خير أرض خيرة السكان
قوم صفت أخلاقهم ووجوههم * فالحسن مجموع إلى الإحسان
لهم الأيادى البيض والشيم السنى * لو مثلت كانت عقود جمان

=====

(٢٥٢)

شيم الكرام قصائد في الكون غرر * وهي في شيم الكرام معسان
قوم اذا زار الغريب بلادهم * جعلوه منهم في أجل مكان
ان خفت شر طوارق الحدشان فاقصدتهم تخفك طوارق الحدشان
لو ان في كنوان دار اقامتي * لهجرت كنوانا الى لبنان
قيدت قلبي في هواه فلم أعبد * أهوى السوى إذ ليس لي قلبان

.....

هو جنة الخلد التي متى بها * رسل الهدى قدما بنى الانسان
خلت الدهور ولا يزال كأنما * بالأمس شادته يد الرحمن
يا ساكية تحية من نسانج * ان التحية لهن جهد العانسي

وما أصدق الغريب حين يقدم صفحات وثيقته بعد لمس الحقيقة المريرة وتلك الوثيقة التي —
قدمها شاعرنا ممثلة في حبه وحنينه لوطنه (لبنان) وأهله الذين حرص على رفعتهم ، —
فلقد وجه لهم نصحه وتحذيرة النايمين من أعماق الرويا الفاهمه ، والتجربة الحية الأمينية
تحذير لقومه من هؤلاء الماكرين الخداعين — رجال الدين — آنذاك ، هؤلاء الذين
يظهرون للناس في صورة دعاة مصلحين ، والحقيقة أنهم رؤس الأبالسة الجحيم ، إيليا
يخدرهم من هؤلاء ويخدرهم من الانخداع بلباسهم ، فإنهم معدن الخسة ، وجرثومة
الخداح ، وهم المائق الأوحاد أمام تقدم قومه ورفعه شأنهم ...

يقول :

أصبحتم فوق الممالك رفعة * لولا وجود محاشرا الغريبان
قوم قد اتخذوا الديانة منكم * شركا لصيد الأضر الرئبان
فتظاهروا بالزهد حتى أوشكت * تخفى دخالهم على اليقظان
وتفننوا بالمكر حتى أصبحوا * وغيبهم لدهي من الشيطان
ضربوا على الشعب الرسوم شراهة * حسب التعميس ضرائب السلطان

.....

ولقد تفانوا في انتهاك حقوقه * وهو المحب رضاهم المتفاني
حتى حسبنا أنه ينحط عن * كسل ولم يك قط بالكسلان

لكنه يمشى ويذهب سميحاً ■ للقس والشماس والمطران
 لولا احترامى مذهباً عرفوا به ■ لكشفت مستوراتهم ببياضان
 فتنبهوا إن كنتم نسي غفلة ■ فالدهر بالمرصاد للفقلان
 إن الأبالس حين أعيأ المركم ■ جاءتكم فى صورة الرهبان
 فخذار من أت تخدعوا بلباسهم ■ فهم الضواري فى لباس الضان
 من يتبع الصبيان حياً بالهدى ■ لا يأمنن تمثر الصبيان

تلك هى الصفحة الأولى فى حياة غرته ٥٠ وما ذكرته من سطور ضمت - كما يبدو لى -
 أفعاره القليلة (١) التى هى وليدة الخبرة وما عاصرت من آلام ، وكان من الممكن أن -
 تنكس نزعاته وصرخاته - وهو فى بديهة الطريق - بثوب من الهدوء مؤشٍ بشئ من الرضا
 ولكن لماذا ؟

لقرب الشقة بين مصر ولبنان نسبياً ، فلم تكن هناك صعوبة فى العودة وكيف تصحب عليه
 الآن وقد خاضها صغيراً ؟ كما أنه بين وسط عمرى يكثر فيه الجنس الشامى ، وما أجمع
 له من عوامل التخفيف من وجود الأبح طانيوس وعمه نحموس . وسبقت الإشارة إلى ذلك -
 وتطلعاته الفضة فى فجر شببته ولكن للتجربة فعلها وأثرها ومن ينكسر
 هذا ؟

فإلياً أبو ماضى . لم يكن قد مر بمثل هذه التجربة وما صاحبها من عقبات لم يكن يعدُّ قد قوى
 على حملها وخاصة موت أخيه ، وما ترتب على هذا الفراق من خواطر وظنون لازمت حياته
 آتت حتى تعلقت بمخده ، وما أضيف إلى ذلك من طبعه الذى يمقت النفاق والمنافقين
 وعدم القدرة على السكوت على ما لا ينبغي السكوت عليه فلا مداهنه ولا رياء
 ونضيف أن الدهر قد أهدى إلا أن يعيد أمام ناظره صوراً كريهة مما رأى أمثالها بلبنان ،
 وكانت واحدة من أسباب رحيله إلى مصر . ورغم قلبه القوائد التى تنطق بخواطر الغربة
 إلا أنها جاءت تحمل فى غشونها ثورة قوية على الأيام والآلام والاعتراب ، وإن كنت تلمس
 أحياناً روح الهدوء فهو هدوء يبدو حاملاً معه آمارات التكلف

أشواقه ، وكفى بشوق أنسه * شوق الخريب الفرد للأوطان
وأحبه حبي الحياة ، ومشبهه * حبه حَبُّ الزهر للبيستان
قيدت قلبي في هواه فلم أعهد * أهوى السوى إذ ليس لي قلبان

=====

ومما واقفنا به صاحب كتاب "إيليا أبو ماضي" من اشعاره المجهولة والتي قالها بعصر ولم
تنشر بديوانه الأول ٠٠ بل نشرت بمراجعة الخريب" في ١١/١/٣٠ قصيدة بعنوان

"نفسه مصدر" (١)

بلاد قد طبعت على هواها * كما طبع الزمان على عنادي
أحسن إلى لقاءهم وأصبروا * كما حنت إلى الماء الصواري
يكاد الشوق ينقلني إليهم * لو أن الشرق ينقل غير بلاد
ترى هل عندهم أنى ودهري * لاجلهم أبيت على جهاد ؟
ففى أرق إذا انقلوا وناموا * وفى خوف لو آمنوا المواهي

ونراه يقول فى بدء هذه القصيدة : ٠٠

سوى " لبنان " بمقته فوادي ٠٠٠٠ * وغير بنيه أمنهم ودادي ٠٠٠٠٠
بلاد اللم واسعة ولكن * تضيق لدي إن ضاقت ببلادي
بلاد قد طبعت على هواها * كما طبع الزمان على عنادي
فما أنفك أطمع للمال * ولا ينفك يبخل بالمراد

=====

(١) انظر "إيليا أبو ماضي" - جورج ديمترى ٠٠ ٨٩ و٢٩٩

وإذا ما حملنا رحلتنا إلى شاطئ البحر طالعتنا قصائد ديوانه الثاني "ديوان إيليا أبو ماضي" تحمل بين طياتها الكثير من صواخ الاغتراب المتمثل في الحنين إلى الألوان المديده إلى المنزل الأول .

وأول ما يطالعنا في هذا الديوان . من نغمات الإغتراب قصيدة بعنوان " في السفينة "

وهي تعكس صفحة قلبه الهادئة يوم أن امتطى ظهر السفينة قاصداً لبنان مرة أخرى ومع هذه الرجعة التي هي أولى بازاحة الأحزان والمهموم فقد بث أحزانه وآلامه ومشاعره في القصيدة . ولكن على شكل آخر . أهدأ مما سبق . اكتفى فيه ببثها من خلال حديثه عن السفينة . ومع ما عبرت جسر قلبه من هموم كثيرة لم يستطع كبت عواطف الفرحه داخل نفسه ولم لا وقد امتلك اليقين من أن الزمن لن يتخل عليه قريبا باكتحال عينه بنور بلاده — وجمالها . . .

وهو إذ يفارق مصر وقلبه فرح ورجاء يؤكد الحب والعرفان لمصر . وأهلها . ويسطر هذه — الصفحة في تاريخ حياته . بالحب الناصح . ليبقى برهان اعتراف بحسنها وجمالها وحسن خلق أهلها .

إنها عادة الشرق وعقد حيدته ، رأى من أهلها كل خير . وذلك غير غريب وكان من المؤلف أن يرى المزيد من ذلك دوماً إذا هو دائم الإقامة فيها وكان المستقر . . . ولكن القدر حفر له بئرا بعيدة الثور ، أطاحت بوكر حياته ، وورثته بسهم أدى إلى ذبول شجرة هنائه ، وخاصة حين علفت أخاه كف المتون . يقول : (١)

تسير بنا على عجل	* وان ساءت على مهل
وتسمى سعى مشتاق	* بلا قطب ولا عقل
تركنا عادة الشرق	* إلى لبنان ذي الفضل
فمن وطن إلى وطن	* ومن أهل إلى أهل

=====

(٢٥٦)

وما كان يأمل أن تتمج له بواطن الظلم ثوب الموداع • قبل أن يمكث على الأقل زمنا يسترد —
أنفاس القوة لرحيل جديد • • • فما طال به العقام وعندما رحل من مصر وهو مشجون بالوطنية فما أن
وصل إلى لبنان حتى انضم إلى حركة المعارضة اللبنانية التي كان يقودها الشيخ ابراهيم —
المنذر — استاذة القديم • • • وهي الحركة التي كانت تعادل في مصر — الحزب الوطني
آنذا — كانت تطالب بالإصلاح العام • وما تاد يضم صوته إلى تلك الحركة حتى ناصبه بعضهم
العدا • • • واتهموه بالزندقة • والطفيان وغير ذلك من تهمة • • • فكانت قصيدة "وداع عرشكوى
(١) يقول فيها • • •

وطن أردناه على حب العلى * فابى سويان يستكين إلى الشقا
أمسى وأمسى أهلة في حالمة * لو أنها تمرو الجماد لأشقى
أو كلما جاء الزمان بمصلح * في أهله قالوا : طفى وتزندقا
وصابة ما إن تزحزح أحقفا * عن رأسها حتى تولى أحقفا
راحت تناصبنا العدا كأنمنا * جئنا فرنا أوركينا موقفا
وأبت سوي إرهاقنا فكأنمنا * كل المدالة عندها أن ترهقنا

" فلما صد " أبو ماضي " نشاطه الإصلاحى (٢) لاقى في لبنان بلده خلال أشهر ما لم
يأتقيه أبداً في مصر مدة سنين • قال فيما بعد يصف ما لاقاه • • •

قومي وقد أظريتهم زمننا * ساقوا إلى الحزن والكفدا
هم هد دونى حين صحت بهم * صيحاتى الشحوا منتقدا
ورأيت فى أحداقهم شرراً * ورأيت فى أشداقهم زبدا
وسمعت صائحهم يقول لهم : * أن أقتلوه حيثما وجدا
فرجعت أحسبهم برايرة * فى مهمه ، وأظننى وليدا

=====

(١) شاعر العربية الأكبر ٥٣٠ زهير ميرزا (١٦١٢/٦)

(٢) انظر "إيليا أبو ماضي" ٦١ جورج ديمترى سليم • • •

(٢٥٧)

موت ليالٍ ما لها عدد * وأنا حين باهت كعدا
ارتاع إن أبصرت واحدهم * نعر الشويبة أبصرت أسدا
وإذا رقدت رقدت مضطربا * وإذا صحت صحت مرتعدا
لا تذكرهم له ، وإن سألوا * لا تذكرني عندهم أبدا

وأمام هذه المضايقات والتوعدات ، لم يبق أمام الشاعر سوى الرحيل

المرارة والقسوة والتهديدات تجعله يؤكد النية والعزم على الرحيل وأى مرارة بلوكها

" أبو ماضي " يقول :

أزف الرحيل ، وحان أن نتفرقا * فإلى اللقاء يا صاحبي إلى اللقاء
أن تبكي فلقد بكيت من الأسى * حتى لكنت بأدمعي أن أغرقا
مازلت أخشى البين قبل وقوعه * حتى عدوت وليس لي أن أفرقا

=====

وهكذا تمخض اللقاء عن فراق سريع . وكل لقاء لا بد له من فراق ، وباجبذا لو كان العكس

ولكن ما بأيدينا نسيم القضاء فسبحان الحكيم القدير . . . وهكذا بدأ الدهر جادا

في نسج خيوط أمان اللقاء بأمراس الفراق المحكمة ، ملونا إيّاها بقتام الفرية الكئيب .

فما كاد الشاعر يقف مساندا ومويدا بل مطالباً بحقوق الانسان أمام فئة ضاقت الانسانية

بهم نرط ، ويعلن مبادئ الحق التي سكنت قلبه عندما رأى رجال الحزب الوطني في مصر

يقنون أنفسهم من أجل دعوة الحق ورفع الحيف عن الشعب ، حتى وقفت له بالمرصاد وعند

أن القى قصيدته هذه في إحدى المناسبات . أبحر بعد ذلك على القهر إلى أمريكا

ليصلها في أواخر ١٩١١ بعد عشرين يوما بين الأوج .

حاملًا عصا الترحال - التي أنقلها اليأس وأوهنها الأسى - من جديد موجها قبلة

نحو أمريكا ،

حاملًا في جعبته ثمرة الرحلة الأولى من جرأة وقدرة على المجازفة . ولكن !

ماذا عسى أن يكون في أمريكا ؟

أ يكون فيها كما ن في مصر من وحدة الفكر . وسهولة الاندماج والتفاهم والدمائة ؟

وإذا لم يكن ما عساه هو . . . ؟ فليكن ما يكن !

فقد تمرست النفس على الاغتراب ، وغربة تنعشق فيها حرية الفكر والأمن فهى أفضل من عيش
 فى أحضان الوطن ينعدم فيه الأمن ويكون مثار كبت وهمم وهم وحزن وقلق لا يحرف له حد ...
 إلا أنه هناك لحظات يقف فيها المرء عاجزا كل العجز ، عجزى وقد جمع من الفصاحة كضميفا
 رغم قوته . أمام عبرات النوى ودوع الفراق . والله وقت يدق فيه ناقوس الفراق معلنا احتضار
 وقت اللقاء يقول " أبو ماضى "
 أرف الرحيل

وتسمرت عند الوداع أضالصى * نارا خشيت بحسرها أن أحرقا
 يوم النوى لله ما ألقى النسوى * لولا النوى ما أبغضت نفسى البقا
 أبادنا خفاقة وعيوننا * لا تستطيع من البكا أن ترقا

وما التسليمة ؟ بكل ما يحمل التأكيد . غربة فى ديار الحرية أخف من الرضا والذلة
 والصفار فى الوطن . أولان يصطفى المرء بنيوان الحرية أخف من الاستكانة والبقاء بين
 هؤلاء الشبابيين .

— ولا يفوت الألقى النجيب أن يساند ذوى النفوس الأبية فى صب جمراتهم وغضبهم ،
 واستيائهم على كل حكم استعماري وحكومة استعمارية وعلى من يساندهم من الشعب . . .
 هكذا فعل أبو ماضى . . يقول :-

وطن أردناه على حُب الحلصى * فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا

وطن يضيق الحر زرعاً غنده * وشتراه بالأحرار نرعا أضيقا

شعب كما شاء التخاذل والهوى * متفرق ويكاد أن يتمزقا

لا يرتضى دين الاله موقفا * بين القلوب ويرتضيه مفرقا

وحكومة ما إن تزحزح أحقفا * عن رأسها حتى تولى أحقفا

راحت تناصبنا المداء كأننا * جئنا فريا أوركنا موقفا

وينهى القصيدة — بعد أن ترسى السفينة فى نيويورك — بصفحة مقذعة من الأبيات

وفي نفس الوقت يعطى النفس دفعة حرارية من أوهامة لتمهيد الجليد ماء ، بمعنى أنه أخذ
في طمأنينة نفسه واملائها بحلاوة الرضا ، خاضا اياها على ترك الحنين ، كما أخذ يفتنهما
بحياة لذيذة تروقها ، ولكم وهما بذلك مثلما يصطنع الانسان لنفسه سياجا من الأوهام
يحول بينها وبين ما يقتربها من الآم ، وكيف لا يحزن المرء لوطنه ؟

ولكن التي تصنع الأوهام لا يلبث أن يتلاشى دفعة واحدة عند شروق شمس الحقيقة ، ويزور
رياح الحنين التي تصرب من غير كل يقول . " أبو ماضي "

نفسى أخذى ودعى الحنين فانما جهل بعيد اليوم أن تشوقا
هذى هى " الدنيا الجديدة " فانظري ضياء العلم كيف بالقى
إني ضمنت لك الحياة شهية فى أهلها ، والعيش ازهر موقعا

ولكن هل طاوخته نفسه فتركت الحنين بمعنى أنها تنازلت عن شئ من حريتها

وفقدت جزءاً من حياتها وهل خلدت كما أمرها ؟

هل نسي المشرق بالغرب كما كان يقول ؟

إنه الحُب والحنين الدانى الذى يستمد دفقة من دم قلبه

فما إن وضع عصي ترحاله وقبل أن يسترد أنفاس الراحة بعد هذه السفرة الطويلة حتى

اسرع إلى أذن الزمان هامساً وملتمساً منه نقل مفاجاة لبنانه متحدثاً مع شيخ رواسيها

وأهلها الكرام مع ومضات من قيسر الحياة الجديدة يقول فى قصيدة " نجوى لبنانى " (١)

وهى من القصائد المجهولة ، وعددها ٣١ بيتاً وتاريخ نشرها ١٢/١/٣١ يقول فيها :-

إنى امرؤ كلف بإدراك الملقى وأبى الجهاد وغايتى الإصلاح

أهوى بلادى دانياً أو نائلياً أعلنى فى حب البلاد جناس

" لبنان " لست أبى ، ولست فتاك إن صرفت فؤادى عن هواك رداح

زعم العواذل أن سلوتك ، ويحهم غير السلو لمن أحب يتسارح

=====

(٢٦٠)

ما إن هجرتك عن قلبي لكما * قلب إلى نيل العلى طمّاح
"لبنان" حسبي أنتى لك أنتمى * وثقاك أنى البلبل الصّـداح
أشدّ ويذكرك ما بقيت ، ومرقمى * تجرى به فوق الطروس السّـراج

.....

ويناجى شيخ الرواسى فيقول أسفلاً .

شيخ الرواسى ما لأهلك أصبحوا * لا الحزن يجمعهم ولا الأفراح
كالفصن يسكن كلما سكن الصّبا * ويميل أنى مالت الأرياح
عبثت بهم أهواؤهم فتفرقوا * شيعاً ، وليس مع الخلاف نجاح

.....

أضحى صباحاً ليل "مصر" يوسف" * فعلام . ليس لليلنا أصبح ؟

ويتوجه بالخطاب إلى أبناء الجيل الأشم فيقول ..

أبناء ذا الجيل الأشم ، تحية * تزكو ويزكو نشرها الفيّاح
حتّام أنتم مفضون على القذى * لا تمهضون كأنكم أشباح ؟
أجهلتم أن البقاء تمّازع ؟ * أنسيتم أن الحياة كفّاح ؟

.....

هؤلاء أهل "الغرب" قد بلخوا "السهى" * مجدداً ، وما غير المعلوم جنّاح
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالكرام ففلاح

.....

وهكذا كلما دخل فى سرداب غريمته تبددت طمأنينته كما تبدد أوراق الخريف أمام ضربات الرياح
وتأبى برائن الآلام إلا أن تحمل هيكل الإغتراب المخيف مجللاً بالسود فتزعمه أمام ناظره
لتسجل على شريط نفسه تلك الموجات الحنظلية .

وحينئذ تكشف الحقيقة عن نقابها مرة أخرى . ، فيجد أن ملك زمام نفسه ، واصلد لها
أوامره يترك الحنين (الحياة) الذى يجعلها تساقط أنفساً . . .

— يمود هذه المرة معلنا عما تسكنه بلاده فى قلبه وراحته بل وفى حياته من عواطفها الفياضة
فأخذ من جديد يحلن عن هيامه الدفين أزاء تلك البلاد ، وما يكتنف نفسه من لوعات بانست

تأكل من حبات قلبه . فالحقيقة الباقية كجمرة متقدة تحت رماد ، وما هي الحقيقة ؟ يقول

في قصيدة بلادي (١)

إذا ذكر الشام يكت وحداً * وما تُفك تذكر الشام

وكت سلوته إلا قليلاً * وكت هجرته إلا لماً

وبينما تتمايل على سحنه أشباح الأحزان ، يمد يديه إلى الأمام وكأنه يريد أن يقبض بأصابعه المموجة على شعبان ليمزقه إرباً إرباً ، وذلك الشعبان هو الذي تصرب إلى وكو الطيور الآمنة لينشر سمه الناقع في جدول هناؤها ، ففرقت تعانى وتقاسى وتكابد بسبب فعلته الدنيئة ما تكابده الفريسة أمام أسد مفترس فتح حلقومه فيظهر لها طريق هلاكها . أسوداً مخيفاً . . . وماذا يفصل إزاء مصائبه الخرساء ، لا يد إذن من مهدى ومسكن . ويتنوع ذلك كثيراً ، ومن هذه الضروب تصويب أحط اللعنات ، وتوزيع البصقات على وجوه ' شعابين الحياة ، الذين كانوا سبباً فيما يجنيه المخرّب من أحزان نفسية أليمة ، وآلام مريرة تهزأ به كما يأ يهزأ — السجان بصيدة فتارة يمد يده فيصغ صيدة بشدة وعندما يتوجع السجين ترى الآخر يأتى بسيل من الضحكات المتقطعة هازناً ساخراً ، فما أجبن الظالم أو قل ما أجبن العركي الظالم

أنتذ . . .

يقول

رجال الترك ما نبغى انتفاضاً * لمرمك ولا نبغى انتقاماً . .

ولكنما نطالبكم بحق * ونكوه من يريد لنا اهتضاماً

حملنا نير ظلمكم قروننا * فأبلاها وأبلانا وداماً

وما بعد ذلك !

رعيتم أرضنا فتركموهوا * إذا وقع الجراد رعى الرغامى

فبات الذئب يشكوكم عواءً * وبات الظبي يشكوكم بخاماً

.

فما راقبتم فينا جواراً * ولا حفظت لنا يدكم ذماماً

=====

(٢٦٢)

خف التركي يخلقها العنانى * وخفه كلما صلسى وصامسا
ومن يستنزل الأتراك خـيـراً * كمن يستقبس الجاء الضرامسا

— وأظن أننا لا نكون بمعيدين عن الحقيقة إذا قلنا أن صرخات الإغتراب ولوعته إلى هنا لم تخرج عما ألفناه عند الشاعر من قبل ، وتكاد نلمس نفس النوع ونحط التعبير السابق وقراءة المعانى وسيطرة هدوء اليأس فى قصيدة " أنت " والقصيدة ٥٢ بيتاً (١) ونشرت بتاريخ ٥/٧/١٩١٣ .

فيعد أن فصلته عن لبنان هواطى ، وحرور ، أحس بأصوات ليست غريبة على سمعيه تهمس فيها وفى آذان نفسه : أنا لسان لبنانك ، وقلبه (فأين أنت أين)
فيشرب الحنين متسائلاً عنها ، وقلبه يفيض حناناً وعطفاً ، والمرارة والحسرة تملأ نفسه على ما آلت إليه حالتها ،

كما يهود لاجئاً خضوع القوم وخضوعهم ، وسكوتهم على ما يلحقهم من ذل وهوان يقول فيها : ..
مهبط الوحى مطلع الانبياء * كيف أمسيت مهبط الأرزاء ؟
ففى عيون الأنام عنك نبؤ * لم يكن فى الصيون لو لم تشائى
أنت كالحريرة التى انقلب الدهر عليها فأصبحت فى الإماء
أنت كالبردة الموشاة بلمسى العسطنى والنشر ما بها مترواء ..
أنت مثل الخيمة الفنتاء * عويت من أوراقها الخضراء
أنت كالليث قلم الدهر ظفريه وأحنى عليه طول الثواء
ويبادر مقدماً لها اعتذاره بسبب تركه لها وابتعاده عنها ، وما يحسن ذلك (لا بعد فتح قلبها بتحيفة رقيقة .

أرض آباتنا عليك سلام * وسقى الله أنفس الأبياء
ما هجرناك إذ هجرناك طوعاً * لا تظنى المعقون فى الأيناء
يسام الخلد والحياة نعيم * افترض الخلود فى البأساء

— كما كانت الحالة السيئة التى تردت فيها البلاد من جحيم لا يطاق سبباً فى رسوب المرارة

=====

(٢٦٣)

في قاع كأمير الحياة • وانتشارها على سطحه • كما كانت تلك الحالة السيئة مهباً في اغتراب
الكثيرين • وما في اغتراب الأقوياء من عيب • بل هو عز وفخر •
واغتراب القوي عز وفخر ■ واغتراب الضعيف يد الفناء

— والشاعر إذ يستعرض ما قام به الخونة الظالمون • والباغون المستعمرون • وما أدى ذلك
إلى فقر وتحاسة • يدعو إلى نهضة تحررية غذاؤها القوة الإيمانية والوحدة والاعتصام بالمبادئ
الأخوية •

نهضة تكشف عنهم المذلة • وترفع كلا كل اليأس عن صدورهم • وبالجزم والإيمان سوف يتحقق
" وما ذلك على الله بعزيز " ويومئذ سيرى المنافقون والخبيثون • والمراءون خيبة آمالهم
ومدى خسرانهم •

ضيم أحرارنا وريح حماننا ■ وسكتنا والصمت للجبننا •

نهضة تكشف المذلة عنا ■ فلقد طال نومنا في الشقاء •

— وما أقسى الهول حينذاك

يوم تمش على جبال من الأشلاء تمشي في أبحر من دماء يوم
يوم تمش على جبال من الأشلاء ■ في أبحر من دماء •

يوم يستشعر المراءون مننا ■ إنما الخاسرون أهل الرياء •

ولم يكن يمر على غرسته في سنناتى طمان حتى ذاق مرارة الثمالة الراكدة في أعماق كأس

الاغتراب • فأصبح لنفسه حنين من نوع خاص •

— وللحنين لهيب أشد احراقاً لقلوب مزقتها الفراق • ولم لا وللغريمتغالب حادة لا تحرم

وصوابم لا تشفق • وما أهول ما يترتب على ذلك من آفات محزنة تقطعها الحشرات • —

فتضفى على السحنة المنقبضة أشباحاً من الأحران •

— للغربة مرارة لا يخبر مذاقها سوى من عاناها • وصدقنى إذا قلت لك أن للآلام فيما بينها

صدقات كما لعالم الانسان • ولها معارف سرعان ما يزور بعضها البعض • وتتجمع متعردة —

على فريستها ، هازنه بها ، وما أسعد بشرها حينما تتناجى بأصوات خفية ، فلكل عالم لغة يتفاهم بها ، وبالمهول المرء إذا ما وقع لها فريسة فهي تعبر إلى فريستها التي لا تجد المخلص لها من تلك العصابة القاسية القاتله سوى التنفيسها في النفس من براكين ، — فيدخل هيكل أوجاعه ووكو أحزانه وآلامه فيحرك أشجارها ليمساقط منها شيئاً مما حملت ، ليحل محله بمد قليل . كثير من كُن تحت لحائها وخشبها فتسمع نواح الأدباء ثقلاً بأهات طوال ثقلاً .

— والتنفيس هو أيسر وأعظم ما يملكه أصحاب المشاعر للتسرى عن النفوس الحريثة ، تنفيس عما يتكالب على القلب من آلام صيفتها أكل الاغتراب الآثمة بمزيد من القتام بمد أن نسجتها بنجار من السهم والكتابة ، وقديماً كان بعض الشعراء يخفقون من هذه الآلام بذكر ليلى وهند ، بينما هناك في سجن الخربة لا تجد في ذكر ليلى وهند من شفيح . أبداً وهذه الخواطر لحدّة أسنانها وقوتها تفرض وجودها ، وتبرهن على صدقها وما أقساها وقماً وثقلاً على نفس الخريب ، كما أنها تزلزل عليه وكر أمنه ، وتحطم عنقه ، فيمد وكل شيء كئيب وغريب على عهد في الحياة .

إيليا أبو ماضي " يزرف هذه الدمعة الحارة مصوراً فيها الوجود ومظاهرة التي بثها أحزانه فاصبحت كهيئة خزينة ، تمكن ما ارتسم على صفحة نفسه من آلام أشد وقعا من سابقتها . ترى ذلك في قصيدة " البليل السجين " (١)

يقول :

يارب ليّل بلا سناء * لأنما يدره يتسيم

مشى به اليأس في الرجاء * لأنه النار والهشيم

=====

هل بك يا نجم مثل كويسى * أم أنت من طبعك السهر

=====

(١) إيليا أبو ماضي شاعر العربية الأكبر . زهير ميوزا ٦٥١

(٢٦٥)

قد نال نرد السُّهاد مـنى * واشتاق طرفى إلى المهجوع
وقرَح الجفن ماءً جفـنى * فى الحَبِّ ما فاض من دموعى
وشاب رأسى من التجـنى * ياليت ذا الشيب فى الولـوع

=====

لعل فى سلوتى شفائى

هيميات داءُ الهوى قديم

ما يحسبُ الناس فى ردائى ؟

فى بردتى هيكل رميم

قرب بين الضنى وجسمى * ما أبعد النوم عن جفونى

ياليل فيك الرقاد خمسى * ياليل ما فيك من ممسين

سوى شج هممه كهمنى * يُنشدُ والليل فى سكون !

أبيع البُوم فى الخلاء

ومسكُ اللَّيْلِ البهموم ؟

هذا ضلال من القضاء

فلا تلمنى إذا ألوم

والشاعر لا ولن ينسى هذا الظالم الحريرى الذى جرَّ بخسته ونذالته على اشاعر وأمثاله

الويل والبتور . . . وما الخربة إلا خفجرا طعنوه فى ظهورنا .

فما أعدل أن ينصب عليهم كل جام شديد من الغضب ، وكل ما يستحقون . .

— فلا يهضم قههم — من لعنات هم أهل لها ، وهذا أقل ما ينبغى قوله ولم لا وقد جرَّوا

عليهم أقمرا الآلام ، وسيرون جزاء عادلا . جهنم تحصدهم حصداً يوم ينفخ بنقومه غبار الخسوع

عن مخدعهم . (١) . يقول . (١)

والبرء وحش فان ترقى * أصبح شراً من الوحوش

وخفه جوراً وخفه رقبا * وخفه ملكاً على المـروش

فالشرُّ فى الناس كان خلقاً * وأى طيرٍ بخير ريش

=====

(١) السابق (٦٥١)

(٢٦٧)

للنفس بروية مكبرة لكل نبرة من أرض الوطن ، وادراك فضائله ومآثره ، وقيمة أنسه من بعيد - ان لمعامل الفحص العلمي مجاهر مكبرة تتيح للباحثين أن يروا أصغر الأشياء أثناء البحث لبعض لحظات
أما مجهر الغربة فهو جزء من بصيرة المرء يسمح لصاحبه عن جداره أن يرى الوطن كبريا وعظيما بل ويسمح له أن يرى ما لا يراه مجهر الفاحصين من العواطف الحية التي تكبر كلما مر عليها الزمان ، وتقوى كلما طال عمرها .
- يرى المشترب ذلك في يقظته في حالتي النور والظلام ، فنظار الغربة يعادل في صداه وقوته بعضا من بصيرة المؤمن . التي توفر له الرؤيا العميقة ، والاحساس الكامل لخفايا الأمور وأدق الأشياء .

نـمـ

" دموع وتنهيدات " عنوان حتى لألام وآثار الاغتراب ، فأكثر الأحابيين لم يجسد المشترب ما ينقذه من يم أحزانه وقنابل كبته حين تتكالب عليه الذكريات غير عبرات الحزن التي تقذف بها قوة التنهيدات ، والعبوة أحيانا تحمل بعض ما في القلب - من نيوان مضطربة لتقذف بها في أرض المهجر فتساعد في تخفيف البركان الهائل في القلوب . فيا لله من الغربة المحرقة .
وما أحوجنا أن تخرج على بعض من دموعه لنصرف لونها ، فلعل في تلك الممرقة ما يبين مدى اللوعة الناجمة من الاغتراب ، كما يجدر بنا سماع بعضا من تنهيداته " لبيان سرعة ذبذباتها الحزينة . والقصيدة تبلغ ستين بيتا يقول (١)
فيها :-

أصاب سَلْوًا أو صاب الأمانيا	✳	ألا ليت قلبا بين جنبي داميا
تدقق من عيني أحمر قانينا	✳	أجن الأسى حتى إذا ضاق بالأسى
وتغرى بي الوجد الطيور شواديا	✳	تهيج بي الذكوى البروق ضواحكا
وأبكي إذا أبصرت في الأرض باقينا	✳	فأبكي لما بي من جوى وصباينة
ولا تحسباني أنشد الشعر لا هيا	✳	فلا تحسباني أذرف الدمع عيادة
وفاض عليها الهم فاضت قوافينا	✳	ولكها نفس إذا جأى جأ شهيا
وان خادع الدنيا وداجى المداجيا	✳	يشق على الإنسان خدع فواده

طلبتُ على البَلَوَى مُعِينًا ففَاتَنِي * يُوَاسِيكَ مِنْ يَحْتَاجُ فَيْكَ مُؤَاسِيَا
 وَمَنْ لَمْ تُضَرِّسْهُ الخُطُوبُ بِنَابِهَا * يَظُنُّ شَكَايَاتِ النَفُوسِ تَشَاكِيَا
 رَمِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ * رَمِيَتْ بِهِ الأَيَّامُ صَارَتْ لِيَا لِيَا
 تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً إِثْرَ لَيْلِيَةٍ * وَأَحْزَانُ قَلْبِي بِأَقْيَاتِ كَاهِيَا
 وَلَوْ أَنَّ مَابِي الخَمْرُ أَوْ بَارِدَ اللَّمَسِ * سَلَوْتُ ، وَلَكِنْ أُمَّتِي وَمَلَدِيَا
 إِذَا أَخْطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةً * طَرِبْتُ فَالْقَى خَنْكَبَايَ رَدَائِيَا
 أَحْسَنُ إِلَى تِلْكَ المَغَانِي وَأَهْلِهَا * وَأَشْتَاقُ مِنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ المَغَانِيَا

=====

وكيف اغتباط المرء لا أهل حوله ولا هو من يستعذب الصفو نائيا

ويظل سائرا في الطريق التي تسفر عما به من هموم ، كما ينسى الحالة التي وصل إليها ينسو
 البشر حتى صاروا وحوشا ضارية سلبوا الدنيا بشاشتها بمطامعهم التي لا تقف عند حد ، وما
 يقيمون من حروب طاحنه آثمة حتى أصبحت الدنيا مملوءة بالدواهي العجيبة . فلا ترى للناس
 عهدا ولا ميثاقا ، فإذا بحثت عن شيء من الثقة فهيهات أن ترى من ذلك حتى الرفات .

تبدلت الدنيا من السلم بالوغى * وصار بنوها العاطلون ضواريبا
 فما تثبت الضبراء غير مصائب * وما تمطر الافلاك إلا دواهييا
 سرى الشك حتى ما نصددق راويا * وطال فبتنا ما نكذب راويا

xxxxxxxxxxxx

(٢٦٩)

وما ألقى ما يقاسيه المخترب من حيرة وعذاب، وما حكم به عليه من الانفصال حتى انقطعت

عنه الأخبار !

فأصبح لا يعرف عن أهله . شيئاً ويأثرى أهم أموات فيبيكهم هم ؟ أم أحياء فيوجسو

لقاءهم ؟

وإن كانوا أحياء فلا شك أنها حياة قاسية، وأية قسوة . والشاعر يقول :-

أشد من فاقة الزمــــــــــــــــان * مقام حمرٍ على هــــــــــــــــوان

لصن المنافقون ، وقبح الله منهم الوجوه فإذا لا حوائر الناس من طريقهم لهم أحد

وجهي الحدو . الظلوم . وصانحو سيوط بنخيه ، وموسسو بنيان ظلمه .

يقول :-

أقضى نهاري طائر النفس حائرا * وأقطع ليلي كاسف البال ساهيا

فما هم بأموات فنبكى عليهم * ولا هم بأحياء فخرجوا التلاقيبا

(*) (*) (*)

كأنى بهم قد أخرجوا من بيوتهم * حفاةً عصراً جالحين صواديبا

كأنى بالفوظاء ثارت عليهم * وبالجنود تمطى الثائرين المواضيبا

كأنى بهم قد أعمل السيف فيهم * كأن الدم القانى بسيل سواقيبا

كأنى بالدور الحسان خرائب * كأنى بالجنات صارت فيا فيبا

مشاهد لاحت لى فهزت فرائصي * كما دُعر المسوع راء الأفاعيبا

ولو أجنبي لا تقينا سهامه * ولكنما الإخوان صاروا أعاديبا

— فقد أظفوا ظفأة الترك ، وثوا بذور الفتية بين الإخوة والإشقاء ، باعوا بلادهم

للبيوس والطفيان فواحسرتاه !

الآليت من باعوا على الشيبين ودنا * من الترك باعوا ذلك المودعنا ليبا

وباليت من باع البلاد وأهلها * " بفلكين " لم يختر لها البيوس شاربيا

— وتلح على الشاعر فكرة طالما تحدث عنها في قنوات حنينه، وظل يوردها في تلك المرحلة من الزمان، إنها الدعوة الجادة للأمة العربية وعقلائها أن يهبوا من جباتهم وينفضوا عنهم ستار الخنوع، ويكونوا حجة وهاديا للضالين

يد وهم أن يقفوا بكل ما أوتوا من قوة محطمين هذه الجرثومة الباغية الطاغية • التي تآكل أجسادهم وتشرب دماءهم • دعى العرب جميعهم إلى ذلك • إيماناً منه بقوة الوحدة وثمرتها وأن الخالص من هؤلاء لا يتم إلا بها •

= يقول :

فيا أمة قد طال عهد سباتها * متى يكشف الاصبح عنك الدياتها
إلى كم تودين البقاء لمشعر * بقاؤهم يدنى إليك التلاشيها
ثلاثة أجيال تفضت وأنتم * تسامون منهم ما تُسام المواشيها
ويا عقلاء العرب هذا زمانكم * فكونوا لمن ضلّ المحجة هاديها

غدا ينشر التاريخ عنكم حديثاً * وتلوا الذي يتلوه ما كان خافياً
فإن شتمتم أمسى عليكم محامداً * وإن شتمتم أمسى عليكم مساوياً

ويا أيها الجالون إن بلادكم * تنادىكم لو تسمعون مناديها

— ويختم دموعه وتهداته بهذا البيت الحسن •

إذا المرء لم يسخ (يحمل) لخير بلاده * يكن كالذي في ضرهايات ساعياً (١)

وهكذا أخذت العربية هنا تدخل في مرحلة أشد مرارة على مذاقه مما تقدم • فحينما يحاول المرء أملاً ويحاربه اليأس فيأخذ من قوى آماله كل ما أخذ • ولا يبقى لديه سوى التعلق بأمر من الخيال لو تفيد

=====

١ - اللفظة بين القوسين تصحح الوزن والقاعدة •

(٢٧١)

ومقدار ما يديه الضال في بيدا، لا يحرف لها مدى • من حرص على شأله المواقفة
في كاسه • حرصت الأيام على أن تظهر "إيليا أبي ماضي" ألواناً مختلفة وقاسية من
العذاب ..

كانت قد أضرت لها طوايا كتمانها في غيبس الأزمان

أخذت الدموع في الاقلال ، والتنهيدات في الاضمحلال ، ولكن متى حدث ذلك ؟
حدث ذلك تدريجياً بعد مقابلته للسيد " عبد المسيح حداد " صاحب جريدة
السائح لأول مرة ، وذلك عندما زار الأخير " سنماتى " في أغسطس عام ١٩١٥
وكتب عنه في جريدته (١)

حيث بدأت تزهر لدية آفاق الحياة وترحب ، وتمر على شريط أحلامه من جديد • فى
صور جذابة لها بريق خلوة ، وما أجمل الحياة لدى المرء عندما يرى بعين أحلامه أروع
أمانيه ترح أمام بصيرته ، كما ترح ثمرات قلوبنا التي جاءت بعد إعياء وطول انتظار ، نعم
هذا صحيح ولكن !

ما أصعب على النفس ، وما أقسى على المرء عندما يخبو بريق الأمانى وتحتريها الإغصاة
المفضية إلى الشيوخوخة على وجه السرعة •
هكذا :

فعلت معه الاقدار ، فما كاد يفتح الأنس باب قلبه ، ويهون عنده
من مرارة الفرية حيث يعيش بصحبة أخيه وهو يجمعه يرى فى صحبته صورة الأهل والوطن
كما يستعين به على طرد أشباح اليأس والتخلب على أبواج الهمم

ولا يأس إذا أثمرت معرفة بصاحب " السائح " - وهذا ما يأمله ويرجو - كسباً
مادياً يستعين به على قتل شيخ الفقر ، ويستعمله به من الحرمان إلا أن القدر
وقف له بالمرصاد

فأبى إلا أن يشنى الضرر ، ويرد الطعنة الأولى بعثيلتها ، وتشفع العظيمة بأقصى
منها ، لتبقى الحياة أمامه كهفكاً مظلماً تموج فيه الثمابين إذ توفى أخوه (ديمترى)

=====

١ - انظر " إيليا أبى ماضي " ١٧٧ جورج ديمترى سليم •

(٢٧٢)

يفتتحها بالوصافى فى ٣١ - ٣ - ١٦ م شابا لم يتجاوز العشرين عاماً ١٠٠٠ من الايام ١٠٠٠ .
أفكلمنا أعانه الله بشقيق فى ديار غربته اختطفته براثن الموت وتركته نهبا لأسلحة حسداد
(صوارم الإغتراب) ؟

وكانت صدمة يالله ، ما أشد وقعها على نفسه ، وخاصة بعدما تصدع قلبه بوفاة أخوة
" طانيوس " هناك بمصر ، وهنا بدأ مرحلة جديدة من الأحزان العميقة .
أحزان تكاد تشبه السفينة التى لمبت بها الأمواج فى وسط محيط حتى صارت تضطرب
بينه وسيرة وترتفع بفعل الاضطراب من جهة لتتخفف من الأخرى حتى تمتطىها الأمواج
الملاحقة ١٠٠٠

أوهى أقرب شبه بحالة سابق فى صيف اشتد قيظه . وسط أمواج رطبه هادئة . تداعبها
تارة ويداعبها أخرى ، عاشقان يتفاهمان بالنظرات المحملة بحطر الحنين والحسب ،
أخذت نفس هذا الماشق تمتلى بهجة وأنساً فأخذ يمنيها بقضاء وقت جميل يغسل فيه
ما علق بجسمه من أدران الكد والجهد ، وفجأة أُنقِبت الحال إلى عاصفة هوجاء
تحضدها - فى سحق رجائه - أمطار مصحوة بأشد ما يمكن من اضطرابات موجية ،
وحيثذا انحصر بين موجتين طاغيتين ظالمتين تظاهرتا على قتل أنسه غيرة وحقدًا ، فتارة
تقدفان به إلى أعلى ليمود مرتطما على صخريتهما ، فتجثمان على صدره من جديد حتى
تقربانه من ظلمات القاع ، محاولة أن تهديه إلى أفراس البحر وحيثانه .

- فحينما ينجى القدر مثل هذا المغمور فلا شك أنه محتاج إلى مدة زمنية يستجم فيها
جسمه ، ويمسود إليه عقله ، وحينئذ ينزوى فى جانب من كهف حياته ^{يسرد} على عقله
مخاطر يوم بحره فتظلمه سحب القلق ، عند ذلك ينزع نفسه بعيداً عن كل ضباب يثور فى
نفسه سحب المتاعب ٠٠٠٠٠٠

* وهنا يختلف اختيار الشعراء لطرق الخلاص كل حسب ما يرى فيه الخلاص من الآلام -
وغيرها من المتاعب . والشعراء بعض من البشر ينتقلون من غيومهم إلى ما ينسبهم
شيئاً من الشقاء ، ويلمسون فيه بعضاً من المراء .

(٢٧٣)

تلك هي وسيلة الهرب من الهموم ، وكثيراً ما تنسحب النفس الشاعرة إلى التفكير المتجول بين عالم الوجود والقناء والنفس وما يحترقها من تفسير . . .

وللفكر أشعة - عند أبي ماضي - عملت على توجيهها مجموعة من العوامل ومنها العوامل النفسية ، وهناك بعض من البشر عندما تحدّ بعضاً من سهامها ضربت أساس يقينهم فتناوتهم الشكوك هكذا سارت الشكوك " أبا ماضي " فظل يتساءل في ثوب من الحسرة . . .

أليكون في الآخرة من القلائل والمصاب ما يكون في دنياك ؟ أهنالك خلود حقاً ؟ أم هي فكرة من بناء الأوهام أوجدها حبُّ البقاء ؟ إن قصيدة " الخلود " (١) هي أول قصيدة نُشرت له بعد وفاة أخيه في مجلة الفنون النيويوركية (٢) احتشدت أمامه وفي قلبه الأحداث ، وكما دنتها إذا تظاهرت على امرئ زلزلت صرح يقينة ، وهذا الذي حدث " لإيليا أبي ماضي " فقد وصل إلى مرحلة الجذع والضيق والشك حتى راح نهياً لشكوك كثيرة هدامه ، كما أطلت نظيرة الجبرية التي كانت سبباً من أسباب تشاؤمه المرير .

يقول في قصيدة (الخلود)

غلط القائل إنا خالدون * كلنا بعد الردى هـيئاً بي

لو عرفنا ما الذي قيل الوجود

لعرفنا ما الذي بعد القضاء

نحن لو كنا * كما قالوا * نـمـود

لم تخف أنفسنا ريب القضاء

إنما القول بأننا للخلود . .

فكرة أوجدها حبُّ البقاء

=====

١ - السابق ٨٦٥

٢ - انظر " إيليا أبو ماضي " جورج كيمتري سليم ١٧٧

(٢٧٤)

نحشق البقيا لانا زائلون * والأمانى حية في كل حسي

- وما الروح؟ ما فكرة بقائها غير خداع، • بالله أقرقته المصاب في ليل طويل
من الشكوك بعد تظاهرت عليه وهو القائل في خاتمه •

أضت بالله وآياتك * ألهي أن الله بارئهم

ويقول في قصيدة ((الخلود)) عن هذا الشأن •

زعموا الأرواح تبقى سرمداً

خدعونا نحن والشمع سداً

يلبت النور بها متقداً

فاذا ما احترقت باد الضياء

أين كان النور؟ أنسى وجداً؟

كيف ولى عندما زال البنء

شمعتي فيها لطلاب اليقين آية تدفع عنهم كل غسي

- قال شاعرنا ما الروح غير الجسد •

وهو القائل في رثاء أحد أصدقائه (١)

كلنا منتظرا ما نحنه والمصير الحق ما نتظـر

وفي رثاء آخر (٢)

ياميتاً فيه جمال الحياة ما حاز منك اللحد الأرفكان

والآن يقول :-

ليست الروح سوى هذا الجسد

معه جاءت ومعه ترجح

لم تكن موجودة قبل وجود

=====

١- نهر وشراب ط (١٩٧٢ - ١٩٧٣)

٢- الخائل ط ٩ (١٩٧١ - ١٩٧٤)

(٢٢٥)

ولهذا حين يضي تبيسح

فمن الزور الموشى والفند

قولنا الأرواح لهبت تصرع

تلبث الأفياء مادام الغصون * فإننا ما ذهبنا لم يسبق فسي

لو تكون الروح مالا يضحل

ما جزفنا كلما جسم همم

لو تكون الروح جسمًا مستقل

لراها من يرى هذا الجسد

كل ما فى الأرض من عين وظل

سوف ينحل كما انحل الزبد

- بحر عميق من الشك توجه إليه فكر الشاعر لفصل السهام النافذة من نجات الدهر

حتى وصل إلى حد أنه قال:-

ولكن صح بأننا منشرون جاز أن يعقب ذلك النشر طي

ليمت من قالوا بأننا كالزهر

خبرونا أين تضي الراححة؟

أترى تبقى كألحان الزهور؟

أم تلاشى مثل صوت النائح؟

ليت شعري أى خلد للبيذور

بعد أن تلقى بنار لا فحفة؟

=====

قل لمن يخبط فى ليل الظنون ليس بعد الموت للظامى رى

مثلما يذهب لون الورقفة

عندما تبيس فى الأرض الأصول

(٢٧٦)

مُلماً يُفقدُ نُورَ الحَدَقَةِ

حينَ أُنقى هكذا نَفْسَ تَزُولُ

كَمَلاشِي الشَّمعةِ المَحترِقَةِ

تَتَلأشِي بَيْنَ ضَحْكِ وَعُورِ

أنا بعد الموت شيئاً لا أكون حيثُ أنسى لم أكن من قبل شئاً !

ويشدّه الاغتراب المرير من جديد إلى المواجهة الفعلية بعد هذه الفوصة العميقة ،
وبعد أن أثار الدهر الشغب في هدوئه - إثارة الواثق من جيروته حتى ألقى به في
هناوية الشكوك .

عاد من جديد - بعد أن عرف أن لا مفر - إلى مواجهة مشكلات الوطن " الشام " والتي
كانت سبباً في تصدع الشمل ، والاغتراب . داعياً إلى الوحدة التي فيها الشفاء ، والتصدي
لمن جعلوا حياة أهلها جحيماً لا يطاق حتى أصبحت الحياة علقمية المطعم والمشرب .

إلا أنه في هذه المواجهة يبدى إيلياً أبو ماضي " نوعاً جديداً يتمثل في المواجهة الموضوعية
الواقعية ، كما تتمثل الجسد في تبلور الصورة أمام قلبه وناظره ، حتى أحسن إلى حدّ كبير
في تمثيلها وعرضها فكراً وشعوراً وفناً على فرش من البساطة التعبيرية ، وصور كثيراً من كل ما
ينهش جسده وينهك حياته من الحيوة والألم ، والمهم والضعف والكمد ، والوهن الذي يعيشه
من خلال غربته ومن خلال احساسه بهولاً الذين باتوا صرعى وروام .

(١) يقول إيلياً أبو ماضي " في صدر قصيده " أمة تفتنى وانتم تلعبون "

أعلى عيني من الدمع غشا

أم على الشمس حجاب من غمام

غاض نور الظرف أم غارت ذكاء

لست أدري غير أني فسي ظلام

=====
(١) إيلياً أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر . زهير ميوزا ٦٦٥ في ١٩/٧/٣١

ما النفس لا تبالى الطريقاً * أين ذاك الزهو أين الكلفُ ؟
 عجباً ما ذا دهاها عجباً * فهي تشكو ولا تستعطف
 لا أرى لى من همومٍ مهرياً * فهي فى هذا ودّياك الطريقُ
 فى الرى فوق الرى تحت الرى * فى الفضاء الرّحب فى الرّوض الأنيقُ
 فى اهتزاز الخُصن فى نفح الصبّا * فى انسجام الفيث فى لمح السبروق

كلما أومض برق أو أضواء

بت أشكو فى الدجى وقح السهام

فى ابتسام الفجر للمرضى شفاه

وابتسام الفجر فية لى سقام

تتمرر هزة كاللهنـ * كلما حنّ مشوقٌ لمشوق

علّمت عيني السهاد والكوكبا * وفوادى علم البرق الخفوق

ما دعوت الدمع إلا انكسبا * يا دموعى أنت لى أو فى صديق

لم أرى كاليأس يُخزى بالبكاء

لا ولا كالدمع يشفى المستهام

فاستعينوا بالكيا تحسّاه

كلّما اشتدت بكم نار الهيام

* وفيها يقول :-

لا تلمنى إن أنا لمت القضا * ولمّ الدهر الذى أضنى على

عقد الحزن لسانى فانحقد * أى سيف ما اعتراه الفلـ ؟

بى همومٌ كلما لاج الضيـ

ضربت فوق عيونى بلثـ

وشجون كلما جنّ المسـ

قطعت بين جفونى والهنـ

- وما كان شاغله نعمة ه ولو كان لها ان الأمر . لا ولكنه يقسم :-

..... ما لقومى كلمهم باك حزبهين

كل ما أسمع نوح ويكـ

كل ما أبصر صرعى ورقـ

زلزلت زلزالها هذى السماء

أم ترى فضت عن الموتى الرجـ

فوا حسرتاه لقد

وقح الأمر الذى لا يدفع * وجنى الجانى على تلك الربوع

واحتواها نهم لا يشبع * فاحتوى سكانها خوف وجوع

فهى إنما دمنه أو يلقح * وهم إما قتيل أو صريع

وامتدت أسواط الظلم والبئس إلى الجميع فلم ترحم طفلا ، ولا يتيما ، ولا فتى ولا شيخا

ومما قاله فى تلك الفعات .

رب طفل طاهر ما أثمـ * مات موتا لأثم العجـ

كان ممن يرجى لو سلـ * للملى لكه لم يسلـ

رب شيخ أقصدته الحادثـ * ومشى الأبيض فى لمتـ

وشناه الضعف عن حمل القنـ *

كان من قبل حلول الكارثـ * أما كالنسر فى وكثـ

لا هيبا يذكر أيام الصـ

ولياليه وفى الشفر ابتـ

حكم العانى عليه بالقنـ

وأبى القدر إلا أن يضـ

وفى كالفن ريان نصـ * تحلم الخوربه إذ تحلم

الحمىُ الذهن والقلب الكبير * (٢٧١) ملك في بردته ضيف

بات لا يقوى على حمل الـرداء
منكباة وهو في العشرين عام
ما به عجز ولا داء عيـاء
غير أن الجوع قد هدّ العظام

وصفارٌ مثل أفراس القطا * يتضارعون من الجوع الشديد
زهقت أرواحهم في شكل ماء

- فأيمن أنتم ؟ وماذا فعلتم ؟

يا : " أيها الجاهلون عن ذاك الحمى * إن في ذاك الحمى ما تعلمون "

ضيم أحمرارة واهتضمنا * ووقفتم من بعيد تنظرون
لا ، ومن شاء لنا أن نحمي * ما كذا يجزي الأب البرالبنون

لكم يا قوم في البلوى سواء
لا أرى في الرزء لبنانا وشام
في ربي لبنان قومي الأضياء
وبأرض الشام أحبابي الكرام

أين الإبياء والشمم ؟ أين الأنفة وجميل الشيم ، عيب كبير . وتخاذل فادح ! أن
تكون .

الليالي فاديات رائحة * بالدواهي وأراكم تضحكون
ما اتمظتم بالسنين البارحة * لا . ولا أنتم غداً متعظون
بالهول الخطب ، يا الفادحة * أمة تفنى وأنتم تلمبون

فادفنوا أضفانكم يا زعماء

يبعث الله من القبر الوثنيان

وابسطوا أيديكم يا أغنياء

ابغضوا المحب إلى الصادي الجهان

وماذا بعد هذا النص ! وتلك النداء . ولكن ما أصدق قول القائل آنشد

لقد سمعت إذ ناديت حياً * ولكن لا حياة لمن تنادي

* * *

وهكذا نجحت عقارب الخربة في الشهر من أوصاله . وعادت إليه الأشواق الملتهمبة تدفقه إلى

المرفا الأمين شاطيء الحب والحنين ، هربا من المرارة الحياتية والقسوة التي يراها

الإنسان حينما يفارق الوطن بما حوى من أهله وأصدقائه ، فتحل محلهم في القلوب

حسرات تورت الوله والنكد ، والنوح ، نوح البابل ما أعذبه حين تلفهم السعادة ، وما

أرقه إحساسا وأكثره احتشادا للأحزان عندما تنوح على وكرها المنفقد المألوف

— وتظل الخربة سهما . بل قبيلة تفجر كل ما كمن في قلبه من حنين ، حنين لا ينفذ وحب

لا يفتد .

سيوف حداد توجه إلى ما كتبه الفكر من ذكريات فتطيرها من كل حدب وصوب لتحرق ستار

هنامه ، وتمزق ثوب انسه ، وتتساقط أمواج الذكريات ملطخة بدماء الأسي . الذي تفجرت

في أعماق شجرة الإحساس بعد أن أعلنت جيوش البعاد اقتحام كل ساكن مطحن نبيها ١٠٠٠٠

الحب ووضاته الكائنة ، ذلك الحب الذي حملته عبر الأثير موجات الحنين التي أثارته نيران

الخربة ، غير أنها تظهر في موجات حنون عميقة تمر عبر النفس الفخيرة على بلاده . في غيو

عاصفة أو ثورة ، حب يتجدد من حب . حب لا ينتهي والمنية ، ينتعش دون أن يعرف

فتورا ولا موتا ولا ضمورا . . .

يقول "إيليا أبو ماضي" في قصيدة بلادي :-

مثلا يكمن اللظى في الرماد * هكذا الحب كامن في فوادي

لست مغررى بشادن أو شادي * أنا صب متيم ببيبلادي

يا بلادي عليك ألف تحية

(٢٨١) هو حَيٌّ لا ينتهي والمنية * لا ولا يضمحل والأمنية
كان قبلي وقيل نفس السجية * كان من قبل في حشا الألفية
وسيقى مادامت الأبدية)

.....
كل شيء في هذه الكائنات * من جمادٍ وعالمٍ ونبات
وقديم وحاضر أو آت * صائر للزوال أو للامت
غير شوقي اليك يا سورية

.....
أنت مادمت في الحياة حياتي * فإذا مارجت للظلمات
واستحلت جوارحي ذرات ... * فلتقل كل ذرة من رفاتني

عاش لبنان ولتمش سورية

.....
ولتقل كل نفحة من ندي * ولتقل كل دمة في خدي
ولتقل كل غرسة قوي لحدي * وليقل كل شاعر من بني

عاش لبنان ولتمش سورية

.....
هجع الناس كلمهم في المدينة * وتولت على نيويورك السكينة
وجفوني بنمضها مستهينة * لا ترى غير طيف تلك الحزينة

لست أعي بها سوى سورية

.....
ذات ليل قطعت أمانك * رسمها الصامت الذي ليس يحقل
ونائي مع خاطري تتنقل * بين هذا الحمى وذاك المنزل

والترسي والجمائل السندسية

.....

(٢٨٢)

هي أم لكم وانتم بنوها * حفظت عهدكم فلا تكروها
انتم أهلها وانتم ذووها * لا تعينوا بالضم من ظلموها
ذاك عار على النفوس الأبية

كن نبياً يستنزل الإلهام * كن مليكاً يصدر الأحكام
كن غنياً كن قائداً ، كن إماماً * كن حياة ، كن نبطة ، كن سلاماً

لست منى أو تحشق الحرية !!!

هكذا صارت الحرية مصدرًا مدرارًا للأحزان • بما تطبعه دائما على صفحة حياته
مع ما تهويه مغالب الدهر نحوه من سهام • حتى أصبح مرعى للدهر • يتعلم به • وذلك
مع ما تقدم • ما أجج نيران الحرية في بنيان حياته • حتى وصلت إلى درجة صارت
عندها حسرة الغريبون كانه مقياساً لأشد درجات الحسرة والألم •
يقول " إيليا أبو ماضي " (١) مخاطباً نفسه في معرض الحديث عن رجوعه عما يطمح فيه
الشباب بعد أن ضربت الآلام بنيان شبابه فأصعقته •

والآن لما انجاب عنك الصبى * ولاح في المفرق ثلج المشيب
واستسلم القلب كما استسلمت * نفسك لليأس المخوف الرهيب
أراك للجسرة تبكى كما * يبكى على النائى القريب القريب
تود لو أن الصبا عائد * هيئات قد مر الزمان القشيب

* * * *

=====

• وكانى "بايليا أبس ماضى" بعد رحيلته إلى نيويورك • وقد نسح له الزمان مسما لجلطة
إحصائية • يحصى فيها ما خطته يديته الأحداث فى صفحات نفسه من جروح وقروح ، وما أسى
بات بها حزينا شقيبا ، وما ذا وجد حين بات يحصى ما جناه من الاغتراب ؟
• وبينما هو على حالته • لا يستطيع تصفية الحساب دون البكاء بخير حساب • ولكن بكاء
الأنفس الشاعرة • شبح من الإغتراب مصحوبا بالآلام مكللا بالحسرات ٠٠٠٠٠ ٠٠٠٠٠ !
• ما أشد غمت الآلام • وغناء الأحزان ، فحينما انفراد فى كهف هناك • وجلس يمضى نفسه
حتى يروح قريب - ولو قليل - يستمعين به على مومنة الصيخ - والسلام - فإذا بعفريت
من الجن يفاجئه ملوحا أمام بصيرته بلوحة جهنمية • لونها بالوحشة ، وكتبها بمداد -
الاغتراب • ونحت عليها شخصين ينشران على الشاعر ستائر الهدوء • وهجرسان فى
حديقة حياته • أشجار الأنس ٠٠٠٠٠٠٠٠٠

• ومختة • يخرج سجانان وفى يد كل منهما سيف حاد • فأتيا إلى اللوحة فقطعا كل
الأشجار ، ومزقا كل الستائر ، وجذبا الشخصين ، إلى سجنهما الأبدى وركلا الشاعر
فظل يرتطم على صخور ظهرت تحت أقدامها ، وكانت قد أعدت لذلك من قبل ٠٠٠٠٠ !
يا سبحان الله ، أملت عليه غريمته فقد الأخوان ، وقد كانا مصدرا سلوان الشاعر ومرقا الأمان
لحياته ، يا لهو لها من مأس • فوقها شديد على القلب قاسى • ومالها لا تتوك
ما تنكب عليه دون أن تتخب ما امتزج بقلبه من جلد وتحمل • وتزرع مكانها لوعة مثل جهنم
مشعلة فى قلبه فتتهمر عليه المصائب من حيث لا يدرى • وكيف يدرى وقد أصبح هشيمًا
تعمد إليه العواصف الهوجاء فتسبح فيه زريانا ولا تتحرك إلا فى صحراء جرداء رمضاء •
يرى نفسه و يدا بين آفاتها وحيواناتها المشترسة ، وكان الأمر حسنا لو وقف عند هذا
الحد • • بل إنه يرى نفسه غريبا فى هذا الوجود • •

• وما أسرع أن تتظاهر الآلام • وآلام الماضى ومصائب الحاضر • ممتزجة بفقدان الأخوين وعذاب
الغربة ، وذلك كله لتحيا اللوعة فيه ، أو قل لتحيا جهنم فى الضلوع • يقول : (١)

=====

لوعة في الضلوع مثل جهنم * تركت هذه الضلوع رهـاـدا
 بت مرعى للدهر يس يتملم * كيف يمضى القلوب والأكبـاـدا
 كيف ينجو فواده أو يسلم * من تمادى به الأسى فتمادى
 أنا لولا الشهور لم أتالم * لبت هذا الفواد كان جهادا
 كيف لا أبكى وفي العين دموع * كيف لا أشكو وفي القلب صدوع

قل في الناس من صبر مختارا

.....

كلما قلت قد وجدت رفيفا * طلع الموت بيننا يتمـاـدا
 صرت في هذه الحياة غريبا * ليت سهري الطويل كان رقادا
 فتجلد أيها القلب الجزوع * أو تدفق كلما شاء الوـلـوع

عندما أود ما هدير ... أنسارا

ولم لا يتدفق وقد نقض الكرى عهده بعد أن رسم القضاء الخطة لذلك *
 كان بيني والكرى وبينى صلح * فأراد القضاء أن تتمـاـدا
 لم أكد أخلق السواد وأصحو * من ذهولي حتى لبست السوادا
 في فوادى لو يعلم الناس جرح * لا يلاشى حتى يلاشى الفوادا
 وتابى عبرات المناجات إلا أن تشارك منها لة حزنا على فقيد الوادى ...
 يا ضريحا على صفاء الوادى * جاد من أجلك الفمام البلادا
 فيك أودعت منذ ست فوادى * ويرغمى أطلت عنك البمـاـدا

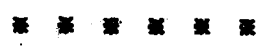
* * *

كيف لا يتقى الكرى أجفانسى * وجفونى قد استحلن صحـاـدا
 ودموعى بلونها الأرجوانسى * منهل ليس يحجب الزادا ...
 والذي في الضلوع من نسيوان * صار ثوبا ومقعدا ووسادا
 كيف يقوى على الشدائد عـاـن * أكل السقم جسمه أو كـاـدا
 فاذا ما غشى الطرف النجيع * فتذكروا أنه القلب الصـديـع
 كظه الحزن فانفجـر * إنفجـارا

طائرٌ كان في الرّيس يثقتني	■	أصبح اليوم يحمل الأضدادا
فمن كان والنبا يثقتني	■	هصرته يد الردي فاناداد
نال مني الزمان ما يتمني	■	وأبي أن أنال منه مراداد
وتجني ما شاء أن يتجني	■	واستبدت صروفه استبداداد
حطم السيف وما أبقى الدرور	■	وتداعى دونه السور المنيع
وأراني من الميم	■	أطوارا

أصبحت مصيئة تخيم على مظاهر الطبيعة الليلية .. حتى لزمت الحداد ١٠٠٠!

مالهذي النجوم تأبى الشوقا	■	أتخاف الكواكب الأرضاد
فقط البين عقدها المنسوقا	■	أم ليأبى أرى البياض سوادا
أم فقدت كما فقدت شقيقا	■	فلبس الدجى عليه حسدادا
ما لعيني لا تبصر القيومكا	■	ولقد كان ساطعا وقاداد
سافرا يختال في هذا الرفيع	■	هل أتاه نبا الخطب الفظيع
أم رأى مصرع القمر	■	فتوارى



وأخيرا يعلنها صريحة ..

سدّ الدهر قوسه وروانسي	■	لم تحدّ مهجتي ولا السهم حادا
هكذا أسكت صروف الزمان	■	بلبلا كان نوحه انشادا
فهو اليوم في يد السجان	■	يشتمى كل ساعة أن يصادا
فاحسبوني أدرجت في الأمان	■	إن أنتم أن تحسبوا القول بادا
ليس في هذي ولا تلك الرُبع	■	ما يسلى النفس عن ذاك الضجيج
قبره ، جادك المطر	■	مداراد

وهكذا تتجمع الآم الاغتراب على مرارة القصد ، وراى فقد هذا ؟

ومن هذه الزوايا بات يتكوى بنيوان أشد لهيباً وأمضى ضراوة مما كانت عليه وليس كما قال أنه أدرج في الأمان لأن من أدرج في الأمان استراح .. من عنق الدهر وغشا

الآلام

وهما هو - أيضا، يسرد في أحزانه التي لا تقف عند حد ، ويزيد موكداً وسفراً عن
انشغاله العميق بوطنهما انتابه من جراء ذلك حتى لازمه الاكتاب ، فأصبح معتزليسا
لا يطرده ما يطرِب أمثاله ، وكما تسمع من بعيد موجات اذاعته لبلدنا فتروح وتغدو ، وتظهر
وتختفي دون ما انقطاع . تسمع موجات حزنه ذات رنين وأنين ينبعثان من عود اغترابه
تسأله جارة له : أمالك أهل وجيران ؟

فيجيبها بحزن عميق وعبرات حارة

يا جارتى ، كان لى أهل وجيران .
فبقت الحرب ما بينى وبينهم
وكان لى أمل إذ كان لى وطن
فجردته الليلالى من محاسنها
فلا المغانى التي اشتاق رؤيتها
كما تقطع أمراس وخيـان
وكل ما حولهم بؤس وأحزان
كما يمرى من الأشجار بستان
تلك المغانى ، ولا السكان سكان

=====

وما أقدر وأمر أن ينفرد الليل بالخريب في أرض الاغتراب ، فيتعدى منه السهاد ،
وتمشه الظنون ، وتعبث به أصابع الدهر عبرت الساخرين الهازئين ، المزريين حينئذ يمش
في بحر لجمي زاخر المصاب ، ما وه نيوان من جهنم الدنيا ، تشوى الوجوه ، وتفتت
الأحشاء ، فمن يا ترى يعين على ما ترى ؟ حقا في الشكوى عزاء . ولكن لم يشتكى ؟
يبكى ويبكى . فتقول له جارتة

ككف دموعك بحض الحزن أهوان

ومطريقة الحوار المميرة عن نعيه خضوع قومه وسكوتهم على ما هم فيه من هم فيقول على
لسانهم

لو كان قومك أهلا للحياة لما * ما توا وفي أرضهم ترك وألمان
وكل من لا يرى في الدل منقصة * لا يستحق بأن يبكيه إنسان

— ويداوم الشاعر صب سخطه وغضبه على الطاعين الباغين الذين عاشوا في الشام عامة وفي
لبنان خاصة - فسادا ، ومارعوا شيئا من الإنسانية لا . سبحان الله بل قل ما تركوا وسيلة

من وسائل الوحشية والبغى الأمارسوها يقول : رادًا لها

- كفى ملاك يا حسناء واتخذى * فإن مدح ذوى العدوان عدوان
 وأنت من آفة تأبى خلافتهم * أن يقتل الطير فى الأفاص سجان
 وأن قومى طيور غير كاسرة * سطلت عليها شواهين وعقبان
 لا تحسبى أننى أبكى لمصرهم * فكلنا للردى شيب وشبان
 لكن بكيت من الباغى يُعذبهم * وهم شيوخ وأطفال ونسوان

وتعالى مصى نسمع شيئاً من آماله • يقول يمـود

- وهل تعود إلى لبنان بهجتهم * وهل أعود إلى لبنان نيمان
 فأسمع الطير تشدو فى خمائلهم * وأبصر الحقل فيه الشيح والبان ؟

— ثم يهمس فى آذان بنى بلاده قائلاً :-

- بنى بلادى وكم أدمو ! اليرلكم * كسائر الخلق أباد وأمان ؟
 لا تضحكوا وأرض الشام نائمة * ولا تناموا وفى لبنان سهران

— ومن ياترى النقذ من هذا اليمّ العنود ؟! والذى ضربت أمواجه بكل معايير السباحة

والنجاة تجاه هذا المسكين اللهم الاضرب من الخيال تظا هره بعض أشعة الأمل ، يباركها

شىء من نسج الجنان والسكينة

عندئذ ترى الرقة فى الجبرات ، واللطف فيما تضره ملابس الحنين على أوتار الفريسة ،

وما أظهر الرقة وما أعذبها • ثم ما أحلاها عندما يشتتم الفريب ريحاً شرقية تحملها إليهم

بنات اليم الآتية من بحيرى ..

يالها من فرصة ثمينة يُثقل فيها بنت اليم بمكنون تحياته • وأحر أمانيه وأعظم أمنياته ! آه

ما أحلى الشوق وأثمن الحنين • وإن الانسان وهو على تلك الحال يعدُّ تلك سنه من الزمان

فيرحب مسارعاً بهذه النعسة ، كى يتنفس من كابوسه الثقيل • لحظات ربما لا وجود الزمان

بمثلها فما أفضل أن يسارع محملاً كل غادية ورائحة مكنون أسرارهِ إلى ذويه وأهله ووطنه ..

والشاعر "إيليا أبو ماضي" يرى (وياحسن ما يرى) باخرة أنت من بلاده زاهية إليهم ..

(٢٨٨)

توجت بحلم الشرق • فأنقذته من غرق في يوم ملتهب • حتى انطلق كل شئ • في نفسه بزاحم
بعضه بعضا يباركها • واضعا بين يديها أمانته الحلوه • باننا أرق نحياته في صدرها
الحنون حتى لتنفوه بعطره هناك في الديار شذى ندياً فيأحاً ترى ذلك في قصيدة له
بمنوان " باخرة الأغاثه " (١)

سوى تراعيك النجوم الساهرة
ليلاً وعين الشمس عند الهاجرة
فلأنت عند الشرق أجمل باخرة
تجري إليه بها المياه الزاهرة
يا ليت أتى فيك أو أياك

سوى تداعب فوقك الريح الملام
وتلاطف البحر الخضم إذا احتلام
بورك باخرة وهرك من علم
فيك الخلاص لساكى تلك الأكم
يا ليت أتى فيك أو أياك

في الشرق أحباب على جمر الغضا
نقم الزمان عليهم بمد الرضى
هجروا الكرى وتطلّموا نحو الغضا
يتوقّمونك كلما يسرق أضوا
سوى فإن الحرب في مسراك

بيروت • معيا بنت البخار الجارية
فاذا سئلت من اليقايا الباقية
قولى لهم إن الحياة الهانوية
لم تئينا سكان تلك الناجية
أما الدليل فحسبنا أياك

ويبدو لي أن القصيدة قيلت أواخر عام ١٩١٨ بدليل قوله " قولي لهم إن الحياة الهائلة
فالمدة التي توفرت له خلالها هذه الحياة تبدأ بحام ١٩١٨ . حيث تم له أن خطب
كما خطبت أخته الوحيدة ثم انتعشت حالته المادية شيئاً ، كما تزوج أخوه عام ١٩١٧ وفي
هذا ما يجعله ينسى الآلام ولو إلى حدٍّ يسمح له بالتمتع بطعم الحياة وما فيها من هناء
غاب عنه طويلاً . . . والآن ساقه الله إليه . فليأخذ منه الآن ما استطاع . فالفرصة كالزمن
إذا مضى فلن يعود . . .

ويبقى السُّؤدُ ما بقى الوفاءُ .

وهل هي عبرات الوفاء والحنين خالدة لديه ، فأوثرنا ذكراة عامرة بآله فلا يجروا جيش النسيان
على اقتحامها ، ولا عجب فهناك حارس أمين هو الحنين الدافئ الذي زين بتميجان الوفاء
وذكرى آله تنقلب الوحشة إلى جنة الخلد ، وينقلب المنزل المهجور إلى قصر شامخ خالد
يقول في قصيدة " أنتم ممسى " (١)

في المنزل المهجور أذكركم فأخالني في جنة الخلد
أنتم ممسى في كل آونة والنامس يحسب أنني وحدي

كلمة أخيره فسي شعر الحنين في هذا الديوان :

من خلال ما بين يدي من القصائد التي نشرت في ديوانه الثاني ، والتي هي ثمرة واضحة
لهذا اللون الشعري " الحنين " والذي هو - كذلك - ثمر الاغتراب المرير الذي كان سبباً
في انهماك السيل من تلك القصائد التي نشتت فيها حرارة الحب عروق الحياة .
ولقد ارتبطت هذه القصائد واصلت ماضيه بحاضرة . حنين جمع بين ماضٍ قديم أليم ، وحاضر
مُمتَمٍ سقيم ، فنبضت فيه نغثات الهمم والغيظ والضيق ، كما فاض كتاباً .
إنه الحب القابع في ثوب الحزن الصامت ، الذي تخيروه في قلبه مكاناً عالياً ، وظل يديم السير
في ذلك حتى انهمرت دموعه ، وفاض همومه وارتفع صوت آهانه ، وعلت تنهداته ، حتى

=====

استطاعت الخلق أن تهبط على شراع سفينه فتلقى بها في بحر الشكوك حتى أخذ الحنين شكلاً . هو أشبه بموجات البحار المائيه ، تهدأ حيناً وتضطرب أحياناً . دون أن تلتزم بخط زبني ثابت .
 — ويرجع ذلك — كما يتراءى لي — إلى عوامل مختلفة داخلية وخارجية استطاعت أن تعمل في عجلة تيارها المائر في هذا اللون كما يتبين بعد . . .
 وفي هذا الشأن حوى الديوان على عدد أكثر من القصائد . عما احتوت عليه دواوينه الأخرى .

— وقد كانت هذه المده الاغترابية . بعيدة عن الهناء المادية . كما اشتد احساسه الأليم بالوحدة بعد أن غادر " لبنان " يحمل بين جنبه قلباً دامياً جروح طعنات الماضي وصفعات الحاضر وغموض المستقبل
 كما انضم إلى ذلك عداء الأيام له ، فبعد أن أنعمت عليه الأقدار بموت من جديد مدت له الأيام كرف الأخصاب . . .
 — والغربة في هذا الديوان يمكن تمييزها إلى ثلاث مراحل . حسبما صنعت صفحاتها الأيام .

١ — الأولى من بداية رحيله عن " لبنان " إلى " نيويورك " حتى أوائل عام ١٩١٦م وتبدو وكيفية التشابه مع مدة حياته المصرية فالمستقر جديد . لم يالف من قبل ، وهذا ما يشبع في نفسه جوار رهيباً من المجهول ، وليس يدري أيكون هذا المجهول له أم عليه .
 بينما يظهر أمامه بصيص من الأمل الذي يدفعه إلى مصافحة الحياة من جديد حيث وجود الألفة التي تمدُّ عليه مهاب رياح القلق ، فأخوه " مراد " كان قد سبقه إلى أمريكا . . . وفي سنيناتي بولاية " أوهايو " وهو الذي طلق عليه احلاماً كبيراً .

كما كان ما سبقه من الشوام إليها مشجماً على طيب الإقامة ، وما يحدوه من الأمل وحب التجديد الذي ربما جنى منه الافاده
 وكان من الممكن أن يجد السعد الذي رام لدى الزمان ، لو أحسن إليه بما ينسبه شيئاً من ماضيه الذي كدرته الأحداث
 إلا أنه في كثير من الأحيان تأنس الرياح بما لا يشتهي الريان . أو الصفن كما يقولون . فلم يكن شيء

ولما لم يستطع تحقيق آماله على عجاله طلبت نعمة الخنين تباركه وتعالى به وتجدد في نفسه مستقراً واسعاً ومقاماً ، وما أفضل الثمرة أحياناً ، فهي أستاذ أمين يصقل النفوس بكسبه مما لم تستطع الوصول إليه ، والتحصّل عليه ، إذا ما بقيت في مستقرها الأول

كما أن الثمرة مرآة أمينة تمكس - من بعيد - صورة للوطن الحنون وجبهه وهكذا ظلّ شعوره بالثمرة مصدر خنين دائم ، ولازم ذلك موجبات عميقة ، زاداها عمقا الحُبّ والتسامح وجميل الأمل للوطن الحبيب ،

كما بدأت الأحداث تخايله بحسنات الأمانى ، فقد تعرّف على " عبد المسيح حدّاد " في اغسطس ١٩١٥ (١) عندما زار هذا الأخير " منمناتى " وتعرّف على الشاعر ، ونشر له بعد ذلك في مجلة " السائح " وفي ذلك شىء من مبتغى الشاعر ،

- وكان كل ما أوحته به الثمرة من قصائد في الخنين تسيروا على خط مواز لما سبق أن سارت عليه بصر ، مع بعض من الصق التي تفصح عنه شدة اللوعة التي انتهت بموت أخيه وغُلفت بالروحيل " كما سيأتى "

٢- المرحلة الثانية :

منذ موت أخيه حتى عام ١٩١٧م . وفي تلك المدة قلب له الزمان ظهر المجنّ من جديد ، مصارحاً له بالصداء ، فصارعه مساورها باقتطاف زهرة أنسة المنتظر " ديمترى " في ٣١/٣/١٩١٦م ، هذا الحدث الذي سمح للكسندر أن يكتب بحذوية أمانيه المرتقبه ، فطوى صفحة هدومه جانباً ، لينشر صفحة الفجائح فوق خيمه أنسة المنتظر ، ولا يدري أنه بذلك قد بحث أمام فكرة وناظره صفحة من ماضية ما أقساها على نفسه .

- ولا يخفى ما لذلك من أثر على نفس الشريب الجريحة الوحيدة ، . . . كما لا يخفى على اللبيب أن للمصائب أبوافاً وآذاناً ، كما أن لها تجمعا واتحاداً ، فما أتمسك الساكنين الذين يقعون تحت سنابكها فتصبت بهم كل مهن .

=====

(١) اعمدنا في هذه التواريخ على كتاب " ايليا أبو ماضي " د . جورج ديمترى سليم انظر ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢٩٢)

وفي هذه الرحلة تناثرت قصائده الشاكة الشاكية الباكية، المتنبهة - التي وصلت إلى

حد عميق في هذا الضمار .

٣ - المرحلة الأخيرة :

من شعر الديوان والخاصة بهذا اللون الشعري فبعد أن اشتم

رائحة الهدوء ، وبدأت قطرات الحياة تساندُه عندما وجد من الأثر ما يزيل وحشته ، ومن

المحل ما يخفف لمهيب حاجته ،

عندما دخل بلاط صاحبة الجلالة (الصحافة) كما يقولون .

- وعلى نحو من الاحداث استطاع الزمان أن ينسج له وقتا من الأنس بجانب " دورا " التي

(١)

تمت له خطبتها عام ١٩١٨ فساد بذلك إليه شيء من الهناء الذي يمشى على استحياء

ومن هنا حملت قصائده الشعرية في هذا اللون صبغة هذه المرحلة من الميثر . ، وإن

كان قد غلب على شعره في هذا الديوان صبغة الاجمال والابهام ، معان مجملة تتناول

الملاطفة بالجملة ، أحوال وآلام ، وحرمان من أرض الوطن أرض الحب ، وحديث عن الصبا

المنصرم ورفاقه ، ولعل الشاعر الكفى يذكر القروع وتوك البراعم ، ولعله وجد في

ذلك ما يكفي لظهار مشاعرة فهو القائل .

إذا أشكو إلى خيل شجونى * وفي وسمى السكوت ظلمت خدنسى

=====

١- انظر " إيليا أبو ماضي " شاعر العربية الأكبر . زهير ميرزا ٤٤٥

الجدول

(٣)

وإذا ما ولينا وجهنا شطر ديوانه الثالث ((الجدول)) الذي نُشر في يوليو ١٩٢٧
فماذا يبدو لنا ؟

أترأه استقر به المقام وحققه الاطمئنان فلم يَحْدُ يَحْدُ نفسه غريباً شعوراً وشعراً ؟ أم ماذا ؟
— إن ما يبدو لي بوضوح وجلاء هو أن راية الغربة ما زالت ترفرف في شعوره ثم يتمكس
ذلك في أشمارة • تاركاً نسيم الحنين يطوف يشغاف قلبه ، وأقول نسيم الحنين • لأن —
الحنين الذي هو وليد الإغتراب في هذه المرحلة من حياته • وفي هذا الجزء من دواونية
ظهر قليل القصائد • بشكل كبير عن ديوانه الثاني • ، كما كان الحنين فيه مصحوباً بهدوء
كبير • هدوء المرء الذي مزقته مخالب البؤس • فتمرس وتمرن على ذلك حتى صار يلمس من
وراء غدورها وأحزانها طرباً فنراه يقول :-

أنا من قوم إذا حزنا — وا * وحدها في حزنهم طرباً —

كما أصبح لا يجد وقتئذ غرابية فيما تسوقه إليه المقادير ،

كما تصافرت بعض المناسبات التي طبعت على صفحات عيشه بشس • من الإبتسام • فقد
تزوج في ٢٥/٤/٢٥ (١) وساق إليه الحظ على غفلة من الزمان ارتياحاً فقد رزق

بـ " رتشد " أول مولود له في ٢٣/٢/٢٣ الموافق الخميس ••

ومع ما فعله الزمن معه حيث قطع عليه قنطرة الهناء إلا أنه نعم بمصاحبة أبي ر

أبيه وأمه . بجوارفة في الغربة زماناً . وإن حملاله نبأ وفاة أخته "جنى" إلا

أنه وجد في وجودها شيئاً من المسلاة ••

(١) إعتدنا في هذه التواريخ على كتاب "إيليا أبو ماضي" •• جورج كيمتري سليم

وعندما تمسّج على زهرة البستان الشعرى لدى الشاعر " الجداول " تقابلنا تلك السجينة
 التي شابه حالها حال " إيليا أبي ماضي " فكلاهما طريد من بستانه بأيد ظالمة
 وعقل آثم فمن حياة الحب والإخاء والحرية إلى الظلام والسجن والنار والسذبول
 فالشاعر يردد ما انعكس من نفسه على الزهرة التي شيمت إلى مقرتها على رغبتها . فانعكس
 الصدى قويا بين حجرات قلبه ليترجمها اللسان .
 مردد عن الأصداء التي أوحى إليه بها . من عشق للحرية وحب للديمقراطية والاختاء
 فالقصيدة إذن محصلة ما انعكس من كل منهما على كليهما .
 . فحقيقتها زهرة بث فيها الشاعر معاناته للحرية . كما حملها عواطفه وخواطره
 ورشى قصيدة مثالا فيها بقول

لحمرتك ما حزنى لمال فقدتُـه * ولا خان عهدى فى الحياة حبيبُ
 ولكنى أبكى واندب زهوة * جناها ولوعُ بالزهور لمـسـوبُ
 رآها يحلّ الفجر عهد جفونها * ويلقى عليها تيره فيـذوبُ
 وينغص عن أعطافها النور لـولـوهُ * من الطلّ ما ضمت عليه جيبـوبُ
 فعالجها حتى استوت فى يمينهـ * ولقد إلى مخناه وهو طـروبُ
 وشاء فأمت فى الانا مسجينة * لشبع منها أعين وقلـوبُ

.....

فليست تحيى الشمس عند شروقها * وليست تحيى الشمس حين تغيب
 وأجمل من نور المصابيح عندها * جياحُبُ تخفى فى الدجى وتـسـوبُ
 ومن فتيات القصر يرقصن حولها * على نغمات كلهن عجيب
 تراقر أعنان الحقيقة بكـرة * وللريح فيها جيئة وذهـوبُ

=====

(٢٩٥)

وأجمل منهن الفراشات فى الضحى * لها كالأمانى سكرة ووشوب
نحن إلى مرأى الغدير وصوته * وتحرم منه ، والغدير قريب
إذا سقيت زادت ذبولاً كأنما * يرش عليها فى المياه لهيب
وكانت قليل الطل ينحش روحها * وكانت بميصور الشعاع تطيب
تمش الضنى فيها ، وآبار فى الحمى * وجفت ، وسريال الربيع قشيب

.....

أيا زهرة الوادى الكريمة إننى * حزين لما صرت إليه كئيب
وأكثر خوفاً أن تظنى بنى السورى * سواء وهم مثل البنات ضروب

.....

إسارك يا أخت الرياحين مفرج * وموتك ، يابنت الربيع ، رهيب
ولكنها الدنيا ، ولكنه القضا * وهذا لعمري مثل تلك غريب

.....

ويختصها به هذه النفس الحائرة :

فكم شقيت فى ذى الحياة فضائل * وكم نعمت فى ذى الحياة عيوب
وكم شيم : حسناء عاشت كأنها * مساوى يخشى شرها وذنب

.....

حنين من كل قلبه جمع صفحات من نفسه مقسم بأعظم معانى الإيحاء ، مع صورة مشرقة بالظلال
والألوان .

كما ظاهر الحنين حنين آخر ، حنين إلى زمن الصبا وعهد الشباب ، ظهر ذلك فى بعض
قصائد من الديوان .

— وحق له أن ينحاه ويبيكه متحسراً على ذهاب أيامه التى أنقضت ملوثة بالفجائع الدائمة ، —
ملطخة بالألام ، ومع كل ما فيها فهو أغرب فيها ، محباً لها ، ففيها وحدها كل جمال
حتى أصبح لا يجد الجمال فى مصادر الجمال التى كان قلبه ونفسه يفتتان بها من قبل . كما
كانت دواءً لاستشفائه وأصبح لا يبرقه فى دنياه إلا خيال الوادى الذى شهد براءة طفولته .

وزمن صباه ، يوم أن كانت ترافقه إخوة الصفا • من الأطفال • فيفيض الوادي منهم جرياً
ولعباً •

تسمعه يقول ٠٠٠ في قصيدته (عيد النهي) " ١ "

قل للحمام في ضفاف الوادي * ياليتكن على شفاف فـوادي
لترين كيف تبعثت أحلامه * وجرت به الآلام خـيلى طراد
كانت تشع على جوانبه المني * فخبث وشدل جمرها بومـاد

.....

ذهب الصببا وقيبت * ليت الأسي مثل الصببا لنفاد
ان الشباب هو الغنى فإذا مضى * وأقمت لا ينفك فقرك بـباد
أسميت انظر في الحياة فلا أرى * إلا سواداً آخذ بـسواد
ماثم من ذكري إذا خطرت عـنسى * قلبي استراح سوى خيال الوادي
لهفى إذا ورد الرفاق عشية * وذكرت أنى لست في السـرُ واد

.....

وكما تظاهر الحنين إلى الوطن مع الحنين إلى الصبا ومدارجه لدى الشاعر ، ينمقد الوثاق
في قلبه بين مصر ولبنان حتى أصبحت مدارجه على أرض مصر هناك في الاسكندرية وصلة لحياة
طفولته في لبنان • فكانا معاً موطناً لروحه • • فاختلط الشوق بالشوق وانضم الحب إلى الحب • •
— وغالبا ما صدر ذلك عن التجربة العميقة التي سكنت قصر فكه • ومنها الإيمان العميق —
بالقومية وقوتها • وأنها السبيل المفرد إلى تحطيم كل قيد تصنعه براثن الظلام ونفس
المستعمر • اسمعه يقول في نفس القصيدة السابقة • • •

وطنان أشوق ما أكون إليهمـا * مصر التي أحبيتها وبلادى
ومواطن الأرواح يعظم شأنهمـا * فى النفس فوق مواطن الأكبـاد
حرصى على حب الكنانة دونـه * حرص السجين بقبا يا الصـزاد

*** ** **

=====

(٢٩٧)

غير أن آلامه القلبية لا تلتئم عند نقطه بعينها • فبعد أن هدأت روعتها وذهبت حدتها •
عالده من جديد • فعبثت حتى بما سكن منها ••••• وما ترى من المنفذ من هذا الهم ؟
لم يؤمنقدا له من ذلك سوى "لبنان" لبنان الطبيعة والجمال • لا لبنان السليب السدى
ما فتى • أهله منشطرين بين تخاذل عميق • وانقسام مشين • وتفارق مزر • فمن أين له
ذلك • وفي لبنان الطبيعة ما يذكر — لامحالة بلبلبنان الضعيف •••••
فالمخرج اذن هو الخروج من عالم الواقع • إنه الهروب • الذى أصبح الشاعر يعرف درواً
غير قليلة فى هذا المجال •••••

الهروب من الواقع الأليم • إلى عالم ينشد فيه مبتغاه من السعادة • التى خطيبته منه
ياشتياق شديد • وبحث شاق ذاق بسببه مرارة كبرى • وفى نهاية حيوته وبعد أن ولى
الشباب • عاد راضياً الغنيمة بما يوجد

خيال الادباء من اصطناع السعادة فى عالم الأوهام ودروب الخيال •••••

فلقد وجد أنه من العبث البحث عن مراده وسعادته خارج النفس • فمنها وحدها تنبثق
السعادة • ومنها تنفجر نيران البراكين •••••

فراح يبحث عن السعادة فى قصيدته "١" (المنقاء)

يقول :-

أنا لست بالمنقاء أول مولع * هى مطمع الدنيا كما هى مطمعى
فأقصر على إذا عرفت حديثها * واسكن إذا حدثت عنها واخشع
المحتها فى صورة؟ أشهدتها * فى حالة؟ أرايتها فى موضع؟
فتشت جيب الفجر عنها والدجى * ومدرت حتى للكواكب أصبحى
فإذا هما متحيوان كلاًهما * فى عاشق متحيوان متضعض...

وظل يبحث عنها و طال البحث ولميل منه الصبر • ولما لم يجد شيئاً • يسرع مسائلاً البحر عليه
يجد عنده ما يشفى غلته ••••• وتمخضت أمانيه عن خيبة تنضم إلى أخواتها ••••• ولما قنا ؟

=====

لأنه وجد أمواجه تبتدى سخريّة واستيلاءً

والبحرُ ٠٠٠ كم ساءت فضا حكت * أمواجه من صوتى المنقطع
فرجعت لـ مرتعش الخواطر والمنسلى * كحماة محمولة فى زعزع
وكان أشباح الدهور تألبت * فى الشطّ تضحك كلها من مرجسى

وتراوده ظنونه أنها موجودة بالقصور • فيسرع باحثا بين الجدران وفى الزوايا والأركان •
وإذا به يجدها شاغرة • ويزيد اد حيوه وعجبا حينما رأى ساكنى القصور فى حيوه
غيا • وجهه مضن بحثا • غنها •

ولكم دخلت إلى القصور مفتحا * غنها وعجت بدارسات الأريح
إن لاح طيف قلت : يا عين انظري * أو رن صوت قلت يا أذن اسمعى
فإذا الذى فى القصر مثلى حائر * وإذا الذى فى القصر مثلى لا يحى
— وسرعان ما وجدت الأفراح والأمال طريقها إلى قلبه عندما سمع أن مطلبة بعسيدة
إلا عن الزاهدين فتزهد وترهن • وطلق متع الحياة ولكن يعظم الأسف حين تسمعه
يقول :-

وحسبتى أدنو إليها مسرعا * فوجدت أنى قد دنوت لمصرعى
— ويغد أن ساءت حالته • وضاعت قوته حتى أصبح كصفر عرى جسمه من ريشه
فخس محملا وذهبت روعته وقوته • ولم يستطع التحليق فخر إلى الشرى فصار مطمئنا
للتمل على حد تعبويه

راح يبحث عنها فى كل شىء فى الروض والجداول • فى اليقظة • فى البرق
..... وعندما

" ذهب الريح فلم تكن فى الجدول الشادى ولا الروض الأغن المبرح "
ولما وصل القنوط إلى قمته • ونشر ضبابه فوق كهف وجوده • وتقطعت أوصال
أمانية • وذبلت آماله • وعصر الأسمى روحه • وعلم يوم لا يجدى العلم • وبعد فوات
الأوان ؟ ولكن بماذا علم ؟ اسمعه يقول :-

(٢٩٩)

حتى إذا نشر القنوط ضيابة * فوقى ففئيني وغيب مروضى
وتقطعت أمرا من أمالي بهـا * وهى التى من قبل لم تنقطع
عصر الأسى روى فسالت أدمعا * فلمحتها ولمستها فى أدمعى
وعلمت حين العلم لا يجدى الفتى * أمّ التى ضيبتها كانت معى
وكان كل ذلك وهماً لم ينفع فلهـه * وهكـذا
من كان يشرب من جداول وهمه * قطع الحياة بغلة لم تنقع

(٣٠٠)

وهيها تهيها تلهوم الحنين والام الشوق أن تن وتضمفه إنها تزياد قوة وشها
كلما مرت عليه الليالي وتقادم عهدا وهذا طبع كل قلب سكه الحب والحنين .

كلما مرت الليالي عليه رقى * والحمد في الليالي تفسسى ؟

لكن ألا من سبيل يتخذ منه مسكنا لالامه ، فيستريح ريثما يلتقط أنفاسه ، ويستتره
شيئا من قواه ؟ وتجيب الآلام وهي تعانق الأحزان الآن أنت كليل سلاسى فأنق لك
المخرج (فيجيبها ولم خلق الله الخيال ؟ لقد جملة الله عالما رحبا فسبحا لا يضيق
أبدا بالمرء إذا ماضى به عالم الحقيقة " الحس " ، فهو المرأ الصهدى أحياناً .
— ولقد وجهه خياله وجهة أخرى فلمل فيها الخلاص ما به من غليان وماجثم على صدره

من كلا كل الأحزان .

لقد وجه حنينه إلى بلاد من رسم الخيال . بلاه غير صالوفة رسمها خياله ولونها وهمه
بما يستريح له من ألوان فصى فى تلك السكينة ، ويتمنى لو يطير إليها ، ففيها ما
قيها من القناعة والرضا ، كما أن فيها الجمال الأكبر . الذى يصغر بجانبه كل جمال
فى عالم الحس .

يقول :- (١)

روحى التى بالأمسى كانت ترتع	فى الغاب مثل الطيبة القمراء
تفتت بالثمر الجنى فتسبح	وبيل غلتها رشاش المراء
نظرت إليك فأصبحت لا تقنع	بالماء والافياء فى الخنبراء
تصفى وتنصت ، والحمامة تسجع	إصفاؤها لك ليس للورقراء
ناديتها فلها إليك تطلّع	هذا التطلع كان أصل شقائى
ومود أيضا فى النهاية . يخفى حنين ، حيث جرته الحقيقة إلى أوكار الحسرة . حتى	

رأى بناظره ارتظام أماليه ، وتحطم أمانيه على صخرة الاستحالة الشيء الذي جعله

يحلن عن الخيبة الأليمة .

يقول :-

كيف الوصول إليك يا نار القـرى * أنا في الحضيض وأنت في الجـوزاء
لي ألف باصـرة تحنُّ كما تـحـمـرى * لكن دونك ألف ألف عـطـاء
لو من ثرى مدققتها بيد السـرى * لكنها سـجـفـا من الأضـواء

ويعود إيليا إلى كهف الحقيقة ويون يديه يسمهن القـم .

وفي قلبه حسرة لا تـذوب ووظابه مملوء بالأوجـاع

* * * * *

- وحينما أبصر ذبول أماله . وخبوت أمنياته رأى أن سيف الأيـام قد أجتت شجرة

هنا

فأصبح لا يجد في لهفته العارمة إلى اقتحام عالم الأحلام إلا مزيداً من الخيبة والنصب
والحقيقة

أن من حاول الارتواء من بحر وهمه . زادت ظمأته ، واحترقت من شدة اللهب
أوصاله ، وماذا هناك حتى يبرد حرقتة ؟ لا يد من حلّ حتى لو كان الحلّ اعترافاً
بالمجز وانسحاباً من الميدان

وبعد لأي ونصب . لم يجد ما يبرد ظمأته وينقح غلته إلا أن يعود إلى السحب يطلب
منها أن تبرّد من ظمأته ، معلناً في النهاية ، رضاه بقسمته ، هذا الرضا الذي
كان وليد الإجمار والضعف - كما يبدو لي - وحين يصل إلى هذا المنطلق
يضرب بكل ما هو وليد الأوهام والخيال . مما لا وجود له في عالم الامكان حتى
راح يقذف بكل صنيع لهما في سلتى اللامبالاة والإهمال ، فلا شيء أفضل مما يُحسب به
ونفيد .

(٣٠٢)

أنظر إليه يحملها صريحة (١)

- رضيت نفسي بقسمتهم _____ * فليأود غيري الشهباء _____
كل نجم لا اهتداء به _____ * لا أبالي راح أو غر _____
كل نهر لا ارتواء به _____ * لا أبالي ما لأم نصيبا _____
ما غدا ؟ يا من يصورني _____ * لي شيئاً رائعاً عجيباً _____
ما له عين ولا أنف _____ * هو كالأصم الذي ذهب _____
إن صدقا لأحس به _____ * هو شئ يشبه المنذهب _____
لا ينجى الشاة من سلف _____ * أن في أرض السهي عشياً _____
بردى يا سحب من ظمى _____ * واهطلى من بعد ذا ذهباً _____

وهكذا تظل نيران الحقيقة العالقة دائما ماثلة أمامه وله بالمرصاد ، فقد أطلت
جميع نوافذ القلب الحزين حتى أخرجته من ميدان المقدرة على التحمل . وكان من
ذلك ما نقص عليه حياته ، ونشر القتام على لوحاتها
يقول :-

- أوفكرنى غير راحمة _____ * حُمماً حمراء لا سُحباً _____
ولاكن وحدى لها هدف _____ * ولتكن نفسى لها حطب _____

ومن المغيب للمستغيث ؟

لم يبق هناك سوى القناعة والرضا بما تقدره الأقدار ، إنها القناعة المكللة بقناع
المجز أمام تيارات الأحداث .

=====

(٤)

(٣٠٣)

يقول :-
أنا من قوم إذا حزنا
وإذا ما غيبة صمجت
وإذا ما غابت
وإذا ما غابت صمجت

ترى ماذا بعد هذا - (٤)

فما السهيل اذن الى الخلاص من هذا البحر الطامى العباب الذى يزعمه فى عجايبه
الذى لاقرار له .

اذا كان ما ألقى عليه بعضا من السلوان

الاطمئنان الذى نعم به فى تلك الفترة ، والارتياح المادى الى حدٍ يتمكن معه من

المعيش دون استدانته ، ووجود أمه وأبيه بصحبته فترة من الزمان ، وينضم الى ذلك

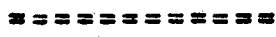
التألف الكبير والعميق مع الشوام الذين عاشوا فى أمريكا . .

- وهو كلما دخل في الشيب القناع قلبه حصرة على توديع ستنى شبابة العاضيات
وانضم ذلك الى ما سكن قلبه من تحسر على فراق الوطن فيظهر الحنين غاضباً
..... كثير ذلك كما ٠٠

كثرت المواد المترسبة على شاطىء نفسه - بسبب ما مضى به في سالف العصر - و
أن تجد ما يذوقها أو يحمل فيها ، حتى ظلت جنوداً مائه تحت رايات فكسره
وعلى مقره من شاطىء تأملاته ، فإذا ما اشرايت أعناق التأمل لديه ، جهمت فسى
مركزها وتحت ألقها بعضاً مما ترسب على شاطىء بحسره النفس ؟ ٠٠٠ }
سحب وضياب في تزامم شديد على هذا الرفأ قد وقفا له بالمرصاد يحملان سيف
العناء وضمان الصخرات المعقده بهنه وبين آماله
اسمه في قصيدة " تأملات "

يقول

ليطالذى خلق الحياة • جميلة * لم يسدل الأستار فوق جمالها
بل ليتسلب العقول فلم يكن * أحدٌ يملل نفسه بمنالها
لله كم تغرى الفتى بوصالها * وتضنُّ حتى في الكرى بوصالها
تدسه من أبوابها بيمينها * وترده عن خدرها بشمالها



ذهب الصبا وأنا عالج سرها * متحيراً في كسها ومالكها
حتى رأيت الشمس تلقى نورها * في الأرض فوق سهولها وجبالها
وأبيت أحقر ما بنىء عنك * شائفاً ومطوقاً بجبالها
مثل القصور العاليات قبائرها * الشامخت على الذرى بقلالها

نظرات من الرضا عاد يحملها راضياً وهمسوا حين يتأمل العالم
الجديد وطبيعته ، ويتذكر الشباب الذى وقع فريسة لنهش عقارب الحشرات ولم يهتق
منه الاطيف خيال ، قضى عليه ذكره لرفاقه الصبا الأمر الذى أصبح ملازماً لذكوره

الوطن الحبيب ..

زمن الشباب رحلت غير مذمم * وتركت للحسرات قلبي الوالدها
 دبت عا ربها اليه تنوشه * وصت بقاياهُ الى اصلالهـا
 لم يبق من لذاته إلا الـبروى * ومن الصباة غير طيف خيالها
 وحين تسأله إحدى اللامعات عن إحساسه وشعوره بعد أن فارق وطنه ، وهل
 ينسى النازجون بلادهم ؟ فيقول مجيباً على هذا السؤال الذى أثار حزنه
 الكامن وأحياة من جديد ، وفي اجابته حين صافى إلى كل ذرة من ترابها إلى كل
 منظر من مناظرها .

قالت : أينى النازجون بلادهم ؟ * ماهاج حزن القلب غير سوءالها
 قالت : أينسى النازجون بلادهم ؟ * عندى ولبنانُ أعزجالها
 الأرض سورياً أحب ريوها * روحى الغذاء لرهطها ولآلهـا
 والناس اكرمهم على عشيرها * ليس الجلال الحق غير حلالها
 والشهب أسطعها التى فى أفقها * حتى الحيا الباكى على أطلالها
 وأحب غيث ما همى فى أرضها *

=====

إننى لأعرف ريحها من غيوها * بنوافح الأشداء فى أنيالها
 - ويبدو أن الحنين أصبح الآن هادئاً إلى حدٍ كبير ، ونراه يفصح ويترف .
 وما أرق الاعتراف المفصح . وخاصة عندما يكون خارجاً عن هيكل الحب الدافسى ،
 ومختلفاً بشباب من الهدوء رقيقة الحواش . إفصاح عن اشتياق . فما هو ؟
 هى أمنية اشتاقها كل غريب : فلم تعد خافية ، وهى ان يكتحل عيناه بنورها وتقبل
 شفائه وملها . وترابها . وقد استجاب الله لدعوته وحقق له أمنيته .
 تشتاق عيني قبل يشبهها السردى * لوأنها اكملت ولو يومها
 مرت بسى الأعوام تقفو بعضها * وشب القطا تمدوا الى أجالها
 وتعاقبت صور الجمال فلم يسدم * فى خاطرى منها سوى تمثالها .

(٣٠٦)

— إنها البلاد التي لم يسكن خاطره جمال غير جمالها • ، والآن لم يبق منه

سوى تماثل يحثو في خاطره }

(*) (*) (*)

وحين يقف مصوراً عمق حُبِّه وحنينه إلى موطنه لبنان • يطير بفكرة في سما الخيال
محلِّقا في ركن الأساطير ، فهو في قصيدته " الشاعر في السماء " يسرد لنا فيها
ما فعله الله لإرضائه ، وتخليصه من عالم الشقاء فماذا فعل الله له ؟

رفعه من الغبراء إلى قمة السماء ، وجعل له كل ما يرضى أمثاله •• من قصر عظيم
شاده الله له فوق السماك • ومد ملكه على القضا ، وسخر له الريح والضياء ، قصير

بيده كلُّ شيء }

يقول (١)

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| رأى الله ذات يوم | * في الأرض أبكى من الشقاء |
| فرق ، والله ذوحنان | * على ذوى الضر والعناء |
| وقال : ليمر القبراب داراً | * للشعر ، فأرجع إلى السماء |
| وشاك فوق السماك بيستي | * ومد ملكي على القضا |
| فالتفت الشهب حول عرش | * وسار في طاعتي الضياء |
| وصرت لا ينطوى صبى | * إلا بامرى ولا مساء |
| ولا تسوق الغيوم ريب | * إلا ولى فوقها لواء |
| فالأمر بين النجوم أمرى | * لى الحكم فيها ولى القضا |

(*) (*) (*)

— ولكن • هل أراحه ذلك ؟ • هل أزال حزنه ؟ هلى قضى على شقاءه ؟

والإجابة فى قوله •

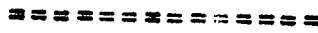
لكنى لم أزل حزينا • مكتئب الروح فى الملاء

=====

فاستخريا الله كيف أشقى * (٣٠٧) في عالم الوحي والمنسساء
 - ولذا سلّ منه الشوق إلى الخير والنساء ، حتى يقطع عليه مصدر البلاء • بينما
 كان في ذلك زيادة البلاء وشدة التوج والبكاء •

وطار دمي سيول نـ * وكان قبلا سيول مـ
 ولذلك يعود الله سائلا أيـ * ماذا يريد حتى تنجلي عنه الغمّة؟
 هل تشتهي أن تكون طـ * فقلت : كلا ، ولا غمّة
 هل تشتهي أن تكون نجمـ * أجبت : كلا ، ولا بهـ
 هل تبتغي المال ؟ قلت : كلا * ما كان من مطلبى الشراء

لكن أمنية بنفسـ * يسترها الخوف والحيـ



فيسأله الله عما يشاء؟

قلت : يا ربّ فصل صيـ * في الأرض لبنان أو شتـ
 فإني ههنا غريبـ * وليس في غريبة ههنا

ضحك الله من كلامه ، ووصفه بالغباء ، فما لبنان إلا بلاد ككل البلاد •

لبنان أرض ككل أرض * وناسه والورى سواه
 وفيه يؤسى وفيه نعمى * وأردياء وأتقيـ
 فأى شئ تشناق فيـ؟ * فقلت : ما سرتنى وسـ

إلى سواقيه وأقاحيه ، إلى شذاها وروابيها عارية وكاسية ، اشتاق إلى هصافـ
 وعناقيدـ وأرضه وسماطة ومائة وهوائـ • ونوره فأثار ذلك الرغبة عند الله أن يطلع

على لبنان من علاه ، ليعرف حجة هذا عيانا ••)

فأشرف الله من علاه * يشهد "لبنان" في الشاء

فقال : ما أنت (ذو) جنون * وإنما أنت ذو وقـ (١)

===== (١) كلمة ذو في الشطر الاول في الديوان (ذا) ولعل ذلك خطأ في الطباعة

(٣٠٨)

فإن لبنان ليس طوداً ولا بلاداً لكن سماً

وفى تلك القصة ينهض الشاعر بالآلهة مشاعر ورغبات وانفعالات كالإلهة كما أن ما يدور بين الإله وبين الشاعر يكشف عن جهل الإله ببعض ما يعرفه الإنسان ، فالله هنا والرب فى القصة يعنى بهما غير ما تمنية اللفظتان فى القرآن الكريم والكتب السماوية وكذلك ما يدور على السنة المؤمنين •

وليس من ضير أن يستحير قدرة هذه الألفاظ وهى فى جوهرها الأسطورية ، على أن يستوحى منها ما يريد مادامت الحاجة الفنية تحتاجها • مع التحفظ •

فإلياً يتخذ أيضاً من اللفظ فى غير هذا الموضع "الفكر المبدع" والشعر الفياض" (١) وتظهر فى ظلال خمائله • ظلال خمائل حبه للبنان التى لاتفارقة • يذكر لبنان فتساب فى نفسه يتابع النرح والبشر ، انسياً يعد وبين خيلة حبه الكبرى التى تولاه الحنين وسقيت بماء الرفاء •

— فلبنان كانت مفتاحاً لباب الإلهام الوفاى • ، كما أنها موطن الحسن • وهيكلك الجمال ومفخرة لأهلها وذويها •

والشاعر يقيم ندوة اعتراف وإفصاح له بالوداد والوفاء والمحبة • ولم لا ؟ وقد أصبح عنده فوق كل وطن • إنه منبع الشهور والشعر والهناء •

يقول فى قصيدة "لبنان" (٢)

إثنان أعيا الدهر أن ييليهما	لبنان والأمل الذى لذويه
نشاته والصيف فوق هضابه	ونجته والثلج فى واديه
وإذا تمد له ذكاه جبالها	بقلائد العقيان تستغويه
وإذا تنقطه السماء عشية	بالانجم الزهراء تسترضيه
وإذا الصبايا فى الحقول كرهها	يضحكن ضحكا لاتكلف فيه

وكل جميل عنده مهما علا في جماله ، فهيهات أن يحاكيه ، وعندما يرى الجمال في الجمال
في الأنهار ، في غيوها ، فماذا يقول ؟

فأقول يحكيه وأعلم أنه
سألوا الجمال فقال هذا هيكلى

مهما سماهيهات أن يحكيه
والشعر قال : بنيت عرشى فيه

هذا هو لبنان كما يراه ، بينما لا يراه البعض إلا خوضاً في المشكلات السياسية والطائفية
التي سببت ، وسوف تسبب بما غرست من أشجار خبيثة ، كل نزاع وشر ، وقتل وتشريد
وخسراب .

ويجدربنا ونحن بصدد الحديث عن الحنين أن نقف عند هذه القصيدة لما تشير إليه مئمن

تحول ، لأنه في تلك القصيدة يتكلم عن لبنان الطبيعة والسحر والجمال

بينما يترك لبنان السياسة لبنان الطائفية وهو الذي كان يعقب في ذيل كثير من قصائد
الحنين السابقة عن لبنان السياسة عن أهلة المتفرقين عن حكومته الظالمة فماذا حدث حتى

جعلناه ينسى أو يتناسى الأمر الذي طالما تحدث عنه كثيرا ؟

أتراه عاش أنشد هانئا بصحبة أمه وأولاده موفور العيش فأنساه ذلك ما دام على ذكوره ؟

أم بلغ اليأس منه مبلغا جعله يتناسى ذلك الأمر فلم يعد فيه من فائدة ؟

أم انه التردد وعدم الثبوت الذي لازمه حتى في تشاومه الشديد وتفاوله الصنيع ؟ أم نقول

الفكر الذي لا يقف عند حد واحد .

وهذا ما يبدو لي -

اسمعه يقول :

ويظل يزعم أنه رائيه

لبنان أنت أحق أن تبكيه

ما دام منه الطرف غير نزيه

غيرى يراه سياسة وطوائفا

ويروح من اشفاقه يبكي له

لا يسفر الحسن النزيه لناظر

.....

(٣١٠)

ياله من هناء وارتياح ونعيم ، حين تعانق النفس فيه أحبابها وتلذذ بالأرواح وتمسك
بالشذى وتهتز بالأنغام

ستعانق الأحباب في نأديه

يا صاحبي يهنئك أنك في غد

.....

كما يقول : «إيليا أبو ماضي»

وتهزك الأنغام من شأديه

وتلذذ بالأرواح تمسك بالشذى

فاهتفتك لاتنسى أنك في غد

إن حدثتوك عن النعيم فأطنبوا

وهكذا كثر الحديث عن لبنان حتى أصبح لا يجد في كل قرية فيها الألباناء بعينيه
ولهذا ظل حديثه لا يتطرق إلى غير لبنان • كقرية • أو مدارج صباه • الخ على غير
ما عهد عند غيره ؟

(٣١١)

ولا تقدم في خاتمة هذه الثمرة الطريفة " الحنين الدرامي " ففي قصيدة لم بعنوان " هبج " (١) يذهب الخيال القصصى للشاعر فيها إلى مدى رطيب ولوانه غير

بحيد

إنه يقصر خيالا أو شبحا جاء متوشحا ببرده الهدوء وقد أنبات عيناه عن حزن عميق
... فيسأله " إيليا " بحر أن أحزنه ما رأى - عن حقيقته ، ويعرفه الشيخ بأنه

الأب الأير الحنون " لبنان "

ويملك مبادرة الحديث قائلا .

يا شيساعرى قل للألى هحرونى
يا شيساعرى قل للألى هحرونى
ما بالك طولتم حتل التوى
ما بالك طولتم حتل التوى
قد طهم الدنيا فهل شاهدتم
قد طهم الدنيا فهل شاهدتم
أوردتم كناهلى ؟ أنشقتم كأزهرى فى الحسن والظوىــــون ؟
أوردتم كناهلى ؟ أنشقتم كأزهرى فى الحسن والظوىــــون ؟

— ويظل الخيال الرقيق مقدرًا لما فيه من جمال فاق كل الجمال ، فها هو الأرز وشجر
الحسون ، والجلال الميمون ، جلال الهد رحين يطل علو ضميرين ، ما أعجب
الخيال ! أرأيت خيالا ينادى آله قائلا :-

يا قوم :

مرت قرون وانطوت وكأنتنى
مرت قرون وانطوت وكأنتنى
أبليتها وقيت إلا أنتنى
أبليتها وقيت إلا أنتنى
— لائم يلومها جريه فيحتذرون
— لائم يلومها جريه فيحتذرون
لبنان لا تعذل بنيك إذا هم
لبنان لا تعذل بنيك إذا هم
لم يهجروك ملالة لكم
لم يهجروك ملالة لكم
ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا
ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا

(٣١٢)

لما ولدتهم نسراً حلقوا * لا يقنصون من العلى بالبدون
والنسر لا يرضى السجون وإن تكن * ذهباً ، فكيف محاسن من طين
الأرض للحشرات تزحف فوقها * والجو للبارى والشاهسين

ولكن أتفيد الأعذار في هذا القلم ؟ لا • ولماذا ؟

في ردّ الشيخ الاجابة •

فأجابني والدّمع ملّ جفونيه * كم ذا تسلّيني ولا تسلّيني
أنا كالعمرين اليوم غاب أسوده * وتفرقوا منه لكل عرس
الأرمنى على سفوحى والسوى * بينى الحصون لنفسه بحصونى

ولأنه كاد أو كان ينظر في صفحات القدر عن كتب • حين قال :

ونو يهوناً ينصبون خيامهم * فى ظل أوديتى وفوق حزونى
ويبني عنى غافلون كأننى * قد صرت فى الأشياء غير شمى
عودوا فإن المال لا يفتركم * عنى ولا هو عنكم يفترنى

ويعود الشعاع إلى الحديث عن الحبّ العميق والحنين الأعرق فتسمع منه نغمه مكرورة

في نهاية القصيدة يقول :

لو أمست الدنيا لغوى كلها * ورباه لى ما كت بالمفيسون

(*) (*) (*)

وقد رمزوا إلى " لبنان " بالغبابة المفقودة فى أشعارهم وراحوا يظهرونها فى

نوبها الكامل • وجمالها الفتان ، وما فيها من سحر وجمال •

وما جاء فى قصيدة " الغابة المفقودة " (١) ما هو الأوصف للبنان يشحار به

وجباله ، وأوديته وحدائقه ، وفاكهته الشهية وأضوائه وأزهاره ، ولكى يمتنع

=====

نفسه ظل سائرا في هذه الغاية بخياله • حتى اصطدم خياله بالحقيقة فراح يأسى
لما أصاب غايته • وماذا أصابها ؟

امتدَّت إليها نظرات الخدر فأتت على سحرها وأشجارها وحدائقها •
فلم يعد الطير مفرداً ، ولا البلايل فرحة ، فقد أغبر على أعشاشها ، وأقيمت
دور الظلم ، وقصور الطغيان مكانها •

إنها لبنان الجيله • خيلته الكبرى ، وجنته الفيحاء •
يقول في غايته المفقودة •

كنت وهنداً نلتقى فيها
وهي كما شاءت أمانيتها
يشربها خاطر راقمها
أليس أن الله بارئها ؟

يلتهفة النفس على قابضة
أنا كما شاء الهوى والصبا
تكاد من لطف مناسمها
آمنت بالله وآياته

★ ★ ★

متكاثرت في نواحيها
والتفت طربها بكاسيها
كأنها تذكر ماضيها
يرقص والطير تغنيها
وعلم الزهر تأخيها ؟

نبغت الأزهار عند الضحى
ألوى على الزئبق نسرنيها
واختلجت في الشمس ألوانها
تآلفت فالما من حولها
من لحن الطير أناشيدها

* * *

وتارة عطفتها واليهيها
وقاره تحصى أفاخيها

لله في الغابة أياضيها
ظروا علينا ظل أواجهها
وتارة تلهو بأغانيها

.....

يضحك معنا في أفاصيها

وان تضحكنا سمعنا الصدى

ذوائب طال تدلهم بها	وقسوفنا الأغصان مسقودة
ألقت من الذعر لآلهم بها	إذا هز زناها على عورة
نكشف الأرض ونطوهم بها	تسير من كهف إلى جدول
والعطر نور في حواشيمها	والنور عطر في تعاريجهم بها

* * *

ولا التي أحبيتها فيها	وماذا حدث لها ؟ الكثير
	و " لا غابتي اليوم كمهدى بها

* *

ولا الأفاحي في روابيهم بها	ولا الندى در على عشبيهم بها
شباك تبر من أطلابهم بها	ولا الضحى يلقي على أرضهم بها
من الظالم الذي بدل أنسها	لماذا حدث لها ذلك ؟
	وحشة ، وجنتها ناراً ؟

واغتصب الطير ماؤهم بها	قد بدل الإنسان أطوارهم بها
واجتث بالفأس دواليهم بها	وفت بالبارود جلودهم بها
سكانها الناس وأهلهم بها	وشاد من أحجارها قريضة

* *

كمت وهنداً نلتقى فيها	والآن ليس في امكاننا إلا أن نقول
ونار حبي وتصابيهم بها	يا لهفة النفس على غابضة
وكان يدميني ويدميهم بها	جنة أحلامي وأحلامهم بها
فصارت الدور تغطيهم بها	نبيكي من اليأس على شوكمهم بها
	كانت تغطينا بأوراقهم بها

(٣١٥)

ولنمرج على الديوان الأخير " تبر وتراب " لنستعرض آثار الغربة فيه
ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

■ فعندما نتصفح الديوان • تقابلنا نبرة من نبراته السابقة التي شملت
بين طياتها حباً عبقاً • ضرب بخشاء عميق عليه • فأصبح لا يرى جمالا
فوق جمالها •

بلاد الجمال تعشقها النفس • ولكن ليس كعشق النفس لبلاده • لبنان • فعشقه
لها فاق كل حد •

زكريات عطره • وجمال سبحان الخلاق العظيم • وحسب يزين كل ما يرى في
لبنان عما يرى غيرها جمال طبع عليه الحب بطابع الأفضلية المطلقة
إنها " بلادى " (١) وهذا هو عنوان القصيدة التي أوحى بها روعة لبنان
وما فيه من بساطة السجر وإشراقه الشمس على حافتى النهار

يقول :-

أنى مررت على الرياض الحالية
وسمعت أنغام الطيور الشادية
فطربت • لكن لم يجب فؤادى
كطيور أرضى أو زهور بلادى

* * *

وشربت ماء النيل شيخ الأنهر
فكأننى قد زقت ماء الكؤهر
نهر تبارك من قديم الأعصر
عذب • ولكن لا كما بلادى

(٣١٢)

وقرات أوصاف المروءة في السـ
فظنتها شيئاً تلاشى واندثـ
أو أنها كالفول ليس لها أنـ
فإننا العروءة في رجال بيـلادي

* *

ورسنت يوماً صورة في خاطـرى
للحسن ، إن الحسن ربّ الشاعـرى
ونذهبت أنشدتها فأعـمها خاطـرى
حتى نظرت إلى بثات بيـلادي

* *

قالوا ليس الحسن في كل الدنـسى
فمسلام لم تمدح سواها موطنـنا
فأجبتهم إنى أحب الأحمـسنا
أبدأ • وأحسن ما رأيت بيـلادي

* *

وحتى لو ولّى صباها فسوف أظل أحبها ، ولو صارت سبباً ، ومهما عاش
فيها الظالم فساداً ، وصدع القضاء أركانها فلن تموت بلادي • يقول :-

الكوكب الوضاح يبقى كوكبـنا

ولكن تستر بالدجى وذنـبنا

ولكن الضباب بمالب حسن الرى
والبوس لا يمحو جمال بيـلادي
ويختمها بهذه الهمة التلميحية قائـلا:

لا عز إلا بالشباب الراقـسى

(٣١٢)

الناهض العزمات والآخرى للاق

الثائر المتفجر الدق للاق

لولا لم تشمخ جبال بلادى

وفى هذا نلح الحنين المجل ، والمشاعر المتراكمة دون تفصيل .

=====

* وفى هذا الديوان " تبرا وتراب " ينفض المؤشر البيانى العددى
للقصائد التى تفرد بالفناء الحلو ، غناء الغريب بأرق وأسى وأعذب
آيات الحنين الوطنى .

وفى تلك القصائد تناثرت الأبيات فى قصائد تكريمية ، ولكن كانت المناسبة
ذراً كهريباً أزاح ستار الظلام عما كنهه الفؤاد . ، كما حازت الأبيات
الخاصة بهذا اللون الشعرى حيل أبيات القصيدة - أحيانا - فمع
هذا الانتشار ظل الاساس قاعدة عريضة وقوية . . .

وتلك واحدة من تلك القصائد قصيدة بعنوان " تلك المنازل " (١) وهى
التي ألقاها فى حفل تكريم الأستاذ " كمال جنبلاط " ؟

والقصيدة ٢٨ بيتاً غلبت عليها روح شكوى الاغتراب والآلمة ، كما نبضت
بالحنين الصافى وصدق السؤال عن الوطن والأهل والقوم . ويبلغهم الشوق
الدائم والحب الموصول لشامه ولبنان ، وما سمعنا عن حفل للتكريم يجول
فيه التسأل للمكرم أن يحدثهم عما هنال من شواطىء حالاتهم بمسودة
الغريب ، ويحدثهم عن ولبيتهما العالقات بالعيوم ، وشعاليها الخدابين .
خلف تلك التخوم . ، وفازت المناسبة من القصيدة بثلاثة أبيات كاملة . .
وهذا دليل على شىء له أثره ، هو أن المناسبة لا تخلق الشعر عنده ، ولكنها

=====

يبدأ القصيدة بقوله :

- تلك المنازل كيف حال مقيمها * أنا قنمنا بعدها برسومها
 تمشى على صور الطيور لحاظنا * نشوى ، كمن يصفى إلى ترنيمها
 ونكاد نعشق في الأزهو الدمى * أزهارها ونحس نفع شميمها
 نشأنا في بوءنا وتعيمنا * ونحبها ، في بوءها وتعيمها
 لولا الخيال يعين أنفسنا لما * سكت ولم يهدأ صراخ كلومها
 ولكان شهد الأرض في أفواهنا * وهو اللذيذ أمر من رقومها

=====

- حدث بنمها شيخهم وفتاهم * عن ليث غابتها وطبى صريمها
 خبرهم أن الكواكب لم تنزل * تحنو على العشاق بين كرومها

=====

- وعن الروابي الشاخصات إلى السماء * المالحات روءوسها بنعيمها

.....

- وعن الحياة جميلها وقبيحها * وعن النفوس صحيحها وسقيمها
 وعن الألى ملكوا فلم يتوزعوا * عن سلب أعزلهما وظلم يتيمها
 وعن الثعابين التي في أرضها * وعن الذئاب العصل خلف تخومها

- وجاءت عبارات التكريم في الأبيات التالية متصلة بما هو صالح وفي صلاح الوطن •

يقول :-

- الجاهلية ، آه من أصنامها * بورك يا من جد في تحطيمها
 والظائفة أنت أول معول * في سورها ، ثابروا على تهديمها
 حتى تعود وواحد أقنومها * ويحل روح الله في أقنومها

=====

ويعد أن يوجه حديثا للشباب • يقسول :-

قل للشبيبة • أن تبين وجودها * وتتمز أنفسها بهون جسمها
 كم ذا تشع ولا تضيء علومها * سرج الظلام إذن جليل علومها
 - ويشيد بجهد السيد " كمال جنبلاط " موضحا بعض ما يمانية في سبيل
 اسماها •

يا واحدا منها يحمل نفسه * آلام عانيها وليل سليمها
 إن اكرمك نفوسنا في ليلنا * فلکم قضيت العمر في تكريمها •

=====

وها هي ذى قصيدة تكريمة أخرى بعنوان " يا رفاقي (١) قالها في حفل تكريم
 الدكتور " ظافر الرفاعي " وزير خارجية سوريا ، والدكتور " فريد زين الدين " مقبر
 سوريا في واشنطن • ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة والقصيدة ٢٨ بيتا تحدث
 في ٢٠ بيتا عن حالته ، وما سببه له الاغتراب من الام • ، وفي التسعة أبيات الأخرى
 يخاطب الضيف الزائر ومن أتى معه من حمى الشام ، عن الواقع من الماضي الأليم ، وما
 أثبتته الأيام والوقائع أن " الحق لذي ظفروناب " كما ساق بعضا من أمانية التي يلحها
 في وجوههم ، والتي ستمخض عن عصر زاهر ، تنيره شمس الحرية مدعمة بالأمن والمهناء
 * ومن هنا لم تكن المناسبة مشوية أو مصدر هذا الشعر ، وإنما كانت عاملا على
 اظهار أحزانه الكامنة ، واذكاء نار الجذوات المشققة تحت الرماد
 فالمناسبة ان صح التعبير " ضفطة در يفيض بالضوء المخسزون أي انها
 مفتاح لوقاضه الشعري ،

كما جاءت القصيدة بلاء مؤخرته ، واجابات لمديد من التساءلات فكيف

=====

١ - تبر وتراب ٧٤ وما بعدها •

(٣٢٠)

أنت يا إيليا ؟ وما طعم حياتك في غربتك ؟ فيجيب قائلاً :

- جعت • والخبز رقيق في وطايسى * والسنا حولى وروحي في ضباب
وشربت الماء عذبا سائفا * ولكنى لم أذق غير سراب
حياة ليس لها مثل سوى * حيرة الزورق في طافى المباب
ولماذا الحيرة ؟ أباك داء ؟ * ليربى داء ولكنى امروء
لمرت الأعوام تتلو بعضهم * للورى ضحكى • ولى وحدى إكتابى
كلما استولدت نفسى أملا * مدت الدنيا له كذا غصبا
أفلتت منى حلوات السروى * عندما أفلتت من قفى شبابى

=====

ثم يتوجه إلى السائل عنه • مجيباً على ما قد يتبادر عنده من أسئلة قائلاً :-
أيها السائل من أنا * أنا كالشمس إلى الشرق انتصابى

=====

- لست أشكو إن شكا غيرى التوى * غربة الأجيال ليست باغتراب
أنا كالكرمة لو لم تغترب * ما حواها الناس خمرا في الخواب
أنا في نيويورك بالجسم * وبالروح في الشرق على تلك الهضاب
أنا في الفوطه زهر وندى * أنا في لبنان نجوى وتصابى

— وماذا تريد يا سيد إيليا أن يهبك الله ؟ فيقول :-

رب هبنى لبلادى عودة * وليكن للثبور فى الاخرى ثوابى

— ولم يبق لنا إلا أن نقول :-

وماذا للمناسبة ؟

لاشئ • إلا أنها فرصة ثمينة أتاحتها له القدر العظيم لينفس عن مكونات نفسه
ويوجه إليهم أمانه حمل الرسالة الوطنية عليهم يحملونها إلى هناك • إلى تلك

(٣٢١)

الجنان المريمة بالحب والجمال فيقول :-

أيها الآتون من ذاك الحمى * يادعاة الخير يارمز الشباب
كم هشنا وهشتم للمنى * ويكنتم وكننا فى مصاب
.....
وعرفتم وعرفنا مثلكم * أنما الحق لذى ظفرو شباب
كل أرض نام فيها أهلها * فهى أرض لاغتصاب وانتهاپ
إننى المص فى أوجهكم * دققة النور على تلك الروابى
وأرى أشباح أعوام مضت * فى كفاح ونضال ووشاب
وأرى أطياف عصر زاهر * طالع كالشمس من خلف الحجاب
ليتة يسر كى أبصره * قبل أن أغد وتراپا فى التراب

وهذا الأمل اللذيذ حققه الله له قبل أن يرحل إلى الحياة الباقية .

* * *

ما أجمل ذكريات الطفولة والصبا والشباب حين ترفرفه فى سماء خيال المرء • وهو
بين أحجار اليأس الثقيلة • فتأخذ الذكرى بيده من بحر يأسه إلى مكان الذكريات
الفسيح وإلى سماءها الضاحكة • ونسيمها الذى يداعب أشعة الشمس التى تتساق
فتحس بحبيب يناجى محبوبته •

— وما أحلى مواطن الطفولة حين يكحل بنورها الشافى • بعد طول افتراق ذاق خلاله

مودة الاغتراب • واكتوى بلوعة البعاد •

— فعودة الفريب إلى ظلال الطفولة ومدارج الصبا وكهف الجمال فيها ما ينفذ عنه

ما سكن فى قلبه من يأس وحزن • وفيها عودة إلى قدس ظاهر شاهد غرس ورود حبه

فى قلبه يوم أن كان ساكنها صبيا •

— فسبحان من يطلق شعاعا من قدرته إلى الخيال فيحيله حقيقه من أجمل الحقائق

التي يحبسها الإنسان • •

(٣٢٢)
 وعندئذ تتسابق أعضاء الجسد يؤمها الفكر والعقل ويفتح القلب أبوابه لاهجاً بالحسب
 والثناء قبل الشفاه التي يقتل صمتها اللسان • الذي يسرع ضارباً على أوتار الحب أرق
 وأعذب أنغام الوفاء احتفالاً بهذا اللقاء الذي طالما ظنه خيالاً)

— فما أحسن مناجاة الأوطان بلحن الوفاء ، وما أرق عنانك الاحبة بعد طول اغتراب ••
 وما أعظمه إذا ما استطلت مدة الفراق • وأعجبها لقاء غير منتظر ، حينئذ تفوق الفرحة
 فرحة العقيم الذي رزق بمولود في شيخوخة يأسه •

— وحينئذ تكون المناجاة صافية • كصلوات راهب خارجة من هيكل قدسه تحمل شهادة
 الصدق مشفوعة ببراءة البسومة الصافية مكسوة ببساطة الحياة الانسانية الصافية
 وحلاوة الطفولة الغضة ، فيضرب وقتها أنغام المحبة على أوتار الفرحة بعد الخربة
 القاتلة •

وما هي ذى قصيدة " وطن النجوم " (١) نرى فيها الحب والتناجي — يقول :-

وطن النجوم • أنا هـنا	حدق ، أتذكر من أنا
المحت في الماضي البعيد	فتى غريباً أرغنا
جدلان يروح في حقولك	كالنسيم مدننا
القننى السلوك ملعبه	وغير القننى
يتسلى الأشجار لاضجراً	يحبس ولا ونسى
ويعود بالأغصان يبريها	سيوفاً أو قننا
ويخوض في وحل الشتا	متهللاً متيننا
لا يتقى شر العيون	ولا يخاف الألسنا
ولكم تشيطان كى يقول	الناس عنه " تشيطاننا "

* * * *

ومن أنا ؟ أترانى غريباً عنك ؟ لا أنا بعض من تراك ومائك

=====
 (١) بيروتراپ ٧ ط ٦

(٣٢٣)

- أنا ذلك الولد الذى * دنياه كانت همها
أنا من مياهاك قطرة * فاضت جداول من سنا
أنا من ترابك ذرة * ماجت مواكب من منى
أنا من طيرك بلبل * غنى بمجدك فاعتنى
حمل الطلاقة والبشاشة * من ريوحك للدنى

— ولعله أغض عينيه وأبصر بمصباح بصيرته فأخذ يعلق فى سماء الماضى وغوايسه
الطفولة • ملمحاً بالاعتذار الذى فاض حباً بمشاعر الولاء والوفاء لهذا الوطن
الطيب الذى حمله طفلاً وابتسم له صبياً وعانقه شيخاً •

- كلم طانقت روى رساك * وصفقت فى التحنى ؟
للأرز يهز أبالرياح * وبالدهم والفننا
للبحر ينشره بنسوك * حضارة وتمدنتنا
للليل فيك مصليتنا * للصبح فيك مؤذنتنا
للشمس تبطل فى وداع * ذراك كيلا تحزننا
للبدرفى نيسان يكحسل * بالضياء الأعمىنا
فيذوب فى حدق المهسى * سحراً لطيفاً ليننا
للحقل يوتجل الروائسج * زنبقاً أو سوسننا
للمشب أثقله النسى * للخصن أثقله الجنى

الحنين يخير بحب ذى ألوان شتى ، إشراقاً ، وتراحماً وفرحاً ، وجمالاً •

كل جمال تشوّهه أيدى الفناء ، وتهزأ به الدهور إلا جمالك يا بلاغى الخالد يهزأ بالدهور
بالحناء وقد
صعقت أصاب فيك خير أرض • فوضع رحله عندك وتوطن
*

- عاش الجمال مشمسردا * فى الأرض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فالقى * رحله وتوطننا
واستعرض الفن الجبال * فكنت أنت الأحسننا

(٣٢٤)

لله سرّ فيك يــــا
خلق النجوم وخافان * لبنان لم يحلن لنــــا
فأعار أركب مجــــده * تفوى المقول وتفتــــا
وجلاله كى نوؤنــــا

— ولعل: " إيليا أبا ماضى " قد رجح بذاكراته أثناء إنشاد القصــــيده
أو انشائها . ما كان له على ترابها من ذكرياته الغالية ولعل كل ذلك
قد دار بخلده ، كما دار نجله ، هذا اليوم الفصل الذى قرر فيه أن يخادر
تراب تلك المنطقة التى قدسها قلبه فساورته الظنون . فراح يدفع عن نفسه
ما قد يظنه الوطن أو البعض أنه تركه للموطن جحود

زعموا سلوتك . . ليتهم * نسبوا إلى المكــــا
فالمرء قد ينسى المســــى * المقترى والمحسنــــا
والخمر والحسناء والتوسر * المزنج والمعنــــا
ومرارة الفقر المــــبــــل * بلى ، ولذات الفــــنى
لكه . مهمما ســــلا * هيها ت يسلا الوطنــــا

=====

وكما أن لكل إنسان سماء • فلكل قلب عيد • والعيد عند الوطنيين • هو ذلك
اليوم الذي يتلو فيه نسيم الحرية على مسامح الزمان نشيد أغمية حلوة عنوانها
استقلال لبنان والشام • وتحررها من كل لائل المهوم وهرائن الظلام والظلميان
ويومئذ • و • تنشر السعادة أشعتها • والبشر بروده على وجوه القوم • •
وحق لأبناءه أن يمتحوا لحاظهم بهجاءه • بمائة بروحه • عند ذلك • ينزل
على قومه وهم في خير حال • حينئذ يطيب الفناء وحسن الانشاد •
يقول في قصيدة " روعة العيد " (١)

يا شاعر الحسن هذي روعة العيد * فاستجد الرخي واهتف بالأناشيد
هذا النسيم الذي قد كت تنشده * لائله عنه بشي غير موجود
محاسن الصيف في سهل وفي جبل * ونشوة الصيف حتى في الجليل
ولست تبصر وجهها غير موثلق * ولست تسمع الأصوات غير مد
قم حدث الناس عن لبنان كيف نجا * من الطفاة المعتاة البيض والسود
وكيف هشت دمشق بعد محنتها * واسترجعت كل مسلوب ومفقود
(*) (*) (*)

فاليوم لا أجنبي يستبد بنا * ويستخف بنا استخفاف عريود
يا أرز صفق • وا أبناءه ابتهجوا * قد أصبح السرب في أمع من العيد
— وعندئذ يحدثنا عن مبلغ سمادته • قائلاً :

ما بلبل إن كان مسجوناً فأطلقه * سجاناه • بعد تعذيب وتكيد
فراج يطوى الفضاء الرحب منطلقاً * إلى الرسى والسواقي والأماليد
إلى المروج يطل في مسارحها * إلى الكروم يغني للعناقيد
منى بأسمد نفساً قد تزلت على * قومي الصناديد أبناء الصناديد

(٣٢٦)
 سماء لبنان بشرو في ملامحهم * وفجره في شجر الخرد القهبيسد
 ان تسكوا الطود صار الطود قبلنا * أو تهبطوا البيد لم نعشق سوى البيد

— ويوم يقارق البلاد • يقارق النسيم • وما أكر ما يفيض من قلبه من ثمار الوفنة
 والمرقان • وعندئذ تفيض لواعجه وتكر شجونه ولا تنتهي حسراته • ولم لا وهو
 ذاهباً لى غابة الآلام الخفية •

يقول : في قصيدة (وداع) (١) •

ذهب الربيع فضي الخماثل وحشة * مثل الكآبة من فراقك فينا
 لو دمت • لم تحزن عليه قلوبنا * ولكن أضعنا الود والنسرنا
 فلقد وجدنا في خللك زهره * المفتو والماء الذي يرونا
 ونسيه السارزى كأنفاس الرضى * وشعاعه يخشى المروج قنونا
 حُزرت المحاسن في الربيع وقتسه * إذ ليس عندك عوسج يدينا
 (*) (*) (*)

يا أشهراً مرت سراعاً كالمسنى * لو استطع جعلتكن سنيننا
 وأمرت أن يقف الزمان عن السرى * كيلا نمر بمساعة تبكيننا
 ونمد أيدينا فترجع لم تصب * وتمود فوق قلوبنا أيدينا
 خوفاً عليها أن تساقط حسرة * أو أن تفيض لواعجا وشجوننا
 قد كنت خلت الدهر حطم قوسه * حتى رأيت سهامه تصميننا
 فكأنما قد ساءت وأضـ * أنا تمتعنا بقرتك حيننا •

وأحسرتاه يحضرنى قول الشيخ " ناصيف اليازجى "

وكم يمضى الفراق بلا لقاء * ولكن لا لقاء بلا فراق

=====

(٣٢٧)

وأخيراً ظهر في هذا الديوان .

ندرة هذا اللون الشمري . والهدوء الواضح فيما جاء من قصائد في هذا اللون
..... ويبدو لي أن ذلك كان نتيجة لأسباب أهمها :

— إقامته الطويلة الدائمة في أمريكا جعلته يجد في تلك الأرض الرحبية وطناً

ثانياً . بم توفر فيها من الحرية . والعيش الدائم

— الصبا والشيب سخلاه كثيراً عن ذلك ، ومن ذلك قوله

يا ليت شمري أين عهد الصبَا * وأين أحلام الفتى الأمـرد

ولى وولت كخيال الكـمـرى * يلوح في الدهن ولم يوجد

و : يا سائلى عن أمر كيف انقضى * ده وسلى يا أخى عن غـمـد

أروخ للنفس وأهنا لهـمـا * أن تحسب الماضى لم يولد (١)

كما أدى ذبول البراعم القوية التي جاء فوجدها ملء الأسع والصحف . ورحيلهم

رحيلاً أبدياً أو مغادرة لأمريكا ، وقد صاحب ذلك تأثيرات مختلفة . في إنتاجه . . .

خسفره إلى لبنان والشام عام ١٩٤٩ هداً من روعه ، واطفاً من لهيب شوقه

وأروى من ظمأه . . . وخاصة بعد أن أثبتت الأيام ما كان يأمله ؟

وكما سبق انخفض المؤشر العددي لقصائد هذا اللون . نظراً لما توفر له أنشد وخاصة

في المرحلة الأخيرة . في نيويورك ، حيث توافرت له هناة العيش ودعته . ، وعاد

لا يوى فرقاً بينها وبين تلك . غير البـمـاد إلا أن مواطن الأكياد يصعب

تركها ، ولهذا بقى عرق فيه ينبض بهذا اللون الشمري .

=====

(٣٢٢ م)

الباب الثاني

الفصل السادس

=====

دوا وينب

((الأسكدرية 1911 المطبعة المصرية))

هذا الديوان باكورة إنتاجه الشعرى • وهو أول دواوينه الشعرية الخمسة •
وأول شجرة أتت بها شجرته الشعرية • وتبلغ عدد أبياته ١٣٨ بيتاً موزعاً على خمسة
وخمسين قصيدة شعرية وبلغت صفحاته أربعاً وثمانين صفحة •

وجاء شعر الديوان موزعاً على ستة أبواب •

=====

١ - باب الأدب والاجتماع • ص ٣

بداية بقصيدة الإنسان والدين " التي اشتملت على

أصداء علانية ، وجل ما في هذا الباب من نظم يتسم بالواقعية • الخالصة كما يتضح
ذلك في " شكوى فتاة "

وقد وجه " إيلياً أبو ماضي " كل ما أوفى " آنذاك " من طاقة تنظيمية وفكرية لعلاج

بعض الاجتماعيات المهمة في المجتمع •

٢ - باب القصص : ص ١٧

وجاء في هذا الباب من القصص الذي يصطبغ بصبغة

درامية متأثراً بالمنح التهامسي والفكري انشد • ومن ذلك " أنا هو " و " قتل نفسه "

و " مصرع حبين "

٣ - باب الوصف : ص ٣٠

وقد تناول في هذا الباب وصف الممارك والطبيعة ،

وبعض ما كان مستحدثاً من مخترعات ، وما بنفسه من وجد • • ويكاد التقليد يطل عليك

من بعض قصائد الباب وجاءت منظوماته في هذا الباب ركيك بعضها وسطحية •

ويشمل هذا الباب على قصائد حسنة وزنا وفكرا ومعانى
حسب المقاييس التقليدية ، وان ظن في بعضها الجدة فكرا ووزنا ومعانى (١) فقد
ظهرت باقى القصائد فى ثوب حسن ومعنى حسن .

٥ - فى المراثى ص ٥٣

وقد جاءت مراثى الشاعر محشودة بالمشاعر الوطنية
الصادقة ، فهورثاء محمل بأثقال من حرارة العاطفة الصادقة ، وكلا كل الأحزان ،
وليس انسياقا وراء مجاملة آداء واجب اجتماعى ، وجاءت كل قصائد الباب فى مستوى
الصدق السابق . (٢)

٦ - أغراض شتى ص ٦١

وهذا الباب اندرجت تحته قصائد (سياسة وطنية)
ويبدو أنه أوددها تحت هذا العنوان مخافة الوقوع تحت سيطر التعذيب التى كانت
تعاقب عقابا شديدا من يتعرض للسياسة . آنذاك .
ومن أجود ما فى ديوانه هذا . وأجود ما فى الباب . وأجود وطنياته السياسية
" فى سبيل الإصلاح " والدستور العثمانى " و " الذئاب الخاطفة " و " مصر والشام "
وقد جاء فى هذا الباب قصيدة إخوانية بعنوان " وقال " وضم قصائد هجاء منها
قصيدة بعنوان " وقال ينقد أحدهم " وأخرى بعنوان " الكبرياء خلة الشيطان " وهذه
الأخيرة فى مضمونها هجاء الصفات المذمومة فى شخص المهجو ، وتلك النزعة متأصلة
فى فنه ، وقد تالت إهتماما كبيرا من فكة ونظرة ،
- بينما وردت أشعاره فى " تذكارات الماضى " طبعة دار العودة دون تبويب ، ويبدو
أنه سقط فى هذه الطبعة بيتان . فى قصيدة " فى سبيل الإصلاح " ، كما وردت بعض

=====

١ - انظر قصيدة " طيبى الخاص "

٢ - انظر قصيدة الرزء الاليم ٥٣٠ - الخطب الفادح ٥٤ فقيد الوطنيه ٥٥

اليد والأمل .

(٣٣٥)
كلمات عدت من أخطاء الشاعر ، بينما هي أخطاء مطبعية لم يوجد أكثرها في الطبعة
الأصلية وها هي أبواب الديوان وما جمعت من قصائد ..

١- باب في الأدب والاجتماع وعدده ١٥ قصائد .

٢- باب القصص وعدده ٦ قصائد

٣- باب الوصف وعدده ٨ قصائد

٤- الغزل والنسيب وعدده ٨ قصائد ..

٥- المراثي .. وعددها ٥ قصائد

٦- أغراض شتى وعدده ١٨ قصيدة

وقد اسقط من قصيدة " في سبيل الإصلاح " في طبعة بيروت بيتا . هما في طبعة

١٩١١ م .

جاء في طبعة الاسكندرية ..

فتظاهروا بالزهد حتى أوشكت * تخفى دخالهم على اليقظان .

وتفننوا بالمكر حتى أصبحوا * وغيبهم أدهى من الشيطان .

بينما ورد في طبعة دار المودة في بيت واحد هو ..

فتظاهروا بالمكر حتى أصبحوا * وغيبهم أدهى من الشيطان .

ويبدو أن ذلك جاء بطريق الخطأ ..

- وفي قصيدة " وقال وقد أرسلها إلى صديق " والتي عنوانها في طبعة دار المودة سقط

هذا البيت ..

أشكو إليك ولا يــــلا * م إذا شكا العاني القيــــود

ومعها البيت التالي ..

دهر بليد ما ينيــــل * وداره إلا بليــــد

- وجانب الديوان الأول ط ١٩١١ ، وطبعة دار المودة ١٩٧٤ المذيلة بقراءات -

جديدة بقلم الشاعر " صلاح عبد الصبور " ..

كما توجد تحت يدي كتب أدبية تنقد هذا الديوان ، وتكاد تتفق جميعها على أن الشاعر كان ضعيف الثقافة ، ضعيف التحصيل ، ضعيف الإطلاع على مفردات اللغة ، ضعيف الإلمام بقواعدها وأدواتها " (١)

فهل يكفي ترديد القول نفسه ، وذلك لا يشقى غليل المدارس ؟
 بلَى هذا القول من الترديد حتى تعمقن ، وعيب كبير أن يترجم المرء على فتات غيره ، مادام هناك منفذ لما هو أصلح وأفضل
 وقبل الدخول إلى ميدان النقد يجدر بنا أن نستعرض لمحات من الديوان ، ولنبدأ بالمقدمة (ص ٢) يقول.....

إلى الأمة المصرية

أيتها الأمة السودودة

هذا ديوانى الذى نظمته تحت سماءك ، وبين مغانيك ، أرفعه إليك
 لأطلباً للمشوية ، ولا ابتغاءاً للشكر ، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحى من العطف عليك ،
 والتعلق بك

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضى الحق ويرضيك ، ويرضى هذا الفن الجميل
 ولقد يكون لى أن أهديه إلى أحد أئذانك من ذوى الفضل جزيئاً مع العادة ، ولكنى رأيت
 المجدوع خيراً وأبقى ..

بهذه العبارات النبيلة صدر "إيليا أبو ماضى" ديوانه الأول كلمات شريفة
 لأطلباً للمشوية ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحى
 لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضى الحق ويرضيك ، ويرضى هذا الفن
 الجميل العطف - التعلق ، الحق - الفن (٢)

=====

- (١) انظر "إيليا أبو ماضى" حياته وشعره بالاسكندرية (٧١ - ٨٠) عبد العليم القبانى .
 (٢) انظر "إيليا أبو ماضى" حياته وشعره بالاسكندرية (٧١ - ٨٠) عبد العليم القبانى .

(٣٣٢)

ويقول الأستاذ " عبد المليم القباني " فى معرض الحديث عن الشعراء فى الاسكندرية وقت وجود " ابي ماضى " بها . وموقفهم من الشؤام الذين لهم شأن آنسذ
" استغل شعراءهم ، كل ما يملكون من طاقة تنظيمية ، وحولوها الى شعر يفيض بالاستجداء
أحيانا ، وبالملق أحيانا أخرى ، وبالمجاملة المفرقة لهؤلاء الذين بأيديهم مقاليد
الأمور ، ولا يتاد يخلو ديوان لهؤلاء الشعراء من باقات مدح يختلف نقاذ غيرها باختلاف
قدرة الناظمين "

كما هو " من هؤلاء ما هو فاقع النفاق ، صارخ الملق ، صريح الاستجداء وهو الشاعر
عبد المسيح انطاكسى " ،
ومنهم من أخذ شعره فى المدح بنصيب كبير فى ديوانه " - كالشاعر " خليل مطران " فهو
شاعر رقيق مجامل ..

أما " إيليا أبو ماضى " فبدأه صريح ، ورأيه واضح فى الإهداء ، كما هو أوضح فى قصائده
فلم يمدح أحداً ، فليس فى الديوان قصيدة مدح واحدة ، وعندما تقرأ قصائد الرثاء تجدها
كلها لرجال الوطنية العظماء ..

لقد ابتعد " إيليا " - وهو بالاسكندرية - عن موكب النفاق ، وكان أشد احتياجا إلى
مساعدهم ، ولكنه أبى كل شئ ، يتمخض عن أردية النفاق فراح يصب سهام النقد إلى قوم
ويأخذ على بعضهم السوء فى السلوك والخلق والطباع (١)

فهو بذلك . طلق النفاق . وحارب ما اتبعه أمثاله من مدح وتقرب ، ولم يصطنع الزلفى
لديهم ، كما كان موقفه من رجال الدين ، وما فيه من سخريه وانعدام للولاء والاحترام ، فلم
يخطوا منه بشئ من الإهتمام . والاحترام ، بسبب ما هم عليه من كذب وفساد ونفاق ، بل
خطوا منه بكل استهزاء ولوم واحتقار (٢) .

أليس فى ذلك ما يبعد ديوانه عن دائرة التقرىظ ، بل ويلقى عليه كل عبارات النقد
والضعف يحق ويغيبه ،

=====

(١) انظر مثلاً قصيدته . عباد الذهب ١٦ ، وقال ٧٠ ، إلى الشباب المتفرنجين ١١

(٢) انظر قصيدة ضيف ثقيل ٢٤

(٣٣٣)

والأ^ث . فلنذهب إلى صفحة أخرى (١) يقول الأستاذ " أنطون الجميل " عن ديمسولن
" تذكّار الماضي " في مجلته " الزهور " ص ٢١٤ من السنة الثانية . الجزء الرابع
عدد يونيو " حزيران " سنة ١٩١١ م .

((تذكّار الماضي))

إذا قال أديب الشعر في أيامنا الحاضرة . نشره في الصحف والمجلات على زعم أن الناس
لا يظنون إلا لشعره ، ولا تستهويهم إلا بِنات أفكاره ، وقد يخالي بعضهم في تهوؤسه
إلى حدّ أنه يحسب أن شعره من ضروريات الحياة ، فالجرائد والمجلات في مصر وسوريا
لافتاً تحمل في كل عدد من أعدادها شيئاً - كثيراً من شعر النشأة الحديثة . والقراء
يتعرفون إلى شعراء هذه الفئة التي لم يكونوا يعرفونهم من قبل

كذلك لم نجد أديباً من هؤلاء ولوعاً بالشعر بقوله في أغراض كثيرة ، ويجيد في مواقف
عديدة ، وهو يكاد مجهولاً من إخوانه الأدياء ، مثل صاحب ديوان " تذكّار الماضي " . . .
إذا قرأت هذا الديوان لم تذكر أنك قرأت شيئاً منه في الصحف والمجلات ، ولا عرفت
صاحبه " إيليا أهندي ظاهر أبا ماضي " لولا أبيات نشرتها له جريدة " العلم " منذ عهد
غير بعيد ، فإذا جريت أن تتعرف إلى هذا الأديب بأدبه وشعره . عرفت أنه سمح القريحة
يحاول أن يأتي في أكثر أبياته بالمعاني الجديدة ، فينظمها في قالب يغلب فيه اندماج
اللفظ ، ومثانة التركيب . . . ذلك كله جيد ، ولكن الأجل جود أيضاً إنما هو تلك السهولة
التي يجدها الناظم على اختلاف الأوزان الشعرية والمواضيع المتنوعة "
- والديوان في جملة يشر صاحبه بمستقبل مجيد في عالم الألب ، ولا سيما إذا هو
اعتنى باختيار الفاظه الشعرية ، وتنقيتها . وتجنب التعابير التي هي أقرب إلى العامية
منها إلى الفصحى . أمّا الشاعرية في حدّ ذاتها فهو مطبوع عليها . (٢) . . .

=====

(١) مجلة الزهور . . . نقل عن كتاب الأستاذ القباني ١٢٣ - ١٢٤

(٢) " إيليا أبو ماضي " القباني ١٥٢

— وكان مما لمسته بعد طول معايشة لهذا الديوان أنه (٣٣٤)

(١) كثيراً ما أحسن استغلال الكلمة واستحضارها لوضعها في مكانها المناسب

من التعبير الشعري • في قصائد عديدة منها • قصيدة "الإنسان والدين"

و "لقاء وفراق" و "حنسة مشتاق" و "أيا نيل" ..

(٢) وصل — من خلال شعره — في ثقافته إلى درجة عالية في فهم الأحداث —

والتيارات السياسية ، وأظهرها في عبارات مشرقة ، ذات موسيقى تبدو ناعمة

الرنين رقيقة الملمس — حسنة النظم

كما حملت شعراً فيضاً يدل على عمق التجربة إلى درجة كبيرة من الإحاطة

بما يشغل المجتمع الذي يعيش فيه

انظر في ديوانه مثلاً قصيدة "في سبيل الإصلاح" و "الذئاب الخاطفة"

و "أيها القلم" ...

(٣) ظهرت عبارات الأسى الصادقة في ديوانه "هذا" تترقق في شعر باك حزين

ومعبر ، وليس إنسيافاً وراء مجاملة أداء واجب اجتماعي • لقد بلغت مراثية

شأواً من الإجابة والصدق في التعبير عن مشاعر النفس الوطنية • التي هي لسان

صدق على قلوب الجماهير الوطنية • وتتابع ذلك كلما وقع جليل من المصائب • كما

وضع نصب أعين الجماهير في عباراته حقائق مجسمة لأعمال أبطال الوطنية • —

ومناحيهم الإنسانية • ولا يأتي ذلك الانفعال إلا من حطفت الصدق وقيد

كل للنشأة أثره في ذلك ترى ذلك في قصيدة "السرور الالهي"

وقصيدة "نقيد الوطنية" و "كل من عليها فان" و "اليدرا الأقل"

(٤) كما بلغت معرفته وطهره علاجاً للأمور الاجتماعية حذاً لا يمكن — بأية حال كما

يدولى — أن نصفه بالسطحية • بل لا يتمخض ذلك إلا عن ثقافة لا توصف بالضعف

المطلق التي قيل عنه من خلال النقد لهذا الديوان • ومع استمرارية الأخذ

بأسبابها • ظهرت في ثوب حسن في آثاره الشعرية • وخاصة ما نشر له بعد

تذكار الماضي • ترى من ذلك قصيدة .. "من أجل مصر" التي عنونت بـ

"وقال" و "إلى الشباب المتفرنجين" وهديتي • وماذا عما نرى

(٣٣٥)

من الشعراء الناشئين • وخاصة من أتى منهم يعثل ما أتى الشاعر وكان على درجة
من التحليم بسيطة قليلة مثله •

— رحم الله ما ضى العصور وسالف الأيام ••• يوم أن كنا

نقرأ الشعر فنرى في بعضه مخالفة أخرجنا " عن

بعض القواعد العربية " اللغوية أو النحوية "

وتقروها صريحة أنها الضرورة الشعرية •••

— فسبحان الله • قانون الطبيعة وناموس الوجود يوصف بالضعف ، وأى يستطيع

الإنسان أن يحتر على بواكير شعرة في شكلها الأول فيجدها خالية من كل هفوة

أو بمعنى آخر • صافيا من الشوائب حتى ولو صفرت •••••

— إنه ينبغي أن نضع في الاعتبار الثقافة التي وصل إليها الشاعر وبلفه من التعليم

كما أنه من الإحسان وهمة الحساب • تعداد المحاسن والمساوي •• ولكن مسا

حدث كان على خلاف ذلك •• وكما يبدو لي أن كثيرون منهم وقف طويلا أمام تعبيراته

المهالطة •• ومروا سراعا أمام تعبيراته السامية • وقفوا نهارهم أمام أخطاء جاءت

في الديوان • سواء كانت لغوية أو تعبيرية •• الخ •••••

فلما دخل الظلام مسوا أمام غيرها سراعا •••••

وها نحن نخرج على قصائد الديوان الطبعة الأصلية • ومقارنتها بما ورد في طبعة

بيروت ١٩٧٤ وتعرض — حسبما يقتضيه المقام — ما استطعنا عرضه من هفوات ١٠ ن

لم تكن ضرورات •••••

في قصيدة "الرجل والمرأة" ص ٤٠

تقول المرأة للرجل عن بني جنسها ••••

كن لكم سببا في كل مكرمة * وكنتم في شقاء المرأة السببا

وفيها يقول •••••

زعمتم أنهم خاملات نهى * ولو أردن لصيون الثرى ذهبيا

وفيها يقول •••••

فقلت لو لم يكن ذا رأيا غادية * لهاج عند الرجال السخط والغضبا

والشدونز هنا كما ورد في كلمة السخط والغضبا " حيث نصب الفاعل وما عطف عليه •

ولعل كلمة " لهاج " كانت في الديوان " أهاج " وعليها لم يكن هناك شدونز •••

ونقول . . ان نصب الفاعل . أجازة بعض النخاة ، بل أجاز بعضهم رفع المفعول -
 ونصب الفاعل وقد جاء ذلك في كتاب ابن عقيل . كثير من الشواهد الشعرية لكثير
 من الشعراء ، مستدلين بها على الشذوذ مسوفين ذلك للضرورة الشعرية . .
 وقال الأخطل في رفع المفعول ونصب الفاعل -

مثل القنافة هدا جون قد بلغت * نجران أو بلغت سوانهم هجر

وجاء في ص ١٩ - ٥١

لو تعلم الحسناء أن قتلها * من لم ترأبد لسلوه جميلا

فلو مدّ الراء في كلمة (تير) لخرجت عن القاعدة النحوية ، وبالمدّ يستقيم الوزن
 ولو حركت الراء دون مدّ لا استقامت القاعدة النحوية وانكسر الوزن
 وكان من الممكن أن يقول " تجلا " بدل ترى . ويستقيم الوزن والنحو ، والمعنى لا -
 يعتريه أدنى تغيير . . .

- كما ورد في ص ٢٨ في قصيدة " هضوع حبيبي " -

فدنا يطارحها تحية عاشق * ويقول أهلا بالحبيب المذاتي

فهنا كلمة " اللذ " يريد بها الذي وفي كلتا الحالتين لا يستقيم الوزن ، ولو قال " فقد

- لقد - وقد " لاستقام الوزن وصحّ المحنى على ما أراد

- وجاء في صفحة ٨٦ طبعة بيروت في قصيدة (هجرة شولبو)

و المركبات الفارياج واختها * في هبوة لا يعرفان قرارا

وهمّ قائلا أن الكلمة المجرورة في الشطر الثاني " هبوة " جاءت كما هي في الطبعة

الأولى " الاسكندرية ١٩١١ " ويقول ولملها هوة ، بينما جاءت في الديوان المطبوع

بالاسكندرية " هوة " وحتى لو قال هبوة ما كان في الأمر شيء ، إذا عرفنا أن معنى

الهبوة هي النيبار . . .

- كما ورد في طبعة بيروت في قصيدة " طفلة والقمر " ص ١٩

شرفت أصلا وطابت عنصرا * وارتقت نفسا ورائت منظرا

بينما هي في طبعة الاسكندرية " ٣٦ " شرفت بالقاء ، وليست بالقاف

— وجاء في الديوان الأصلي الطبعة • في قصيدة " الحسن لا يشعري " ص ٥

سفرت فقلت لها أهذا كوكب * قالت أجل وأين منى الكوكب ؟

همشت طبعة بيروت على كلمة " أجل " يقولها ص ١٤٥

" أظهر حركة اللام ومدّها للضرورة الوزنية وهو عيب "

ويستقيم المعنى والموزن لو قالت " أخذت تجيب " بدل قالت أجمل ، ولكن لماذا

نقول هذا والكلمة أجل وليست أجل • ويؤكد ذلك ما جاء في تكملة البيت من استغراب

من التعبيرات الهابطه ص ٥٢
وكان خوفي من التناهي * خوف كيف من الترام •

ربما كان الخوف كما صورة عند الأعمى بسبب ما سمع عن الترام الذي كان حديث عهد

آنذاك ••

— كما جاء في طبعة بيروت •• في قصيدة " الرزء الأليم " ص ١٤٩

آها ولو نفعت آها أها شجن * لم يبتغ غيرها عند الأسى عضدا

في الشطر الأول وفي الطبعة الأولى جاءت الكلمة الرابعة " آه " وهذا هو الصواب • —

لوقوع الكلمة فاعل •••

وفي الشطر الثاني جاء في نفس الطبعة الأولى " لم يبتغ " وواحدة من اثنين إياها أن تمد

حركة الفين فيستقيم النحو ويفسد الوزن ، ولو جزمت وهذا حقها لانكسر الوزن • • —

ويستقيم الوزن والنحو لو قال • " لما ابتغى " — " لما ارتجى " ؟

وجاء في النسخة الأصلية ص ٥٤

أقسمت ما اهتز فوق الطرس لى قلم * إلا جعلت له (دمعى البتيت مدادا)

والوزن لا يستقيم ، ويستقيم لو قيل (من مدمعى مدادا) أو (من أدمعى مدادا)

وفي قصيدة " فقيد الوطنية " ص ٥٦

تفطرت الأكياد حزنا كأنما * معاتك سهم كل فى مهجـة

والمعنى يستقيم والوزن كذلك لو قال (فى كل) كما جاء فى طبعة ١٩٧٤ ولعل للسهمو

فى ذلك نصيب •••

يقول

وما كاد يرقا الدمع حتى جرى به * غد عندما ياليتنا لم نرغدا

فهنا قد حركه الراء في كلمة نر * ليستقيم الوزن ، والقاعدة النحوية لانستقيم

لان حق الكلمة الجزم ، ويستقيم المعنى والوزن والقاعدة لوقال . (لم نر الفدا) .

وجاء في طبعة ١٩٧٤ ص ١٦٦ في قصيدة " البدر الآفل "

وما غفت الوداع (قلى) ولكن * ن أردت ولم يود دهر ضنين

وهش عليها بأن معناها (كراهية) ولكن في الطبعة الأصلية الكلمة . قلى وهذا

الصواب معنى ووزننا .

— وما جاء في طبعة بيروت ٧٤ في قصيدة " تحية الدستور العثماني " ص ١٨٥

وما ذاك عن حبّ فما فيك شيمة * تحبّ ولسنا من غواة المآثم

بينما جاء في الأصل شيمة بدل شيمة وهذا هو الصواب وأغلب ظنى أن ذلك خطأ فى

الطباعة فى طبعة بيروت .

ومما جاء فى نفس القصيدة ونفس الطبعة .

فبوركتنا من ساعد و (مندد) * برغم خئون مارق متشائم

وهش على الكلمة (مندد) أنها فى الأصل (مند) بينما فى الأصل ص ٦٧ (مهند)

ولا حاجة للتعليق والتهميش .

وجاء فى البيت تالا السابق .

ولا برح (الأحرار) يشدو بذكرهم * بنوا الشرق فخرا فى القرى والمواصم

وهش على الكلمة المقوسه أنها فى الأصل " الأحرار " بينما الكلمة ص ٦٧ من ٢ .

الأحرار ولا شئ فيها .

وجاء فى طبعة بيروت فى قصيدة " الذئاب الخاطفة " ص ١٩٤

ما بالهم نقضوا الصهود جهارا * وتعمدوا الإيذاء والأضرارا

(٣٤٠)

وهمش على البيت أن العهود كانت في الأصل (العهد) وهذا كلام ضاف لما في المطبعة
الأصلية فالكلمة ص ٦٨ - العهود -

كما جاء في طبعة بيروت ص ١٩٦ في نفس القصيدة ..

جيش ليهز الراسيات اذا انتحى * المهيجا ، وهز الصارم البشارا
همش قائلا . كان في الأهل كلمة هَوَّ مكان الرقم (٣) وبها ينكسر البيت . بينما الطبعة
الأصلية خلت تماما من الكلمة المذكورة ..

وأغلب الباحثين قد نظروا في الطبعة البيروتية ونوا عليها ما قالوا . فزادوا إلى ما قيل
أقوالهم ..

ويذكر الأستاذ " عبد العليم القباني " أنه في البيت ص ١٠٤ من كتابه " إيليا أبو ماضي " حياته
وشعره بالإستدرية ..

العجب داء لا ينال دواءه * حتى ينال الخلد في الدنيا

فقد مدَّ المقصود وذلك عيب * بينما ذلك جائز عند الكوفيين ..

وقد استدل الكوفيون . بقول الشاعر ..

يا لك من عمرو من شَيْشَاء * ينشب في السعل واللهاة (١)

ومن تعبواته الهابطة ..

زعموا أن الفوانس لعب * إنما اللعبة طبعا للصبى

وليس ذلك - دفاط - عما هو كامن في الديوان من ضعف في بعض النواحي ، ولكن الشير

هو أن كل من نقد الديوان اكتفى بما سبق ساعة . دون نظر إلى الحقيقة ..

فجاء الحق كما زعم البعض - مغموطا ..

- وإذا كان الأدهب مرآة للعصر - كما قالوا - فما جاء في الديوان ما هو إلا صورة حقيقية

لما ظهر وقتئذ ..

- فقد جاءت إقامته بمصر في وقت زخرت مصر بتيارات التحرر والإصلاح والنهوض القومي - كما

تبع ذلك بعث أمجاد الماضي العربي ، وإحياء التراث الثقافي . والاحتكاك بين الشرق

(١) شرح ابن عقيل ، معنى الدين عبد الحميد ح ١ ص ٤٤٤

(٣٤١)

والخرب على يد طلاب العلم والمعرفة والبعثات ، وما صاحب ذلك من أحداث أيقظت
العقول وشحذت الهمم كالانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، والدستور .. وسبق ذلك جهاد
الزعيم مصطفى كامل - ومحمد فريد - والشيخ عبد العزيز جاويش ..
- والديوان جله ثمرة واضحة للتقليد ، وهذه طبيعة جُلّ المبتدئين الذين لم
تستقل شخصيتهم الأدبية . بعد .. فلعل منهم فارس أحلام ..
- وقصائد هذا الديوان . فيها الطويلة " أنا هو " وفيها القصيرة " وقال معاتباً " -
" عباد الذهب " ومنها الكثير المعطاء إلى حدّ معقول ..
كما أن فيه أخطاء لغوية ونحوية ووزنية ، وفيه الكثير من القصائد التي حسنت معنى وفكر
وثقافة وجاءت فيها جزالة ، هذا مع ما فيها من بصر واضح بالحياة والتمرس بها ، والضرب
في أعماقها بشوط بعيد ،

- هذا وقد جمعت في بعضها من دمعات الوفاء المعبّرة ، ووقفات وطنية لامعة ..
شمنتها كل معاني الإخلاص ، ويبقى شيئاً غامضاً إذا عرفنا أنه ختم ديوانه هذا بهذا
التبويه - لا يزال لدينا طائفة من القصائد التي كنا أعددناها لهذا الجزء ، ومعدنا
بها الجزء الثاني ، وأنه لقريب ..

وقد وردت في " تذكّار الراضى " حكم تنم عن تجربة حياتية لا يستهان بأمرها .. في ثوب
جمع بين العذوبة والبساطة ..

وكان منها الاجتماعية .. قوله (٥) ١٩١١ م

وكلّ فتى يرضى بوجه منمّق * من الناعمات البيض فهو منمّق

وقوله (٨)

وان سرى الجهل في شمع فضعضه * فالعلم خير دواء يصلح الخلا

- وحكم تجريبية انسانية كقوله (٢٤)

قل للألى يشكون دهرهم * لا بدّ من حلو ومن مسر

صبراً إذا جلل أصابكهم * فالعسر آخره إلى اليسر

وقوله (٦١)

من يتبع العميان جبا في الهدى * لا يأمن تعثر العميان
ومن حكمه الوطنية الحماسية (٧٥)

للموت أجمل من عيش على مريض * إن الحياة بلا حرية عدم
ومن حكمه الخلقية للإنسانية (٨٣)

تعرض امرئ لا يستفيد من الرجال ولا يفيد

وكذلك (٧٤)

فاخفض جناحك للأنام تفرّبهم * إن التواضع شيمة الحكماء

وتلمح القارئ لأول وهلة يوضوح الواقعية الصارخة * في كثير من قصائد الديوان

ومنها " شكوى فتاه (٩) و (عباد الذهب) "١٦" و (شكوى فتاة) "٩" و "قال"

(١٦) و "الرجل والمرأة" (١٥) . . .

ومن النزعات التي ألمحها في الديوان النزعة العلائية في قصيدة "الانسان واليهين"

والتي يقول فيها . . .

إني عرفت للإنسان ما كانا * فلست أحمد بعد اليوم إنسانا

.....

أحل قتل نفوس السائحات له * والطير ، والقتل قتل حثما كانا

إذا ارتدى المرء ما في الأرض من هود * وعاف للدين برداً عاد عرياننا

هو الحياة التي ما غادرت جسدا * إلا اغتدى البيت أحيائه وجدانا

.....

ليس المبثّر من ثقلى دراهمه * إن البذر من للدين ما صاننا

ليس الكفيف الذي أمسى بلا بصير * إني أرى من ذوى الأبصار عياننا

وتسمع منه قوله (٨٣)

لذا أرسلت قافية شروراً * فقد أيقظت في الناس الشوكا

(٣٤٣)

فيذكرك بقول أبي الطيب المتنبى

أنا مملء جفوني عن شواردها * ويسهر القوم جوارها ويختصم

وتطل عليك روائح القديم في قوله (٦٠)

جواك الله عنا كل خير * وجاء ضريحك الفيث المهنون ...

وتقرأ له:

يارب خلل كان دوني نهي * عجبت من نحسى ومن سمعته

فيذكرك بقول الشاعر ...

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة * وصير العالم التحرير زنديقا

ومن أقول له التي تذكرك بالقديم ...

ويا أيها الدستور أهلاً ومرحباً * على الطائر اليمون يا خير قادم

ومن تشبهاته التي ترى فيها الماضي (٤٣)

وتيسمت فرأيت رثماً ضاحكاً * عن لؤلؤه لكنه لا يوحق

— شار مسألة مدّ الأجل لامتياز قناة السويس (١) فأثار الوطني العظيم * محمد فريد

ضجة كبرى في جريدة اللواء ، وانطلقت بذلك حناجر الأدباء ، وكان على رأسهم الشاعر

" حافظ ابراهيم " ومن شعره في ذلك قوله يستقبل عام ١٩١٠ بأمانة المنتظر ...

لى فيك حين بد أسفاك وأشرق

أمل .. سألت الله أن يتحقق (٢)

وقد قام أبو ماضى بمعارضة القصيدة معارضة كاملة .. يقول في قصيدة عام ١٩١٠ (٧٨) ..

عام نسيت سعوده بنحوسه * قد حجب الليل الهلال المشرق

لم أنس طاغية الملوك وقد هوى * عن عرشه وأسيوه لما ارتقى

=====

(١) انظر "إيليا أبو ماضى" (٩٩) عبد العليم القبانى ، وللتعرف على ما كان يوتسم

خطاهم . موضوعا ووزنا انظر ص ٢٦ ، ٢٧ من هذا الكتاب . وكذا ١٠٢

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ح ٢ ط الوزارة ١٩٣٧

وما ينبغي أن نقد عند أقوال السابقين أو غيرهم إذا كان الأمر يقتضى ذلك . . بل من الخطأ الوقوف عند آرائهم دون بحث عن الحقيقة . .

فإن كانت في أقوالهم شكريا لهم فضل يحشمهم وسبقهم وعلمهم وودعونا لهم بالأجر والثواب وإن كان غير ذلك فللمخطئ أجر . إن استقامت صفحة نفسه عند نقده . .
وبذلك يكون الضمير في حمى الراحمة . .

وبالنسبة لهذا الديوان من شعر " ايليا أبو ماضي " يهيا لي أنه ينبغي أن نضع في الاعتبار قبل الكلمة والأخيرة التي تود أن نثبتها في هذا البحث ما يلي
أولا : سلاحه الوحيد والضعيف في هذا الميدان : آثف . ويتلخص في ذلك القدر الذي تلقاه . في لبنان . في ميدان الدراسة الابتدائية التي تعلم فيها القراءة والكتابة . .

ثانياً : ما ضمه إلى ما تقدم من اطلاعات على الشعر القديم من جاهلي وعباسي مضافا إلى ذلك اطلاعاته على ما كان يظهر آنذاك من صحف ومجلات وعكوفه على دراسة النحو والمروض والقافية وما كان عند من حب للشعر والتعلق به عن رغبة ملحة استطاعت . فيما بعد . خلق موهبة نماها بالاطلاع والتشوق . فماذا عسانا أن تنتظر من ذلك أكثر من هذا القدر . وهو في هذه المرحلة وإن كان هناك ضعف في بعض القصائد فهناك الحسن المقبول الجزل . الذي جمع جودة وعمقا . وإن لم يصل الشاعر فيه إلى ما وصل إليه شعره فيما بعد أي بعد بلوغه حد النضج .

وأي شاعر لم يقع في أخطاء في طفولته شعره ؟ " غفوا بل أي شاعر يخرج شعره في صورته الأولى (التي رأى الوجود بها) دون تعديل وتنقيح وترتيب وحذف وتبديل . . الخ . .

ومع كل هذا لا نقوا نقداً . وإن تفاوتت النسبة في النقد عامة فقد تفاوتت

الديوان الثاني

ديوان "إيليا أبو ماضي"

~~~~~

هذا الديوان هو أكبر ديوانين أبي ماضي الخمسة أبياتا . فقد جمع ٢٨٤١ بيتا ،  
ولسوء الحظ تمذر على المشرع عليه ، وسأعنى في ذلك كتاب أحد الباحثين (١)  
الذي جمع معظم قصائد هذا الديوان والتي بلغت في ديوانه (٢) ثمان وسبعون  
واحده غير أبيات الهداء . . .  
ونستعمل بعض الرموز . والملاحظات . لتسهيل الأمر . في الترتيب الديوانى  
١- الرقم الأول رقم القصيدة في الديوان ، ثم فعنوان القصيدة . فالصفحة فى  
الديوان وبين القوسين المصدر التى ذكرت فيه . بالتاريخ فرقم الصفحة التى بها  
القصيدة إن كان مختلفا فى المصدر عنه فى الديوان ، وبعد القوسين عدد أبيات  
القصيدة فإن اختلف العدد فهما ذكر العدد فى الديوان ثم فى المصدر ،  
٢- ملاحظة الاختصارات التالية . . .

- ب : بيت فى القصيدة  
ز : "الزهور" القاهرة  
س : السائح "نيويورك"  
سم : السائح الممتاز نيويورك  
ص : صفحة  
ف : الفنون نيويورك  
م : مرآة الغرب نيويورك  
مع : المجلة العربية نيويورك  
مق : المقتطف "القاهرة"  
ى : إيليا أبو ماضي شاعر العربية الأكبر "زهيو ميوزا" ط ٢  
١٩٦٣ ، ٨٧٩ ص

(٣٤٧)

الرقم الاخير يشير الى الترتيب الزمني للقصيدة حسب ظهورها

١- اهداء الديوان ، ص ٢ (٩١٩/٦) وهو تاريخ صدور الديوان ، ١٣ ب وليست

في ي

٢- الشاعر ، ص ٦ (لم تلخ) ٥٠ ب ، ص ٤٣٤ - ٢

٣- فلسفة الحياة ، ص ١٠ (لم تلخ) ٤٠ ب ، ص ٦٢٤ - ٢

٤- أم القرى أو ملفرد الجميله ، ص ١٣ (م ١٩١٧/٨/٢٨) ص ٠٤ ملفرد بنسلفانيا أو

أم القرى ، ص ٥٧ ب ، ص ٤٠٤ -

٥- أنا وأخت الصهاة والقمر ، ص ١٧ (لم تلخ) ٤٧ ب ، ص ٣٥٣ - ٢

---

٦- الشاعر والامة ، ص ٢٠ (ف ١٩١٦/٩) ص ٣٢٩) ٥٩ ب ، ص ٤٤٧ -

٧- واني ، ص ٢٣ (س ١٩١٦/١٠/٢) ص ٤) ٢ ب ، ليساني ي -

٨- اما أنا ، ص ٢٤ (س ١٩١٦/٩/١٨) ص ٤) ١٤ ب ، ص ٤٧٧ -

٩- وداع وشكوى ، ص ٢٥ (ز ١٩١٢/٦) ص ١٩٩) ٣٢/٥٢ ب ، ص ٥٣٠ -

---

١٠- عصر الرشيد ، ص ٢٨ (م ١٩١٤/٦/١٠) ص ٤ ، بغداد أمس واليوم) ٧٥ ب

ي ٨٤٣ -

١١- لم أجد احدا ، ص ٣٣ (م ١٩١٧/١٢/٢٤) ص ١) ٥٠ ب ، ص ٣٠٧ -

١٢- ؟ ، ص ٣٦ (ف ١٩١٧/١) ص ٧٠٧) ٨ ب ، ص ٢٣٨ -

١٣- بنت سوريا ، ص ٣٧ (س ١٩١٨/٩/٥) ص ٥ فتاة سوريا) ٤٥/٤٦ ب

ي ٥٨٢

---

١٤- الفقيه ، ص ٤٠ (لم تلخ) ٥١ ب ، ص ١٠٧ - ٢

١٥- بين الكاس والكاس ، ص ٤٣ ((لم تلخ)) ١١ ب ، ص ٦٣٣ - ٢

(٣٤٨)

- ١٦ - في السفينة ٤٤ ( يوجج صيف ١٩١١ ) ١٦ ب ٦١٠٥  
١٧ - ياصاح ٤٥ ( ف ١٩١٧ / ٨ ) ٥٠ ) ٢٢ ب ١٩٠ -

- 
- ١٨ - بلاه أم نعه ٤٦ ( يوجج ربيع ١٩١٨ ) ٢٠ ب ٤٨٣ -  
١٩ - الخلود ٤٨ ( ف ١٩١٦ / ٧ ) ١٥٦ ، الخلود والفناء ، بتوقيع عطاره )  
٢٩ ب ٨٦٥ -  
٢٠ - عيناك ٥٠ ( لم تلغخ ) ١٢ ب ٤٣٢ - ٤

- 
- ٢١ - ١٩١٣ ، ص ٥١ ( ١٩١٣ / ١ ) من القصيده ) ٥٨ ب ١٧٨ -  
٢٢ - بلادى ٥٥ ( م ١٩١٣ / ٥ / ٢٨ ) ٤ ص ٥١ / ٥٠ ب ٦٨٣ -  
٢٣ - البلبيل السجين ٥٨ ( م ١٩١٣ / ٩ / ١٧ ) ٤٤ : ياليل ) ٥٧ ب ٥  
٦٥١ -  
٢٤ - أنت ٦٢ ( م ١٩١٣ / ٧ / ٥ ) ٥٢ ب ١٠٣ -

- 
- ٢٥ - معركة بوظار ٦٥ ( ١٩١٢ / ١٠ / ٣١ ) ٤ ص ٢٠ ب ٧١٦ -  
٢٦ - خيوش ٦٩ ( س ١٩١٦ / ١٠ / ٥ ) ٤ ص ٩ ب ٨٦٤ -  
٢٧ - حكاية حال ٧٠ ( ن ١٩٢٨ / ١ / ٢٦ ) ٤ ص ٢٠ ب ٨٠٦ -  
٢٨ - شكوى ٧١ ( لم تلغخ ) ٩ ب ٣٢٣ -

- =====  
٢٩ - بائعة الورد ٧٢ ( لم تلغخ ) ٨٢ ب ٤٦٣ -  
٣٠ - ١٩١٤ ، ص ٧٧ ( م ١٩١٤ / ١ / ١٤ ) ١ طوى العام ) ٣٧ ب ٣٢٧ -  
٣١ - بنت الدوالي ٨٠ ( مع ١٩١٦ / ١٠ / ٣٠ ، مالعيش الاساعة الغرور ) ١٠ ب ٤  
٤٩٣ ي

(٣٤٩)

- ٣٢ - الطيران ٥ ص ٨١ ( م ١٩١٤/١/٢٣ ص ١ ) ٤٣ ب ٥ ي ١١٧ -  
٣٣ - الماشق المخدوع ٥ ص ٨٤ ( س ١٩١٦/٩/٢١ ص ١ ) المخدوع ٥ ص ٨٣ ب  
ي ٤١٥ -  
٣٤ - اهلها عروب ٥ ص ٨٩ ( مع ١٩١٦/١٠/٩ وهو تاريخ " الهدى " التي -  
نشرت ٥ ص ٧ ٥ محتويات عدد مع ١٢٥ ب ٥ ي ١٣٩
- 

- ٣٥ - صاحب القلم ٥ ص ٩٠ ( ز ١٩١٣/٧/١٠ ص ٢٥٦ ولكن صوا ) ٣١/٤١ ب ٥  
ي ٦٦٥ -  
٣٦ - بلا عنوان ٥ ص ٩٢ ( لم تلخ ) ٤ ب ٥ ي ٧٨٣ - ؟  
٣٧ - نزوة ألم ٥ ص ٩٣ ( م ١٩١٦/١٢/٦ ص ٤ ) خواطر شاعر ( ٣٩/٣٨ ب ٥  
ليست في ي -
- 

- ٣٨ - الكاسان ٥ ص ٩٥ ( س ١٩١٦/١٠/٣٠ ص ٤ ٥ القدحان ) ٢٤/٢١ ب ٥  
٥٩٧ -

- ٣٩ - بلا عنوان ٥ ص ٩٦ ( لم تلخ ) ٣ ب ٥ ي ٦٣٨ - ؟  
٤٠ - لأرفسن للسما احتجاجي ٥ ص ٩٧ ( لم تلخ ) ٢٤ ب ٥ ي ٢٣٣ - ؟
- 

- ٤١ - أنتم معي ٥ ص ٩٨ ( لم يرخا ) ٢ ب ٥ ي ٢٨٧ - ؟  
٤٢ - الحرب العظمى ٥ ص ٩٩ ( م ١٩١٤/١١/١٦ ص ١ صرخة قانظ ) ٦٨/  
٦٩ ب ٥ ي ٧٣٤ -

- ٤٣ - دموع وتنهدات ٥ ص ١٠٣ ( م ١٩١٥/١/٢٨ ص ١ ٥ عنوان وطنية شاعر )  
٦٠ ب ٥ ي ٨٣٦ -

- ٤٤ - أخت البلجيكي ٥ ص ١٠٧ ( م ١٩١٥/٢/١٣ ص ١ ٥ سوريا ) ٤٠ ب ٥  
ي ٥٤٩ -

- ٤٥ - بين الضحك واللعب ٥ ص ١٠٩ ( س ١٩١٦/٩/٢٥ ص ٥٤ ) ٥ ب ٥ ي ١٦٦

٤٦ - أمة تنفى وأنتم تلمبون ، ص ١١٠ (م ١٩١٦/٧/٣١ ص ٤) ٧٢ ب ٥ ي

- ٦٩٤

٤٧ - فى الليل ، ص ١١٥ (م ١٩١٦/١٠/٩ ص ٦) متى يذكر الوطنى النوم

٤٥ ب ٥ ي ٢٧٩ -

٤٨ - سقوط أرضروم ، ص ١١٨ (م ١٩١٦/٣/١٦ ص ٤) الى الفاتح الفازى ،

بتوقيع "عطار" ٧٢ ب ٥ ي ٥٥٣ -

٤٩ - بلاغون ، ص ١٢٢ (س ١٩١٥/١١/١ ص ٤) بتوقيع "أحمد" ٥/٤

ب ٥ ي ٤٨٦ -

٥٠ - ١٩١٦ ، ص ١٢٣ (م ١٩١٥/١٢/٣١ ص ١) العام الجديد ، ص ٤٨ ب ٥

ي ٥٨٣ -

٥١ - ما للكواكب ؟ ، ص ١٢٦ (س ١٩١٦/١/٦ ص ٣) ٣٩ ب ٥ ي

- ٢٦٩

٥٢ - بلاغون ، ص ١٢٨ (س ١٩١٥/١١/١ ص ٤) ما كان احوجنى ، ص ٤ ب ٥

ي ٤٨٥ -

٥٣ - البخضا ، ص ١٢٩ (م ١٩١٥/٢/١٩ ص ١) ٤١ ب ٥ ي ٧٢١ -

٥٤ - حكاية قديمة ، ص ١٣٢ (س ١٩١٦/١/٦ ص ١٢) ٤٠ ب ٥ ي ٢٤٧ -

٥٥ - لمن الديار ؟ ، ص ١٣٥ (م ١٩١٥/٩/٢٧ ص ٤) ٨٥ ب ٥ ي ٥٧٦ -

٥٦ - يا بلادى ، ص ١٤٠ (نرجع بعد ١٩١٦/٨ كما توحى القصيدة به) ٦٩ ب ٥

ي ٧٣٠ -

٥٧ - الفردوس الضائع أوربا القيصر الألمانى ، ص ٤٤ (م ١٩١٦/١/٢٥ ص ٤) ٤٦

ب ٥ ي ٧٣٠ -

٥٨ - مسرح العشاق ، ص ١٤٧ (م ١٩١٣/١٠/٣ ص ٤) آها عليك ، ص ٩٨ ب ٥ ي ٣٩٥ -

٥٩ - حكاية حال ، ص ١٥٢ (م ١٩١٦/١٢/٢٢ ص ٤) ٤٣ ب ٥ ي ٥٦٠ -

٦٠ - يا جارتى ، ص ١٥٦ (س ١٩١٨/١/١٧ ص ٢) أنه نائح ، ص ٣٨ ب ٥ ي ٧٠٧ -

(٣٥١)

٦١- هملت ص ٥٨ ( م ١٠/٣/١٩١٦ ص ٤ شبيبة الشرق ) ٢٤ ب ٥٧٤

٦٢- العيون السود ص ١٦٠ ( م ١٨/١/١٩١٥ ص ٤ هس نظرة ) ٣٧ ب ٣١٥

٦٣- هاتها ص ١٦٢ ( لم تفرخ ) ١٠ ب ٥٧٤٢ - ٩

٦٤- الى صديق ص ١٦٣ ( لم تفرخ ) ٤٠ ب ٥٧٨٠ - ٩

=====

٦٥- باخرة الاغاثة ص ١٦٥ ( م ١٦/١٢/١٩٢٦ ص ٣ ، الباخرة ) ١٢ ب ٥٤٥

٦٦- مصرع القمر ص ١٦٦ ( م ٢٤/٤/١٩١٦ ص ٤ دمه حارة ) ٤٨ ب ٥٢٩٥

٦٧- في فراش المرض ص ١٦٩ ( م ٨/١٠/١٩١٤ ص ٤ ، لوتيلدت ساعة ) ٤٤/

٤٣ ب ٥٣٠٤

٦٨- رثاء المطران روفائيل هواويني ص ١٧٢ ( م ٢/٣/١٩١٥ ص ٣ ، الشاعر الوطني

يرش فقيد الامة ) ٣٠/٣١ ب ٥٥٢٤ -

٦٩- فتح اورشليم ص ١٧٤ ( م ١١/١٢/١٩١٧ ص ٣ ، الى الفاتح ) ٣٠ ب ٥٧

-٦١٥

٧٠- الى الفاتح ص ١٧٦ ( م ١١/١/١٩١٩ ص ٣ ، السيف ) ١٣ ب ٥٢٤٣ -

٧١- في القطار ص ١٧٤ ( م ١٢/٥/١٩١٧ ص ٥ ، بسلا غسوان ) ٢٤/٢٧

ب ٥٣٨٨

---

٧٢- السيد المجتبي ص ١٧٨ ( م ١٦/٥/١٩١٧ ص ٤ ، القصيده العصماء )

٢٠/٢١ ب ٥١٧٦ -

٧٣- مرآة الغرب في سنتها التاسعة عشرة ص ١٨٠ ( م ١٢/٩/١٩١٧ ص ١ )

٣٣ ب ٥٣٦٠ -

٧٤- مزج في جد ( معربة ) ص ١٨٢ ( م ١٩/١/١٦١٨ ص ٤ ) ٢٠ ب ٥٢٢٤

---

٧٥- نشيد التباري ( معربة ) ص ١٨٣ ( م ٦/١/١٩١٦ ص ٤ ) ٢١ ب ليست

في ٥ -



( ٢٥٢ )

٧٦ - ذكوى ص ١٨٤ ( س ١٩١٧ / ٦ / ٢١ ص ٤ ، ولقد ذكرك ) ٢ ب ٤ ي ٩٩ -

٧٧ - جرجس زيدان ص ١٨٥ ( م ١٩١٤ / ٨ / ٤ ص ٤ ، ٤٥ ب ٤ ي ٨١٠ -

٧٨ - أيها الراعى ص ١٨٨ ( س ١٩١٥ / ٨ / ٢٦ ص ٤ ، ٣١ ب ٤ ي ٢٩٩ -

٧٩ - ابنه الفجر ص ١٩٠ ( س ١٩١٧ / ١٠ / ١١ ص ٤ ، إنا مت ) ٤٧ ب

ي ٧٧٧٠

ونظرا للصومية - إن لم تكن الاستحالة - فى الحصول على ديوان ( إيليا أبو ماضى )  
الذى طبع فى نيويورك يونيو ١٩١٩ بمطبعة مرآة الغرب . أر تأيت أن أضع هذا الترتيم  
الذى يسهل على المطالعين والباحثين الحصول على قصائد الديوان من كتاب " إيليا  
أبو ماضى " شاعر العربية الأكبر ( ١ ) ممزوجة بشىء من المعرفة عن ترتيب القصائد فى  
الديوان مع ترتيبها الزمنى إن كانت مؤرخة ( ٢ ) .

=====

( ١ ) المرحوم " زهيو ميوزا " .

( ٢ ) اعتمدنا فى هذا على كتاب " إيليا أبو ماضى " د / جورج ديمترى سليم .

(٣٥٣)  
- ومع أن الشاعر لم يبوب قصائد هذا الديوان إلا أنها شملت أفراساً مختلفة  
فمنها

### ١- الوصف .....

ومن قصائده في ذلك " مسرح المشاق " (٣٩٥) ، وفيها حده في روحها  
وحيوية لم توجد في ديوانه السابق ..... ويقتضبها بقوله ..  
من سحر طرفك من مجيبي \* يا ضرة الرشيا الفريز  
و " أم القرى " (٤٠٤) وتنطوي على حنين إلى حياة البساطة ، والبعد عن حياة  
المدينة التي حوت بين خلايا نسيجها كل تعقيد و " الشاعر " (٤٣٤) وفيها  
حوار مؤداه استفسار عن الشاعر الحقيقي .  
و " معركة بوفارس " (٧١٦) وهي في وصف المعمارك وما دار فيها ..

### ٢- الشعر القصصي :

ومن شعره القصصي " بائعة الورود " (٤٦٣) ، وفيها يحكى قصة فتاة رحلت  
من إحدى القرى الفرنسية ، بعد أن اختطف القدر ثروة أنسها ، ومصدر  
بهبوتها ، وعند حياتها فرحلت إلى باريس ، ثم ولع بها فتى هناك كما اشتد  
ولعها به فمنحته منها كل حُبِّ وجمال بل وكان شىء حتى .

وكان ما كان مما لست أذكره \* تكفى الإشارة أهل الفطنة الخبرا

\*\*\*\*

هامت به وهى لا تدرى لشقوتها \* بأنها قد أحبت أرقماً ذكراً  
رأته خشفاً فأدنته فراءً بها \* شاةً فأنشَبَ فيها نابه نمرًا  
ما زال يؤمن فيها غيو مكسوث \* بالمازليين فلما آمنت كفراً  
جنى عليها الذى تخشى وقاطعها \* كأنما قد جنت ما ليس مفتقراً

ولما طالبت بانثالها من من بحر دماها ، وهوة ضياعها بالتمتر عليها والنزاج  
 بها . تنكر لها ، واظهر لها كاذب وعده ، وعده لاي . وجد اليأس إلى قلبها  
 كل منفذ ، وعده أن حلف اليأس أن لا يفارقه قلبها قررت أن تفارقه الحياة وقبيل  
 أن تنفذ ذلك صوت مديتها الظائمة إلى دماء أمثاله نحو صدره لتسكن قلبه ،  
 وما فعلت ذلك الأشقاء لفلتها . وقيل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تجهز على  
 نفسها . ولكن كيف وصلت إليه . ؟ يحدثنا " ايليا أبو ماضي " فيقول :-  
 وأقبلت نحوه تغلى مواجها \* كأنها بركان نار وانفجرت  
 في صدرها النار ، نار الحقد مضمرة \* لكما مقلتاها تذف الشرورا  
 وأبصر النصل تخفية أناملها \* فراح يركض نحو الباب مندعورا  
 لكنها عاجلته غير وانيسة \* بطعنة فجرت في صدره نهورا  
 فخر في الأرض جسما لحراركم \* لكن " فرجين " ماتت قبلما احتضوا  
 جنت من الرعب والأحزان فانتحرت \* ما حيت الموت لكن خافت الرضا

ومن ذلك "حكاية حال" \* ٨٠٦ \* التي يصف فيها الشاعر حفلة تنكريسة تبادل الاعجاب فيها بين رجل وفتاة ، فتسللا الى مكان بعيد ليتكاشفا بما طبع

على القلوب .

حتى إذا أمنا السرى \* وشكا الهوى وشكت هواها  
طارت بفرقها ونور \* قمه على عجل يداها  
كيما تقبل ثغره \* وقبل المشوق فاهها  
فراى العتم بنته \* رأت مليحتا أباهها

ويقف الشاعر ملحا على تأكيد واقعيتهما وحدثها بعنوانتها بـ "حكاية حال" .  
ومن العجب "إن صح ذلك" أن لا يعرف كل منهما الآخر من صوته إن لم  
يكن الشكل اهدى الى ذلك .

ومن قصصه الشعرى "الماشق المخدوع" \* ٤١٥ \*

وتحكى قصة فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها جمعت من جمال الخلقة ما "يهفو إليه  
الشاعر المصرى" ، وقد شاهدها من أحبها مع حبيبها الآخر "هنوى"  
وقد طوقه خاضرتها بيدها وراحا يتبختران . مما أشاع الحسد فى أعماق فطوى  
الحشاه على جمر ، وراح حائرا يقول :-

وخشيت أن الوجد يسلب منى \* حلمى ، وينقلبنى على أمرى  
فرجعت أدراجى أغلبب \* باليام آونة والصبر

ومر عام واغضيه عام آخر والسر قائم فى صدره ، والتذكر نار تتأجج بين جنبيه ،  
ولما سئم داره فخرج عنها ليسرى عن نفسه ما اعتراها من هموم فراى مسيرة من فتيان  
الحمى . ولما تبهم فإذاهم يقفون عند بيت لا يعرفه ، وحين يسأل عن هذا الجمع  
الحاشد يفاجأ أن البيت بيت الفتاة التى عشق جمالها ، وأن هذا الجمع يحتفل  
بخطبتها .

قد كان هذا يوم خطيبتها <sup>(٣٥٧)</sup> \* يا أرض ميدي ( يا سما حري  
 رأيت ساعدها بساعده \* فوددت لو لميبت في قبر  
 وشمرت أن الأرض واجفة \* تحتي ، وأنه النار في صدري  
 وخشيت أن الوجد تسليبي \* حلمي ويغليني على أموري  
 فرجعت أدراجي أغالبي \* بالياس آونة وبالضرب

- وعلى الفور يعتكف في الكيسة وقت أن قالوا له أنها خير وسيلة للمهرب  
 من تلك الهيموم ، فلجأ إليها يطالع ما شاء له أن يطالع وطمى بخته من أموره  
 تكون القارة ، حيث يدوي صوت الرئيس يمن فيها فيهبوا فإذا بمن أحبها تصطحب  
 خطيبها في حلل بيضاء كالقجر الطروب جاء ليكلل .

القس زواجهما فماذا فعل ؟ \* يحدثنا قائلاً :-  
 أغضت أجناني على مضض \* وطويت أحشائي على الجمر  
 وخشيت أن الوجد يسليبي \* حلمي ويغليني على أموري  
 فرجعت أدراجي \* \* \*  
 وخرجت لا ألوي على أحد \* ورضيت بعد الزهد بالكفر  
 - وحينئذ راح - عثا - يستشفى بما لم يفسد \* . . . . . وحين يسأم المقام في  
 داره فيخرج منها عسى أن تتساقط أوراق همه حين تضربها نسائم رطبة ، ويغتمه  
 يراها تبكي ، فيسألها . ويتنظر بالجواب بفارغ الصبر فتجيبه - وفي الجواب  
 الشفاء والحل من الأسر - قضى هنري .

فيصيح حبه العميق بالجدّة ويصار حبابه ، ثم يضرب يده تحت خصرها كما فعل  
 " هنري " ويسرع بها إلى نفس الكيسة ويباركها من برك الفتى " هنري "

من قبل . . . . . وينعم بقرينها . . . . .

- وكأنه أمن بقربها صلح الهيموم وقرع الحوادث . ، وما هو إلا شهر ، ويعلو  
 الشيب رأسه . ويمتطيه الهم فيكره الحياة ويعود إلى هنري يفكر فيه وفي قضائه  
 فمحتذره عليه ، بل ويحسده على قبره ، الذي سكته بعد أن ذهب ضحية الجمال .  
 الصارخ . . . . .

## الرياء

ومن ذلك قصيدة "مصراع القمر" (٢٩٥) التي رثى بها أخاؤه ديمتري (مستري) وهي موشحة طريفة جعل منها ثوبا حملته آهاته وتأوهاتة ، وآلامه وشكواه الزمان . ويحتر فيه ما منى به من أحزان قذف بها الزمان نفي جمبته وحقيبه " آماله وقد افتتحها بقوله :-

لوعة في الضلوع مثل جهنم ■ تركت هذه الضلوع رسادا

ومع طرافتها في المعاني ، وتحمله للموشح ما لم يحمله له غيره من قبل ففيها عمق وشمسول أيضا .

— ومن قصائده في الرثاء التقليدي البناء الكلاسيكي الموسيقى والذي اعتراه بعض من التطور في المعاني . والنزوع إلى الحكمة أحيانا قصيدته في رثاء المطهران "رفائيل هواويني" (٥٦٤) والاشادة بمنجزاته والتي مطلعها ...

أودي فنور الفرقدين ضئيل ■ وعلى المنابر رهبة وذهول

وقد حملها من المبالغات المقوتة التي تفرقت في ثناياها ومن ذلك مثلا .....  
مالي أرى الدنيا كأنى لا أرى ■ أحداً كأن العالمين فضول

— ومن هذا اللون الشعري قصيدة بعنوان "جرجى زيدان" (٨١٠) والتي نسج في موسيقاها حيث بدأها بخمسة أبيات من مجزوء الرمل ثم سار في بحر الطويل وختمها بعشرة أبيات من جنس ما بدأها به .....  
يقول في بدايتها ..

شكل الشوق فتاه ■ ليتنى كنتُ فداة

ليتنى كنتُ أصمًّا ■ عندما التاعى نمة

قد نعى الناعون "زيداننا" إلى البدر سناة

وإلى التاريخ والعلم أبياه وأخياه!

( ٣٥٨ )

سرى نعيه فالدمع في كل محجر \* كأن قلوب الناس خلف الحاجر  
وللطير في الجنات ارنان ثاكل \* وللماء أنات الغريب المسافر  
وللنجم ، وهو النجم ، مشية ظالغ \* وللأرض ، وهى الأرض ، وقفة حائر  
ومن مبالغاته الموجه التي تسفر عن رغبة نظميه لهم توازيها العاطفة والاحساس

قولــــه .....

فأسيت لأعرى أستر من الدجى \* على الشمس أم ضيمت أسود ناظرى

كما ختمها بقولــــه .....

قد مضى من تــــمــــنى \* كــــل عــــين أن تــــراة

فتمنى كــــل قــــبر \* جين أودى لــــو حواء

ما ت " زيدان " أبو التارىخ فليحى قــــاه

— وبين الحنين إلى الوطن ، والدعوة إلى الإصلاح الوطنى والحماسه . جاء فىــــه

باخرة الإغاثه ( ٤٤٥ ) وهى موشحه جيدة حملها الشوق الحار إلى وطنه الأم .

— وقصيدة " وداع وشكوى " ( ٥٣٠ ) وهى أول قصيدة مهجريه قالها فى سنساعى

و " يا جارتى " ( ٧٠٧ ) ، وموشحه " فى الليل " ( ٢٧٩ ) ، ودموع وتنهيدات

( ٨٣٦ ) و " أنت " ( ١٠٣ ) " ١ " .

— وفى الديوان قصائد جمعت بين أغراض شتى كبناء الشباب ، والشكوى من تنكسر

الإخوان ، وخضوع عن نصره الحق فى قصيدة " لم أجد أحدا " ( ٣٠٧ ) مثال

لذلك ..

وقد بدأ القصيدة بالحوار البسيط العذب ، وأرده على لسان إحدى المتسائلات التى

راحت تسائلها عميق الحكم يتهدى فوق تساؤلاتها ، هذا بعد أن تدخل منها العقل

والفكر العميق ليسجدا فى سماء الحياة مرتادين لأهم جنباتها وبين موجات البساطة وطيبات

العذوبة الصافية يجيبها عن أسئلتهم همهمه ..... فكيف تلذ له الدنيا وقد ذهب الصبا

=====

( ١ ) انظر هذه القصائد فى الفصل الرابع من هذا الباب " أثر الغربة فى شعره " .

ودهنته الخطوب وتنكر له الصحاب حتى انفضوا من حوله • فلا رفيق أنس ولا صديق  
يواسيه إذا ما صدمته الحياة • يقول في القصيدة

ذهب الصبا وضي الهوى مَمَّسَةً \* أصبأ به والشيبُ قد وفَّداً ؟  
فاليوم إن أبصرت غائباً \* أغضى كأنَّ بقلتي رمداً  
وإذا تدار الكأس أصرَّفها \* عني ه وكت ألوم من زهداً  
وإذا سمعت هتاف شاديقة \* أمسكت عنها السمع والكبيداً  
كفنت أحلامي وقلت لهي \* نامي فإن الحُبُّ قد رقداً  
وقح الخطوب على أخرسني \* وكذا العواصفُ تسكتُ الفرداً  
عمرٌ صديقٌ كان يحلُّ فلي \* إن نحتُ ناعٍ وإن شدتُ شداً

لكنني لما مَدَدْتُ يدي وأدرتُ طرفي لم أجداً أحداً  
فقد علمته الأيام حتى حلب أشطرها ، بعد أن خبر باطنها وظاهرها • فمرف منها  
كثيراً .....

كما نصي على قومه التراخي والتخاذل والتكاسل والذل يستدل أ ستاره عليهم ، بل  
وقفوا في وجهي حين وقف يطالب بحقوقهم ، ولكنه مديده فلم يجد أحداً •  
وقد قسم القصيدة إلى وحدات شعريه ختم كل واحده بالزمة هي -

لكنني لما مَدَدْتُ يدي \* وأدرتُ طرفي لم أجداً ..  
( \* ) ( \* ) ( \* )

كما ظهر إلى جانب ما تقدم قصائد فلسفية واجتماعية • قصيدتي " فلسفة الحياة "  
وقصيدة " الفقيرو "

— ومع التقدم الواضح والصحة الكبيرة في الفن الشعري عند " أبي ماضي " ، ومع



ما ظهر في هذا الديوان "ديوان ألياً أبو ماضي" من تنقيح كطرحه لبعض

الأثواب التي البسها لشعره في ديوانه الأول وما كان فيه من تقليد وتمشتر .

فالديوان لم يتجرد كلية من ذلك . بل ظهرت فيه آثار التقليد والروح القديمة

— فمن المعاني القديمة التي سطا عليها بيد أنها لم تعد مفيدة بل مضيية قد

تغيرت البيئة . قوله في قصيدة "صاحب القلم" ( ١٦٥ ) داعياً بالمُقِيمَا

لمصر على عادة القدماء . وشتان ما بين الحالتين .

جاد الكنانة عني وأبلُ غُـدق \* وان يك النيل يخنيها عن الدبسم

ومن شعره التي تشتم فيه رائحة البداوة وتحسن فيه قيط الغيا في وتعيد فيه صورة

الماضي البغيض ودون ما كفاء أو شفاء يقول في "نزوة ألم"

ذريتي أضطرب في الأرض إنسى \* رأيت السيف يصدأ في القسراب

— ومن تشبيها التي وردت في الديوان . وسار فيها على نهج السابقين الذين كان

لهم دون المخذرة . فقد كانوا يجمعون بين الشيعيين في التشبيه لجامع لوني أو حسي

..... الخ .

من ذلك قوله في قصيدة "الحرب المظلمى"

والأرض حمراء الأديم كأنهم أ خد الحبيبة أو خطاب بننان

وقوله في قصيدة "العاشق المخدوع" يشبه أسنان المدراء بالدرر لمجرد صفاء

اللون .

بسامة في شعرها د ر ر \* يهفوا إليها الشاعر المصري

( \* ) ( \* ) ( \* )

ولن نعدم في الديوان أثر الشعر الجاهلي والأموي والعباسي والحديث

ففي قصيدة التي عنون لها بـ "لمن الديار" ( ٥٧٦ ) تقرأ مطلعها . الذي يقول :-

لمن الديار تنوح فيها الشمال \* ما مات أهلها ولم يتحللوا

ماذا عراها ، مادها سكتانها \* يا ليت عمري كجلا لم قتلها ؟  
 ماتتها فتوشلت في خاطري \* دما لغير الفكر لا تشعل

فإن ذلك تقرا لشاعر يحيى بمحافظة الأقدمين • ويحيى تمجيراتهم وألفاظهم •  
 كما يظهر كذلك في قوله في نفس القصيدة •

تمشى الصبا منها برس دارس \* لا ركر فيه كأنما هي هوجـل  
 أصبحت أندب أهدها وظباها \* ولظالما ابصرتني أتفـزل  
 وقوله :-

إن أبكى سوريا فقبلي كم يكسى \* "أعشى" منازل قومه "و" "الأخطل"

— كما تقرا له يمارض لامية الأعيى لذلك الشاعر الجاهلي الذي يفتتحها بقوله •

ودع هيرة إن الركب مرتحل \* وهل تطيق وراعما أيها الرجل  
 فيقول "أبو ماضي" في سقوط أرضهم معارضها

أعد حديثك عندي أيها الرجل \* وقل كما قالت الإنبياء والرسل  
 وماذا عسى أن ينتظر من شاعر لم يتلق من التعليم ما يجعله مستقل الرأي والمصل

منذ البداية \* فقد كان يقلد مطالع القصائد العربية ذوات الالفاظ الجزلة والمعاني

الفخمة • وليس من السهل ترك ذلك مرة واحدة ••

كما مر تقليد على طريق الشعر الأموي فتراه يقلد ذلك الشاعر الأموي الفاتك

مالك بن الربيع " التميمي التي يفتتحها بقوله :

ألا ليت شعري هل أبيت لي ليلة \* بجانب الفضي أزجى القلاص النواجيا

وفي قصيدة أبي ماضي " دموع وتنهدات " ( ٨٣٦ ) التي يشكو فيها أبو ماضي

من آلام الخربة وحزن الفراق وما حولهما من هموم • يقلد يائبة مالك بن الربيع

التي شملت على كثير من المعاني (١) فيقول :

=====

١ - انظر القصيدة في الفصل السابق " أثر الخربة في شعرة "

ألا ليت قلباً بين جنبي داميّاً \* (٣٦٢) أصابُ سلواً أو أصابُ الأمانيسا

ولا تصدم في الديوان تقليد الشعر عباسي . .

— كما عارض "أبا الطيب المتيني" في قصيدته التي مطلعها .

طيف ألم برأس غير محتشم \* السيف أحسن فعلاً منه باللميم

فيحارضا "أبو ماضي" وزنا وقافية قائلاً في قصيدته "صاحب القلم"

أشقى البرية نفساً صاحب المهم \* وأنهر الخلق حظاً صاحب القلم

— كما عرج على دواوين بعض الشعراء المصريين ممن عاصروه أو سبقوه فقد قال "البارودي"

في وصف حرب كريت "مفتحا القصيدة"

لعب الكرى بمعاقد الاجفان \* وهفا السرى بأعنة الفرسان

فقلدها وزنا وقافية وموضوعاً في قصيدتين متشابهتين أحدهما في معركة "بوغارس"

بين البلقان والترك "والتي مطلعها"

هدى الوغى شبهة النيران \* مشدودة الأسباب والأقصران

والثانية . في قصيدة "الحرب العظمى" والتي مطلعها :-

لو استطيع كتبت بالنيران \* فلقد عييت بكم وعى بيانى

— وتناثرت في الديوان معان إسلامية . توحى بالاعتباس الواضح ففي قصيدة

"العاشق المخدوع" يقول :-

لا تكروها شيئاً يصينكم \* فلرب خيو جاء من شمر

ضمنة قول الله تبارك وتعالى . "وعسى أن تكروها شيئاً وهو خير لكم . . . . ."

وفي قصيدة (( ١٩١٦ )) يقول :-

ان الأنام على اختلاف لغاتهم \* وصفاتهم لو تذكرون قبيل

فيها معنى قول الله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً

وقبائل لتعارفوا"



\* وما تقدم يمكننا القول أن الديوان جمع قصائد بانفتهاً وسيمون قصيدة  
 متنوعة الأغراض ، توحى بالانطلاقة المتحررة من رتقة القيود ، وعدم الوقوف عند حُجُبِ  
 التقليد ، كما توحى بتسم الشاعر للحياة الجديدة فلم يعد حجير الأغراض التقليدية  
 بل راح يسطر عزيمة للحياة الجديدة ، يحتضنها عقله بارتياح ، ويوجبها فكره  
 معبراً عنها متخذاً من الحس والمأطفة صوراً لذلك وألواناً .

\* \* \* \*

كما جمعت الأوزان بين التقليد الموروث ، والجديد المبتعث (١) وهكذا شمس  
 التجديد القصيدة الشعرية في قلبها وقالها فهو يمثل تقدماً ملحوظاً في الفن  
 الشعري عند إيليا ، وبه يكون الشاعر قد سار شوطاً كبيراً نحو التقدم والكمال وهذا  
 التقدم يكمن في جانبين .

أولهما :-

\*\*\* الأرتقاء الملحوظ في الشعر الاتباعي فكراً وعمقاً ، ووصلاً للخطرات الفكرية  
 وتوالدها والسير في ذلك اشواطاً كبيرة كما ارتقت الصياغة والموسيقى إلى حد  
 ملحوظ مع قلّة قليلة في الأخطاء اللغوية . هذا إلى طول النفس أحياناً ، بالإضافة  
 إلى توزيع الجهد الشعري على القصيدة بانتظام .

ثانيهما :-

\*\*\* التعبير الشعري عن الحياة الجديدة بأثواب مألوفة .  
 وخطامات مناسبة . كما عبر " إيليا أبو طامس " عن اشماعات الحياة الجديدة  
 إيجاباً وسلباً . مما لم يكن شئاً منه في ديوانه السابق .  
 ففي الديوان من الجديد ، وفيه من التقليد ما يوحى بنزعة المحافظة على القديم  
 التي انبثقت من كثرة اطلاعاته على التراث الشعري القديم .

=====

(١) كما سيأتي في البناء الفني للقصيدة .

( ٣٦٥ )

• وياجاز شديد

ازدادت تجارب " إيليا أبو ماضي " الشعرية عمقا وشمولا إلى حد كبير جدا

• إذا ما قيس ووزن ذلك بما جاء في ديوانه الأول

كما ظهرت قوة الفكر وبدأت بذور الشخصية الفكرية الأدبية الشعرية في التكوين

• الجيد

فالديوان بما فيه انعتاق من قيد القديم كما كان خطوة ضرورية وهلمة إلى الارتقاء

•••• نحو الأفضل

\*\*\*\*\*

## الجداول

هذا الديوان يخدم فروة إنتاج أبي ماضي الشعري فكراً وحساً و عاطفة وتدبيراً ..  
ولا ريب في هذا .

فقد أتيح له أن يتنفس المناخ الفكري الجديد في ظلال عميد الرابطة ومستشارها وأعضائها . هؤلاء الذين تعهدوا مناخهم الفكري بالمناية والرعاية حتى ظهرت ثمار ذلك في شعر الكثير ومنهم شعر أبي ماضي في ديوان الجداول ، وهذا الديوان الذي شرب لثمة الشاعر من غدير الرابطة ، الذي اشتق عدويته من أسس الهدم . هدم القديم والثورة على الجمود والتحرر من أصفاد التقليد . ولذا ظهر اللقاح الجديد بوضوح ونضوج في هذا الديوان " الجداول " الذي بلغ الشاعر فيه قمة مجده الشعري . حيث حفل بقصائد مألوفة بالحس القوي والفكر العميق ، والعقل الراقى والجمال ، في أثواب رقراقة تحكس صفاً جداوله المنسابه ولذا اعتبره كثير من أعضاء الرابطة ثروة كبرى لها وكسباً عظيماً للشعر العربي عامة .

— جاء الديوان خالياً من التعقيد ، لا تكاد تجد فيه شيئاً من التقليد بعبء أن امتلاً بمياه عذبة فياضة أمهاً كل تحطش راغب في المتعة الأدبية .  
ولذلك لم يكن غريباً أن قدم له مستشار الرابطة ( ميخائيل نعيمة ) قائلاً :-  
" انى آنس اليوم قرابة روحية بينى وبين صاحب " الجداول " ما كنت أشعر بمثلها بينى وبين ناظم الجرد الأول والثانى من " ديوان إيليا أبو ماضي " ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد في السنوات الثمانى الأخيره ، أم ترانى تغيت ؟ ، فهين هذه الجداول ما تنساب معه روحى مترقرقة ، مترنمة ، مطمئنة ، جذلة ، بنور فى

عينها ، وجمال عن جانبها ، فاسمع بحريرة لا أرماد عليها ولا قيود ، ومدى لا  
 آفاق له ولا حدود ، هكذا أقرأ قصيدة " الطين " فاسمع لها أصداء كثيرة فى  
 نفسى ومنها " تعالى " و " ربح الشمال " و " فى القفر " و " المساء " و " العميان " و  
 و " الزمان " وسواها ، أقرأها غير ناظر إلى قافية مقلقة ، أو كلمة شاردة بل إلى  
 مجمل ما يتجلى لى فيها من الرسوم . . . . وما تحدثه فى نفسى من الرغشة وتبهمه  
 فى وجدانى من الشعر والخيالات . . . . . ( ١ )

والديوان الذى بين يديّ الطبعة الثانية " بيروت شباط ١٩٦٠ " وقد ضمّ سبعمائة  
 وأربعين قصيدة ومقطوعة ، منها ، قصيدتان ذكرتا ضمن قصائد ديوانه الثانى ، وهما  
 قصيدتا . . " متى يذكر الوطن النوم " و " ابنة الفجر " وبقى بعد ذلك تسع قصائد هى  
 الخلاف بين ما ذكره أحد الباحثين ( ٢ ) وبين ما  
 فى الديوان . . وهى :

- |     |                      |
|-----|----------------------|
| ١٧٨ | ١- الدمة الخرساء .   |
| ١٨٥ | ٢- لم يبق ما يسليك . |
| ١٨٩ | ٣- كم تشتكى .        |
| ١٩٧ | ٤- عروس الجمال .     |
| ٢٠٤ | ٥- الفراخ والبابل .  |
| ٢٠٦ | ٦- يا شذاهن .        |
| ٢٠٩ | ٧- من أدب الزنوج .   |
| ٢١١ | ٨- غامية .           |
| ٢١٣ | ٩- الفقير .          |

=====

( ١ ) ثلاثة رواه من المهجر ١٢٥ نادر سراج

( ٢ ) إيليا أبو ماضي ، جورج ديمترى سليم ١٧٢ .



وتبقى بعد ذلك ستة وثلاثون قصيدة ، ومع هذا فقد جاءت طبعة بيروت الثانية عشرة عام ١٩٧٨ بها هذه القصائد التسع وقد جاءت قصائد هذا الديوان بعيدة عن الأغراض التي عانتها الجماعة والبيئة والمناخ ، اللهم إلا قصيدة رثاء واحدة والمتأمل فيها كذلك يجد فروقا جوهريّة كبيرة بين هذا الرثاء والرثاء بمفهومه التقليدي . . . . .

ضمّ الديوان قصائد مختلفة الأغراض ، وقبل أن نتمرّض إلى ذلك موجزين ، يجدر أن نذكر أنه افتتح هذا الديوان بقصيدة عنوانها " الفاتحة " وفعلا فتح بها صفحة جديدة في ميدان فنّه ، أبان فيها عن مفهومه الجديد للشعر ، والهدف من قرضه وأوضح فنيات الشعر شكلا وضمونا . . .

وفي مجال الشعر التأملّي :  
 الذي يبحث دقائق الحياة ومشكلات النفس والكون نجد " المنقلا " وفيها يبحث عن نمالقة المنشوده " السعادة " في كل مكان في الوجود ويعد لأي واعيا ، وضياح شمس العمر في تجربة البحث عنها يعلم أنه لا وجود لها خارج النفس ، ولذلك عبثا البحث عنها خارجها " التمثال " تأملات يكشف فيها عن الخطأ والجهل القادح في طريقه تغيير الأمور وتقييمها وتحظيمها ، فما في طريقة الناس الذين يتخذون — مثلا — التمثال إلا تعظيم للضعف في النفوس وقتل للقيم . . .

" نار القسوى " يحاول الشاعر فيها أن يفرّ من الأرض إلى عالم السماء ، عربا من آلامه التي زادهها لوعه وأسى عجزه عن حل الغاز الوجود وفهم أسواره وعندما طار قليلا لم يلبث أن هبط إلى الأرض وظل فيها قروبا بقفريته وقلقه وحسوته .

" لا أنا ولا أنت " وهي قصيدة حوارية تدور حول محققات السعادة في الحياة وما يعترى البشرية من خلافات ومناقضات حول وجودها .

" الطلاسّم " وفيها تصوير لحيرته المدلهمه أمام الكون والغازه المظلمة وتكشف عن شعوره بالقصور السافر عن التغلغل في حقائق الاشياء وكشف صفاتها وعلاقتها بخيرها ، ومصدر وجودها وما يتعلق بذلك .

ومن الشعر الاجتماعي :-

سواء كان نقدا للأوضاع السائدة • أو أدلاء بآراء اجتماعية يرى فيها صلاحا للفرد والجماعة  
أو اشفاقا ببعض الطوائف التي تستحق ذلك ، أو هجاء لبعض الطوائف • من هذا •

" الضفادع والنجوم " وهي تنقد هؤلاء الثرثارين الجاهلين قدر انفسهم المتطاولين على

أقدار الأطلين

" الصير المتكبر " هجاء مر لمن يحاولون الظهور في أفتحة الخير ، في غير صورههم •••

— مادام يصحب كل حتى صوته هيهات يخفى الصير جلد حصان ••

" الحجر الصغير " وفيها بيان للدور الانساني في المجتمع ، ودعوة إلى التمسك بالجماعة

فراء الاعتصام بها والتساند معها تظهر القيمة الحقيقية للفرد

وازدهار حياته كقيمة الحجر الصغير في وجود السد ، وازدهار وجود

الثينة بحطائها الظل والثمار ••

" الطين " مع الفارق الواضح ، خطاب للنفي المتكبر الذي لا يفهم حقيقة

نفسه ، واطهار عجزه عن ادارة الكون أو تفييره أو الاتيان بما لم

يأت به النقيير ، والتحقيق من شأنه وسر جبروته التكبرى ••

" التين الحماة " ضمنها معنى قوله تعالى " ومن يبخل فإننا يبخل عن نفسه

" التيم " على وجه الانانية ، لاغنائها ، فكل ما فيها بلا ، فهي

حب للأخذ وقت للمطا •• ، ويدعو إلى العطاء من أجل أن يجذل

المطا ، ولكي يكون ذلك ركيذة للقضاء على البؤس والشقاء •••••

" الإله الثرثار " هجاء الانسان ، ذلك الجاهل العاجز المفرور ، الذي لا يمسك

مع ذلك الثرثرة ولا الإدعاء ••

" الغراب والبلبل " معايير التقييم الانسانية تكمن في الأرواح وما الأجسام الأهيا •••••

" الصبيان " سخريه ممن يسخرون بالشاعر وعالمه ، انهم جاهلون مخطئون لأنه نسي

منزله لا ييلفها الساخرون ، فالشعراء تتجلى فيهم أسرار النبوه ، وهم

نور يضيء للبشرية حيا فيها •••

"الفقير" يدعو إلى العطف على الفقير ورعايته دون انتظار جزاء من غير الله .  
 ومن الشعر الذي يبذر روح الثورة والتمرد على الظلم والظالمين  
 "لم يبق ما يسليك" هجوم مشوب بالسخرية من الخاضعين للاستعمار ، تجار السياسة  
 ومصدر التقاتي ، بائس الأوطان ، يتعقبه بدعوة حارة لقومه إلى  
 الجهاد والتحرير ولم الشمل ، وكفاهم حسرات ما هم فيه من تفرق في  
 البلاد وبلادهم متروكة للناس .  
 "في عيد النهس" فيها حنين إلى ظلال الوادي وتضيق العود لخصر الشباب فهو  
 النسي ويتساب إلى الحديث عن مصر ولبنان .

ومن شعر الحب والكـون :

"الدمعة الخرساء" وموداها ان صديقته تولتها الكآبه عندما سمعت عويل الباقيات  
 فجلست تفكر في المصير المولم كما يتصوره أهل الحب . . .  
 ولكنه اخترع لها بحثاً آخر تكون هي جميلة معطارة وهو عليه بلبل يصرح  
 وأخذ يحدّثها بالاماني ويقتل هواجسها دعماً نثر في نفسه  
 هواجس الخوف والتفكير الذي يجمله بصطدم بصخرة يأسه فيصبح  
 الحب ناراً .  
 "تعالى" دعوة حارة إلى الحب قبل أن تعصى الأعاصير على الاحلام فلافخر  
 ولا خسر ولا كأسرو كما يظهر فيها الاحساس بالانهزام أمام هذه

الحياة ومن شعر التناؤل :

كم تشتكى " ففيها الدعوة إلى ترك ما يكدر صفوا الحياة ما دام العالم المحسوس فيه  
 من الفتنة والجمال ما يدعو إلى الرضى عن الحياة ونسيان الآمها . . . .

ومن شعر الوصف والطبيعة :

"الأسرار و" ابن الليث

ومن شعر الرثاء قصيدة واحدة :

يتيمة نى الديوان . هـ

( ٣٧١ )  
ومع أن ديوان " الجداول " جاء في صورة شعرية فكرية متمسكة بالسبغ إلى أشعارها السابقة

فقد جاءت في هذا الديوان بعض هفوات نحوية ولفوية نادرة . مثل قوله ..

حطمت أقداحي ولما أرتوى \* وغفت عن زادي ولما أشبع ( ١ )

فقد أشبع صد أرتوى وحقها الجزم . بينما في ط ( ٦٠ ) بيروت " ولما أرتو "

وكذلك الإشباع في قوله ..

إن تر زهرة ررد .. \* فوقها للطل قطره .. ( ٢ )

فان اشبعت حركة الراء من كلمه " تر " سلم الوزن وانكسرت القاعده وان اعطيتها حقها

صحت القاعده وانكسر الوزن ..

وكذلك قوله ..

ويا زهرة الوادي الكئيبة إنني \* حزين لما صوت " إليه كئيب " ( ٣ )

وفي نفس القصيدة " قوله "

فتمسين للأقدار فيك ملاعب \* وفي " صفحتيك " للنعال ضروب

ومن الحذف المجاز عند الكوفيين ..

ما على من لا يطيق " يرى " \* أن في أرض السهى عشبا

فحذف أن في غير موطن حذفها ، والبيت ذكر في كتاب زهير ميوزا خطأ ولعل ذلك سهو

ما على من لا يطيق يرى \* نمر الوادي أو الأبي

كما ذكر الشاعر " زهير ميوزا " ص ٣٦ أن الشاعر " إيليا أبو ماضي " قال في جداوله

ص ٥٥ وقد اعتمد الباحث على طبعة النجف الأشرف ( بدون تاريخ ) ( فاعمل لإسماعيل

السوي وهنائهم ، إن شئت تسعد في الحياة وتنحما ) وذكر ما في البيت من ضعف . بينما

البيت في الخائل في قصيدة " كن بلعسا " وليس في الجداول ..

رجاء في الجداول " قصيدة الفقير " منها هذا البيت

حيوان لا يدري أيقتل نفسه \* عمداً فيخلص من أذى الدنيا

فمد المقصور للضرورة وذلك جائز عند الكوفيين كما ذكر ابن عقيل ..

وكان الأجود به أن يتحاشى مثل هذه الأمور . ويقرن التقدم الشعري والفكري الجديد

( ١ ) هكذا ذكر زهير ميوزا البيت ص ٣٥ معتمداً على طبعة النجف الأشرف بينما ذلك غير

موجود في الديوان الذي أراه ( ١٣ ) ط ٦٠ بيروت

( ٢ ) الجداول ط ٤ ٩١٠ ( ٣ ) السابق ١٩

بآخر لغوى ونحوى مناسب ( فى الاستعمال )

ومع هذا فلم تكن اللغة فاسدة • وذلك أن تصدو لك من باب الاستناد على أضمنه  
الاستحالات الضرورية • أو ما حمله فى حيبته يوم أن جاء إلى عالمه الجديد • فهى من  
بقايا المندثر التقليدى ••

— ومن الصعوبة فى الانقلاط من قيود القديم التى عاشها مدة من الزمان إلا أن الانقلاط  
جاء واضحا وصريحا شكلا ومضمونا فى " الجداول " بعد أن استقرت تلك الفترة التى تنشق فيها  
فيها هواء الرابطة • حتى صار هواؤها هو مادة الاعتماد • بعد أن قتلت منه الحياة  
هناك جمل بضاعته الشرقية • وأقول جمل " لان بعضها ظل كامنا حتى استطاع  
أن يحتلى الشاعر عند ضعفه فى ديوانه " تبر وترب " ويمكننا القول أنه طلق القديم  
البائد الذى اعتمد عليه فى بدء <sup>شروع</sup>ه •

— ولهذا ليس غريباً أن يجىء عن هذا الشعر الذى غرست بذوره فى ظل الرابطة •  
وشاهدت ميلاده أرض المهجر • والذى ظهر خاصة بعد ديوانه الثانى وأقصد بذلك  
" الجداول — والخمائل " كان جديداً وجديداً • حتى قال عنه " ميخائيل نعيمة " أ  
" فما أبعد هذا " الشعر " عن الشعر الذى جاء به فيما بعد " إيليا أبو ماضى " فى  
" الجداول " و " الخمائل " ( حتى لتكاد تجزم بأن قائل هذا هو غير قائل هذا •  
ثم إن روح الشاعر • وقد جرفتها النزعة الجديدة • باتت تتخجل بالزلفى من أى نسوع  
وفى أى مناسبة • وتعتبرها خطأً من كرامتها وتحقيراً لفتنها وذلك كسب كبير للشعر و —  
الشاعر مملاً "

وزيد فيقول " فليس ادعى للأسف من أن يمتهن فنان منه لاستدرار المطف والفلس  
من ذوى السلطان والمال ••

والشعر • حتى أجوده • ليبدو زائفاً ومصطنعاً ومهانا إذا لم يكن الحافظ لنظمه غير  
منفحة عابرة تتأتى الشاعر عن طريق دفعه الكبرى • فى نفس حاكم أو ثرى • فالحافظ  
للنظم هو اللقاح الذى به تتلقح قريحة الشاعر • والشاعر الذى لا يجد لقريحته لقاحاً

غير استجداء ••

=====

(٣٧٣)

المطفء أو المال ، أو التصفيق لشاعر يجنى على نفسه وعلى شعره  
وكان من الخير له لو هو عقيم قريحته • • وقد كان هذا رأى أبى ماضى فى شعراء  
المسندح ••

• ولحل عمق التجربة وأصالتها وامتزاجها مع الفكر القوى ومعاناة الشاعر لتجربته  
كل ذلك اضفى على شعره صورة فنية جديدة هى وليدة الجودة التى نهشت —  
جذورها فى حمسى التربة الجديدة وترعرعت معتمدة على مناخها الجديد •

\* \* \* \* \*

\* \* \* \*

\*\*\*\*\*  
 الخاتمة  
 \*\*\*\*\*

هذا الديوان هو ثانى ديوان يخرج في حياته الرابطة ، وثالث ديوان مهجرى  
 ورابع ديوان في حياته الشعرية . كما أنه ثانى ديوان تشيع فيه خلية الرابطة القلمية  
 .....

شاعت بين أخصان خمائله ثمرات من الحب الصافي العام للإنسان وزهر الخمر  
 العميم الذى يؤكده المساواة الإنسانية ، ويحمل من أجلها ، كما رفرت برامحه تعلق  
 عن الجمال الناتج من بين أصابع قدرة العلمى الأعلى ، وانسابت بين أصائل دوحانه  
 تأملات فكرية هدافة ، حنان ورحمة متزجيين بحبائل إنسانية ، وإحساس مرهف  
 يتجلى ذلك فى آرائه الحياتية .

— فى تلك الدوحات شعر يفيض أنعاماً مصدرها الحب الذى يفسر الكون بالنور  
 والسلام ، الحب الذى عرف الإنسان حقائق كونه ، وهو الذى أوجد الخيوط بين  
 فكر الإنسان وخالقه الأعظم ، هو الرب الحب الذى أعلن عنه فى جداوله (١)  
 إن نفسا لم يشرق الحب فيها \* هى نفس لم تدر ما معناها  
 أنا بالحب قد وصلت إلى نفسى والحب قد عرفنى اللـه  
 فالحب مصباح الكون ونور الوجود وموقظ الشعور ، وهو شذى الزهر وأشعة بدر منير ،  
 فمن غاش خارج إطاره لم يدر معنى الوجود . ولم يدر معنى نفسه ، فهو فى شكوك  
 وحرب وظلام .

ولهذا يقول " أبو ماضى " فى خمائله (٢)

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفـا \* لولا الشعور الناس كانوا كالدُمى  
 أحب فيغدو الكوخ كونا نـبـوا \* أبغض فيمسى الكون سجنًا مظلمًا  
 فالمرء بلا حبّ عظام نخره .

والحبّ الحقيقى الجميل هو الذى يتسم ربح المساواة ، فيكون للجميع ، وأمثال تلك النعمة

١- انظر قصيدة " يا شذاهن " ٢- الخمائل ٨٧ / ٨٨ " كن بلسا "

(٣٧٥)

تبدو في الديوان " الخمائل " بوضوح . . . . . في كثير من قصائد للديوان مثل

" عش للجمال " و " كن بلسماً " و " ابسى "

— وكما يدعوننا إلى اعتناق المحبة فهو يدعوننا إلى السعادة ، دعوة حادة منه إلى

الإقبال على الحياة ، والرضى بما تسوقه الأقدار وما يأتي به الزمان . حتى لو أتى

بما ينخس ويكدر . لماذا ؟

لأنه آفة السعادة عدم الرضا .

الشجاع الشجاع عندي من \* أمر يغنى والدهج في الأجناف (١)

— كما يؤكد في الديوان تأكيداً بيننا على أن السعادة فكرة . يقرر ذلك ويدعووا

الناس إلى تقريره معه . يقول في قصيدة " الغبطة فكرة "

أيها الشاكي الليالي \* إنما الغبطة فكهـره .

ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسرة

وخلت منه القصور العاليات المشخرة

كما كور معتقده في قصيدة " لم يبق ما يسليك " . (٢) فيقول :-

وأرى السعادة لاوصول لعرشها . \* إلا بأجنحة من الوسواس .

وكما قلنا تتسابق في هذا الميدان قصائد منها .

" ابسى ص (١٣٤) " و " كن بلسماً " ص ٨٧ و " ابتسم " ص ٥٨ و

" عش للجمال " ص ٣٦

( \* ) ( \* ) ( \* )

— كما جاء في " الخمائل " من الحنين براهين على دوام حضور الوطن في ضميـرة

حضوراً دائماً . يحس المرء بذلك إحساساً شديداً في قصيدته " الشاعر في السماء "

وكذلك في قصيدة " الغابة المفقودة " و " لبنان " و " شبح " التي يقول فيها :-

=====

١- الخمائل ١٠٨

٢- انظر القصيدة " الجداول " ط٢ و " الخمائل " ط٦ ١٩٧١ بيروت



(٣٧٦)

لبنان فيكم مائل إن كتبتُم \* في مصر أو في الهند أو في الصين  
وهو في قصيدته الدرّامية " القصة الأسطورية " " الشاعر في السماء " يحكى لنا  
أن الشاعر لا يرضى بأى شىء حتى لو كان ملك كل شىء ، اللهم إلا أمنية واحدة . . .  
لكن أمنية بنفسى \* يسترها الخوف والحياء |  
وبعد محاوره يعلن عند هذا الشىء .

فقلت يا رب فصل صيف \* في أرض لبنان أو شتاء  
ولا غرو في ذلك فالحنين الأزلّى الصرى يسيطر عليه . (١)

\*\*\*\*\*

— كما تجلت الوطنية في هذا الديوان . . . .  
فقد ضرب كثيرون على أوتار المشاركة الوجدانية للأمة في شعورها الأليم ، ولعل ذلك  
هو الذى أوحى إليه بقصيدته " لم يبق ما يسليك " مع العلم أن القصيدة ذكرت  
في الجداول بعدد أبيات ( ٢٦ ) وفي الخمائل ٤٨ بيتاً . بينما ذكر أحد  
الباحثين أنها لم تكن ضمن ديوانه الجداول الطبقة الأصلية (٢) وعلى أى الأحوال  
يقول فيها :

فكرت فيما نحن فيه كأمسة \* وضرت أخماساً إلى أسداس  
فرجعت أخيب ما يكون مؤملاً \* راج وأخسر ما يكون الخاس  
نرجو الخلاص بنخاشم من غاشم \* لا يتقد النخاش من نخاش  
ونقيس ما بين الثرى والثرى \* وأمورنا تجرى بغشاش  
نغش بلاد الناس في طلب العملا \* وبلادنا متروكة للناس  
ونكاد نفتش الثرى وأرضنا \* للأجنبيّ موائد وكراس

=====

١- انظر قصيدة " ذكرى " الخمائل

٢- راجع ديوان الجداول في الفصل السابق .

(٣٧٧)

كما حدا به هذا الطريق إلى الحديث عن المشكلات القومية كـ فلسطين .

ديار السلام وأرض الهنـا \* يشقُ على العرب أن تحزننا

إلى أن قال : بعد سرد تاريخي .

فإننا سنجعل من أرضهنـا \* لنا وطنًا ولكم مدفننا |

كما جاءت في " الخـائل " تأملات واقعية تهدف إلى غرس بذور الرضا في قلوب

العرب . الرضا بما هو فيه من قسمة الله . ومن ذلك " الأسطورة الأزلية "

فقد جمعت تماذج من المقبلات . كالغنى والفقير ، والفتى والشيخ والحسناء والجارية

والماعل والأبله . . . . . الخ .

إذا طلبت كل منهم عكس ما هو فيه . ، ولما أدراك كل منهم ضد حالته الأولى .

تعنى لو عاد إلى ما كان فيه أولاً

فـ " لما دعى الله شكايـا السورى \* قال لهم : كونوا كما تشتهون .

فاستبشر الشيخ وسر الفتي \* والكاعبُ الحسناء والحيزيون

لكمهم لما اضمحل الذهبى \* لم يجدوا غير الذى كانوا

— كما وردت بين الهود أشواك . ، إنها تأملات تبعث على الرضا الذى تبعث على

خوافه زعابيب القلق (١)

كما حمل في أغصانه براعم من المديح الصادق .

تكريم " سامى الشوا " عزيزى الكمان . بعنوان " حديث موجه "

— وفي حفل تكريم مجلة المفتطف فى عيدها الذهبى

— وفي استقبال مندوب البطريك فى بروكلن و " بين مدِّ وجنر " فى تكريم الشاعر

جورج صيدح عند زيارته لنيويورك .

— كما جمع من الرثاء ما انبثق عن جذور الوفاء . . . من ذلك الكامن الباقية

دمعة على جبران خليل جبران . ، قصيدة .

=====

١ — انظر قصيدة " تأملات "

(٣٧٨)

"أبي" و "مجاهد" (موسى كاظم) و "عبد الله البستاني" و "أفاحه  
أم ختام" فى رثاء الأسقف "عمانوئيل أبو حطب" وفى الوصف "موميئات"  
، و "فلوريدا" و "شاعر الشهود" ومعد ذلك . جمع ديوان الخائل من  
الشعر الأخلاقى الاجتماعى الذى يتناول المشكلات الاجتماعية الواقعية فى المجتمع  
محاولاً وضع علاج لها . من ذلك .  
"الساعر والمملك الجائر" ، و "الإبريق" و "هدايا العيد" ، و "كلوا واشربوا"  
و "وصف الكريم" و "الفتى الأفضل" و "الشجاع" .  
وقد ورد فى الديوان ثلاث وخمسون قصيدة ، تضم ستين وخمسة وألف من الأبيات .

\*\*\*\*\*

" تـسـبـر و تـسـراب "

آخر مجموعة شعرية لأبي ماضي • لم يمهل القدر صاحبه حتى بطبعه بعد أن أعدّه  
للنشر بطبعته دار العلم ..... بيروت " وقد أطلعت على الطبعة السادسة  
مايو ١٩٧٢ وقد جاءت قصائده موزعة على أربع مجموعات •

الأولى :

\*\*\*\*\*  
وهي امتداد لما جاء في ديوانيه السابقين " الجداول والخمائل "   
تغنّى بالطبيعة ، وفي تلك المجموعة حكم نابغة من تجربة مريوة ، ووطنية أصيلة ،  
ودعوة إلى التفاؤل والابتسام ، وتجيب الحياة لدى الأحياء ، والوصف ، والحديث  
عن الضبا وأيامه • وقد تخلل ذلك قلة من القصائد التأملية • وشمل هذا القسم  
٤١ قصيدة ضمت ٧٦٣ بيتا •

الثانية :

\*\*\*\*\*  
جاءت هذه المجموعة تحت عنوان " تحية الشاعر " وهي قصائد توجه بها  
لمديح • دفعه إلى كثير منه المجاملات والمناجيات التافهة • ولهذا ظهر التكليف  
واضحاً في كثير منها ، كما أكتسى أغلبها بالجفاف الماطفي • وخلا من نيل الهدف  
ومن كرم الغاية • كما جاء النظم متكلفاً في بعضها .....  
ومن ذلك • اجابة الشاعر على صديقه " مسعود سماحة " بعد أن أرسل له الأخير  
بقصيده " بنت القفر " مسحوة بكمية من البن ....

|                          |   |                        |
|--------------------------|---|------------------------|
| شربناها على سر القوافي   | ✽ | وسر الشاعر المصح الأبر |
| سقانا قهوتين " بخير من " | ✽ | عصير شجيرة وعصير فـكـر |
| فمن اثنان سكران لحسين    | ✽ | على أمن ، وسكران لدهر  |
| فمن أمن يهيم بينت قصور   | ✽ | فأناها نمون بينت قفسر  |

مناسبة لاثني عشر .

كما جاءت مبالغات . في هذا الباب منها في مدح الشاعر " لسمود سماحة "

قائلاً :

عادت رياض القوافي وهي حالية \* وكان صوح فيها الزهر والعشب  
واسترجعت دولة الأقلام نخوتها \* وكان أدركها الاعياء والعصب

وفيها يقول . . .

كم درة يتمنى البحر لو نسبت \* إليه باتت الى مسعود تتسبب

ومع هذا خرج أحياناً عن نطاق المناسبة في قصائده كما في قصيدة تلك المنازل . والتي

القاهها في حفلة تكريم الأستاذ " كمال جنبلاط " فقد خرج منها إلى التحدث عن شوقه

الملتصّب إلى أرض بلاده وما فيها ، واستغرقت المناسبة سبعة أبيات من ٢٨ بيتاً

وأيضاً جاءت الأبيات السبعة في جهاد " جنبلاط " وأعماله الجليله وأثرها في كسر

شوكه الطائفية وتحطيم أصنام الجاهلية . وعدد قصائد المجموعة ٦ قصائد وأبياتها

١٤٧ بيتاً .

المجموعة الثالثة :

معجم الشاعر بعنوان " دمه الشاعر " وتضم مراثية في الراحلين من زملائه

وجاءت متنوعة الغيرة بعضها صادق الماطفة يفيض أسى وبعضها مجاملة وانسياق مع

تأدية واجب اجتماعي .

ومما يحس المرء فيه التكلف . قوله في رثاء " رزق حداد "

يا أيها الشمر اسقني فأرثيه \* ويا دموع أعينيني فأبكيه

بحث لي عن ممرّ يوم مصرعه \* فلم أجد غير محزون أعزبه

ومن مبالغاته في ذلك . . . . .

كأنما كل انسان أضاع أخاً \* أو انطوت فجأة دنيا أمانيه

فلم يختم قلبه بقوله ، ولم يكن مدفوعاً بحامل داخلي . بل وخز دافقة واستجدي

مَرَّ بِحَتِّهِ عَلَيْهِ يَهِيْجُهُمَا • وَبِاخْتِصَارٍ لَمْ يَمَسِّ قَلَمَهُ مِنْ قَلْبٍ حَلْفِجٍ بِالْمِرَاطِ وَالصَّادِقِ •  
 فَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَعَانَاةً بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ ••  
 وَلَقَدْ تَعَدَّى حُدُودَ الْمُنَاسِبَةِ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمِرَاقِي • فِي رِثَائِهِ لِلشَّامِرِ ••  
 " خَلِيلَ مَطْرَانَ " فِي قَصِيدَةِ " الشَّاعِرِ " ارْتَفَعَ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى تَوْضِيحِ أَمْرِ هَسَامِ  
 وَعَامٍ وَهُوَ عِلَاقَةُ الشَّاعِرِ بِالحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ •• ، فَكَانَ شِعْرًا حَيًّا مَعْطَاةً مَخْلُودًا • عَلَى  
 عَكْسِ مَا يَخْصُرُ أَفْرَادًا مَعِيْنَةً فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنْ وَخْزِ الْعَقْلِ ، وَاسْتِجْدَاءِ الشَّعْرِ • لَا يَلِدُ إِلَّا  
 شِعْرًا يَكَادُ يَكُونُ سَقِيْمًا مَحْدُودًا بِالزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ ••

— كَمَا أَفْرَجَ عَنِ آرَاءِ زَاتِيهِ فِي بَعْضِ مِرَاقِيهِ •• يَقُولُ فِي رِثَائِهِ لـ " نَهَبِ مَوْضِعِهِ "

كَالشَّمْسِ يَسْتَرُهَا عِنْدَ الْمَسَاءِ الْخَمْسِيَّةِ

وَنُورِهَا فِي زَحَابِ الْأَرْضِ مُنْطَلِقِ

تَذْوَى الرُّوْدَ وَيَقِي بِعَدَاةِ الْمُهَيَّبِيَّةِ

حَتَّى لَمَنْ قَطَفُوا مِنْهَا وَمَنْ سَرَقُوا

كَمْ عَالَمٍ غَابَرَ فِي عَالَمٍ خَاطِرِ

وَجَاءَ تَحْتَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ ٧ قَصَائِدَ جَمَعَتْ ١٨٨ بَيْتًا

القسم الرابع والأخير :

جاء تحت عنوان " الشاعر في حفلات تكريمه " •••••

وقد قالها الشاعر ردًا على الأدباء والشعراء الذين احتفلوا به متوجهًا لهم بالشكر •

يقول في قصيدة " الماهدون في المهجـر " ••

وَإِذَا النُّجُومُ تَأَلَّقَتْ تَحْتَ الدَّجَنِ •• خَلْتُمْ لِأَجْلِكُمْ نَهْيَ الْأَنْجَمِ

وَحَسِبْتُمْ شَمَّ الْجِبَالِ سَلَامًا •• نَصَبْتُمْ لَكُمْ كَيْ تَصْعَدُوا فَصَعِدْتُمْ

ويسير على هذا النمط حتى نهاية القصيدة ••

وترى أشباه ذلك في قصائد هذا القسم •••••

وجمعت هذه المجموعة خمس قصائد ضمت ١٥٣ بيتًا

(٣٨٢)

شعر فديوان " تبر وتراب " في جملته يعتبر انحدار في فن " أبي ماضي " الشعري بما ظهر فيه من المناسبات الكثيرة التي تجرد بعضها من حرارة العاطفة ، والمعاناة للموقف <sup>XX</sup> فاندرج في باب المجاملة التي تغلب عليها فلسفة الطاقة والمهارة التنظيمية فهو بداية لنهاية الطاقة الشعرية الخلافة المعطاءة التي ظهرت في شعره خاصة في ديوانية " الجداول " و " الخمائل " ولا يحنى ذلك أن الديوان خالٍ من الجميل الجيد وحقيقة الأمر أن أسم الديوان جاء موافقا لمحتواه فقد جمع من التبر والتراب . ، ومجمل القول . أن المؤشر البيان لجودة الفن الشعري " شكلا ومضمونا وحرارة وعاطفة قد اتخذ طريقة نحو القاع . . فلو تصورنا ذلك لوجدنا أن شاعريته تمتل قوم قرح يبدأ منخضاً ويأخذ في الارتفاع ليصل إلى أرقى نقطة ثم ينحدر من جديد .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

(٣٨٢م)

الباب الثالث

=====

قوسات الفن الشعري منه

=====

الفصل الأول

=====

الوهبة الشعرية منه

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX



## الشاعر

قبل أن نتعرض إلى الشاعر في نظر "إيليا أبو ماضي" والشعر ، والغاية منه ، نخرج على الخميرة التي اخترت بين أفكار شعراء المهجر الشمالي إلى كتاب الغريال . . .  
لتعرف منه ما هو الشاعر — ؟

\* ف " الشاعر الذي يستحق أن يدعى شاعراً لا يكتب ولا يصف إلا ما تراه عينه الروحية ، ويختبر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة في حياته ، ولو كانت عينه المادية أحياناً قاصرة عن رؤيته ، ذاك لا يعنى أن الشاعر يقدر أن يدعو الأسود أبيض والأحمر أصفر — أى أن يعزى الأشياء الحقيقية عن مميزاتنا الطبيعية ويعطيها صفات من عنده داعياً أن ذلك خيالاً " كلا . وهذا كل الفرق بين الشاعر والشعر :

لا يصف إلا ما يدركه بحواسه الجسدية أو يلامسه بروحه لسانه يتكلم من فضلة قلبه  
أما

الشعر :

فيحاول أن يقنعنا أنه حلم أحلاماً نحن نعلم علم اليقين أنها لم تعر له برأس لافى النوم ولا فى اليقظة ، ووصف لنا عواطف لم يشعر بمثلها لا بشر ولا جن ولا ملاك من أول وجود هذا العالم حتى اليوم . لذلك تهزنا أشعار الأول فنحفظها ونرددناها وتضحكنا " قصائد " الثاني فنضرب بها عرض الحائط "

\*\*\*

" الشاعر • نبى وفيلسوف ومصور وموسيقى وكاهن •

" نبى : لأنه يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل بشر .

" مصور : لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه فى قوالب جميلة من صور الكلام .

" وموسيقى : لأنه يسمع أصواتاً متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجمجمة ، العالم

كله عنده ليس سوى آلة موسيقية عظيمة تنقر على أوتارها أصابع الجمال .

وتنقل ألبانها نسمات الحكمة الأبدية هو يسمع موسيقى في ترنيمة العصفور وولولة  
 العاصفة ، وزفير اللجة وخرير الساقية ، ولشخ الطفل ، وهذيان الشيخ ، فالحياة  
 كلها عنده ليست سوى ترنيمة — محزنة أو مطربة — يسمعها كيفما انقلب لذلك —  
 يعبر عنها بعبارات موزونة رنانة ، الوزن والتناسب في الطبيعة أخوان لا ينفصلان  
 وفيهما " لم يكن شيء مما كُنُون " .  
 والشاعر الذي تعانق روحه روح الكون يدرك هذه الحقيقة أكثر من سواه . لذلك  
 نراه يصوغ أفكاره وعواطفه في كلام موزون منتظم الوزن ضروري . أما القافية فليست  
 من ضروريات الشعر .

لاسيما إذا كانت كالقافية العربية . بروي واحد يلزمها في كل القصيدة .  
 والشاعر : كاهن لأنه يخدم إلهها هو الحقيقة والجمال . هذا الإله يظهر له في  
 أزياء مختلفة وأحوال متنوعة ، لكنه يعرفه أينما رآه ويقدم له تسابيح حيثما  
 أحس روحه بوجوده . يراه في حمرة وجنة الفتاة وفي اصفرار وجه الميت .  
 يراه في السماء الزرقاء والسماء المتلبدة بالغيوم ، في ضجة النهار وسكينة  
 الليل .

وبالإختصار : إن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة ، وقلبه يردد صداها ، و  
 لسانه يتكلم " بفضلة قلبه " تتأثر نفسه من مشهد يراه أو نغم —  
 يسمعها فتولد في رأسه أفكار ترافقه في الحلم واليقظة فتملك كل جارحة  
 من جوارحه حتى تصبح حملا يطلب التخلص منه . وهنا يرى نفسه مدفوعا  
 إلى القلم ليفسح مجالا لكل ما يجيش في صدره من الإنفعالات وفي رأسه  
 من التصورات ، ولا يستريح تماما حتى يأتي على آخر قافية ، فيقف هناك  
 وينظر إلى ما سال من قلمه . كما تنظر الأم إلى الطفل الذي نزل من —  
 أحشائها . أمه فلذة من ذاته . وقسم من كيانه .

الشاعر : كما يقول نعيمة - وتغنى به الشاعر لا " النظام " لا يأخذ القلم فسي  
 يده إلا مد فوعاً بما مل داخل لا سلطة له فوقه فهو عهد من هذا القبيل  
 لكنه سلطان مطلق عندما يجلس لينحت لإحساساته وأفكاره تماثيل من الألفاظ  
 والقوافي لأنه يختار منها ما يشاء • فيختار الأحسن إذا كان من المجيدين  
 أو ما دون ذلك بالتدرج حسب قواه الفنية والأدبية •

أما النظام " فيأخذ قلماً وقرطاساً ثم يبدأ يوحز دماغه وفريحته على يتمكن من أن —  
 يهيجهما ولو قليلاً • غايته لا أن يترجم عن عواطف — أو أن يعبر عن أفكار  
 بل أن " ينظم قصيده " (١) •

فالشاعر باق بقاء الزمن ولو لم نفهمه اليوم فسوف نفيق غداً إليه إلى نتاجه •  
 والنظام منسى قبل أن ينظم •

\* ولنعد إلى " أبي ماضي " لنرى مفهوم الشاعر عنده ولا أظن أن هناك بعداً عما  
 جاء في " الفريال " ولا عزو • أن يتأثر بمناخ الرابطة ومفاهيمها بعد أن أصبح  
 عضواً له شأنه فيها •

فالشاعر : هو ذلك الإنسان الشقي الذي آلمه الشقاء فبات يبكي حزناً وألمه وعطفها  
 على ذوي البؤس والشقاء • هو ذلك الإنسان الهلاكى الذي لاتناسبه  
 الأرض داراً لكن داره السماء •

رأى الله ذات يوم \* \* \* في الأرض أبكى من الشقاء (٢)  
 فرق والله ذو حنان \* \* \* على ذوي الضر والعناء  
 وقال • ليس التراب داراً — \* \* \* للشمره فارجع إلى السماء

=====

(١) انظر الفريال ٧١ وما بعدها

(٢) " إيلياً أبو ماضي " شاعر العربية ١٢٧ وما بعدها زهير موزا

(٣٨٦)

هو المسمى الذى يرضى بقسمته دون نظر الى غيره ، هذا الذى لا يعرف تلك المرض  
الخطير المنتشر " الحقد " الى قلبه سبيلا .

ولا أريد الذى لـفىرى      ذا حكمة كان أم غـضاء

\* هو الذى يخترق ببصيرته النافذة ما لا تخترقه أعين الآخرين . فعندما دار الحوار  
بينه وبين الهه - الذى رآه ذات يوم - لمس فيه تلك النفاذ فى بصيرته والذى يدل  
على الوفاء ألجم . بعدما مدّ للشاعر فى الأرض كل ما يوجوه أمثاله فلم يسعد ، وأخيرا  
تبين لله الوفاء الذى انطوت عليه نفس الشاعر بعد أن اطلع <sup>على</sup> بطلبه " لبنان " .  
فأشرف الله من عـلاء      يشهد " لبنان " فى المساء  
فقال : ما أنت ذو جنون      وإنما أنت ذو وفضاء .

\*\*\*

هو : ذلك الذى يرى خفيا ظاهرا ، لا يرضى بالوقوف عند حدّ ظواهر الأشياء . بل  
يستمر فى سيره ، بما حباه الله من مقدرة خارقة بملاحظة خفايا الأشياء والبحث عن  
سرها وكسبها ، حيث لا يرضى بالوقوف عند ظواهرها ، فالتعمق مذهبه ومطلبه .

..... أنا      كالكهرباء ، أرى خفيا ظاهرا (١)

هو من يسأئل نفسه      عن نفسه فى صبحه ومساءه

والعين سرّ سها لها ورقادها      والقلب سرّ قنوطه ورجائسه

وهو كما قال الشاعر " زهير موزا " يحار فى كل شىء ليصرف عن الشىء كل شىء ، ولم  
يصل الى أى شىء ، وكل ما وصل اليه بعضا مما يحشى الوصول اليه . ولذا يسرى  
دائما قلقا حائرا مضطربا ، يسأئل نفسه عما يريد ولا يجيب ، فيموت كسدا بين موجات  
حيرته . ثم يجد من جديد فى بحوثه .

فيحار بين مجيئة وذهابه      ويحار بين أماته وورائسه

ولم لا يحار . وهو المحاط بقدره فائقة من خالقه . حائر بين أمسه المنقضى وبين واقع  
يومه وبين غـدة المجهول ، وبين نشأته ومبدئه ومفتهاه ومصيره . بما

أوتى من قدرة يرى بها خفايا الأشياء . يسرى الطبيعة وما بعدها .

ويرى أقوال النجم قبل أقوله      ويرى فناء الشمس قبل فوائسه

=====

\* وعند ما لا يرى منفذا يشفى غليله • ويسفر له خفايا الأمور تتناهيه موجات من التشاؤم  
 المتفاوت الدرجات فيحاول أن يستره  
 ويسير في الروض الأعن فلا ترى \* \* \* \* \* عينا غير الشوك في أرجائه  
 وهو \* إن نام لم ترقده هو أجس روحه \* \* \* \* \* وإذا استفاق رأته كالتائه  
 ما إن يبالي ضحكنا وبكاء نسا \* \* \* \* \* ويخيفنا في ضحكه وبكائه  
 حتى أصبح لا يرى المواطن إلا داء يستوجب الالتهام والسحق فتراه وكأنه أناسي •  
 كالنار يلهتهم المواطن عقله \* \* \* \* \* فيبيتها وموت في صجرائه  
 وتظن حتى يصل ظنك إلى درجة يقين صارخة أنه مجهول على الأنانية وحب النفس  
 وحين تترك المنان لنفسك لتسبر غير نفسه فتعرف خبايا ذلك الأمر • تعلم أنه يمشي  
 للآخرين • فما هو ؟

هو من يمشي لغيره ويظنه \* \* \* \* \* من ليس يعرفه يمشي لنفسه

وهو مع هذا الإيثار ذو حنكة وكبرياء وعزّة ووفاء

اسمعه يقول في قصيدته " وقائله " (١)

ولكني امرؤ للناس ضحكي \* \* \* \* \* ولي وحدي تباريحي وحزني

إذا أشكو إلى خدن همومي \* \* \* \* \* وفي وسعي السكوت ظلمت خدني

\*\*\*\*\*

وتأبى كبريائي أن يرانسي \* \* \* \* \* فتى مفروقا بالدمع جفني

فأستر عبرتي عنه لئلا \* \* \* \* \* يضيق بها وإن هي أحرقتني

ويكي صاحبي فأخال أنسي \* \* \* \* \* أنا الجاني وإن لم يتهمني

فأسمع أذني في مقلتيه \* \* \* \* \* وإن حكك اللهب وإن كوتني

لأنى كلما رفعت عنيه \* \* \* \* \* طويت كأنني رفعت عنني

كذلك كان شأني بين قومي \* \* \* \* \* وهذا بين كل الناس شأني

=====

(١) السابق ٧٤٠ وما بعده

(٣٨٨)

مخلص كل الاخلاص لأصحابه

- \*\*\*\*\*
- إني إذا نزل البلاء بصاحبي \* \* \* دافعت عنه بنا جدي ومخلصي (١)
- وشددت ساعده الضعيف بساعدي \* \* \* وسترت منكبه العري بمنكبي
- وأرى مساوته كأنني لا أرى \* \* \* وأرى محاسته وان لم تكسب
- والوم نفسي قبله إن أخطأت \* \* \* وإذا أساء إلي لم أتمسب
- ولا تنسى أنني مع هـ هذا \* \* \*
- مقرب من صاحبي فإذا مشيت \* \* \* في عطفه القلواء لم أتقرب
- عالي المكانة وإن رآه الأغنياء \* \* \* منهم فروء يتهم تنطبق على قوله . .
- أنا من ضميري ساكن في معقل \* \* \* أنا من خلالي سائر في موكب
- فإذا رأني ذو الضبا ولاد ونسه \* \* \* فكما يري في الماء ظل الكوكب
- هو كالساحر \* \* \*
- لو دعى الفواد يلعب بالألباب \* \* \* لعبا إن شاء أن يتسلسل
- ويرينا ما ليس يلقى سيقى \* \* \* ويرينا ما ليس يلقى سيبلسي
- مقلب الأحوال \* \* \*
- ملول لا يدوم على ولا \* \* \* ولكن لا يدوم على عدا
- وهو - مع ذلك - ناصح أمين يهز مشاعر الآخرين \* \* \* ويسعدهم ويوفر لهم الهناء
- بما أنعم الله من قدرات \* \* \*

كلما هزت يدها وتـرا \* \* \* هز من كل فواد وتـره (٧)

\* \* \* تعس الحظ بين الأمة التعميسة (المحتضرة)

تعس الحظ ، وهل أتعس من شاعر في أمة محتضرة ؟

=====

(٢) السابق ٤٤٨ .

(١) نفسه ١٤٧

\* ينغضب ويفعل مثل الآخرين • إذا ما لحق به ما يشي •  
 ثم لما عبت الناس بسببه \* \* \* مزق • الطرس • وشج المجبره  
 \* ونفسه لها منظار يرى الشئون بطريقه تخالف مقاييس الآخرين ودون أن تصل  
 نفوسهم إلى مقاييسه • ولهذا يرميه الكيبر بالجنون •  
 يا نفس لو كنت ترين الشئون \* \* \* كما يراها سائر الناس (١)  
 لما رمانى بعضهم بالجنون \* \* \* ولم أجد فى الناس من يسا  
 ولهذا لم يرض أحد بمقاييسه لغرابتها بالنسبة إليهم •  
 خالفت مقياس الورى أجمعين \* \* \* فكيف يرضون بمقاييسهم  
 \* هو من يخلق من الكون الضارى وثاماً • • • يقول فى قصيدة الشاعر والكأس (٢)  
 حوله الكون فى وغى \* \* \* وهو والكون فى وثام  
 هو الذى أبرم مع الطبيعة معاهدة المحبة والتجاوب • فأصبحت تتجاوب معه • وتتجاوب  
 معها • يضا حكها فله تضحك • كما تقدم نفسها له فى أبهى حللها وأطيب شذاها  
 فبينهما سرٌ عميق فله منها جنات وجنات •

وله تضحك البروق \* \* \* ويكى الحيا السجام

وله تلبس الربى \* \* \* برد النور والشمس

وله يعبق الشمسى \* \* \* وله يسجع الحمى

.....

كلها كلها له \* \* \* وعلى غيوه حرام

\* والشاعر • يمتلك حساً مرهفاً • فهو رقيق الوجدان • خفاق الفؤاد • يصادق  
 من نفسه الدمع • ينسكب منه مدراراً كلما دغاه • وكلما سقط فى أمر وجد من دمع

المواشى

=====

(١) نفسه ٤٩٣ •

(٢) نفسه ٦٩٠ •

(٣٩٠) تعتريني هزة كالكمربا  
 علمت عيني السهاد الكوكبا  
 ما دعوت الدمع إلا أنسكبا  
 يا دموعي أنت لى أوفى صديق (١)

• وإذا افتقد الحقل المريع خلق الحقل المريع فى روحه وزهنيه •

فيمتلئ شذى قواحا وشارا شهية يقول فى قصيدته " وقائلة " (٢)

إذا أنا لم أجد حفا مريما  
 فكادت تملأ الأثمار كفى  
 خلقت الحقل فى روحى وزهنى  
 ويحبق بالشذى القواح ردى

• وفى قصيدة الشاعر " التى وجهها الى روح " خليل مطران " (٢) عرف فيها  
 الشاعر • بأنه •

عين هذا الوجود ، فلما خلق الله رب العالمين " الكون بما فيه ، ورأى فيه جمال كل شئ  
 خلق للناس عيوناً " شمراء " لكى تدرك الحق والحقن وتهواه فى جميع صورها أشكاله  
 فكان هو السبب الأوحى فى ارتقاء الخلق ودوام الحب والحسن فى الدنيا •

عندما أبدع هذا الكون رب العالمين  
 رأى كل الذى فيه جميلاً وشهيناً

خلق الشاعر :

كى يخلق للناس عيوناً تبصر الحسن

وشهواه حراكا وسكوناً

وزمانا ، ومكاناً ، وشخصياً ، وشعونا فارثى الخلق

وكانوا قبله لا يرتقوننا

واستمر الحب فى الدنيا ودوام الحب فينا

• هرروح كريم لبس الطين ، هو نبى عظيم • يرى بعينه الروحية ما لا يراه الآخرون •

=====

(٢) نفسه ٧٤١

(١) نفسه ٦٩٥

(٣) السابق ٧٧٠



حتى تمتد رؤيته إلى المجردات .

إنه روح كويم لبس الطين المهيننا  
 ونبيهم بهر الخلق وما أعلن ديننا  
 يلمح النجم خفياً ، ويسرى القطر دفيننا  
 ويرينا الظهر حتى نسي الجناة الآثميننا  
 وحس الفرح الأسمى جريحاً أو طعميننا  
 كلما شاعت دماء أملا في البائسيننا  
 والكثير

هو الذي فاق الكثير وتجمع له ما ليس لنبيه .

من سواه ثائر فيه وقسار الناسكيننا  
 من سواه عابد فيه جنون الثائريننا  
 من سواه عانق الله يقيناً لاظنوننا .....  
 من ترى الإله يحيا نغمات ولحوننا  
 من ترى الإله يفنى ذاته في الآخريننا

وَهَبْ أَنْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يَقْدِرْ وَجُودَهُ أَرْزَلَ . فَمَاذَا كَانَ يُمْكِنُ حَدُوثُهُ ؟

لو أبى الله علينا وعليه أن يكوننا  
 عادت الأرض وهاداً شنتا حبات وحزوننا  
 ترتدى الوحشة والهول ضباباً ودجوننا  
 وأفاحيها هشيماً لا أريجاً وفتوننا  
 وسواقيتها سرايا هازئنا بالظالميننا

\*\*\*\*\*

وشواديبها دمي خرساء توءذي الناظريننا  
 واستفاق الجدول الحالم غيظاً وجنوننا  
 واستوى النهر على وجه الثرى جرحاً ثخيننا  
 وانطوت دنيا الرومي فيها . . . ومات الحالوننا

\* ولكن • ما ذا يصيب الناس لو مضى الشاعر عنهم ؟•

إي ربي لو مضى الشاعر عنا لشقينا

ولمشنا بعده في غصن لا ينتهينا

ولأمس الله مثل الناس مغموماً خزينا

\* ولكن لن يموت الشاعر • لأنه خليل الله •

زعموا ولتى ولن يرجع ••••• وبع الجاهلينا

لم يموت من كان لله خليلاً وخذيننا

عاش حيناً وسيحيا بعد ما غاب قروننا

\* ولنمرج على بعض اشعاره المجهولة والتي ذكرها أحد الباحثين (١) وتكفى

بهذه القصيدة التي عنوانها أنه الشاعر وقد قيلت في تكريم الشاعر تدره حداد •

فى ١٩٤٢/٦/٣ بمناسبة نشره بوانه "أوراق الخريف" •

عندما أنشأ الوجود الله \*\*\* فى زمان فى الدهر ما أقصاه

ودت فى النبات والاماء والأحياء \*\*\* والصخر بقظة وانتبها

فاطلت من السماء الدرارى \*\*\* وتجاورت على الصعيد المياه

وترامى النسيم فى صفحة النهر \*\*\* بأسرار وجدده وهواه

وسرى الفجر يوقظ الروضة الوسطى \*\*\* ويذرى على المروج نسجده

ومضى الليل بعده يطمس الأشياء \*\*\* إلا أحلامه وهواه •••••

والورود الحسناء إلا شذاها \*\*\* والفدير الطروب إلا ضده

نظر الله فى السماء وفى الار \*\*\* ض طويلاً فتتمت شفتاه :

"اننى قد خلقت كوناً بديماً \*\*\* كل شىء فيه كما أهواه

غير انى نسيت أن أخلق شيئاً \*\*\* لازماً لا يتمه إلا •••••

وهو "عين" ترى الوجود كمينى \*\*\* ولسان يقول : ما أحلاه

=====

- وإذا شاء الله أمراً قضاه \* \* \* أوتيتني وجود شىء بمسراة  
 فإذا كائن له هيكل الطين \* \* \* وفي هيكل التراب السـ  
 ذو فؤاد تظل فيها لأمانى \* \* \* فى صباها ، وان تقضى صباها  
 كل من يعشق الجمال أخوه \* \* \* كل أرض فيها الهوى مغناه  
 هو للحق غيظه ورضاه \* \* \* وهو للحب ضحكه وكـ  
 من تراه هذا الذى صاغه الله \* \* \* كما يشتميه لما اشتبهاه ؟

إنه الشاعر .

- الذى كل دنيا \* \* \* تنطوى قبل تنطوى دنياه  
 كم سقانا خمرًا بخير كسوة وس \* \* \* فسكرنا ولم تفقها الشفاء  
 وأرانا الصباح والليل يغشانا \* \* \* بأكفانه كما ينشاه  
 يعشق الروض فى حلاه ، ويهواه \* \* \* معرى مجرداً من حلاه  
 يرتوى الناس بالمياه ويروى \* \* \* خير تصفى له أذناه  
 أيها السائلون عنه : لما ذا \* \* \* ليس يسمى للفنى كسواه ؟  
 ما الفنى عندكم ؟ فانى أخشى \* \* \* أن تكونوا جهلتم معناه  
 أهو المال ؟ ما وجدت غنياً \* \* \* قط إلا وماله موله . . . . .  
 أفمن كان كوكبا يهجر الأفق \* \* \* لتمسى زجاجة مشواه ؟  
 والذى الكون داره كيف يرضيه \* \* \* انزواً فى حفنة من ثراه ؟  
 وجد المال عاتياً مستبداً \* \* \* فأبى أن يكون من أسراه  
 لا تقولوا : ماذا اقتنى وحواه ؟ \* \* \* أى شىء خياله ما حواه ؟

إنه الشاعر :

- الذى ازدهات الدنيا \* \* \* بهاء لما غدت مأواه . . . . .  
 ناشروا ، يا رفاق ، سركتى \* \* \* "الماضى" وحيثه ، إنه آياه ؟

(٣٩٤)

\* هذه صفحة فياضة عن الشاعر في نظر الشاعر ، وأرضه وسماكه وجوهه ومناخه . . . الخ  
الشاعر . هو الذي طوى ملكه كل امتلاك ، فالملك لم يدرك كنه جماله ، والشاعر  
يدرك كنه جمال الأشياء . (١)

\*\*\*\*\*

وأما عن فضل الشعراء  
فنراه يتحدث عنه في قصيدة " الميمان " (٢) فيشيد بذكر أبي العلاء ، ومشار بن  
يبر ، وهو ميروس ، وميلتون : فيقول :-

إنما نحن معشر الشعراء \* يتجلى سر النبوة فينا

تقبل عنا قصورنا من هبنا

تتلاشى في صحوة ومسنا

أوسطور بالماء فوق المسنا

لو سكتتم قصورنا بعض ساعة \* لنسيتم شهركم والسنيانا

لو دخلتم هياكل الإلهام

وسرحتم في عالم الأحلام

واجتليتم سر الخيال السنا

وهرفتم كما عرفنا اللـ \* لخررتم أماننا ساجديننا

أقولون أنـه مجنون

أقولون أنـه مفتون

أقولون شعاعر مسكـين

كم عليك ، كم قائد ، كم وزير \* وقد لو كان شاعرا مسكيننا ؟

=====

(١) انظر قصيدة " الشاعر والملك الجائر " ٧٩٠ السابق

(٢) السابق ٧٧٤

(٣٩٥)  
عاش " ملتفت " فلم يكن مذكورا  
وهو ميروس " كالشيخ " كان ضريرا  
ولقد مات " ابن يرد " فقيرا

أرايتم كما رأى العميان ؟ أفلستم بتورهم تهتدون ؟

\*\*\*

\* ولأبي ماضى موقف فيمن تقدمه من الشعراء ، ويتجلى موقفه في انكاره بمضى  
أغراض شعرهم ، وبإيجاز يعقت مقتا شديدا كل عرض لا تتسرب بين موجاته خدمة  
الإنسانية فهو يأنف من التشبيب بالخبرة ، ويرفع عن المدح ، ووصف النساء ،  
ويعتبر ذلك لا يأتى إلا من سفاسف الشعراء وقد أعلن نبذهم صراحة . فقد قال

أنا ما وقفت لكى أشيب بالطلا \* مالى وللتشبيب بالصبياء

لا تسألونى المدح أو وصف المديح \* إني نبذت سفاسف الشعراء

وإذا سأله لم ذلك يا أبا ماضى فيجيب قائلا :

باعوا الأجل المال ماء حياتهم \* مدحا وت أصون ماء حياتى

لم يفهموا بالشعر إلا أنه \* قد بات واسطة إلى الأثراء

ولكن ...

أبا ماضى " كما يبدو لى أصاب فى ناحية وأخطأ الصواب فى أخرى .  
أما أصابته . فضمنها صرح بمقت هو " لا " . لماذا ؟ لما وقعوا فيه من بيع ماء الوجه  
نجريا وراء المادة حتى وصل بهم الأمر إلى صوررتهم عبدا للمال . لأن الذى يبيع  
بسببه حياة يبيع كل ثمين من أجل هذا المولى التافه لأنه يصبح مرتعا وخم  
العاقبة .

\* كما أشار إلى طائفة معينة من الشعراء السابقين ، الذين خصصوا أنفسهم فى هذا  
النوع من الشعر . لأنهم لم يفهموا أو تغابوا عن هدف الشعر الأسمى ، ما فهموا إلا أنه  
طريق إلى الأثراء .

(٣٩٦)

ولكن كان ينبغي أن يضع في معايير حكمه أولاً • النظر إلى العصر والظروف

والواقع والاحتياجات بالنسبة لهؤلاء الشعراء •

فهل يا ترى لو قدر لأبي ماضي " أن يعيش عصرهم وظروفهم وقواغيمهم وحاجاتهم

للمال وحاجة الأمراء والسلاطين إلى صحافة ناطقة ودعاية ناشرة أفلم يكن يقروض

الشعر في مثل هذا ولهذا ؟

ولا أستطيع أن أزيد عن قولـي : أظن يـلـي •

\* بم أن هناك من الشعراء من أنجبتهم القدرة الـريـانـية وانحفتهم موهبة فـنـة

في هذا الميدان ، وأورثتهم أعمالهم الأدبية شهرة فائقة كالمتنبى " ، ومع ذلك

فقد كان كثير المدح للأمراء ، واشتهرت مدائحه وخاصة " سيفياتد " في

الأدب وعالمه ، فالتعميم في قول " أبي ماضي " صرف الرأي عن كثير من الصواب •

\*\*\*\*\*

أما رسالات الشاعر فيكشف لنا "إيليا أبو ماضي" عن ذلك بأن على الشاعر أن يودي رسالاته في الحياة ، وتلك الرسالات متعددة تتدخل في كل مجالات الحياة التي توفر الحياة الحقيقية المشمولة بسياج من السعادة للإنسان ، ينال كل حقه فيها ، وعليه أولاً وأخيراً أن يوجه شعره لخدمة الإنسانية بمعنى أن عليه إسعاد الأحياء في هذه الحياة .....

اقرأ له قوله في "الفاثحة"

يا رفيقي : أنا لولا أنت ما وقّمت لحنا

كنت في سرّي لما كنت وحدى أتفنى

ألبس المروض حلاه أنه يوماً سيجنى

هذه أصداء روجي فلتكن روحك أذننا .....

فهو رسول أمين ، ومن رسالاته أن هذا الحياة أقصر من التفكير فيها على طريقة

هو "لاء المتشائمين" ، فلنسر في طريق الظلال ، ولنتحاب ونتعانق ، ونكسبها

بطابع الحسن والجمال أكثر مما هي عليه ، فهو رسول من غير أن يحمل ديناً ، ينقل

إليهم كل ما يعمل على إسعاد البشر ..

كما يعمل من أجل إيصال معتقداته إلى الآخرين ، فلا قيمة لمقيدة ( مهما كانت

حسنه ) لا يستفيد منها البشر .. يقول في قصيدة "لم أجد أحداً" (١)

ما قيمة الإنسان معتقداً \* إن لم يقل للناس ما اعتقداً ؟

\*\*\*\*\*

=====

\*\*\*\*

(٣٩٨)

والذى يتصفح دواوين الشاعر "إيليا أبو ماضي" لا يجد أدنى لآي في الموقف  
على هذه الرومات . التى اختارها الشاعر وأول ما يصبى المرء بشذاها .  
وأول ما يفوح من عطرها . رسالته الإنسانية فسى :

التقاؤنا  
ل

الحياة بحر عميق ، وما أشد ظلام قاعها على من حوى عما فيها من لآسى  
وأصداف ، وحملق عما يختفى ويظهر من رمل وشوك ووسوس وشقاء . ، والناس  
قسمان إزاء تلك الأمر فمنهم من يسير فيها راضيا بما تسوقه الأقدار ، ومنهم  
قصار النظر الذين لا يستطيعون بفكرهم التعمق إلى مباحج الحياة وللوصول  
إلى أسرار جمالها .

\* ومن هذا المنطلق يرى "أبو ماضي" أنه من واجب الشاعر أن يحجب  
الحياة لدى الأحياء ، ويدعوهم إلى التمتع بما فيها من جمال فالحياة جنة  
إذا استقبلناها بالبهجة وأقبلنا عليها وعلى مباحجها .....  
أما من يستقبلها بالتجهم والكآبة والعبوس والقلق فلن يرى فيها سوى  
ما يكدر عليه صفوها وينخصه ويقلقه ويقتله .....  
فإذا كان أمام المرء طريقان فلم لا يتخير أحسنهما مادام التجهم لا يفيد ولن  
يفيد ، والكآبة لا تطيل عمرا ، ولن يرجع الندم الشباب ..... الخ  
إذن فلنسر فى هذه الحياه القصيرة فى هدوء ، ونكسبها طابع الجمال —  
ولنتمتع بها .

وعند أبى ماضي "كثير من هذا الشعر الداهى إلى ذلك .....  
ومن هذا القبيل فى شجرة قصيدة (( ابتمس ))<sup>(١)</sup> التى يقول فيها :-  
أتراك تغتم بالتبرم درهما \* أم أنت تخسر بالبشاشه مغنما  
يا صاح ، لا خطر على شفتيك أن \* تتلما ، والوجه أن يتحطمنا



فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى \* تلاطم عولدا نحب الأنجسها (٣٩٢)  
قال البشاشة ليس تسعد كائنًا \* يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما  
قلت: ابتسم ما دام بينك والردى \* شبرٌ ، فإنك بعد لن تتبسما (١)  
والدمعة الخرساء \* وفيها (٢)

\* يخاطب تلك المرأة • بعد أن مزقتها الشوك ونقص حياتها الأملسى  
لا تجزعى فالموت ليس يضيونا \* ففنا إياب بعده ونشور  
إنا سنبقى بعد أن يضى الوردى \* ويوزل هذا العالم المنظر  
وعلى رأس هذه القصائد • الداعية إلى هذا الموضوع قصيدته الشهيرة " فلسفة الحياة "  
التي يقول فيها (٢)

أي هذا الشاكي وما بك داء \* كيف تفدوا إذا غدوت عليلا ؟  
إن شر الجناة فى الأرض نفسى \* تتوقى قبل الرحيل ، الرحبىلا  
وترى الشوك فى الورد وتعمى \* أن ترى فوقها الندى الكليلا

أيهذا الشاكي وما بك داء \* كـن جميلا تر الوجود جميلا<sup>xxxx</sup>  
كما يدعو إلى حبها والاستهانة بما فيها من مصائب • ترى ذلك أيضا فى قصيدة " ابسى "  
و "المساء" و " تمالى " التي يقول فيها :-

يريد الحسب أن نضحك فلنضحك مع الفجر •  
وأن نركض • فلنركض مع الجدول والنهر  
وأن نهتف فلننهتف مع البليل والقمر  
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجسرى ؟

وهكذا يسمى لنشر النور والخير فى الحياة وشيع فيها الأمل الحى ويملا المجتمع سعادة  
ورضى •

(١) الجداول (١٨٠)

(٢) إيليا أبو ماضى ( زهير مبرزا ) ٦٢٤

الانسان فرد في أسرته ، والأسرة لبنة الوطن والمجتمع وتقوم . الحياة الانسانية على مجموعة من العلاقات الضرورية وغير الضرورية ، ومن الحتمية أن يتفاعل الفرد بما حوله من البشر ويتسع هذا التفاعل أو يضيق حسب ما يعترية من ظروف . يتفاعل كذلك بأحداه ، بيته الصغير وعائلته وقريته . وقطره . ومجتمعه . يسئل يتفاعل بأحداث العالم عموماً ..... يتأثر بالمشكلات الاجتماعية ، والنكبات الفردية والعامة والسياسية والاجتماعية يتفاعل مشاركا الآخرين في آلامهم وأفراحهم والشاعر أكثر الناس إحساساً بهذه الأمور وأقدرهم على التعبير الجميل عنها ، والشاعر المفكر الحساس يعكس ذلك بأمانة القائد الحكيم وحكمة القائد الأمين والمعالج الصادق . ومن خلال التعبير والتصوير يزداد الإحساس أكثر فأكثر والتعبير المتأجج ويأخذ تلك صورة خاصة إذا عاش الشاعر التجربة وقاسها بها وعانى منها . ومن هنا يطول الشاعر جادا العمل على خلق مجتمع إنسانى أفضل يعمل القادرون فيه على كتم أنفاس الأمراض الاجتماعية والعلل القاتلة والجراثيم الفتاكــــــــــــــــة .

ومن أجل ذلك عالج " آيليا أبو ماضي " في شعره كثيرا من مناحي النقص في المجتمع ، والتي من شأنها هدم قوته ، ونشر التفرقة بين أفرادة ، كما تعمم على شقائه ومشرته وجعله المومة في يد الظالمين ، وطعمة للتخلف والضمسف والإنحطاط .....

\* دعوة عارمة إلى الثورة الاجتماعية التي تتقذ الأوضاع من عليها فترفع المجتمع وتقتل الشقاء ، وتزلزل أبنية الجهل وظلام العبودية ، وتقيم على أنقاض ذلك أسس السعادة والحب والرخاء والمساواة ، كما تدعو الدعوة إلى كيان عرس موحد والدعوة إلى حملة شعواء في النفر من المستغلين والنقمة من الذين يمتصون دماء

(٤٠١)

الشعب ويحملون على كتم أنفاس الأحرار ومجمل القول عن رسالة الشاعر في هذا الميدان - كما تحملن أشعاره - يتلخص في .

(١) حملة على المفاسد الناشئة عن التطرف .

(٢) الدعوة إلى المطف على الطبقة البائسة في المجتمع .

(٣) المطالبة بالحقوق الإنسانية والعدالة الاجتماعية .

(٤) دعوة إلى الأخذ بأسباب الحضارة لمسايرة حياة العصر .

ومن الأمثلة الشعرية على ذلك فصائده " اليتيم " و " الفقير " و " الطين " و " التنهة الحقا " و " الابريق " و " عباد الذهب " و " الحرية " و " إلى مدارس الشعب " و " ساعى البريد " و " كلوا واشربوا " و " إلى الشباب المتفرنجين " و " الفديس الطموح " و " الشجاع " و " الفتى الأفضل " وقد غرست بذور هذه النظرية الإصلاحية عند "إيليا أبو ماض" يوم أن عرف الحياة طفلاً صغيراً . يوم أن كان يرى ذلك نصب عينيه . في لبنان خاصة . فقد عانى الأمر بنفسه . ولذلك جاءت - نظرية إلى تلك الأمور وعلاجها نظرة منطقية مع سلكه لطرق السخرية حيناً والهدوء حيناً والثورة حيناً آخر . عند الحديث عن هذه الأمور وعلاجها . ففي قصيدة "اليتيم" (١) بعد أن يتحدث عن غم هذا الفقير وهمته ، ينتقل إلى خطوطهم المسودة في هذه الحياة ، وبعد هذا العرض يفت على الشعراء الذين لا يجتهدون أنفسهم للقضاء على هذا البؤس متخذين من الدعوة إلى ذلك سبيلاً ، بل وجهوا دعوتهم واتخذوا من أنفسهم عبيداً للمال والسعى وراءه فعليهم يصب جام غضبه دون مبالاة منهم ، ثم يعود إلى قلب المشكلة فيتحدث عن المحتاجين وما هم فيه من بؤس وألم وشقاء ، ويتوجه إلى الغنى مهلهلاً لكبريائه وهادماً لصلفة ومحطماً لغروره .

=====

(١) الجداول ٢١٣ وما بعدها .

(٤٠٢)

قل للفنى المستعز بماله ■ مهلا لقد أسرفت في الخيلاء  
جبل الفقير أخوك من طين ومن ■ ما هـ ومن طين جبلت ومسا  
فمن القساوة أن تكون منمما ■ ويكون رهن مصائب وميلاء  
وتظل ترفل بالحرب أمامه ■ في حين قد أمر بشيو كسائه  
أترضن بالدينار في إسعافه ■ وتجد بالآلاف في القحشا ؟  
أنصر أخاك فإن فعلت كفته ■ ذل السؤال ومنه البخلاء  
وأخيرا يفصح مؤكدا أن الجزاء من الله خير وأبقى .....

إن كانت الفقراء لا تجزيكم ■ فالله يجزيكم عن القسواء

كما نجد تلك الواقعية والمنطقية في قصائده المماثلة كذلك تجد ذلك في قصيدة

"اليتيم" (١)

\*\*\*\*\*

الجدول (٨١ - ٨٣)

الشاعر فرد من أفراد مجتمعه ، والمجتمع المتماصك جسدٌ واحد والشاعر عضو في هذا الجسد . وبالضرورة يتألم العضو إذا أصيب الجسد بضرر أو داء ، لأن ذلك سوف ينتقل من عضو إلى آخر ولن يتوقف الضرر - إن لم يستدرك الأمر - دون أن يصل إلى كل الجوانب والشاعر مرآة كاشفة ، وهو عين هذا الجسد ، ترى الأمر قبل أي شيء فتنبه وتحذر وتأمّر - للإصلاح - وتنهئ ، وترشد وتنصح .....

والوقوف إلى جانب الشعب من صميم أهداف الشاعر حتى يتحقق الإصلاح . يقول  
 إنى أمره كلف بإدراك الملا \* دلى الجهاد وظايتى الإصلاح  
 وأبواب الإصلاح واسعة ومتعدده منها :

\* الوقوف إلى جانب الشعب ( قوميتة الصغرى )  
 فى مخنه العامة ، أو الأمة ( القومية الكبرى ) مهما كان فى هذا الوقوف من عذاب -  
 مختلف الأنواع .

ومن هذا الميدان . انطلق الشاعر يعالج شئون الوطن الأول من خلال تصويره لما يحدث فى المشرق - آنسند - أو فى الوطن العربى من مساوىء استعمارية ويستخرج الصوة منها داعياً الشعب إلى ترك التخاذل والوقوف فى صف هؤلاء الوطنيين لمحاربة أعداء الوطن . أعداء القومية ، وتتبعهم فى كل ميدان ليصب عليهم وابيل من نسيوان الغضب ، الذى يعصف بهم إلى الجحيم ، هذا الاستعمار وأذنبه الذين عاشوا فى الأرض فساداً ، وعثوا بمقدسات الإنسان لتحقيق أطماعهم ، فكم قاست البلاد والشعوب من غدره ، وخسته ونذالته وشعراء المهجر أكثر معايفة واحساساً بخطر الاستعمار وأكثر من غيرهم معرفة بما ينفث من سموم وبما يحيك من الأعيب فقد عاشوا التجربة المريرة ، واكتووا بنارها ، وتجرعوا سمومها حتى عاشوا من جراء ذلك غرباء ، ولهذا عملوا جهدهم على تنبيه الناس والشعوب من هذا الوباء القاتل ، بأن يتخذوا كل وقاية من غدره -

وخسته ، كما فضحوا هذا المدو اللعين . . . . من كل وجهه ، وحشوا الناس

على الجهاد من أجل ادراك الحرية فهذا "إيليا أبو ماضي" يقول (١)

يا قومنا ! ان العدو وبها بكم \* بئس المغيرو على البلاد الجبار

وله بأرضكم طماعة أشمب \* ورواغهه ولكيده استمـرار

لا ترقدا عنه فليس براقـد \* أفتهم جمون وقد طمس التـبار

ان الطيور تذود عن أوكارها \* أتكون أعقل منكم الأطيـار؟

\* كما نادى بمثل ذلك في شعب مصر والشعب العربي ، وله في تذكـار الماضي كـثير

من القصائد مثل " مصر والشام " " من أجل مصر وخواطر أخرى " —

وفي سبيل الإصلاح .

\* كما تعرض كثيرا للحديث عن الاستعمار في بلاد الشام ، وها هوذا يعرض عرضا

تاريخيا مشكلة فلسطين فهو من وجهة القومية في ذلك . واضحا وان كان النظم غير

مزوج بما طفة الثورة . . . بل ظهرت في القصيدة التقريرية بوضوح .

ديار السلام وأرض الهنـبا \* يشقُّ على الكل أن تحزنـبا

فخطب فلسطين خطب العلى \* وما كان رزء العلى هينـبا

ويختم القصيدة بهذا التهديد .

نصحناكم فارعوا وانبدوا \* "بليفور" زبالك الأرضـبا

واما أبيتم فأوصيكم \* بأن تحملوا معكم الأكفـبا

فإنا سنجعل من أرضهـبا \* لنا وطنا ولكم مدفنـبا (٢)

\* كما أوجت له آثات أمته إلى أن يقول . في خمائله ،

فكوت فيما نحن فيه كأمـة \* وضربت أخماسي إلى أسداسي

=====

(١) الخمائل (١٤٠)

(٢) الخمائل (١٦٦ - ١٦٩)

ومن ذلك ذكر جمال البلاد وبكاء الآمال الضائعة .<sup>(٤٠٥)</sup>

ومن ذلك " الغابة العقودة " فى خاتمة ٠٠ ، متى يذكر الوطن النعم "

و " الشاعر فى السماء " و " لبنان "

■ ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذه المواقف ظهرت مشتملة عند "إيليا أبو ماضي "

منذ حدثته يوم أن كان فى مصر - وهو على أول طريق الشاعرية (مرحلة الطفولة

الشعرية إن صح التعبير) وما فى ديوانه " تذاكر الماضى " خير دليل على ذلك،

فله قصائد غير قليلة كـ " مراثية " " الخطب الفادح " (٥٤) و "قيد الوطنية" (٥٥)

و " فى سبيل الإصلاح " ٦٢ ، والذئاب الخاطفة " ٦٨ ، و "أيها القلم " ٧٤ و مصر

والشام " ٧٥

وفى " تبر وتراب " ديوانه الأخير الذى لم يممه الزمن حتى تظهر أولى طبعته

تقرأ قصيدة " تحية الشام " فنجد فيها

عجبا لقومى والمدوبيا بهم ■ كيف استطابوا اللهو والألعايا

وتخازلت أسياهم عن سحقه ■ فى حين كان النصر منهم قابيا

تركوا الحسام إلى الكلام تمللا ■ يا سيف ليتك ما وجدت قرابيا

دنياك يا وطن الصرورة غيبة ■ حشدت عليك أراقما وذئابيا

فلبس لها ماء الحديد مطارفا ■ واجمل لسانك مخلبا أو نابيا

لا شرع فى الغابات الأشرعها ■ فدع الكلام شكاية وعابا . . . . .

كما أن الشاعر هو أزل من يتذوق طعم السرور حينما تستقل الأوطان فتتحرك فى

قلبه أوتار الفرح بأنغام الخبطة والسرور . يقول . (١)

=====

(٤٠٦)

يا شاعر الحسن هذى روعة الصيـد \* فاستجده الوحي واختلف بالأنواع

هذا النعم الذي قد كت تنشده \* لائله عنه بشئ غير موجود

محاسن الصيف في سهل وفي جبل \* ونشوة الصيف حتى في الجلال

تم حدث الناس عن لبنان كيف نجبا \* من الطفاة العتاة البيض والسمود

وكيف هشت دمشق بعد محتتهما \* واسترجعت كل مسلوب ومفقود

فاليوم لا اجنبي يستبد بنا \* ويستخف بنا استخفاف من يهد

يا أرض صفى ، ويا أبناءه ابتهجوا \* قد أصبح العرب في أمن من الميـد

وختلف أنظار الناس وقدراتهم التفكيرية في الكون ومحتوياته ، وإذا كان الله عز وجل خلق

الناس لعبادته . فمن كمال العبادة التفكير في مخلوقات الله تفكروا يمكن الإنسان ومن

تخلق قلبه بأمراس الإيمان وأشعة النور الروانسي .

\* والشعراء من الناس وهم الذين وهبهم الله بصرا حادا وبصيرة ثابتة وحسما مرفعا

فأمن أكثرهم بقيمة الحياة وأهميتها ، ومن هذه الزوايا يستطيعون التوصل في كثير من

الأحايين إلى خبايا الأمور وأسرارها وكشف مظاهر عظيمة الخالق والخلق قدرته فيهم

متخذين من الكون مسارح لتأملهم . مستهدفين من ذلك غرض ثماره في قلوب البشر

في كل الحالات سواء كانت هذه الأشياء كونية متحركة أو ساكنة ناطقة أو صامتة ، كما

يهدفون من ذلك إلى إلقاء مسحة من الجمال والارتياح على جوانب الحياة محاولين

جهدهم نزع الرضا في القلوب . . . . .

وفتح آفاق التأمل ليوتقى الناس <sup>اليها</sup> حسبما أعطاهم الله من أقدار ذهنية ، ومن يؤره هذا

التأمل يتوصل الإنسان إلى رؤية الكون رؤية ينفض عنها الغمام وتصبح أكبر مما كانت

عليه وضوحا ، وفي النهاية يتوصل المرء إلى نافع في دنياه وأخراه . . . . .

وتتفرع آفاق هذا التأمل . فمن ذلك التأمل الفكري الذي يوسع الفكر ويحققه . ويوصل

المرء بحقائق من الكون لم يكن ليصل إليها بهذه الكيفية من قبل . . . . .

كما يسير التأمل كاشفا الجمال الذي استدلت عليه ستائر من الغمام بسبب الظروف



(٢٠٧)

المجوجة إلى ذه الحياة • فالمرء لا يرى الجمال حتى ينبع الجبل من نفسه •  
والذى نفسه بخير جمال • لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً  
ومن اكتشاف هذا الجمال المنبثق من قدرة العلى القدير • وما في الطبيعة يشمل  
الإنسان كيف يحامل أخاه الإنسان • و من خلال ما يعتقد الكثر من مظاهر الطبيعة  
فهذا النهر (١)

..... ويبدل مساهب • فلا يبتغى شكراً ولا يدعى فضلاً

وهذا الخدير

تجى إليه الطير عطشى فترتوى • وان ردتا لابل لم يزجر الإبل  
ويغتسل الذئب الأثيم بما شؤ • فلا اثم ذا يمحي ولا طهر تايلى

كما يتواصل التأمل في قصصه الشعرى • هارفاً غرس مبادئ دينية جليها (٢) نفسى  
قصيدة العاشق المخدوع • يثبت من خلال قصصه في حالة من الحالات قول المولى  
تبارك وتعالى • "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم"

ولا تكرهوا شيئاً يصيبكم • فلرب خير جاء من غير

وهكذا يفسح "أبو ماضي" مجالاً في قصصه لطرائف من التأملات الهادفة والتي تتناول  
بين طياتها أحداث الحياة للاستفادة منها وترى مثل ذلك في "الشاعر والأمة"  
و"السلام .....

ومن هذه التأملات تنبثق المناظير البعيدة المدى التي تتوصل بها العقول إلى معارف  
بعيدة الآحاد •

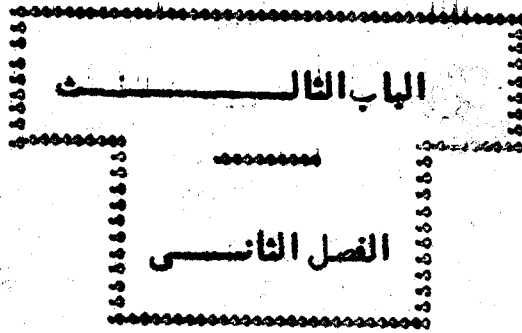
=====

(١) الخمائيل ٨٢ وما بعدها

(٢) انظر قصيدة العاشق المخدوع ٤١٥ زهير مبرزا • وفي باب الوصف في ديوانه

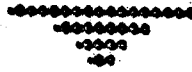
الثانى •

(٤٠٨)



(( البناء الفني للقصة ))

- ١- التجربة الشعرية
- ٢- الشكل والضمون
- ٣- الوحدة الموضوعية



## (( البناء الفني للقصيدة ))

أولاً : (( التجربة الشعرية عند " أبي ماضي " ))

التجربة الشعرية هي بذرة القصيدة • بدونها تصير القصيدة أحجاراً تتبع أحجاراً  
وأجساماً فاقدة الحرارة • بل قل فاقدة الروح .....  
والحقيقة التي لا مفر عنها أن التجربة الشعرية عند أبي ماضي • لا تلتزم بمسار  
واحد كما هي عند كل شاعر • فهي في طفولة الشاعر غيرها عندما تكتمل للشاعر  
أدوات الفن •

فهي تولد صغيرة وتتولاها فكر الشاعر وشعوره بالتحريك والترتيب والتهديب والفصل  
والربط إلى أن تظهر سوية بالوانها الفنية وشبهها الفكرى .....  
وإذا بدأنا الحديث عن التجربة عند أبي ماضي " فينبغي أن نشير إلى أنها عند  
كانت ضحلة فقيرة - غالباً - فهأول الأمر • هزيلة أحياناً • وهذه السمة الغالبة على  
شعره في ديوان " تذكّار الماضي " وإن وجدت فيه بعض التجارب التي بلغت حدّاً  
لا بأس به .....  
.....

لم تكتمل أدواتها الفنية • لتجعل منها تجربة في هذا الديوان .....  
ولكنها أخذت تنمو • ويغذيها الشاعر والحوادث • والمزمن • حتى بلغت أوج قمتها  
في ديوانيه الجداول والخمائل • وتوقفت عن المسير عندما توقف الشاعر عن إروائها  
في مجرته الأخيرة " تبرو تراب " • مما جعلها تظهر في ثوب ضعيف لم تصل  
إلى درجة من القوة كما كانت عليه من قبل •

ونسوق هنا تجربة شعرية للشاعر في دور شبوته الشعرية • ولعلنى لا أكون سططت  
إذا اخترت قصيدة " الطين " لاكشف عما فيها من تجربة شابه • ولعل اختيارى لها  
جاء من شهرتها • في عالم الأدب ومجيشها وسط جداوله الرقراقة في ديوانه الشهير  
" الجداول " .....  
.....

• التجربة الشعرية • غاها • تنوعها • عمقها • شمولها •

التجربة الشعرية هي نواة الشعر الأساسية • والحديث عن البناء الفني للقصيد يقتضى الهدى بنواتها • ولذا سنجد حول • تجربة قوية • وهذا لا يمنع عسّن القول إن تجارب • أبى ماضى • تنوع إلى • شخصية بشرية • متنوعة اجتماعية • أو وطنية أو طهيية • • أو ملفوفة بشوب اسطوري •••••

ينبغى أن نشير إلى أن هناك تداخلاً في تجارب الشاعر الشعرية • والتجربة القوية عند • أبى ماضى • تجمع بين الفكر القوى • والإحساس القوى • وذلك ما يجعلها غنية متنوعة عميقة • امتزجت أجزاؤها • مزجاً قوياً • فظهرت في شوب من الدقة وجمال التفصيل • مروعة الصق والشمول • • • • • فيها نقتضى تجربته نفسى • قصيدة الطين •

وهي قصيدة طويلة • تشغل من المساحة سبعة وخمسين بيتاً • والتزم الشاعر فيها رؤياً واحداً هو الدال الساكنة • وهي مقسمة إلى ستة مقاطع • ويدور محتواها حول غناء الفن المتكبر المختال وجهله وتصوره • هذا الكائن المفرور • الذى يتخذ من الفن مبرراً لتعجرفه وتكبره وغوره • بينما كل مظاهر الفن براهين ساطعة على جهله وعجزه واحتياجه • فما جمعه مظهره الخارجى إلا • وفيه دلائل عجز واضطرار • كما أن عوائقه وأمانه دلائل عجز وحنية • فما ملك مسن الفن ينطق بفرورة • والطبيعة ونواميسها لا تميز بين أحد من الخلق • كما أنها صفحة ناصعة • وبرهان قيم متكامل • يخاطب به الفن قائلاً : إنك لست أنقى من الطين الذى يلامس • نعليك • فلم لاتترك الفرور • وتحسن أدبك • وتطبع على وجنتى الوجود قبيلات الحسب الخالد • • • • • وأبو ماضى • استهل القصيدة • • • • • بالتحقير للطين المهبين الذى نسي حقيقته وحقارته وضعفه • ومذلتة التى طبع عليها • وتكبر وتجبر • وأخذ يصنع من الزهو لباس الخيلاء والتكبر • غير أنه بشى • من الحقائق الكونية التى تنادى صارخه بوجود تطهيق المساواة • بين بنى الكون ••••••••••

(٤١١)

وكل ما يزد هي به هذا المخرور . عاجز عن صنعه وقد استعبده جمع المال الذي  
اتخذ منه مصدراً لصلوته وغروره وتمرده ، وكان المال قوة ترفعه على أقدار الناس  
فلم ذلك يا أخشى . ونحن أخوة في المصير ، ولم الصد والتيه ؟ أترانسى  
شيئا آخر ؟

أترى وجهى فحمة غير وجهك ذهب ؟ أم ترى ماذا ؟ أترك باقيا وغيرك فان ؟  
الحمية أيها المخرور تجرى على الغنى والفقير ، فالغنى لم يكن شمساً تنسى الكون  
أو مخلداً يخناه ، أو بمخزل عن القواتك والأمراض ؟  
ويظل الشاعر فى تعداد مظاهر الغرور والانخداع والجهل ، والفقير الحقيقى ،  
والحاجة للآخرين . . . . . هذا موجز تحليلى  
ولنعد إلى القصيدة لنبين تجربة الشاعر فيها

يقول ( ١ )

نسى الطين ساعة أنه طينٌ \* حجير فصال تيهاً وعريداً  
وكسى الخز جسمه فتباهى \* وحوى المال كيسه فتمرد  
ياخى لا تمل بوجهك عنى \* ما أنا فحمة ولا أنت فرقداً

\* كل مظاهر الفنى براهين ساطعة على جهل الفنى وفقرة وعموديته . عوضه  
لمظاهر الغرور دليل عجز وعمودية وقصور . . . . .

نسى الطين . والنسيان نعمة فى مواطن كثيرة ، كما أنه يكون نقمة حين يكون تمرداً  
على جوهره الوفاء أحياناً . ، وقد يصل النسيان بالمخرور حد الكفر والميأس  
بالله . . . . .

وتأتى المهانة من نسيانه ، وصلوته ، وعمودته ، وغروره ، وتكبره نسي أنه طين حجير  
وهذا النسيان تمرد على الخلق وشطط عن الحق ويعد عن الهدف الذى من أجله

=====

خلق ، أما كونه يعرّب فهذه جوهرة الخصة والسفروب . . . . . ولكن

بماذا إغتر ؟

ليته إغتر بفضيلة ذاتية ، أو مكومة نفسية . . لا . فما أهد عن ذلك . أخذ يزدهى  
بملمسه ، الحر يرى الذى أوجدته قدرة القادر فى دودة يراها حقيرة بالطبع . فما  
أوجده ، وما صنعه بيده ، فهو عاجز عن صنعه . بل إنه فى حاجة ماسة إلى هذا  
النساج الذى صنعه . كما أنه دليل محتاج إلى هذا الصنف من الدور . الذى  
أفرزه . فهذا الفنى . كما يزعم . عيب للوغبة والحاجة +

— وهو بذلك يتوسط زمة العبيد الذين يعيشون فى حاجة شديدة إلى الآخرين  
الذين لا غنى له عنهم ، وعليه بالضرورة أن ينحني اجلالاً واعتزازاً بجميل ما صنعوا .  
وكونه يتيه معريداً بعد . فهذه حماقة وجهل وتجاهل لضرورة الحاجة الحتمية  
لهؤلاء . . . . . والثوب رمز فى ظاهرة وأما باطنه فيفصح عن الاسترقاق واليهودية  
والاحتياج . . . . .

أنت لم تصنع الحرير الذى تلبس \* \* \* واللؤلؤ الذى تتقلد

ويا ليت الأمر وقف عند هذا النساج الضعيف البسيط ، بل راح يتباهى ويتعاضم  
بما هو أدهى وأمر ، أنه اتخذ من اللؤلؤ الذى يتقلده وسيلة للتباهى والتعاضم .  
ونسى — الطين — إن ذلك دليل جلى على حاجة ماسة — فى تعاضمه — إلى هذا  
الحيوان الضعيف . الذى اعتمد على نفسه فى اخراج هذه اللآلى . دون أن يفترس  
بها ، فحكم عليه غروره أن يستعيرها من هذا الحيوان . وربما بعد موته . فرقات  
هذا الحيوان تركه ترثها الطبيعة اعتدى عليها الظالم المخور ، فهذا اللؤلؤ  
لا فضل له فى صناعته ، وإنما الحيوان الذى بلغ من الضعف حداً كبيراً — هو بإرادة الله  
صاحب الفضل عليه . ، فيهاؤه وازدهاؤه . يعود إلى حيوان صغير مستضعف ، وفى  
ذلك برهان . النقص والعجز والاحتياج . ليس لمثله فقط . ولكن لما هو دونه فى  
كل شئ . ولو أراح غطاء الجهل لعرف حاجة الكون إلى بعضه . فكل صغير مهما قل  
حجته أو قدرته له قيمته . كقيمة الحجر الصغير فى السد الكبير .

أنت لا تأكل النضار إذا جمعت \* ولا تشرب الجمال المنفرد

٣- \* المظاهر والفرائض من دلائل اليهودية وعلاقتها .

وإذا باهى النفاق المخروم بحلوه من الذهب وغيره . وذلك ليس من صنعه .  
ولا طاقه لديه بذلك وحتى لو أراق دمه . . . . . ومع ذلك فهل أغتته عن الطعام  
والشراب ؟ أهو فى مأمن من الجوع والمطش ؟ وإذا جاع - مثلاً - أياكل  
ذهبا ويشرب جماتا ؟ ولو سلمنا جدلا بأن الذهب مأكله .  
أيستطيع أن يصيره سهلا سائغا . تمزيقا وطحنا وهضما واستفادته ؟  
ولو وصل الأمر إلى هذا الحد فلينظر المخروم إلى حالة الذهب وقتئذ .  
إن الجوع والمطش غريزتان حتميتان . ومظهران لليهودية واضحة تتكرر كل يوم  
فهل استطاع الانقلاط منها .

■

أنت فى البردة المشاة مثلنى  
لك فى عالم النهار أمان  
ولقلبي كما لقلبك أحلا  
فى كسائى الرديم تشقى وتسمعد  
روى والظلام فوقك مستعد  
مجان فإنه غير جلمعد

■

أمانى كلها من شراب  
وأمانى كلها للتلاشى  
لا . فهذى وتلك تاتى وتمضى  
أيها المزدهى . إذا مسبك السقم ألا تشمكى ؟ ألا تشمعد ؟  
وإذا راعك الحبيب بهجر  
أنت مثلى يمش وجهك للنصوى  
أدموعى خل ودمعك شهيد ؟  
وأبتسامى السراب لا رى فيه ؟  
وأمانيك كلها من عسجد ؟  
وأمانيك للخلود الموكد ؟  
كذوبها وأى شئى يمشعد ؟  
ودحك الذكري ألا تتوجعد ؟  
وفى حالة المصيبة يكمد  
وكائى ذل ونوحك سوكد ؟  
وأبتساماتك السلالى الخوكد ؟

هل اتخذ من ثيابه وذهبه وحليته حصناً يقيه الشقاء وينجيه السعادة؟ يعيش بممزل  
عن السعادة والشقاء؟

إن كان كذلك فقد أصبح جليداً • وانكسف الخطاء • وإن كان يشقى وسعد فهو  
مثلهم مصيراً وأمانى مرغائب • ولو كانت عنده القدرة ما تمنى • لأن الأمانى دليل  
ضعف وعبودية واحتياج •

ولكن ما شكل هذه الأمانى؟ • • • • • كلها للفناء وأدلة عجز واحتياج وعبودية للمرغائب  
وكل ذلك نقص وشقاء •

الحب والوجد والألم • والشكوى • والبشاشة • كلها أمور لا تسير بإرادتك ولا تنصف  
في انتظار أمرك ورحمتك • كما لا نستطيع دفعها أو ردّها • فهي حتميات •  
أنت عبيد لها • تلد وتتوالد في نفسك • ولا تخاف من غرورك • وتلعب بك كيف  
تشاء • أنت وكل البشر أمامها سواء • فهذه كلها أمراض في اغناق البشر ولا تستطيع  
الانفكاك منها •

ويا أيها المفسرور:

ألا تحس ألا تتألم؟ ألا تبكى؟ أمالك من دموع تفضحك وتظهر ضعفك • وتبين  
عبوديتك تحت سيطرة المواطف؟ • هل استطعت أن تحوها وتغضى عليها؟ • ما ينزلها؟  
من أي شريان قلبي تتوجه إلى الرأس؟ • ما الذي ينزل الدموع؟ • أتختلف في كمهيات؟  
أدموعك ذهب ودموعي خيل؟ لا •

فإنها واحدة تهطل تعبيرا عن عاطفة شمورية • • •

فالحياة بما فيها محترمة لغرورك • وليس أكثر إلا لك من هذه الجرثومة المزعزعة

التي لا تصل قدرتك إلى ريتها • • • • • إنها تقتحم منك ما تريد • وتفعل فيك

ما تشاء • وترتك ثن وتتهد ضعفاً وألماً • فأى جدوى وأي غرور لهذا الضعيف • • •

المال والفضة والذهب كلها لم تنجح في دفع أسقامه • والقدر أقوى من كل شيء •  
فحتميات



فلما واحد يظل كليلنا  
 قمر واحد يظل علينا  
 ان يكن مشرقا لمينك أنسى  
 النجوم التي تراها أراها  
 لست أدنى على غنناك إليها

• " ناموس الطبيعة هو المساواة العامة "

الكون وما فيه أصدق - ناطق مرئي على ذلك • ، فلكك واحد يظل الغنى والفقير  
 وهو أيضا للحيوان • والدود والبعوض والحشرات • ، وكل ما فى الفلك يسير بهذه  
 الفضيلة • والمفرور عاجز عن التصرف فيه • فلكه فلك غيره •  
 = القمر الذى يراه غيره • وهو لا يراه مشرقاً من هوة قصره • ويراه القير مظلماً  
 من هوة كوخه • مساواة • واعتراف بعظمة الخالق العادل •  
 = النجوم تظهر لكليهما فلا تقترب من هذا لغناه • وتبتعد عن ذاك لفقره • فدين  
 الطبيعة ودستورها • لا يضح أدنى تمييز بين غنى وفقير • فالكل أمام الطبيعة  
 سواء •

\*\*\*

أنت مثلى من الثرى واليسه  
 كنت طفلاً إذا كنت طفلاً وتفتدو  
 فلما ذا يا صاحبي التيه والصد  
 حين أغدو شيخاً كبيراً أدرد  
 لست أدوى من أين جئت ولما  
 كنت ، أو ما أكون يا صاح فى غنى  
 أفترى ؟ إذن فخبراً والآ  
 فلما ذا تظن أنك أوحده  
 وحده الأصل :  
 أنت مثلى أيها المفرور فكلانا من طين • إلا أن طينتك مغرورة حقيرة نسيت قدرها

انت غرسة نمت إثر لحظات يرى المرء فيها نفسه الصغيرة عمدة الرغبة الحيوانية •  
وأخذت بك القدرة إلى مدارج التقدم والتطور • فحولت من نطفة إلى علقة • إلى  
مضفة ••••• الخ

طفلا • فشابا • فشيخا كبيرا أدرد • أنا من هذا الطريق جئت  
فإذا كنت قد جئت منه • وهما <sup>أغلب</sup> ظني • فكلانا من بوثة واحدة • فلم لا تفتن لحكمة  
الحياة التي كتبت عليك الضعف والعجز •••••

وإذا كان الناموس الطيبى قد سيرك تلك السيرة • فأين القوة ودوام الاعتزاز إلى  
هذا الحد ؟ ومن أين الفضل الذى تدعيه على • وعلى نواويس الوجود • فإلك من عبد  
ذليل خدعتك الترهات • ولعبت بك الأضاطيل •

\* لقد وصل بك الجهل إلى ما ذا ؟ إلى جهلك قدر نفسك • ولكنه أسرارها •  
فأنت لا تعرف كتبها • ولا تدرك أسرارها • ؟ ولا ما يحترقها من أمور غيبية • وإذا  
كنت تعرف • فخبرتى بريك عما فى غدنا من أحداث وخوارق •••••

ويجيب الشاعر • ظانا أن الجاهل المفرور لن تقوى له قدم على مجابهة الحقائق •••••  
وإذالم - ولن - تعرف فلما ذا تظن أنك أوحده • إذا كان ذلك فى الفرور والجهل فقد  
صدقت • وتلك محمدة لسك •

\*\*\*

|                              |                                         |
|------------------------------|-----------------------------------------|
| ألك القصر دونه الحرس الشا    | كى ومن حوله الجداد المشيد               |
| فامنع الليل أن يمد رواقا     | فوقه • والضباب أن يتلبند                |
| وانظر النور كيف يدخل لا يطلب | إذنا فما له ليس يطوره ؟                 |
| موقد واحد نصيبك منه          | أقتدرى كم فيك للفر موقد ؟               |
| ذرتنى عنه والمعاصف تمدو      | فى طلايبى والجو <sup>أفهم</sup> أريد    |
| بينما الكلب واجد فيه مأوى •• | وطعاما • والهراكلب <sup>أفهم</sup> أريد |
| فسمعت الحياة تضحك منى        | اترجى • ومنك تأبى وتجدد                 |

\*\*\*

(٤١٧)

ألك الروضة الجميلة فيها  
فازجر الريح أن تهز وتلوى  
والجم الماء في الشديروهمرة  
إن طير الأراك ليس بيالسى  
والأزاهير ليس تسخر من  
الماء والطير والأزاهر والنسد ؟  
شجر الروض - أنه يتسأور  
لا يصفق إلا وأنت بسمسهد  
أنت أصفيت أم أنا إن فسرده  
فقرى ولا فيك للفنى تنسوده

\*\*\*

ألك النهر؟ إنه للنسيم الرطيب  
وهو للشهب تستحم به فى الصيف  
تدعيه فهل يأمرك يجسرى  
كان من قبل ان تجى وتضسى  
درب وللمصافير مسرود  
ليلاً كأنها تميمرد  
فى عروق الأشجار أو يتجمسد  
وهو باقى فى الأرض للجزر والنسد

\*\*\*

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجنى  
وأرى للنمال ملكاً كيبيراً  
أنت فى شرعها دخيل على  
لو ملكت الحقول فى الأرض طيراً  
الشهد من زهره ولا تسرود  
قد بنته بالكدح فيه والكسد  
الحقل ولص جنى عليها فأنسد  
لم تكن من فراشة الحقل أسمد

\* ثم يعود الشاعر إلى الطبيعة ليتخذ منها مزيداً من الأدلة عجزه وضعفه وإحتقاره  
إذا كنت غنياً فخبرتني أملك قوة تمنع بها الليل والضليل - من اتخاذ قصرك مسرحاً  
وامنع كذلك النور من اقتحامه إلا بإذنك ؟ .. ؟ وإذا اقتحم أستطيع طرده ؟  
يا لك من عاجز مغرور لا تستطيع الخروج من نواميس الطبيعة .

وهذا القصر أيملاً وه حجمك ؟ أتأخذه كالمرقدا ؟ لا . فليس لك فيه إلا مرقد  
واحد . كالكلب والكلب أوفسى . . . . . ، الكلب لا يعرف للمغرور ولا للجهمل  
على أصحابها به طريقاً ، فالوفاء شيمته وبه اشتهر . وهذا الذى اتخذته حماية  
لمجزك فانت عبد له . غير أن قول الشاعر يحصرنى الآن

والكلب وأخافه ونهيك فسرور  
ففيك عن قدرة مسرود

(٤١٨)  
الروض الذى تفخر به أهولك ؟ إذا كنت قويا ضع للمرح منه • وأههر أمرك  
لماء الخذير إلا يصفق إلا بمشهدك ••• يا أخى نحن أمام الكون سواء • والانهير  
أهولك ؟ أتقوى على حمايته ؟ إنه ليس لك هو للنسيم يعانق سطحه • وللمصافير  
تتخذ منه مستحماً • وأنت لا تستطيع الفوص فى أعماقه كالنجوم • ومن يجرسه  
فى الأشجار ؟ أيجرى بأمرك فيها ؟ أجا • معك إلى الوجود ؟ أم قبلك • أبهى  
مثلاً تمضى ؟ ثم تدعى الأوحديسة !

• لم أعد أنهم شيئاً يا ببنى •  
الك الحقل • فلما ذا تقبل النحل على أزهاره دون إذنك ؟ وسكته النهل غسره  
مبال • بل إنك فى شرعتها دخيل عليها ولصمفسد •  
أتملك السعادة وتوجه دنشها كما تشاء ؟ عفوا فالسعادة عنك بعيدة • • فقد  
أقلقها غرورك وتقاءك • فصارت نفسك قفراً • ولست على أى الأحوال أسعد ممن  
فراشة صفيرة تطير • إيه بالله تطير • وأنت عنه عاجز • ويحصرنى قول الشاعر  
أبى العلاء •

سر إن استطعت فى الهواء رويسدا

لا اختيالا على رفات المبيد

إن هذه الصفيرة تداعب النور وتلثم الزهور • وأسعد منك •••••

\*

٨ - أجميل ؟ ما أنت أبهى من السر

دة ذات الشذى ولا أنت أجود

أم عزيز وللبحرصة من خديك قوت وفى يدك المهند

أم غنى ؟ هيهات تختال لولا دودة القز بالحياه المجد

أم قوى ؟ إذن مر النوم إن يخشاك والليل عن جفونك يوتد

وامنع الشيب أن يلم بفوديك ومرو تلبث النضارة فى الخد

أعلم ؟ فما الخيال الذى يطرق ليلا ؟ فى أى دنيا يؤلسد ؟

(٤١٩)

ما الحياة التي تبين وتخفى \* ما الزمان الذي يذم ويحسد  
أيها الطين لست ألقى واسمى \* من تراب تدوس أو تتوسد  
سدت أو لم تمد فما أنت إلا \* حيوان مسير مستعبد  
إن قصراً سمكته سوف ينسدك \* وشواً جبكته سوف ينقصد  
لا يكن للخصام قلبك ماوى \* إن قلبى للحب أصبح معبدا  
أنا أولى بالحب منك وأحرى \* من كساء ييلى وما ل ينفد

### " الصفات الشكلية "

ومهما جمعت من جمال فلست أجمل من الوردة ولا أجود منها . كما إن قوتك وعزتك لا تعز عن لسع البعوضة الضعيفة ، التي أبتئ أن تبرز بعضها من فضلاتها — وغفونتها في جسدك ، وما عندك ما يقوى على منحها فهي لا تسمع لك أمراً ولا تعطى لك قدراً .

أتختال وأنت عبد الدودة نلولاها ما اكتسبت خزا وحرياً ، أتدعى القوة إذن فسر النوم أن يحمل استاره عنك ويرحل ، ومر البلبل أن يبحث له عن مفنى غير مفناك ، وإلا مما أنت سوى إنسان مهين وحيوان مسير مستعبد ، نسي جوهرة . الحقيير الفانى .  
ويا أيها المخرور إذا كنت تملك القدرة فمر يلقى الشباب والنضارة والصبابة الفناء يا أخى آفة كبرى لخرورك فلا الفقر يلقى . ولا الثوب يدوم والفضى ينفع فمليك أن تفسل قلبك من نار الشرور ودخان البخض . بماء الحب الصافي فالحب باقى وحرى بأن يكون خلا مريفاً فسيحاً ودستوراً خالداً للوجود .

### " وهكذا جاءت التجربة عميقة "

١ - \* فقد وقف الشاعر عليها ، وترك فكره المنظم يحمل فيها فيربط هذا بذاك ، ويفصل العقل ما التقطه الفكر جملة ، ويجمع بين تلك الأمور . ويفصلها متخذاً من الشئ برهاناً لمدد من القضايا والأمور واستطلع ما فيها من حقائق فعلية هاجمة خلف الوعى وحولها .....

٢- أورد الحجج والبراهين والأدلة التي تلقى بالمغرور في أعماق النفس

والجهل والضعف ، وقد وردت بأسلوب متعمد ثائر أحياناً .

لمست أدنسي على غفائك إليها . " وهادي أحياناً . يا أخى لا تمل

بوجهك . . . الخ " وقد أضفى عليها من الطبيعة وهمساتها مسحة

شعرية رقراقة زدها حسناً ورقة . . فهم الشاعر للغة الطبيعة الوعظية

٣- إيراد لكل أنواع المعجز والضعف والحتمية من خلال مظاهر الفنى

ورغائب النفس وعواطفها ، ومطالب الجسد ، والطبيعة وقاموسها

وقانونها ، والمواطف ، والفناء ، والشكل الخارجى للإنسان . حتى

ترك المغرور فى أحط درجات الجهل والسقم . . . . .

والتساؤل والنداء . أسقطا فى قلبه حركة أخذت تروح وتغدو متأججة

بلمهيب الانفصال مرة ، ومكسوة بحنكة من الهدوء أخرى . مع الخيال

المناسب لهذا المغرور النفاج الجاهل ، وقد وفق الشاعر فى اختيار

الروى ، " الدال الساكنة " التى تبين مدى ما فى النفس من نيران

يريد الشاعر أن يسلطها على هذا المغرور حتى تختطفه من عسل

إلى الحضيض . أو تحمله للريح فتهدى به هذه . فى مكان سحيق .

٤- اتصال التجربة بحقائق المظاهر ومعالجتها فى جو من التعميق

والتبسيط والوضوح النابع من المنطقية التى احتاجت إليها التجربة

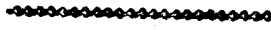
وطبيعتها . وما فيها من أمور بلاغية وقد زادت شدة الإحفاف والجفاف

من كثرة أدوات الإستفهام الساخرة .

هـ اظهره لموقف الطبيعة وقانون الوجود من المساواة بين كل الكائنات

على السواء . وقد تكرر ذلك مراراً فى تجارب الشاعر .

## المضمون والشكل



"الموضوعات - الألفاظ والأساليب - الأوزان والموسيقى - الصور والأخيلة"  
والحديث عن مجمل هذا الموضوعات يجب ألا يخلل التمييز بين بعض هذه  
التقاط في مراحل ثلاث.

الأولى : تضم "تذكار الماضي" وجانب كبير من "ديوان إيليا أبو ماضي"

===== باعتبار التقارب الكبير والقائم بينهما في كثير من الاتجاهات...

والموضوعات وغيرها.....

ودون أن نخفل الإشارة إلى ما جاء فيه من بذور هامة فسي

التجديد تدخل القديم في شيء منها.....

الثانية : الصفحة المشرقة في مرحلة الشبية الشعرية الفنية والجدة

الشمولية في الإنتاج الشعري (١) وتضم ديوانية "الجدائل"

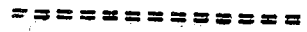
و "الخمائل"

الثالثة : وتعتبر وقفا عن التقدم ، وعودة إلى بعض الموضوعات القديمة

التي تعد انتكاساً في فئة الشعري وتضم المجموعة الشعرية

"تسبر وثراب"

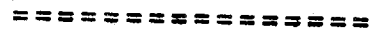
أما بالنسبة للموضوعات



فقد حفل شعر "أبي ماضي" بموضوعات عديدة ، سياسية ووطنية واجتماعية

وحُب ، ورناء ، وتأمل ، ووصف حتى للطبيعة ، وخنين وقصص ، وهجاء

وغزل ، وفخر ، وتكريم (٢).



(١) انظر في هذا البحث التجديد في شعر أبي ماضي في الباب الرابع الفصل

الثالث فنية المزيد من التفصيل.

(٢) وتستطيع أن ترجع إلى الفصل الخاص بالدواوين في هذا البحث لمعرفة

الأغراض الشعرية في كل ديوان

وينبغي أن نشير إلى أن هذا الموضوع لم تولد دفعة واحدة فكما لم تظهر نظم الشعر  
مجموعة في كل مرحلة الشعرية . كما أن ما جاء منها في كل مراحل شعره يختلف  
في كينيته في طفولته الشعرية عنه في مرحلة القوة .....

فالشعر السياسي ظهر في ديوانه الأول . صاحبه حتى في شبابه الشعرى ، ولكن  
داثرته وعمقه في ديوانيه الثاني والثالث . أخذ يُمددًا جديدًا عمقا وكما وكيفما .  
عما كان في ديوانه الأول . حتى صار ذلك وكأنه نوع آخر . . . وما سار معه من  
بداية الطريق . الوصف والقصص والاجتماعيات والغزل . ولونا من الهجاء . . . . .

مع الفوارق وعلى سهيل المثال .

— وصفه للطبيعة يأتي في ديوانه الأول مثلما عرف عند القدماء . من وصف يعبر عن  
الإعجاب بما فيها من أشكال وألوان وجمال . . . . الخ ، بينما تراه في ديوانيه  
" الجسد اول " و " الخمائل " يبين عن أعماق وأبعاد أخرى ، فالطبيعة أصبحت  
كل شيء ، يرى فيها ذاته وملهمته الكبرى ، ويرفأ أمين يلجأ إليه ، وبراءة تنعكس  
عليها صفحة نفسه ، يحاكيها فتجيبه ، ييشها آلامه فتواسيه ، يستلهمها . . . يديس  
يديسها .

— أما الهجاء فقد تناثر في أشعاره ، ولم تظهر منه في دواوينه سوى أبيات قليلة  
بينما جاءت في أشعاره ( ١ ) المجهولة أكثر من قصيدة مما ينبع عن دوافع شخصيته  
أو اجتماعية وإنسانية ، وعلى كل حال يبدو أن الشاعر أهمل نشر كثير من هذه  
القصائد ويرجع ذلك ( ٢ ) لأسباب بعضها إنسانية وبعضها فكرى . . .

=====

( ١ ) انظر كتاب " إيليا أبو ماضي " جورج سليم القسم الخاص بأشعاره المجهولة  
دار المعارف .

( ٢ ) سوف تتعرض لذلك عند الحديث عن هذا الغرض في موضوعات شعره . في هذا

المبحث بإيضاح . . .



— وأما غرض الرثاء والاجتماعيات فقد لازما الشاعر طيلة حياته • وانتشرت في دواوينه • وقد اصطبخت بصبغة وطنية قومية •

وأما التأمل • فقد ظهر في ديوانه الثاني • فزاده الفكر والإحساس والهدف وأبعاده المتناثرة عمقا جديداً في ديوانيه " الجداول والخمائل "

وأما الحنين • فقد ظهرت بوادره في " تذكارات الماضي " ولكن احتمال الجدوة لم يكتمل إلا في ديوانه الثاني فقد شغل هذا الغرض مساحة كبرى • وعمقا آخر • وفي جداوله لا تتعدى قصائد هذا اللون أصابع اليد • وكاد ينعدم في " الخمائل وتبر وتراب " ويظهر أن عدد هذه القصائد ارتبط بنفسية الشاعر التي اشتعل أوارها بعد هجرته إلى أمريكا وقبل استقراره والتقاءه بإخوانه الغريباء الذين خففوا من عبء النفس الكثير •

أما القصص :

نقد بدء به نظماً بارداً يجارى طفولته الشعرية حيث لم تكتمل له بعد • أدوات الشعر القصصى • والنظا هر أنه لم يقو على القص الجيد إلا بعد أن اخذ نفسه بالثقافة والاطلاع • وتنمية الموهبة القصصية حتى أنت ثمارها في دواوينه الثاني والثالث والرابع • فظهرت بعض القصص المحبوكة المقدمة • والتي جمعت بين الحوار الجذاب والحل الطبيعي ..... (١)

وأما حفلات التكريم فقد كثرت عند الشاعر في ديوانه " تبر وتراب " . . . . .

\*\*\*\*\*

والسمة الظاهرة في ديوانه الأول وبعض أشعار من ديوانه الثاني • هو أنه عبّ فيهما من حياض السابقين . . . . . فقد بدأ مقلداً " شكلاً ومضموناً " نفس الموضوعات وكيفية تناولها ومطالع القصائد • وطابعه الفخم (٢) والأساليب العربية بما فيها

=====

(١) ستناول ذلك مشىء من التفصيل في الفصل الخاص بالتجديد في شعره ب٤ ف٣

من هذا الحديث •

(٢) ذكرنا ذلك عقب الحديث عن ديوانه تذكارات الماضي في الفصل الخاص بالدواوين من هذا

البحت . . . . .

من ألفاظ جزلة ، كما سار على البحور الشعرية التي سار عليها السابقون . . . من

أوزان طويلة . . . . . الخ .

ومحاولات التقليد والمعارضات . ولكنه تحثر في قواعد النحو . وظهر في شعره بمض

من الاضطراب الوزني . في ديوانه الأول .

غير أنه في كثير من أشعاره في " ديوانه الثاني " ترى الجودة المتمثلة في الكثرة من شعر

التفاهل ، والتأمل العميق . والإنسانيات . والقصص الذي قفز فيه إلى الأمام كثيراً —

ليجاري القصص الجيد حواراً وجدة وحبكة . . . . . الخ .

وقد ورد في هذا الديوان التمسك بالعربية فلم تظهر فيه السقطات التي ظهرت في سابقة

كما عني بالألفاظ وتمسك بالأوزان والقوافي وعمود الشعر العربي . . . . من بحور وأوزان

ولكنه . . .

» زاد فيه من كثرة التقليد للموشحات . التي اجتمعت لديه كثرة منها لا تتكرر . تصرف —

فيها بحرية مطلقة في أوزانها وموضوعاتها التي شملت أغراضاً شتى ( ١ ) في الحنين

والرثاء ، والوطنية . . . والتأمل . والحُب . . . . .

كما جاء له كثير من الرباعيات والمخمسات والمتنوعة الألوان . . . . .

#### المرحلة الثانية

=====

هذه المرحلة هي بدر في سماء شعره ، وخاصة ما جاء في ديوانه الجداول فقد

أبدع فيه الشاعر أيماء ابداع . ويكفي أن نسوق في ذلك شهادة الأستاذ / ميخائيل

نعميم " . التي ساقها في مقدمة الجداول في طبعتها التيموريكية حيث قال : " والذي

أحاوله الآن هو القول بأنني آنس قرابة روحية بيني وبين صاحب الجداول . ما كنت

أشعر بمثلها . بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان " إيليا أبو ماضي "

ترى أنغير أبو ماضي إلى هذا الحد في السنوات الثماني الأخيرة أم ترانى تفسيرت "

=====

( ١ ) سوف نتحدث بشيء من التفصيل عن ذلك أثناء التجديد في الشكل في هذا البحث

" كما يقول . في نفس الطبيعة "

" فبين هذه الجداول ما تنسكب معه روحى متفرقة ، متريفة ، مطمئنة جفلة ينور في عنبرها  
وجمال على جانبيها ، مرحة بحرية لا أرضاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق لهولا حدود  
..... ، أقروها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة بل إلى مجمل ما يتجلى فيها  
من الرسوم ، وما تدثه في نفسى من الرعشة . ، وتنبهه في وجدانى من الشعور والخيالات "

■

الفكر الحر والحرية يفرقان فوق جداوله ، فقد تغيرت أنغامه فكرا وموضوعا ، كما تخلق عن  
مساره اللفظى في طفوله شعره . فترك الخريب والضارب فى الهزلة التى يعجب بها القدام  
وتحى عن شعره المطالع القمحة ، وأساليب القدام ، والسرايب البلاغية التى لا توث —  
القصيدة غير الملل . والسأم . . . .

وراح يلزم السمو النخس ، واللفظ الإيحائى ، والأسلوب الرقراق . الذى ينساب كيساه  
الجدول الصافية . . . . .

مع هذه الصبغة الحوارية التى تسحر الألباب وتستعبدها حتى تفرغ القصيدة وطايبها ، لا بل  
ويبقى طايبها الذى طبعته على القلوب القارئة فلا يمر وقت دون تذكراها . . . . .  
فجدته فى جداوله قلبا وقالبيا ، جعلت روح الرابطة تظهر بوضوح ، وهذه الحرية قد وجد  
فيها الشاعر مبتغاه . بعدما أخذ نفسه بالدرس والإطلاع والتثقيف زمانا . وكانت ثمراته من  
ذلك . . . . .

الفاظ لها سحر الجمال وصفاء الجداول والعمق الكبير فى تأملاته . التى فتحت أمام البشر  
مجالات التفكير ، وأخذت بهم إلى الانفتاح الكبير فى هذا الميدان

— ولا يفوتنا أن نذكر ما جاء له فى الجداول من رمزيات شهيرة هادفة ، ورومانسية

عذبة (إبنة الفجر)

— وإذا ذهبنا إلى مجموعته الثالثة والأخيرة . فما هى إلا نهاية لقوس قزح . إن صح

التعبير . ولكنها مع ما جمعت من شعر فى المناسبات " الشاعر فى حفلات تكريميه .

دمت وفاء على الراحلين . . . . الخ

( ٤٢٦ )

فقد جاءت فيها معان صافية ، خالية مما وقع فيه من أخطاء لغوية واضطراب وزنى  
فى ديوانه الأول . ، ولكن الذى قلل من قيمته هو :  
كثرة شعر المناسبات فيه ، والقلة المفرطة فى القصائد الرفيعة مثل تلك التى وردت فى  
جداوله أو فى خمائله . .

### ( أما الصورة الشعرية )

فهى فى مرحلة الأولى كان - بالطبع - يستمد عناصرها من أعمال السابقين ، خيال  
التابعى العقلى ، تشبيهات واستعارات ومدىحيات مثلما كان عند سابقيه ومن يقلدهم  
وظاية أمرة منها التعبير عن الإحساس بالحسن . والتعبير عن هذه الأمور الشكلية . . . .  
كالأقدمين ، والتأثر ونقل الشكل أو اللون إلى القارىء ما هو الأنبش عن لوحات قديمة  
تراكم عليها الغبار لا تلام عصره . ، يزيل ما عليها من غبار . ويقدمها للناس من جديد  
فى غير جديد . . . . .

وذلك لا يتصل بنفسه أو عصره أو بيئته . فهى علامة مميّزة على التكلى المقوت .

وهذه الصور أتت إليه من التراث الشعرى القديم . . . . .

وفى مجموعته الأخيرة يتشابه الماضى والحاضر أسلوباً وصورة فهو يستحير منهم كثيراً من  
القالب واللغة وأساليبها . ويصعب فى ذلك بعض تجاربه التى عاشها وهكذا تظهر  
صورة فى ديوانه الأول فاترة باردة قديمة أحياناً ، وحسنة أحياناً . مع بعض الصور  
الطامية . البارزة فى عاميتها . والتى أجبرها الشاعر على المطاوعة بعدما طمرت ثيابها .  
وأخذ يتحلل منها شيئاً فشيئاً . ليحل محلها التصور الشاب البار والمبتكر الجفاب . . .  
حتى ظهرت الصور الرائعة المبدعة ( ١ ) التى ضمت كثيراً من اللوحات الرائعة المبدعة

=====

( ١ ) سنتناول ذلك بشئ من التفصيل فى الفصل الخاص بتجديداته فى الصور من هذا

( ٤٢٧ )

البديعة التي تجذب القارئ وتستولي على لبه وتعكس له نفس الشاعر واضحة مما يجمل

عدوى الآلام والانفعالات تنتقل إليه . .

هذا مع ما فيها من البراعة في الخيال والإيحاء واستخدام التشخيص والتلوين ، وانتشار

التأملات التي يرونها الفكر وتغذيها الطبيعة .

— ويبقى أن الشعر إلى شيء آخر هو الفقهنية التي تسرى في بعض قصائده والتقريرية التي

ترى في بعض منها .

وقد تكون التقريرية راجعة إلى المنطقية التي يلتزمها حين يكون في مجال المرافقين

، وربما ترجع التقريرية إلى مذهبه في النظم فهو يحب الوضوح في الشعر ويكره الغموض،

وقد تكون فهنيتها راجعة إلى تأملاته الضاربة في أعماق الكون وما وراء الطبيعة .

\*\*\*\*\*

## (( الوحدة العضوية للقصيد ))

\*\*\*\*\*

تخبرنا قصائد الشعر القديمة • بخلوها من الوحدة العضوية بفهمها الحديث • —  
 فتأليف القصيدة من أغراض شتى • واهتمام النقاد بالبيت كوحدة • وما عدوا من عيوب  
 كالضمين كل ذلك يحطم الوحدة وينع تحققها •  
 ويعتبر أول من طرق باب الحديث فيها الشاعر " خليل مطران " • فقد جاء في مقدمة  
 ديوانه الذي أخرجه عام ١٩٠٨ هذا القول " هذا شعر ليس ناظمه بحدده • ولا—  
 تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده يقال في المعنى الصحيح باللفظ الصحيح •  
 ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد • ولو أنك جاره • وشاتم أخاه • وداهر المظالم  
 وقاطع المقطع • وخالف الختام • بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موطنه—  
 وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها "  
 ثم جاء من بعده " شكوى " و" العقاد " و" المازني " و" نعيمة " • وفي هذا الصدر يقول  
 " شكوى " ( أ )

" إن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وموضوع القصيدة • لأن البيت جزء مكمّل • ولا  
 يصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة بعيداً عن موضوعها •••••  
 وينبغي أن تنظر إلى القصيدة من حيث هي فرد كامل • لا من حيث هي أبيات مستقلة  
 ومثل الشاعر الذي لا يحنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها مثل النقاش الذي يجعل نصيب  
 كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيباً واحداً " ( ب )  
 أما العقاد فقد قام بحملة ضد شوقي في محاولة للإطاحة بشعره • وكان من أسلحته  
 في الهجوم عليه خلو شعر شوقي من الوحدة العضوية •

( أ ) انظر النقد الأدبي الحديث د • محمد غنيمي هلال ٩ — ٤

( ب ) الشعر المصري بعد شوقي د • محمد مندوح ١ = ١١٠

يقول المقاد خلال هجومه على قصيدة شوقي في رثاء " مصطفى كامل " إن القصيدة يجب أن تكون عملاً فنياً متكاملاً • يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة • كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها • واللحن الموسيقى بألغائه • بحيث إذا — اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أُخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها • فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته • ولا يفتنى عنه غيره فى موضعه إلا كما تفتنى الأذن عن العين • أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ••••••••••

ومنى طلبت هذا للوحدة المعنوية فى الشعر فلم تجدها فاعلم أنه الفاظ ولا تتطوى على خاطر مطرد أو شعور كامل الحياة • بل هو كأمشاج الجنين المَخْدَج • بعضها شبيه ببعض • أو كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة • لا يتميز لها عضو ولا تنقسم فيها وظائف وأجهزة " (١)

• والواضح أنهم يطالبون —

بالوحدة فى الفرض الواحد • وينبغى أن يبنى الشاعر قصيدته على وحدة الموضوع والهدف والتجربة والمشاعر •

ولا ينبغى أن نطلق حكماً يعنى أن افتقاد القصيدة إلى الوحدة العضوية افتقادها صدق الشاعر (٢) أو عدم عمق التجربة "

فهل يرى القارئ — مثلاً — فى وصف أمرى القيس كذباً مع خلق قصائده من الوحدة العضوية بمفهومها الجديد • أو قصائد زهير • أو هاشميات الكميث • والمدنسة المهجرية قد عمقت هذا المفهوم للوحدة فى القصيدة • وإن خرج بعض شعراءهم عنها لطبيعة القصيدة •

=====

(١) انظر الديوان المقاد والمازنى ١٣٠ ط ٣

(٢) انظر التجديد فى شعر المهجر أنسى داود ٣٧٠

(٤٣٠)

بل ذهبوا إلى وحدة المجموعة الشعرية • فأصبح ديوان الشاعر يضم مجموعة من القصائد ذات طابع متشابه • وأطلق على هذا المجموعات أسماء تحمل صلة بعضها ببعض من ذلك " المائيل " و " الجداول " • لأبي ماضي " مثلا بينما يرى الناظر في أدب " أبي ماضي " ما يلي :-

أولاً : موضوعات سياسية قومية ووطنية • واجتماعية • وهجائية •

وهي تتشابه في البناء من حيث تعدد الأغراض أو الموضوعات ، ولكنها تختلف مع القصيدة القديمة • في نوعية هذا التعدد •

فالقصائد القديمة كانت تحوى أغراضا متنوعة كالغزل والفخر ، وكأدب الديار والهجاء والوصف ••••• وكل غرض يختلف عن الآخر ويراد لذاته • وتضم القصيدة كل

هذه الوجوه •••••

ولكن قصائد " أبي ماضي " تجمع موضوعات متعددة وأغراض شتى • كمدح المناضلين وذكر الأجداد العربية ، وإثارة العرب إلى تخليص الأرض من الظالمين ، وتهديد الأعداء ومهاجمة رجال الدين ••••• الخ إلا أنها لا تتناقض بينها بل تجمع هذا الموضوعات في القصيدة تجمعها وتلم شملها وحدة خارجية يفترضها الشاعر

من الواقع ••••• وكلها تدخل في نطاق هدف عام هو الشعر من أجل الوطن •

فكلها تسير نحو بؤرة واحدة هي التي فجرت هذه الينابيع ، والطبع لا يمكن أن -

تسايرها الوحدة العضوية (١) •

وفي هذا النوع كثيرا ما تجد مقطوعة من القصيدة فيها تتحقق الوحدة العضوية

بأكمل معانيها • وربما يقابلك في القصيدة مجموعات كل مجموعة تتحلق فيها تلك

الوحدة ••••• ومن هذا النوع ترى عنده الكثير الذي لو قسمت القصيدة إلى مقطوعات

للمت تلك الوحدة في كل مقطوعة ••

=====

(١) انظر إلى أغراض الشعر في الفصل السادس من الباب الثالث من هذا البحث



(٤٣١)

ثانياً : القصائد التي تقوم على المنصر القصصى • مثل " التينة الحقاء " والحجر

الصفير " و " الضفادع والنجوم " •

وكذلك القصائد التي يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة أو متكاملة

بكل عناصرها • بحيث يختل الوضع إذا اختلف الترتيب •

كما تتحقق الوحدة في القصائد التي تحكى حديثاً معينه مثل " الشاعر نفس

السماء " ويلحق بذلك الشعر الذى تسرى فيه الحكاية والحوار ويدور حول —

حادثة معينه مثل " أنت والكأس " ••••••••

ثالثاً : الشعر التأملسى وفيه

القصيدة تقوم على وحدة الهدف العام ووحدة الجوانب النفس والفكرى ومع هذا

فإن وجود البيت فى موضعه أو المجموعة فى مكانها ليس أمراً ضرورياً ••••••••

ومن ذلك • " المنقاء — الخلود — الطلاس " •

رابعاً : قصائد تقبل بطبيعتها الوحدة المضوية ولكنها خلت منها وهذا يكون عند الشاعر

فى بداية مرحلة الشعرية ونهايتها •

مثل قصائد " الرثاء " • ووصف الطبيعة •• والحفلات التكريمية —

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

( ٤٣١ م )

الباب الثالث . . . .

.....

الفصل الثالث

.....

التجارب الفعالية

فصل

( تجارب الشاعر )  
( ٤٣٢ )

xxxxxxxx

المادة المشوية للحركة الذهنية للشاعر . هي موضوع الشعر . لأنها نقطة الانطلاق الأولية ، ومع ذلك هي ضرورية لأنها روح للجسد الفني للقصيدة .

— ولا بد للشاعر من موضوع يشوية أيًا كان . وأيًا كانت الإثارة ، وهذه الإثارة تحرك الذهن حركة تحدث بسببها تكوين صورة في فكو الشاعر وأعاق نفسه ، وتحرك وسائل الشاعرية عندة متضامنة على الخلق والإبداع ، وتتفاوت الصورة جلاء وعمقا وفلسفة وملاءمة مع الحياة ومع عاطفة الشاعر وحسه وفكره وموهبته .

— وتظهر تلك الصورة من خلال الإفرار اللغوي الذي يلهمها ثوب الوجود . ويقدمها للمتأملين والقراء في ثوبها المقبول ، والشاعر الموهوب الذي تعهد موهبته بالفناء يستطيع أن ينقل صورة الحياة للأحياء ، ويكشف لهم عما فيها ومن فيها . ليستفيدوا منها كل الاستفادة ، كما يأخذ بأيديهم على كل شيء في تجربته ، وهو يملك بكل ما أتاه الله من قدرة أن يتخذ من الصورة محركا قويا .

ومصدر الموضوع الذي يثير الشاعر . إما من داخل نفسه أو من خارجها ، والشاعر الحساس تتسع نفسه لكل ما في الوجود . جوهره ومظهره ، وما يتولد عن ذلك من اضطرابات وتأملات ، وتفكير قد يصل إلى ما وراء الوجود . وهذا كله تعكسه لنا لوحات الإحساس الداخلى للشاعر طابعا أيّاه بألوان مختلفة من العواطف والانفعالات والمشاعر .

وهذا — بإيجاز — ما تعينه التجربة الشعرية من بدء تكوينها حتى مولدها ، والتجربة الشعرية تستمد قوتها وعمقها وروحها من إخلاص صاحبها لفنّه ، ومن الحياة التي يحيها . . . . .

و " إيليا أبو ماضي " واحد من هؤلاء الشعراء . ولكن من أي الجوانب تنبثق

الذى قالهما الشاعر فى مقدمة الجداول تحت عنوان " الفاتحة "

يا صديقى ..... أنا لولا أنت ما وقمت لحنا .

كنت فى ..... رى لما كنت وحدى أتفنى

لنشير من خلالهما أنه شاعر اتسم بشعوره بصنفة اجتماعية وروحية مما . فهو  
إنسانى مالى يحب البشر ويحب أن يحب الحياة لديهم إسعاداً لهم .  
- ونمود إلى الإجابة عن السؤال السابق . فمن خلال معايشتى لشعوره . يمكن  
تقسيم تجارية إلى : -

١ - التجارب الشخصية (( مشاعر الشاعر )) .

" وهى تلك التى تسوقها للأديب أو الشاعر أحداث الحياة " ..... فالتجربة  
الشخصية صالحة لتغذية كل ملكة أدبية صادقة . " وأما أن يفتمل الأديب  
أو الشاعر التجارب التماساً لتغذية ملكاته . فهذا هو الإفلاس الفنى ، فضلاً عن  
مناقضاته لأصول الأخلاق " ( ١ )

ولاشك فى أن نفس الشاعر هى أقرب وعاء يستقى منه موضوع شعره .

فهى مصدر المشاعر سواء كانت هذه عواطف أم انفعالات . وسواء كانت سارة أم  
مؤلمة ، وقتية أم دائمة . متصلة بقلبه أم منعكسة عن تفكيره ، مرتبطة بالوجود  
أم بما وراءه .

ولقد تجرع الشاعر كئوس الحلقم فى نشأته . فقد عانى الفقر والإحساس بلذعة  
الحرمان ، والاكتراب بجمرات الاغتراب ، والحنين الدافئ بعد افتقاده للآل والوطن ،  
والكراهية المحيومة لهفأة الظلم من ذئاب البشر ، ومن ينفخ عنهم من كلاب الخسة  
والخداع ، وتجارية الشخصية فى الإنسان .

ولهذا جاءت تجاربه فى هذا الميدان غنية عميقة مفصلة . واسمة مزروجة بتأملات  
واسعة النطاق ، محفوفة بالانفعالات القوية الواضحة يقول عن القسوة : ( ٢ )

=====

١ - الأديب ومذاهبه د د محمد مندور ١٢

٢ - إيليا ابوظاض شاعر العربية الأكبر زهير ميوزا ١٠٧ وما بعدها .

نفس أقام الحزن بين ضلوعه \* والحزن نار غير ذات ضياء  
 يوعى نجوم الليل ليس به دور \* ويخاله كلفاً بهن الرائي  
 وبعد وصف متنوع بهذا المسكين - الذى أحسن الشاعر بلذعة ما فيه من هوان الفقير .  
 يكاد ينفطر قلبه أسى على هذا الفقير الذى أقام فى مكانه خشيتان يراه الناس أو خشية أن  
 يتحرك فيسقط من شدة الإعياء ، أو خشية أن يئذل ماء وجهه فى ذل السؤال .  
 فأقام جلس الداء وهو كأنه \* لخلوتها بالدار فى بيضاء  
 وليس فى استطاعته سوى أن يزفر من أجل هو الأ \* زفرا ت حارة شديدة .....

لمهفى ولو أجد التحيس تلمهفى \* لسفكت دمعى عنده ودمائى  
 قل للبنى المستمز بما له \* مهلا لقد أسرفت فى الخيال  
 جبل الفقير أخوك من طين \* ومن ماء ومن طين جبلت وماء  
 ويتوجه إلى ذوى اليسار . حاثا لهم على السخاء . فلا ينفخ السخاء مع الإسيك . وخير  
 جزاء عن الصطاء من الله رب العالمين .

أذوى اليسار وما اليسار بناقع \* إن لم يكن أهله أهل سخاء

.....

إن كانت الفقراء لا تجزيكم \* فالله يجزيكم عن الفقراء

ولو فى الخربة وآلامها الكثير . (١) ومن ذلك "أمنية المهاجر" الذى يعمش فى جوع وروحى  
 وعاطفى ..... (٢) ومطلعمها :-

جمت والخبز وشي فى وطابى \* وأتينا حولى وروحى فى ضباب

وشربت الماء عذبا سائنا \* وكأنى لم أذن غير سراب

وله فى الحنين ، الشاعر فى الساء " (١٢٧) ، " متى يذكر الوطن النوم " (٢٧٦) و -

" دموع وتنهيدات " ٨٣٦ وكثير وكثير . (٣)

وإذا تصفحت دواوينه رأيت التجاريا التى تتم عن محاناة طويلة ومعرفة أصيلة لبنى الانسان .  
 وفى قصيدة " الانسان والدين " أول قصائد تذكرا الماضى يقول :-

=====

(١) أنظر أثر الغربة لى شعره فى الفصل الخامس من الباب الثانى

(٢) ايليا أبو ماضى ، زهير ميوزا ١٥٦

( ٤٣٥ )

- إني عرفت من الإنسان ما كانا .. فليست أحمد بعد اليوم إنسانا ( ١ )  
بلوته وهو مشتد القوى أسدا .. صعب العراس وعند الضعف ثعبانا  
تعود الشر حتى لو نبت يده .. عنه إلى الخير سهواً بما تحصرانا  
القتل ذنب شنيع غير مفتفر .. والقتل يخفوه الإنسان أحياناً

وهو هذا الوحش الضاري الذي ينقض اليهود ويتمدوا الأيذاء . ويخون القوم . ويسىء  
الجوار . ويستعبد الضعيف ( ٢ )

- ما بلهم نقضوا اليهود جهاداً .. وتممدوا الأيذاء والأضراراً ؟  
واستأسدوا لما رأوا ليث الشورى .. عاف الزئير وقلم الأظفاراً  
ويتوعد الظالم رافعاً رايات الحماس نافخاً في أبواق التحريض . . . .  
فالويل للدنيا إذا نقض الكورى .. والويل للآيام أما شارا ..  
وهو ذلك الخائن الذي اتخذ من الديانة (شركاً لصيد الأفسر الرئاس ) .  
ولولا مكرهم وخداعهم " رجال الدين آئذ " وفرضهم الرسوم على الشعب ، ووقوفهم  
يساندون الفادر المستعمر .

ل " أصبحتم فوق الممالك رفعة .. لولا وجود معاشر ( الثريان ) ( ٣ )  
( \* ) ( \* ) ( \* )

وقد كثرت تجاريب الشاعر في هذا الميدان بحكم نشأة وتنقلاته وقسوة الحياة عليه ،  
ونظراته العميقة إلى الكون وما فيه . والملاحظات القائمة بين مظاهر هذا الوجود . وما ضم  
من عجائب ومتناقضات .

— كما اهتم الشاعر بحاطفة " الحب " فهو الذى يجعل الكون جناناً وملاءة —  
رحمة وجناناً . ونوراً وإيماناً ، فالحبُّ من أقوى المواطف عندة ، وهو مصباح ينسبر —

=====

١ - السابق - ٧٦٢

٢ - السابق ٤٤٣

٣ - السابق ٧٢٥

للمرء جوانب النفس ، فيستطيع الإنسان الوصول — على هديه — إلى معرفة النفس والنفس معرفة الله .

إِنْ نَسَأَلِم يَشْرُق الْحَبُّ فِيهِمَا (١) . . . هِيَ نَفْسٌ لَمْ تَدْر مَا مَعْنَاهَا

=====

أنا بالحبِّ قد وصلت إلى نفسي . . . والحبِّ قد عرفت الله .  
ويقول في قصيدة " أسألوها " (٢)

كُلُّ نَفْسٍ لَمْ يَشْرُقِ الْحَبُّ فِيهِمَا . . . هِيَ نَفْسٌ لَمْ تَدْر مَا مَعْنَاهَا  
— وعاطفة الرحمة . تفيض من قلبه ، تلك العاطفة التي إذا خيمت على قوم ملأت عليهم  
الدنيا سمادة ونورا وأنساً وبهجة ورضاً وحباً .

" يقول " إيليا أبو ماضي " يصدر الحديث عن اليتيم (٣)

لا تقولوا من أمه؟ من أبوه؟ . . . فأبوه وأمّه ———— وريتا  
فأعينوه كي يعيش وينمو ———— . . . ناعم البال في الحياة رضيها

حاربوا البؤس في الصغار صغيراً . . . قبل أن يستبدَّ فيهم قوتها

وتتكرر هذه الصيحات العالية حتى تصبح مبدأً وعقيدة يدعو من أجلها . فهو مثلاً يقف  
بالمرصاد لمن " ينام وجاره جائع " كما قال صلى الله عليه وسلم .  
( ( ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ) ) . يقول : — (٤)

من النار أن يغمز الرقاد جفونكم ———— . . . على حين يخشى الدمع تلك المأقيا  
من النار أن يكسو الحرير جسرهم ———— . . . ولم تبق فيهم شدة الضنك كاسيا

=====

- |     |            |
|-----|------------|
| ٨٠٢ | ١ — السابق |
| ٨٠٥ | ٢ — السابق |
| ٨٤٢ | ٣ — السابق |
| ٨٤٠ | ٤ — السابق |

(٤٣٧) من النار أن يبقى عليكم جمودكم .. وقد بلغت تلك النفوس المتراقصا  
إذا المال لم ينقته في الخور ربه .. رآه عليه المالمون مخازنسا

( \* ) ( \* ) ( \* )

وللمشاعر " إيليا أبو ماضي " تجارب شخصية مرتبطة بالذات وما وراء الوجود .  
فمن شدة الفنون التي عاناها في حياته ، وظروف الهجرة إلى أمريكا . وما لاقى فيها  
من أحداث ، وصدمة بهذا العالم الجديد المتصارع نحو المادة ، فكان لا بد من الهروب  
إلى مبدان آخر يشغل فكروهم عما هم فيه . والطبيعة والذات . وطالم الروح من المبادئ  
التي هبوا إليها .  
أخذ " أبو ماضي " يغمور في عالم النفس وأحوالها ، ليكشف عنها الستار . . . . الخ  
ولكنه عندما تأمل في أعماق النفس فلم يجد إلا ظلاماً مطبقاً لم يهدية إلى شيء . مما أراد .  
فراح يصرخ على أمور كثيرة في الموت والبحث والحياة الأخرى والخلود . وما وراء ذلك فلم  
يعثر على ضباب من المعرفة الملموسة حول هذه الأمور فراح تترطم بوجهه وفكره أمواج  
من الشكوك ، حتى أصبح يعيش في بحر من الحياة والاضطراب حتى وصلت به درجة  
الشك إلى حدٍ كاد يبلغ منه درجة الشرك .

يقول (١) في قصيدة " الخلود " . (١)

لوعرفنا ما الذي قبل الوجود  
لعرفنا ما الذي بعد الفناء  
نحن لو كُنَّا " كما قالوا " نَمُود .  
لم تخف أنفسنا ربَّ القضاء  
إنما القول بأننا للخلود  
فكرة أوجدها حُبُّ البقاء



(٤٣٨)  
زعموا الأرواح تبقى سرمدًا  
خدعونا .. نحن والشمع سوا  
بليت النورُ بهم مُتقدًا  
فإنما ما احترقت باد الضياء

ومن ذلك مطولته (( الطلاسم " ١٩٣ " و" الدهمة الخرساء " " ٣٦٤ " و" أفاتحة  
أم ختام " " ٦٩٢ " (١)

=====

١ - انظر الطلاسم في الفصل الثالث من الباب الرابع في هذا البحث .

=====

" وهي تلك التي يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطة الاجتماعي أو الإنساني المعاصر ، وهو في تصويره لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة والخيال .....

وليس من الضروري أن ينغمس فيها بشخصه لكي يحسن تصويرها فلربما كان نظره إليها عن بعد أدعى إلى تصويب ملاحظته وشمولها " (١)

— وهذه التجربة " .. ربما ملأت عليه ضميره ، واحتوت كيانه ، فكان له منها زاد شعري ، تناوله أم لم يتناوله ، فهي مختزنه لديه ، يأخذ منها وقت الحاجة ، ومتى أراد • بل ربما ادخرها فلم ينفق منها • لأنه لم يجد لها متنفساً ، أو لأنها ما تزال متأبئة عليه • أو لأنه ضنون بها " (٢)

ويتدخل الخيال القوي مع الفكر العميق ليصور الحقيقة الواقعة ببراعة وشمول حتى ولو كان ذلك عن بعد •

وتتحدى نظرة الشاعر من وصف هذه الملل والأمراض وآثارها إلى نقض المساويء والفساد والشرور • محاولاً القضاء عليها من خلال تصويره وفلسفته •

كما يقاوم الأمراض والحلل الاجتماعية الفاشية • محاولاً القيام بمسح شامل لكل ما يعترض المسيرة الجميلة الهادئة للكون متخذاً مادته من الكون والطبيعة بما فيها على اختلاف ظروفها •

سائه — متحركة — نباتية — حيوانية — بشرية • والمتصفح لدواوين الشاعر لا يعدم الكثرة من ذلك ومن هذا • القصص الرمزية الموضوعية نراه يرمز بالقصيدة كلها أو بالحمل الأدبي إلى شيء معين كالرمز في حكايات " كليكة ودمنة " •

• وهذه الموضوعات تستقي عناصرها من الطبيعة الصامتة أو الناطقة الجامدة أو المتحركة ••• الخ

وغالباً ما يكون هدفها العظة الاجتماعية إلى أن يعرف الإنسان قدر نفسه ، وحدود طاقته

=====

(٤٤٥)

فلا يمنع من الأوهام جبلا ولا يتملقوما لا يمكن أن يكون ولا يتناول على من هم أفضل منه .  
" ولا يلينا في ذلك الكثير ومنه . . . . "

" الإبريق " و " الضفادع والتجوم " و " القدير الطموح " و دودة ولبيل " (١)

ومنها ما يدعو إلى احترام الإنسان وجودة في الهيئة الاجتماعية واتقا بأنه مهما كان اسمه  
ضالته فله رسالة لها أهميتها ضمن رسالات البشر فقيمه لا يستهان بها كقيمة " الحجر  
الصغير " (٢) في موضعه من بناء السد .

ومنها ما يحث الإنسان على التذلل والسخاء ، فالبخل سبيل الأناية ، والأناية مديسة  
الانتحار السيارة . وله في ذلك كثير منه " التينة الحماة " (٣)

كما دعا إلى العمل وترك التواكل على الآباء ، وألا يكثر المرء بالصحاب وعلى المرء أن يشق  
الحياة لنيل الصواب . وهذا طريق " الفتى الأفضل " (٤) . و " الشجاع " (٥) . . . .

ولا يخفى أن ينال من خلاعة الشباب المتفرنج الذي يقلد فيما لا يفيد . ولا تجنى منه غير —  
الشحف والانحطاط والتأخر . فهو لا ينسى أن يوجه العظة إلى الشباب المتفرنجين " (٦) . . .  
ويخرج على هؤلاء الذين اتخذوا من المادية الميما قبلة لهم .

وصاروا يصلون لمن ؟ إنهم " عباد الذهب " (٧) رأيتهم صلاة تذهب بالرحمة وتحيل الحب  
نفاقا والمطف بخلا والقلب إلى حجارة كحما . . . . .

ولا يفوته ما يقع فيه المجتمع من الزواج التجاري " المعروف " .

فيومي " ببعض آثارة التي هي وبال على المجتمع على لسان فتاة تحت عنوان " شكوى فتاه " (٨)

=====

(١) انظر " ايليا أبو ماضي " لزهير ميوزا والصفحات على الترتيب ٥٥٢٠ ، ٦٨٧ ، ٦٦٣ ، ٦٤٤

(٢) السابق ( ١٢٣ )

(٣) السابق ( ٢٣٩ ) (٤) السابق ( ٥٨٢ )

(٥) السابق ( ٦٣٩ )

(٧) السابق ( ٦٦٤ )

(٨) السابق ( ١٤٢ )

### التجارب الطبيعية

الطبيعة هي العرفا الأمين (١) ، والطبيعة هي التي تطبع صورتها على المرء فيراها  
مكسوة بالحسن أو القبح ، والطبيعة ملك للناس أجمعين يتمتع كل منهم بها بقدر ما أوتى  
من مواهب وطاقات تمكنه من الاستفادة والتمتع . . .

والشعراء من أقدر الناس على إظهار إحساسهم وافتقارهم بها وجمالها وصورها . بكل  
ويطلقون أرواحهم تجوب خلال هذا العالم الهادي الرقيق الجميل عليها تنفس عنها بعض  
ما أعترها من أدران ، ولتتحلل من قيود المادة الكاسرة . . . . .

وشعراء المهجر قد تركوا بلادهم ورحلوا إلى العالم الجديد رغبة في الحياة والحرية والمال  
الذي يساعدهم على انتشال أسرهم من وهدة الفقر ومرارة الحرمان الذي ضرب أظنابه حولهم  
الظلم والظالمون . .

— ولما رحلوا إلى نيويورك " أمريكا " ووجدوا هذه السحب المادية والصراع المرير . من أجلها  
كان بالطبع عليهم أن ينخرطوا في قصيدة الحياة<sup>٢</sup> للحصول على القوت وأمانا من الحاجة ،  
ولكن ضجيج الحياة والهيبة كانا صدمة قوية وخنجرا في ظهورهم . والضطر يركب الخطر  
أحيانا ، ولهذا كان عليهم أن ياتلموا أنفسهم بهذه الحياة ويخلقوا من بين أركانها  
مهدئات تلطف جو حياتهم .

لجأوا إلى الطبيعة استئناسا بها ، وميلا إليها . ففيها البساطة والسهولة والبعد عن  
الكلفة وعدم التقيد . وفيها الجمال والراحة والرقة ، وفيها الكثير من يعوضهم هذا البعد  
النائي عن وطنهم الأول " بلاد الشام " على اختلاف فروعها . وإيليا أبو ماضي "

إلى الطبيعة بكل ما فيها يقول (٢)

أنا شاعرُ أبداً تائق \* إلى الحسن في الناس والكائنات  
أحب الزهور ، وأهوى الطيور \* وأعشق ثرثرة الساقيات  
ورقصر الأشعة فوق الروابي \* وضحك الجدول والقهقهيات

\*\*\*

(١) انظر الخبرة واثرها في شعر الشاعر فـه بـ٢ ص ٤٠

(٢) إيليا أبو ماضي زهير ميوازا ٢٣٠ وما بعدها

( ٤٤٢ )

|                              |   |                             |
|------------------------------|---|-----------------------------|
| رواعٍ فلتنةً ساحرات          | * | تطالع عيناى فى ذا المكان    |
| بحور بها سفن ما بحبات        | * | كان الفضاء وفيه الطيور      |
| سقيط الندى أهين باكيات       | * | كان الزهور تترقق فيهم       |
| ومن زهرة غضة لفتاة           | * | ومن بلبل ساجع لمنقن         |
| * * *                        |   |                             |
| وأروع آياته البينات          | * | فما أجمل الصيف فى الخلوات   |
| وكانت كاسرارة المضمرات       | * | نضا السحر عن حسنات الوجود   |
| فماشت وكانت كأرض موات        | * | وأحيا رفايقنا الذابلات      |
| فيا للكريم ، ويا للهيمات     | * | ففى الأرض سحر وفى الجوع عطر |
| ألا فاعنموا الميس قبل القوات | * | أما مكم الميس حر رغيـد      |

ويجد ربنا الآ نخفل ما للنشأة من أثر عظيم . فى هذا المجال ، فطبيعة لبنان الطبيعية الساحرة . الصافية ، وكما وصفها بعضهم فكان ما قال " إن مناظر لبنان الطبيعية المتعددة الألوان - وهى من أروع المناظر الطبيعية فى العالم وأكثرها سحراً وفتنة - تبدو كأنها تشال رصيق هادى قد قد من كتلة صخرية هائلة قائمة على مشارف البحر المشع ذى اللون الأزرق ، وما يزيد فى جمال هذه المناظر صفاء الجو ، وامتداد الأفق ، ونقاوة الهواء ، وفى مثل هذا الصفاء ، وفى مثل هذه النقاوة تبدو خطوط هذه المناظر الطبيعية وألوانها الساحرة واضحة المعالم . البحر فالساحل . فالجبل فالوادي ما يؤلف سلسلة من المناظر الطبيعية الخلابة ، كانت أبدا مصدر وحى للشعراء والمخنيين منذ أقدم العصور حتى العهد العربى . وهذا الجمال الطبيعى هو الذى يستولى على قلوب المهاجرين ويشدهم إلى وطنهم الأم " ( ١ )

ولهذا يستريح القلب إلى الوفاء وانطباع تلك الصورة الطبيعية الساحرة فى قلب إيليا . عندما يضع " وصف الطبيعة " ( ٢ ) عنواناً لإحدى قصائده . ولا يشك من يقرأها أنها رمزاً للبنان وما فيه من طبيعة ساحرة . . .

|                      |       |                        |
|----------------------|-------|------------------------|
| نفس من قلبك الكروية  | *     | روضها إذا زرتة ككبيبا  |
| ونفس العاشق المحبب   | *     | يحيد قلب الخلى مغبرا   |
| من الأسي زهوة الجيوب | *     | إذا بكاه النمام شقت    |
| ولست تلقى له ضريبا   | *     | تلقى لدية الصقا هروبا  |
| رداوه مهلما فشيبا    | *     | وشاه قطر الندى فاضحا   |
| ومن زهر قنوع طيبا    | *     | فمن غمبون تميم تيبا    |
| عاد المعنى بها طروبا | *     | ومن طيور إذا تخنت      |
| وليس ما يقتضى رقيببا | *     | ونرجس كالرقيب يرفو     |
| وجنار حكي اللهببا    | *     | وأقحوان يورك ذرا ..... |
| كأنه يقتضى مريببا    | *     | وجدول لا يزال يجبرى    |
| وتارة فى الثرى ديببا | *     | تسمع داورا له خربرا    |
|                      | * * * |                        |
| لم يأت من بعده طبيبا | *     | صح فلو جاءه عليبا      |
| يعلم الشاعر النسيبا  | *     | وكل معنى به جميبا      |
| أصبح عن أرضه غريببا  | *     | أرض إذا زارها غريببا   |

إنها لبنان الجميلة التى يعنى اسمها فى العبرية "الأبيض" وكانت التسمية لبياض ثلوجها التى تكسو قممها فتبدو فى ثوب ذى نقاوة تامة أكثر فصول السنة (١) .  
وقلما تجد قصيدة له خلّت من ذكر الطبيعة سواء كانت الطبيعة مقصودة لذاتها أمسام  
لهدف آخر .

والبى ماضى مع الطبيعة عدة مواقف .

١- فهو قد نشأ بين أحضانها وشاهد من جمالها ، وترجع على مفاتها فى لبنان زمنا  
فدعجب أن تراها مرسومة فى قصائده رسما موصوفاً .....

=====

(١) الياس نرحات سبيو بدوان قطامى (١) يتصرف

(٢) إيليا أبو ماضى زهير ميوزا ٤٧٥

وَمَا تُحِبُّ الطَّبِيعَةَ لِحَمَالِهَا وَدِينَهَا الْعَظِيمَ وَلَمَّا تَقَدَّمَ لِلنَّاسِ مِنْ أَسْمَادٍ • فِيمَضَاهَا

جَدِيرٌ بِالنَّسِيَانِ إِذَا مَا تَخَلَّى عَنْ عَطَائِهِ وَجَمَالِهِ •

نَسِيَ الْكُفَّارَ نَشِيئَةً • فَتَعَالَ كَيْ نَسِيَ الْكُفَّارَ

٢- الإحساس بحمالها والإعجاب به أسقطا في أعماق فكره وحسه الإحساس بمعظمته •

وما فيها من جمال • حينذا لو اقتدى به ففيها الاشتراكية وفيها الحب وفيها الكرم • وليس

فيها وياء • أو تفریق أو نفاق ..... إل

ولهذا أحس أزاها بضالة الإنسانية • وهب ممتنقا من الطبيعة فيتها

فدينى كدين الروض يهتق بالشذى • ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا

«ودينى كدين الشهب تبدو لماشقى (١) وقال وفيها ما يحب وما يلقى كما أوحى لـه

تعالى البشر مع الطبيعة بظلم البشر الذى ظهر صريحا حتى على الطبيعة • وخلق أنفاسها

فراح يفصل الزهرة <sup>عن</sup> أطفالها ليأخذ لهم من سجنه ( قصره ) مدفنا • لها •

لصرك ما حوى لمان فقد ته (٢) • ولاخان عهدى فى الحياة حبيب

ولكنى ابكى وأندب زهرة • جناها ولوع بالزهرة لمبوب

رأها يحل الفجر عقد جفونهم • ويلقى عليها تبره فيذوب .....

\* \* \*

فما لجها حتى استوت فى يمينه • وعاد إلى معناه وهو طروب

وشاء فأمت فى الإناء سجيننة • لتشيع منها أعين وقلوب

ثوت بين جدارن قلب مضيمها • تلمس فيها منفدا فتخبب

\* \* \*

لها الحجرة الحسناء فى القصر إنما • أحب إليها روضة وكيبب

وأجمل من نور المصابيح عندما • حبا حب تضى فى الدجى وتوب

\* \* \*

أيا زهرة الوادى النكية إننى • حزين لما صرت إليه كيبب

(١) السابق (٦٢٤)

(٢) السابق (١٣٣)

( ٤٤٥ )

واكثر خوفاً أن تظني بنى السورى \* سواء ، وهم مثل النبات ضروب  
سيطر حرك الانسان خارج داره . \* إذا لم يكن فيك العشية طيب  
فتمسين للأقدار فيك ملاعب \* وفي صفحتك للنعال ضروب

\*\*\*\*

ثالثاً :-

التعامل معها . معاملة الاحياء . فهو يناجيها ويستلهمها ويستوحىها ، وقرنها —  
بتجاريبه الشخصية . ويندمج معها وهو يحب أن يخفى فيها ، وأن أبداً باضى .  
يلون الطبيعة بالوان نفسية من داخله ويصفىها الود ويشكو إليها فتسمع له ويسمع شكواها .  
— وكما أن فى الطبيعة خير أمثلة للاعتداء والإرشاد . بخطواتها وسيرها . . . . .  
وعلاقتها .

فالتبيعة وسواً فبها مدعاة الرضا بالحياة ونسيان الآمها فلا ينبغى من المرء أن يشتكى  
من شئ ما دام محاطاً بالطبيعة الجميلة .

كم تشتكى وتقول إنك مدم . (١) \* والأرض ملك والسما والأنجم  
ولك العقول وزهرها وأريجها \* ونسيمها والبلبل المترنم  
والماء حولك فضة رقائق \* والشمس فوقك عمسجد يتنم  
والنور بينى فى السفوح وفى السدى . \* دوراً مزخرفة وحيناً يهدم

وتتحقق صلته بها فيندمج معها ليصاحبها مما إلى ما وراء الطبيعة فى :

" الدمعة الخرساء " (٢)

=====

١- السابق ٦٢٠

٢- السابق ٦٢٠



=====

••• يأتي هذا اللون من التجارب في ثوب قصص أسطوري يستقى الأديب عناصر هذا القصة من الأساطير التي يلدها خياله • أو فيما يجده فيما بين يديه من تراث ديني أو شعبي • فمن المعروف " أن الأساطير الشعبية تتركز فيها غالباً تجارب الإنسان البدائية ، وهي تجارب تحدثنا عن موقف الإنسان والقوى الطبيعية من الآلهة الخيالية ، والكائنات الواقعية • ( واستداعة الأديب أن يلتقط منها ما شاء من التجارب البشرية ، وأن يتخذ منها هياكل لأدبه ، وذلك بشرط أن يكون خياله من القوة بحيث يستطيع أن يجسم رموزها • أو أن يحيلها إلى كائنات بشرية تحس وتتألم وتفكر ، وأن يصور التجربة وينفعل بها ويفكر خلالها ) (١) ولأبى ماضى من هذه التجارب مجموعة معازاة في الهدف والوسيلة التي اتخذها وطية للوصول إلى هذا الهدف •

ومن هذه التجارب • أسطورة " أمنية إلهة " (٢) و " الشاعر في السماء " (٣) ، و " الشاعر والملك الحائر " (٤) و " طبيبي الخاص " (٥) و " الأسطورة الأذلية " (٦) يحكى في " أمنية الإلهة "

قصة حب بين إله أحب إلهة جميلة فاتنة •

|                               |   |                              |
|-------------------------------|---|------------------------------|
| تمنت عليه آية لم يجىء بها     | ✖ | إله سواه في العصور الذواهب   |
| ليمس على الأرباب اجمع سيلاً   | ✖ | وتحسى تباهى كل ذات ذوائب     |
| ••••• وكان لها جامحاً مقصوماً | ✖ | هوى ، فأتى بالمعجزات الخرائب |

ففعل الكبير •

=====

١ - الأدب ومذاهبه ١٤ محمد مندور

٢ - إيليا أبو ماضى شاعر العربية الأكبر • زهير ميوزا ١٤٤

٣ - السابق ١٢٧ ٤ - نفسه ٧٩٠

٥ - نفسه ٤٥٩ ٦ - نفسه ٨٤٩

وَأَنْشَأَ جَنَاتٍ وَأَجْرَى جَسْداً وَآوَلًا \* وَهَذَا الْمَرْجُ الْخَضِرُ فِي كُلِّ جَانِبٍ

.....

وَلَمَّا رَأَى الْأَشْيَاءَ أَحْسَنَ مَا تَبَصَّرَ \* وَتَمَّتْ لَهُ دُنْيَا مَمَائِيحٍ

عَدَّهَا إِلَيْهِ كَيْ تَبَارَكَ صُنْعُهُ \* وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْحَبَّ حِمَّ الْمَطَالِبِ

قَالَتْ لَهُ أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ مِدْعَا \* فَيَا لَكَ رَبًّا عِبْقَرِي الْمَوَاهِبِ

وَلَكِنْ لِي أَمْنِيَّتَا تَحْقُقَنَّ \* إِذَا لَمْ يُنَلِّنِيهَا فَمَا أَنْتَ صَاحِبِي

.....

فَدُنْيَاكَ هَذِي عَلَى حَسْنِهَا \* وَسِحْرُ مَشَاهِدِهَا وَالصُّمُورُ

تَشَارَكْنِي سَائِرَ الْأَلْهَاتِ \* لِذَاذَاتِهَا وَنِسَاءُ الْبَشَرِ

فَمَاذَا تَرِيدِينَ مَعِيَ ؟ .....

أُرِيدُ دُنْيَا فِيهَا شَلْبُومٌ \* بِيَقِي إِذَا غَابَتِ النُّجُومُ

أُرِيدُ دُنْيَا تَحْسُرُ نَفْسِي \* فِيهَا نَفُوسًا بِأَلْجَسُومِ

أُرِيدُ خَمْرًا بِأَلْكَوْمِ \* مِنْ غَيْرِ مَا تَنْبَتِ الْكُومُ

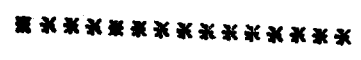
أُرِيدُ عَطْرًا بِأَلْزَهْرِ \* يَسْرِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسِيمِ

وَاسْتَمْلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ • وَرَاحَ يَجُوبُ الْكُونُ وَحَادَ آخِرًا • بِمَسْأَلِ

تَسَاقُطِ مَنْهُ رَوْحَةِ النَّفْسِ •

وَشَدَّ إِلَى آلِهِ خَيْطَ نَسِيمِ \* وَشَقَّتْ بِرُوقِهَا فِي حَنْدَرِ

فَقَاضَتْ خَمْرًا • وَسَالَتْ دَمْعًا \* وَشَقَّتْ بِرُوقِهَا • وَوَلَّاحَتْ صَمْرًا



أغراض الشعر عند

أغراض الشعر عند "إيليا أبو ماضي"

~~~~~

الباب الثالث:

~~~~~

الفصل الرابع:

١- الوطني والقومي

٢- الانساني

٣- الوصف

٤- القصص الشعري

٥- الرثاء

٦- الفسز

٧- الحكم

٨- الهجاء

٩- الفخر

١٠- تشبيه في اشارة الجهره

— تعددت آفاق الشعر العربي المهجري • وتنوعت أفانينه • وتفرقت أغراضه ولمدونة

الحياة في ذلك • الأثر الأعظم • .....

ولأبى ماضى جولات كثيرة في هذا المضمار • • فهبنا نسر معه متخفين من السروض

جانباً واحداً • (١) وهذا الجانب هو "أغراض الشعر عنده"

وأول ما يقابلنا في تلك الدوحة الياسفة الشنية • شعره • •

— (الوطني والقومى)

حفلت دواوين "إيليا أبو ماضى" بالشعر الذى يعالج قضايا لبنان • ويتعلق بـ

كما فاض شعره حديثاً عن القضايا الوطنية الكبرى • وكشف للأعيب الاستعمار وفضح تجار

الوطنية ولم يترك مجالاً يمتد إلى هؤلاء من بعيد أو من قريب إلا فاض فيه • • • •

وقد هدف الشاعر من ذلك إلى التنديد بالظالمين • وفضح فعلايتهم الشنيمة • • كما

هدى إلى إثارة قومه لمحاربة هؤلاء • والذود عن الوطن بالدم والروح • بكل ما يملكه المرء

من وسائل • • وفى ذلك تبصير وطنة شحياً وحكومة • والحرب أجمعين — إلى خطوة هذا

الداء • وأشد من الخطر السكوت عليه • • وذلك ما أحاط يقوم إلا بتدبيرهم وقطع

عروقهم • وجعلهم طعمة الغدر • وصيرهم سحبا في عالم الضياع • وهذا بعد أن

يسلط عليهم مخالف الطغيان ويكسر لهم عن أنياب الإقتراس ويوميهم بسيوف الأغرتراب

• • • • ليتخبطوا في سحب العبودية التى نسجت لها لهم برائته الآثمة •

— وقد غنيت بهذا العنوان ما قيل من شعر في السياسة وسائرها والأستعمار وغدره •

والغدر ومرارته • والحنين وحرارته •

— كما قصدت الحب الوطني الذى يتجلى في إظهار ذاتية الشاعر النابعة من بؤرة —

الدفاع والحب عن الوطنى وآله •

وللشاعر فى ذلك كثير • وعلى سبيل المثال لا الحصر • اذكو • بعض القصائد • وصفحتها

فى كتاب "إيليا أبو ماضى" لزهير ميوزا ط ٢ ١٩٦٣ دار اليقظة •

=====

(١) أما ما يتعلق باتجاهاته فى هذه الأغراض • وكيف تناولها • • الخ فسيأتى ذلك فى

فصل "موقفه من الاتجاهات الفنية السائدة فى عصره" الباب الرابع الفصل الثانى •

تحية الشام (١٩٧) - عيد النهى (٢٥٨) - متى يذكر الوطني النعم (٢٧٦) - روضة  
 السيد (٢٩٣) - الخد لنا (٣١٣) - الذئاب الخاطفة (٤٤٣) - طام ١٩١٠ (٥٣٧)  
 - ١٩١٦ (٥٨٣) - بنت سورية (٥٨٧) - فى السفينة (٦١٠) - مصر والشام (٦٤٨)  
 - بلادى (٦٨٣) - لغة تفنى وأنعم تلعبون (٦٩٤) يا جارتى (٧٠٧) - شبح  
 (٧٤٦) - فلسطين (٧٥٩) - لبنان (٨١٣) - الغابة المفقودة (٨٢١) - دموع  
 وتمهدات (٨٣٦) - بلادى (٨٥٩) - أمنية مهاجر (١٥٦) باخرة الاغاثة (٤٤٥) -  
 وداع وشكوى (٥٣٢) - يا بلادى (٢٦٣) - لمن الديار (٥٧٦) وهذه القصائد جمعت  
 ما دار حول الوطن والوطنية والقومية من بعيد وقريب . . . وسنجزى بذكر قصائد . . . من  
 مجهولاته - والتي ذكرها الدكتور " جورج سليم " (١) حتى يكتب لاسمائه المجهولة  
 الذبوع والخروج من كهوف اهلها :-

يقول فى نجوى لبنان (٢)

لا القيد تصبيني ولا الأقداحُ \* مهما تغالى فيهما المـداح  
 انى امرؤ كلفاً با دراك العلى \* دأبى الجهاد وغايتى الاصلاح  
 أهوى بلادى دانياً أو نائياً \* أعلّى فى حب البلاد جناح ؟  
 "لبنان" لست أبى ولست فتاك ١٠٠٠ \* صرفت نوادى عن هواك رداح  
 زعم الموازل أن سلوتك ويحهم \* غير السلو لمن أحب يتباح  
 ما إن هجرتك عن قلبى لكمـا \* قلب الى نيل الطلى طماح  
 "لبنان" حبى أنى لك أنتـمى \* وكفاك أنى البلبـل الصـداح  
 اشد بذكرك ما بقيت ٥ ومرقـمى \* تجرى به فوق الطروس السراج  
 قالوا : سكت ٥ فقلت : ليس بضائـرى \* بعض السموت كأنه اقـصاح  
 فلربما صمتت شفاء ذوى الهـوى \* عمدأ ٥ لكى تتخاطب الارواح  
 \* \* \*

شيخ الرواس ما لأهلك أصبحوا \* لا الحزن يجمعهم ولا الأفراح  
 كالنصن يسكن كلما سكن الصبـبا \* ويميل أنى مالت الأرياح  
 =====

(١) ايليا أبو ماضى " جورج ديمترى سليم . دار المعارف ٧٧ (٢) السابق (٢٠١)

- عشت بهم أهواؤهم ففترقوا \* شيخاً ، وليس مع الخلف نجاح  
 أبناء فا الجبل الأشم ، تحية \* تزكو ويزكو نشرها الفيتاح  
 حاتم أنتم مغمضون على القذى \* لا تنهضون كأنكم أشباح ؟  
 أجهلتم أن البقاء تنانق ؟ \* أنسيتم أن الحياة كهناح ؟  
 فتى أراكم طارحين خمولكم \* ولكم غدو للصلي ورواح ؟  
 بالعلم فاعتصموا فلم أرسبنة \* كالجهل ، فهو لأهله فضلع ؟  
 فالعلم فى الرجل القوى فضيلة \* والعلم فى الرجل الضميف سلاح  
 هو لاهل " الغرب " قد بلغوا " السهى \* مجدا ، وما غير العلوم جناح  
 فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم \* ان التشبه بالكرام فلاح "

ومن مصرياتة • قصيدته التى تهيب بالمصريين ان يهبوا ويحملوا من أجل الحرية والكرامة  
 والاستقلال " ذاكرا كرمهم وخصالهم • • ذاكرا بعضا من كيد الاستعمار مندداً به • •

والتي عنوانها " مصر والاحتلال " (١)

- خلنى استصرخ القوم التيا ما \* أنا لا أرضى ل " مصر " ان تضاماً  
 لا تلم فى نصره الحق فتى \* هاجه المابث بالحق فلا ما  
 أو فلمنى ان قلبى كلبا \* زدت فى تعنيفه زاد هياما  
 سوف أشكو لهم ان أخرجنى \* ربما خفت الشكوى السقاما  
 رفة فى شاطىء " النيل " معى \* نقرى " النيل " التحايا والسلا ما  
 وأنا جيه أمانى أمسية \* منموها ما م إلا لما ما  
 طه يبعث من أسراراه \* قوة تبعث فى الشعب اعتراماً  
 قسماً بـ " النيل " لو ان به \* ما بنفسى من جوى سال ضراما  
 لست أنسى ليلة بت بها \* والأسى يدفع عن عيني المناما

- \* أرقت الأقطار في أفلاكها  
 \* لم يورقنى اشتياق أو هوى  
 \* راح نفسى أن "مصرا" روقت  
 \* حسب "مصرا" أنها الأرض الستى  
 \* ونيها إنهم نسل الألسى  
 \* كومت "مصرا" وأهلوها فمما  
 \* كان للاحرار فيها موثلاً  
 \* ثم هاض الدهر من جانبها  
 \* أرى "مصرا" على رغم الصدا  
 \* لمت مصريا ولكن نسبة  
 \* أمة ترتقب استقلالها  
 \* ما لهم يسمون فى أيدائهم ؟  
 \* زعموا إصلاحها وهى الستى  
 \* حسبوا "النيل" على نفهم  
 \* فإذا ما صرخت تشكو الصدى  
 \* أنكروا خطوتها نحو الصلا  
 \* ورموها بالتوانى ويحهم  
 \* قد خلت تسعة أعوام على  
 \* وانقضى العمر ولما تنجلوا  
 \* \* \* \* \*  
 \* كبلوا أقداننا جهدا كـ  
 \* وإذا عز عليكم أننا  
 \* وإذا عز عليكم أننا  
 \* ينزع الأرواح من أجسادها  
 \* إنما ينقلب الأمر السى  
 \* مثل ما يوقبراعها السما  
 \* ما الهوى بنخية من بالمجد هامما  
 \* بأبى "مصرا" ومن فيها أقامما  
 \* آمن الله بها "البيت الحرامما"  
 \* عركوا الدهر فتها وفلامما  
 \* نقضت عهدا ولا خانوا ذمامما  
 \* يحصم الحر فلا يخشى اهتنامما  
 \* إنما يهتضم الدهر الكرامما  
 \* لست أعنى بالهدا إلا الطغامما  
 \* بيننا تجمع "مصرا" و"الشامما"  
 \* مثلما يوقب الصادى الفغامما  
 \* ما رمت سهما ولا سلكت حسامما  
 \* ما شكت غير هو داء عقامما  
 \* وأعضوها من الرى الأوامما  
 \* جعلوا القانون فى فمها لجامما  
 \* "رب" ذى لب عن الحق تعامى  
 \* أخمول إنها تهوى السلامما ؟  
 \* شقوة "النيل" سوى عشرين عامما  
 \* فالام أيها القوم الامما ؟  
 \* \* \* \* \*  
 \* وتمعوا الألسن والصحف الكلامما  
 \* فى وثام فانشروا فينا الخصامما  
 \* فى حياة فابحثوا فينا الحمامما  
 \* أو فكونوا أنتم الموت الزوامما  
 \* ضده ان جاوز الأمر التمامما

## "الشعر الانساني"

انبثقت النزعة الانسانية قوية عملاقة في اشعار "أبي ماضي" وتدور حول العول على إسعاد الإنسانية ، كما تعمل على نشر ظلال السعادة فوقها ، وانتشالها من وهدة الأمراض والعلل التي تفرق وحدة الجماعة . وتميت شمل الأخوة . وتسكن البغض في القلوب . وتبهي لنيران الكراهية الجوّ لتشبّ محيلة الحياة جحيماً لا يطاق ، بما في ذلك من صفات مذمومة تشير البغض والحنق بين الأفراد . . .

ولهذا أخذ أبو ماضي يعمل جاهدا على خلق أرض جيدة التربة في مجتمع يتسم أهلها السعادة من خلال علاقاتهم الطيبة وتحقق آمانهم المرجوة . والنظرة إلى الحياة بعين الرضا . وقد حفلت اشعار "أبو ماضي" ومن ذلك . . . . .

فلسفة الحياة " ٦٢٤ . زهير ميوزا " - كم تشتكى (٦٣٠) - ايتسم (٦٧٥) كن بلسم  
 (٦٧٧) - عش للجمال (٧٤٣) - الخبطة فكرة (٤٧١) - ابسى (١٢٦) - وشكوى  
 فتاة (١٤٢) - الحجر الصغير (١٢٣) - المودة (٢٩١) - الراعى (٣٠٥) الطين  
 (٣١٨) - التينة الحماة (٣٣٩) - الفديرو (٣٦٣) - الابريق (٣١٨) حكاية حكايا  
 (٥٦٢) - المرأة والمرأة (٥٦٧) - هديتى إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (٥٩٤) -  
 إلى الشباب المتفرنجين (٦٣٩) - عباد الذهب (٦٤٤) - الضفادع والنجوم (٦٨٧) فى  
 سبيل الاصلاح (٧٢٥) ، الانسان والدين (٧٦٢) . كلوا واشربوا (٧٨١) - الكروم  
 (٨٦٩) - اليتيم (٨٤١) ، - الفقير (١٠٧) .

وستنجزى بذكر " فلسفة الحياة " اليتيم " متخذين منهما مثالين لذلك . . . . .

يقول : فى فلسفة الحياة : . . .

- |                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| ■ كيف تشدوا اذا عدوت عليا؟      | ■ أيهذا الشاكي وما بك داء . . . |
| ■ تتوقى قبل الرحيل ، الرحيملا   | ■ ان شر الجناة فى الأرض نفس     |
| ■ أن ترى فوقها الندى اكليلا . . | ■ وترى الشوك فى الورد وتمسى     |
| ■ من يظن الحياة عبئا ثقيلا      | ■ هو عبء على الحياة ثقيل        |



(٤٥٤)

والذى نفسه بغيو جمال \* لا يرى فى الوجود شيئاً جميلاً  
ليس أسقى ممن يرى الميشُ مرّاً \* ويظنُّ اللذات فيه فضولاً  
أحكم الناس فى الحياة أناسُ \* عللوا فأحسنوا التملُّ مِلاً  
فتمتع بالصبح ما دمت فيه \* لا تخف أن يزول حتى يسزولا

(\*) (\*) (\*)

أنت للأرضِ أولاً وأخيراً \* كت ملكاً أو كت عبداً ذليلاً  
لا خلود تحت السماء لحى \* فلما ذابت راود المسـ استحياً ؟  
كلُّ نجم إلى الأقول ولكن \* آفة النجم أن يخاف الأفـ ولاً  
كل من يجمع الهموم عليه \* أخذته الهموم أخذاً وبهـ لا  
كن هزأراً فى عشه يتفنى \* ومع الكيل لا يبالى الكـ ولاً  
لا فراباً يطارد الدود فسـ الأرى \* ضى ووماً فى الليل بيكى الطـ ولاً

(\*) (\*) (\*)

كن غديراً يسير فى الأرض رقراً \* قا فيسقى من جانبه الحقـ ولاً  
تستحم النجوم فيه ويلقى \* كل شخص وكل شىء مشـ ولاً  
لا وعاء يقيد الماء حتى \* تستحيل المياه فيه وحـ ولاً

(\*) (\*) (\*)

كن مع الفجر نسمة توسع الأز \* هار شماً وتارة تقبـ ولاً  
لا سموماً من السواتى اللواتى \* تملأ الأرض فى الظلام عـ ولاً  
ومع الليل كوكباً يرضى الضـ \* بات والنهر والرأس والشـ ولاً  
لا دجى يكوه العوالم والنـ \* من فيلقى على الجميع سـ ولاً

(\*) (\*) (\*)

أيهذا الشاكي وما بسبك داء \* كن جميلاً ترى الوجود جميلاً  
- ويقول فى قصيدة "اليتيم"  
خبرونى ماذا رأيتم ؟ ااطفـ ولاً \* يتامى أم موكباً علويـ ولاً

|                               |       |                                 |
|-------------------------------|-------|---------------------------------|
| كزهرو الربيع عرفاً زكياً      | * * * | وضجوم الربيع نوراً سنينياً      |
| والفراشات وثبةً وسكونياً      | * * * | والمصافير بل الذ نجينياً        |
| اننى كلما تأملت طفلاً         | * * * | خلت أنى أرى ملاكاً سوينياً      |
| قل لمن يبصر الضباب كيفياً     | * * * | ان تحت الضباب فجراً نقيناً      |
| اليتيم الذى يلوح زرينياً      | * * * | ليس شيئاً لو تعلمون زرينياً     |
| انه غرسة ستطلع يومياً         | * * * | ثمراً طيباً وزهراً جنينياً      |
| ربما كان اودع الله فيهم       | * * * | فيلسوفاً ، أو شاعراً ، أو نبياً |
| لم يكن كل عبقرى يتيمينياً     | * * * | إنما كان كاليتيم صبينياً        |
| ليس يدري ، لكنه سوف يدري ،    | * * * | ان رب الأيتام ما زال حينياً     |
| عندما يصبح الصغير فتينياً     | * * * | عندما يلبس الشباب حليناً        |
| كل نجم يكون من قبل ان يبدو    | * * * | سديماً عن الصيون خفيناً         |
| ان يك الموت قد مضى بأبيهم     | * * * | ما مضى بالشعور فيك وفيها        |
| وشقاء يولد الرفق فينناً       | * * * | لهو الخير بالشقاء تزينياً       |
| لا تقولوا من أمه ؟ من أبوه ؟  | * * * | فأبوه وآمه سورينياً             |
| فأعينوه كى يحيى وينمو         | * * * | ناعم البال فى الحياة رضينياً    |
| رب ذهن مثل النهار منير        | * * * | صار بالبؤس والظلام دجينياً      |
| كم أقيم فى السجن لو أدركته    | * * * | رحمة الله ان حراً سرينياً       |
| حاربوا البؤس فى الصفار صفيراً | * * * | قبل ان يستبد فيهم قوينياً       |
| كلمهم ذلك الجريح الملقى       | * * * | فلنكن كلنا الفتى السامريناً     |

الموصف

إذا كان الإحساس هو مركز يعكس مدى ما يحترقنا من تأثير الظواهر الخارجية ، فإن قدرة الله قد منحت البشر روعة أكثر من ذلك ، تتجلى فى التعبير عن هذا الإحساس . عندما يصل التأثير إلى درجة تسمح بهذا الإفراز اللغوى . . . . .

وأقدر الناس إحساساً على تكوين صورة جليّة مما ارتسم في قلوبهم الفنانون ومن هؤلاء -  
الفنانيين . الشعراء ، فالشاعر يرسم الصورة بعداد من فكره ويلونها بحسب من عاطفته  
وصبغة الإدماج فتكسب الصورة لونا طريفاً . رمزاً تعبيريّاً عن أثر الجمال الذي تكلم به  
الطبيعة صدر الوجود .

- وتفاوت أقدار الشعراء في إظهار الصورة والتعبير عنها . تفاوت قدراتهم الثقافية  
والفنية والشعرية وأبو ماضي أحد الشعراء الذين فهمهم الله الإحساس فنموه وغذوه  
بما استطاعوا من ثقافة فنية وأدبية . لونه بلون خاص .

ويتناول وصفه الطبيعة التي اتخذ الشاعر منها قائداً وصديقاً . ومتفلساً ومسلماً ومجسماً  
..... الخ .

ومن ذلك على سبيل المثال :

الطبيعة ( ١٨٥ ) - أنا وهى ( ٢٤٥ ) - الفيلسوف المجنح ( ٢٥٥ ) - أنا والنجوم  
( ٢٨٥ ) سقوط بور أرثر ( ٢٨٨ ) - موميات ( ٣٣٢ ) - إيانيل ( ٣٤٠ ) - آثار ( ٣٨٩ )  
بنت الدوالي ( ٣٩٣ ) - بلاء أم نعمة ( ٤٨٣ ) - الفراشة المحتضرة ( ٥٤٢ ) سقوط أرضروم  
( ٥٥٣ ) - عصر الشيبية ( ٥٣٠ )

وأسوق في هذا المجال قصيدتى ( الفراشة المحتضرة ) و ( الجدول الطروب ) ( ١ )

يقول فى الفراشة المحتضرة :-

|                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| لو كان لى غير قلبى عند مرآك   | * لما أضاف إلى بلواه بلـواك      |
| فيم ارتجاجك هل فى الجوّ زلزلة | * أم أنت هارمة من وجه فتاك ؟     |
| وكم تدهرين حول البيت حائرة    | * بنت الربى ليس مأوى الناس مأواك |
| قالوا فراهة حقل لاغناء بها    | * ما أفقر الناس فى عيني وأغناك   |
| سيماً غاوية ه أطوار شاعرة     | * على زهادة عباد ونسـاك          |

=====

(١) إيليا أبو ماضي (٢٢٦) جرح سليم

حلوت أن زمان الصيف منصورم \* ويا له ! حقت الأيام رؤياك  
 فقد نماه إليك الفجر مرتعشا \* وليس معناه إلا بعض متعاك  
 فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة \* والطير ؟ لا طائر إلا جناحك  
 مد النهار إليه - كف مختلس \* وفتح الليل وفيه عين سفاك  
 شاء القضاء بأن يشقى فجرد \* من الحلى وأن تشقى فأبقاك  
 لم يبق غيرك شيء من محاسنهم \* ولا من العابدين الحسن إلاك  
 تزود الناس منه الأنس وانصرفوا \* وما تزود إلا اليأس جفناك

( \* )

يا روضة في سماء الروض طائيرة \* وطائرا كالأقاصي ذا شذى ذاك  
 وكم ليمت شفاه الورد هائمة \* وكم مسحت دموع النرجس الباكي  
 وكم ترجحت في مهد الضياء على \* توقيع لحن الصبا أوجعها الحاكى

( \* )

وكم ركعت فأغربت الصغر ضحى \* بالركض في الحقل ملهاهم وملهاك  
 منوا بأسرهم إياك أنفسهم \* فأصبحوا يتمنئهم أساراك  
 جروا قصاراهم حتى إذا تعبوا \* وقفت ساخرة منهم قصاراك  
 لولا جناحك لم تسلم طريدتهم \* قد نجياك ولكن أين منجياك ؟  
 ها أنت كالحقل في نزع وحشرجية \* وهت قواك كما استرضى جناحك  
 أصبحت للبوءس في مخناك تائمهنة \* كأنه لم يكن بالأس منفساك

( \* )

فراشة الحقل . نى روحى كآبتهم \* مما عراه وما قد تولاك .....  
 أحببته وهو دار تلصين بهما \* وسوف تهواه نفس وهو مشواك  
 قد بات قلبي في دنيا مشوشة \* منذ التفت إلى آثار دنياك  
 لا يستقر بها إلا على وجيل \* كالطير بين أحابيل وأشراك

( \* )

خلت راراتك كانت أمر أهلة \* فتألم فالهيم لا شان ولا شك  
 أرض خلاء وجو غير ذى السف \* بلى ه هناك ضباب فوق اشواك  
 فيارياح الخريف المانيات تفسى \* عصفا فقد كثر في الأرض قتلاك  
 كيف اعتذارك ان قال الاله غدا \* هل الفراشة كانت من ضحايلك  
 يا نعمة تتلاشى كلما بمدت \* ان غبت عن مسمى ما غاب معناك  
 ما أقدّر الله ان يحييك ثانيّة \* مع الريح كما من قبل سواك . . .  
 فيوجه المحقل يزهر في غلاته \* وترجمين . وأغشاه فالقفاك !

ومن أشعار المجهولة التي ذكرها " جورج سليم " في كتابه ص ٢٦٦

" الجدول الطروب " يقول نيمها :-

من علم الانشاد هذا الراقص المتبختر ؟  
 انى اهتديت به اليه وكان سرا مضمرا  
 يجرى طروباً وهو لا يدري لماذا قد جرى  
 الدوح حانية عليه تخاف ان يتكدر  
 يبلد للأزهار ان ترنوا اليه وتنظروا  
 ولقد سمعت الطير تدعوه الحبيب الاكسيرا  
 فوقفت ارمقة وأسأل طائرا مسرورا  
 ما حبيب الأطيوار والأشجار فيه . ياتسرى ؟  
 احصاه ؟ ان البحر يحوى فى حشاه جوهرا  
 ام ماؤه ؟ انى رايت السيل منه أفنورا  
 او ظهره ؟ انى وجدت الكل منه اظهورا  
 ما السر فى هذى ولا فى كونه يسقى الثمرا  
 بل كونه يسدى الجميل ويستحى ان يظهر

" القصر الشمري "

جمل " أبو ماضى " من القصص الشمري صرح فيه خياله مع كل ما عن له من جوانب الحياة يبيست فيها من كل شىء من وطنياته ، ومن حنينه ومن عذاته ، وكل ما يعالج من أحوال المجتمع . .

وقد اتخذ مادة قصصه من الواقع ، أو الاساطير ، أو متأثرا بالقصر الأجنبى والقصة عنده - تأخذ طابعا خاصا كما سنبين ذلك فى موقفه من الاتجاهات التى سادت عصره . وتميز أبو ماضى " من بين الروابطين بالكثرة فى هذا النوع الأدبى .

ومن ذلك قصائده التى جاءت فى دواوينه وهى متبوعه برقم صفحة وجودها فى كتاب " زهير ميوزا " . .

مصر - ( ١٣٠ ) - قتل نفسه ( ٣٩١ ) - العاشق المخدوم ( ٤١٥ ) - أناهو ( ٤٢٢ )

الشاعر والأمة ( ٤٤٧ ) - طبيبى الخاص ( ٤٥٩ ) - بائعة الورد ( ٤٦٣ ) وردة وأمير

( ٦٢٧ ) - الشاعر والملك الجائر ( ٧٩٠ ) - الأسطورة الأنزلية ( ٨٤٩ )

وتكفى بقصيدة " الشاعر والأمة " يقول :-

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| قصّةٌ فيها لقومٍ تذكيره  | خير ما يكتبه ذو مرقم    |
| خلع العز عليها خبيرة     | كان فى ماضى الليالى أمة |
| أوجها ضاحكة مستبشرة      | يجد النازل فى أكتافها   |
| فى مخاض الحيات نضرة      | وسير الطرف من أرباضها   |
| مجده البانخ إلا استنصره  | لم يقس شعب إلى أمجادها  |
| بينها ، والجهل تمحو أثره | همها فى العلم تولى شأنه |
| للورى محمّدة أو مأثوره   | ما تحيب الشمس إلا أظلمت |
| وتمنى الليل تغدو قمّره   | فتمنى الصبح تغدو شمسه   |
| فمشت تائمه مفتخره        | ومشى الدهر إليها طامعا  |

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| حازم يصفح عند المقدرة     | كان فيها ملك ذو فطنة    |
| فاذا ما استنكرته استنكره  | يمشق الأمر الذي تمسقه   |
| لم تلتها أمة أو جمهرة     | بلغت في عهده مرتبة      |
| أشقت أعداؤه أن تخفوه      | فاذا أعطت ضعيفا موثقا   |
| كانت الظافرة المنتصرة     | واذا حاربها طاغية       |
| طاش الرأي كثير الثروة     | مات عنها ، فأقامت ملكيا |
| جاء إذا أقبلت معتذره      | حواله محبة سوء ، كلبا   |
| واليه نفسه المستكبره      | سنت في عينه آثامه       |
| فتماذى فى الملاهى المنكبه | وتماذى القوم فى غلتهم   |
| وطوى رايتها المنتشرة      | زحزح الأمة عن مركزها    |
| فومتها فأصاب مديرة        | ورأت فيها الليالى مقتلا |
| مثلما ترص بسهم قسيه       | فهوت عن عرشها متفيرة    |

|                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| ذو قوافٍ بينها مشتهرة   | كان فيها شاعر مشتهر         |
| هز من كل فواد وتوره     | كلما هزت يداه وتورا         |
| شاعر فى أمة محتضرة ؟    | تحس الحظ ، وهل اتس من       |
| ثورة طاهرة مستترة       | يقرا الناظر فى مقلته        |
| فى معانى قومه المندثوره | ما يراه الناس إلا واقفا     |
| باكيا والسحب المشهورة   | حائرا كالريح فى اطلالها     |
| وكذاك الأمة المستترة    | وهى فى أهواها لاهية         |
| لا ولا أدمعه المنحدرة   | ما رأت مهجته المنقطرة       |
| وشكاه الليل مما سمته    | فشكاه الشعر مما ساقه        |
| مزق الطرس وشج المحبيرة  | ثم لما عبت الياس به         |
| جلسوا ليكون عند المقبرة | مر يوما فرأى شيئا خها ..... |

- قال ما بكم ؟ ٠٠٠٠٠ ما خطبكم \*  
ومن الثاوي الذي تكونه \*  
قال شيخ منهم محمداً \*  
ان من نبيه لو ابصره \*  
كيف يا جاهل لا تعرفه \*  
هو ملك كان فينا \*  
ولبنا بعده في ظلم \*  
والذي كان بنا " معرفته " \*  
فانتهى التاج الى محتسب \*  
كل ما تصبو اليه نفسه \*  
مستبين بالليالي وبيننا \*  
كلما جاء اليه خائبن \*  
فاذا جاء اليه ناصح \*  
مستبد باذل في لحظته \*  
يهب المرء وما يملكه \*  
هزا الشاعر منهم قائلاً \*  
رحمة الله على اسلافكم \*  
رحمة الله عليهم انهم \*  
ان من تبكونه يا سادتي \*  
انما بأس الالى قد سلفوا \*  
فاجسوا الاثم في اماككم \*  
لو فعلتم فعل اجدادكم \*  
ما لكم تشكون من محبتكم \*  
ما قضى الظالم منكم وطوره \*  
رضتم السنكم ان تشكروه ؟



(٤٦٢) \* وجملتكم منكم أعسكـره  
 وحلفتم أن تطيعوا عسكـره ؟  
 كيف لا ينفى ويطفى أمرـه \*  
 يتقى أشجفكم أن ينظره ؟  
 \* \*  
 ما استحال الهز ليثاً إنما \* أسد الأجام صارت هــرره  
 وإذا الليث هت أظفاره \* أنشب السنور فيه ظفـره !!!

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
 الرثاء  
 XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

"أبى ماضى" فى هذا الشأن تجارب كثيرة • عبر خلال بعضها عن عيب الوفاء والحب والأخلاص • والوطنية • كما وقع بعضها يرود المجاملة التى انساق الشاعر فيها وراءها • واجب اجتماعى • •  
 وقد دار رثاؤه حول الوطنيين أمثال "مصطفى كامل" والمصلحين أمثال "محمد عبده" والشعراء الأوفياء • مثل "مطران" وأهل الأدب كـ "سليمان البستاني" وأخوته وأبيه • • • • • وبعض من كان على علاقة بهم هولهم يد كبرى فى المصالح العامة للوطن وآله والمتأمل لشعر أبى ماضى يراه قد شقَّ هذا الطريق منذ بدء الشاعرية حتى نهايتها • لذلك تجمعت لديه مجموعة كبيرة من القصائد • ومن ذلك فقيده الوطنية (٢٢٢) - موت العبقري (٢١٨) - عبد الله البستاني (٢٢٦) - مصرع القمر (٢٩٥) - كل من عليها فان (٣٠٢) الرزء الأليم (٣٦١) - الخطب النادح (٣٣٦) مجاهد (٣٤٣) فلنعمى (٣٤٧) - لم يهدم الموت إلا هيكلك الطين (٣٥١) - مازال فى الأرض حياً (٤٨٠) ليتهم عرفوه (٥٠٧) - البدر الأقل (٧٠٤) - أبى (٧٤٥) - الشاعر (٧٧٠) - وقد جاء فى أشعاره المجهولة (١) القصائد التالية فى الرثاء •  
 رثاء المطران أنثاسيوس عطا الله (٢٥١) - النجمة الهاوية ، رثاء سلمى ملوك كنعانية (٢٧٠) رثاء رشيد أيوب (٢٧٢) - رثاء الياس عطا الله (٢٧٧) - رثاء نجلاء صباغ (٢٨٠) ونجتزى امثلتنا من هذه المجهولات •

=====  
 (١) انظر كتاب "إيليا أبو ماضى" الأشعار المجهولة • جوهج ديمتري سليم •

يقول : فى رثاء المطران اثناسيوس عطا الله ص ٢٥١ (٤٦٣) ورقم القصيدة بين المجهولات

• (٢٦)

زرت الحديقة فى الضحى لأرى الخصون الموقنة  
فإذا الطيور صوامت ، وإذا الأزهار مطرقنة

\*\*\*\*\*

وإذا النسيم له أمين كالجريح أو الطميين  
ويلاه من ذاك السكوت ، وآه من هذا الأنسين

\*\*\*\*\*

ماذا أصاب الأقحوان ؟ فإنه لا يبسم  
ماذا دهأ طير الأراك ؟ فهو لا يسترنم !  
أى المصائب بالرياض ؟ فقيل لى : غضب الخديرو  
فالطيور والأزهار حائرة تفكر فى المصير

\*\*\*\*\*

فصرفت أنى فى الحديقة حاضر فى مائهم  
وشعرت أن الحزن يسرب فى عروقى مع دمسى

\*\*\*\*\*

الجنة الفناء ، يا أبناء " حمص " أنتهم  
أما الخديرو فإنه هذا الفقيد الأعظم

\*\*\*\*\*

" اثناسيوس " ، علمتنا ، ووعظتنا حيا وميتا  
أشرفت إشراق الصباح ، ومثلما يضى مضيئا  
الله بارك " حمص " حين سكنت فى أرجائها  
وديانة قد كت فى دنياك من رؤسائهم

\*\*\*\*\*

• كم مهمة لليأس كت به دليل التائبين  
• كم حومة للمؤس كت بها مقيل الماثرين

قد كنت مصباحاً للهيأ يمشى لكل سـ  
وقد انطفاة فكلنا للحزن يمشى فى النهار

\*\*\*\*\*

علمنا أن التمسك ليس فى سكتى السباسب  
بل فى مقارعة الخطوب وفى مصارعة التجارب

\*\*\*\*\*

ليس الفضيلة والتقوى الا يضر المرء نفسه  
ويصون منه نفسه ، بل ان يسوق إليه خـ

\*\*\*\*\*

خالفت كل الناسك من الاوائل والواخر  
خضت المعاصر عندما خانوا التمريض للمعاصر

\*\*\*\*\*

قد كان نسكك جرأة عظمى ونسكهم فرارا  
يا ويحهم لم ينفصوا فى نسكهم حتى القفارا

\*\*\*\*\*

قد كنت تزهد بالجواهر وهى اكوام لديك  
وتسرا اذ تمضى الى المسكين او يمسى اليك

\*\*\*\*\*

ما احقر التيجان عندي ان ذكوتك والارائك  
ان الملوك من الانام ، وانت من جنس الملائك

\*\*\*\*\*

شادوا على الجثث الحروش وشدت عرشك فى النجوم  
فمضت عروشهم ، وعرشك خالد مثل الشمس

\*\*\*

لله كيف حواك لحد ، أيها البحر الكبير

لله كيف خبا سناؤك ، أيها القبر المنير

\*\*

قد كنت تلك أيها الراعى الأمين لكننا

"أثنا سيوس" ، نم هانثا فلکم سهرت لاجلنا . . . . .

\*\*

وفى رثائه " لمصطفى كامل " تحت عنوان " فقيد الوطنية " ( ٢٢٢ زهير ميوزا \* ) يقول :

- بَكَيتُ وَلَكِنْ بِالدموعِ السَّخِينَةِ . . . \* وما نَفَذتُ حَتَّى بَكَيتُ بِمَهْجَتِي
- على الكامل الأَخلاقِ والتَّدبُّبِ مصطَفى \* فقد كان زَيْنَ الحَقْلِ زَيْنَ القُوَّةِ
- نَعاهَ لَنَا الناعى فَكادَ بنا الدُّبى \* تَمِيدُ لِهولِ الخُطْبِ خُطْبِ المِروءَةِ
- وذايَبَ قلوبِ العالَمينَ تَلهفانَا \* وسالتُ دموعَ الحِزْنِ مِن كُلِّ مُقَلَّةِ
- أَجَلٌ قَد قَضَى فى مِصرَ أعظَمَ كاتِبِ \* فَخَلَّفَ فى الأَكبادِ أعظَمَ حِسرةَ
- فتى وأبى لو أن فى الناسِ مِثْلَهُ \* لَهانَ عَلينا وَقعَ هذى الرِزِيَّةِ
- ولو كان يَفدى بِالنَّفوسِ مِنَ الرَّدَى \* جَمَلنا فِداءَهُ كُلِّ نَفْسِ أبِيَّةِ
- فتى ما تَعَفَّى العِصرَ لِمَ يَحرفُ الخِنا \* ولم يَنْطوى فى نَفْسِهِ حُبَّ رِيبةِ
- وقد كان مَقْدامًا جَريئًا ولم يَكُنْ \* لِيَنفى الرَّدَى غِيرَ النَفوسِ الجَريئةِ
- وكان جِوادًا لا يَضُنُّ بِحاجِبِي \* لَذلكَ أعطى رِوَحَهُ لِلنِيبَةِ
- سَلامَ على مِصرِ الأَسيفَةِ بِمَدَدِهِ \* فقد أودَعَتِ آمالَهُ جِوفَ حَفرةِ
- خُطيبِ بِلادِ النِيلِ ما لَكَ ما كَنا \* وقد كُنتَ تَلقى خُطبةً أثَرَ خُطبةِ ؟
- تَطاوَلتِ الأَعناقُ حَتَّى اشرا بِسَتِ \* فَهَلْ أنتَ مَسدِ بِها ولو بِمِضِ لِقطةِ ؟
- نعم كُنتَ لولا المِوتِ فَارِحَ كَريمِها \* فِيا للرَّدَى مِن غاشِمِ مَتممَتِ
- تَظُرتِ الأَكبادُ حُزْنا كَأَنما \* ما تَكَ سَهْمٌ حُلِّ فى كُلِّ مَهْجَةٍ
- وما حَزنتُ أُمَّ لَقَد وَحيدِها \* بأعظَمِ مِن حِزنى عَليكِ ولو عَنتى
- تَنادِيكِ مِصرَ الآنِ يا خَيرَ راحِلِ \* ويا خَيرَ مِن يُوجى لَدِفِ المِلَّةِ

|                              |   |                              |
|------------------------------|---|------------------------------|
| عهدتك تأبى دعوة غير دعوتى    | ✽ | فمالك تأبى (مصطفى) كل دعوة؟  |
| فقدتاك رباناً فيا طول لهفتى  | ✽ | لقد كنت سيفى فى الخطوب وجنتى |
| أجل طالما دافعت عن مصر مثلما | ✽ | يدافع عن ماواه نحل الخلية    |
| فأيقظتها من رقدة بعد رقدة    | ✽ | وانهضتها من كبوة تلو كبوة    |
| وقويت فد ابنائها الحب نحوها  | ✽ | وكت لهم فى ذاك أفضل قدوة     |
| رفعت لواء الحق فوق رؤوسها    | ✽ | فضم إليه كل ذى وطنية         |
| لئن تك أترعت القلوب محببة    | ✽ | فإنك لم تخلق لغير المحببة    |
| فتم آمنة وفيت قومك قسطهم     | ✽ | فيا طالما ناموا وأنت بيقظة   |
| سيقى لك التاريخ ذكراً مخلداً | ✽ | فقد كنت خير الناس فى خير أمة |
| عليك من الرحمن ألف تحببة     | ✽ | ومن أرض مصر ألف تحببة        |

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
 الفـزل  
 XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

إن ما بيدو من شعر " أبو ماضى " فى الفزل يوحي بأنه لم يكن معروفاً بتجربة ذاتية نبية ومع ما أحيط به من ظروف جده قاسية • عانى منها الكثير والكثير • فقد جاء له شعر فى هذا الباب غير قليل • عالج فيه قضية الحب معتمداً على حكمة نظرية بعيدة عن الجانب الصلى ، وقد أكره الشاعر من اسم خاص ذكره كثيراً فى قصائده هو " هند " وستمحرف معه قصة هند فى فصل لاحق ، وكثيراً ما جاءت أحاديث الشاعر عن الفزل تبعاً لقصائد تتحدث عن هجر أو غروب السبا أو فراق وجهاء ..... الخ  
 ولهذا تعددت قصائد التى أقردها للفزل • ومن محصوله فى هذا القسم .....  
 لو ( ٥٠٦ ) - الرجل والمرأة ( ١٧٤ ) - أنا وهى ( ٢٤٦ ) - حكاية قديمة ( ٢٤٧ ) ما للكواكب ( ٢٧١ ) - المودة ( ٢٩١ ) - الميون السود ( ٣١٥ ) - الخاية المفقودة ( ٨٢٧ ) - لقاء وفراق ( ٨٢٧ ) - عينان ( ٤٣٢ ) - أما أنا ( ٤٧٧ ) - هدية العيد ( ٥٤٨ )  
 أهلها عرب ( ١٣٩ ) - يا جنيتى ( ٥٤٧ ) ...

(٤١٧)

ومن ذلك غرامية ( عينك ) يقول فيها :-

- عينك والسحر الذي فيهما \* صيوتانى شاعراً ساحراً ...  
علمتني الحب وعلمتني \* بدر الدجى ، والفصن والطائرا  
ان غبت عن عيني وجن الدجى \* سألت عنك القمر الزاهرا  
وأطرق الروضة عند الضحى \* كيما أناجى البلبل الشاعرا  
وانشق الوردة في كمها \* لان فيها أرجا عاطرا  
يذكرو الصب بذاك الشذا \* هل تذكرين الماهق الذاكرا ؟  
كم نائم في وكوه هانسي \* نبتته من وكوه باكرا ؟  
أصبح مثلى تائها حائرا \* لما رأني في الري حائرا  
فراح يشكولي واشكولاه \* بطش المهوى ، والهجر ، والمهاجرا  
وكوكب أسفته زرتسي \* فبات مثلى ساهياً ساهرا  
زجرت حتى النوم عن مقلتي \* ولم أبال اللام الزاجرا  
باليت أنى مثل تائسر \* كيما تقول المثل السائرا

وفي قصيدة " يا جننتي " نراه يقول :-

- لما رأيت الورد في خديك \* وشقائق النعمان في شفتيك  
ونشقت من فودي نداء عاطرا \* لما مشت كفاك في فوديك  
ورأيت رأسك بالأماح متوجا \* والفل طاقات على تهديك  
وسمعت حولك همس أرواح الصبا \* عند الصباح تهز من عطفيك  
ايقنت أنك جنة خلاب \* فحننت من بعد المشيب اليك  
ولذاك قد صيرت قلبي نحلة \* يا جننتي كيما يحوم عليك  
روحى فداؤك انها لو لم تكن \* في راحتك هوت على قدميك

\*\*\*

ولنطالع " هدية العيد " التي تقول فيها :-

- أى شيء في العيد أهدى إليك \* يا ملاكى ، وكل شيء لديك ؟  
أسواراً ؟ أم دملجاً من نضار ؟ \* لا أحب القيود في معصيتك

- (٤٦٨)
- أم خمورًا ؟ وليس في الأرض خمرة \* كالتى تسكين من لحظيك  
 أم وردًا ؟ والورد أجمله عندي \* الذى قد نشقت من خديك  
 أم عقيقًا كمهجتى يتلظى \* والمقيق الثمين فى شفطيك  
 ليس عندي شيء أعز من الروح - \* وروحي رهونة فى يديك

\*\*\*\*\*

## الحكم

إذا كانت الحكمة مخاض تجارب يعيشها المرء في هذه الدنيا • يكشف من خلالها سراديب الحياة • بعد قيامه بمعالجة تجاربها في معمل الأحياء الكوني ووقوفه على تجاربه بنفسه • ليبنى منها الثمرة مقدّماً إياها للأحياء في صورتها البسيطة للاستفادة بها وموفراً عليهم نصب الطريق • ومضية الوقوع في المعاناة •

فإنّ " أبو ماضي " قد خاض هذه التجربة من خلال مرارة الصبر • ومعاناته الكبرى في ميدان الحياة • وما لاقى فيها من جراء معاملته للناس • • وقد كانت الوسائل التي ساقته للاختلاط بالبشر والتصرف على طباعهم ومعاملاتهم • هي الرافدة الكبرى لتجاربه.....

وقد جاءت حكمه مبثوثة في ثنايا القصائد • وقد اعتمد في إبرازها على مواقف عملية منزوعة من تجارب ذاتية • وقد جاء بعضها تأكيد لما تناقله الألسن • من حكم السابقين •

ومن ذلك • هذه الحكم •• التي أردفتها بذكر الصفحة التي ذكرت فيها " نسي كتاب " رهيو ميوزا " •

يقول :- ( ١١٣ )

ليس الجمال هو الجمال بذاته \* الحسن يوجد حين يوجد رأه

( ١١١ )

\* اتخذ " أخوا يكن لك عوناً \* كل نفس محتاجة للإخاء

( ١٢٠ )

\* ولكم جنى علم على أربابيه \* وجنى الهناء جماعة الجهلاء

ويذكرني الشطر الثاني بقول الشاعر :-

\* كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه \* وجاهل جاهل تلقاه صرر وقا

( ١٣٣ )

\* ومن عصبت عيناه نالوقت كلكه \* لديه • وإن لاح الصباح • غروب



(١٥٧)

كُلُّ أَرْضٍ نَامَ عَنْهَا أَهْلُهَا

\* فَمِى أَرْضٍ لَا غَتَابَ وَانْتِهَابَ ..... (٤٧٠)

(١٥٩) لَيْسَ التَّعَبُّدُ أَنْ تَبِيَّتَ عَلَى الطَّوَى

\* وَتَرَوُحَ فِى خَرَقٍ مِنَ الْأَثْوَابِ ..... (٤٧٠)

مَكَهَ انْقَاذَ نَفْسِي مَعْدَبَ

\* مِنْ بَرِيقَةِ الْأَلَامِ وَالْأَوْصَابِ ..... (٤٧٠)

وَيَعِدُ ذَلِكَ يَقُولُ :-

لَيْسَ التَّعَبُّدُ عَزْلَةً وَتَنْسَكُ

\* فِى الدَّيْرِ أَوْ فِى القَفْرِ أَوْ فِى الغَابِ

لَكِنَّهُ ضَبْطُ الْهَوَى فِى عَالَمِ

\* فِىهِ النُّوَابِ جَمَّةُ الْأَسْبَابِ

(٢٥٣)

مِنْ لَيْسَ يَضْحَكُ وَالصُّبْحُ مُرْدُ

\* لَمْ يَكْتَسِبِ وَالصُّبْحُ غَيْرَ مُرْدٍ

(٢٧٠)

لَا تَقْطِنُ مِنَ النِّجَاحِ لِمَثْرَةٍ

\* مَا لَا يُنَالُ الْيَوْمَ يَدْرِكُ فِى غَدِ

(٢٧٠)

كَمْ أَكَلِ ثَمْرًا سَقَاهُ غُيُوهُ

\* دَمَهُ ، وَكَمْ مِنْ زَارِعٍ لَمْ يَحْصُدِ

لَوْ كَانَ يَحْصُدُ زَرْعَهُ كُلِّ امْرُؤٍ

\* لَمْ تُخْلَقِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَتَجَدَّدِ

ويَقُولُ :-

بِالذِّكْرِ يَحْيَا الْمَرْءُ بَعْدَ مَمَاتِهِ

\* فَانْهَضِ إِلَى الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَخَلِّدِ

وَيَذَكِّرُنِي هَذَا الْبَيْتُ • بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ( شَوْقِي ) :-

احْفَظْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا

\* فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمْرٌ تَانِسِي

(٣٠٦)

وَمَنْ نَالَ مِنْهُ السِّيفُ وَهُوَ مَجْرُودٌ

\* تَهَيَّبُ أَنْ يَرِنُوا إِلَى السِّيفِ مُفْجِدًا

ويَقُولُ فِيهَا :-

أَحِبُّ الْإِبْنَ الْحُرَّ لَوْ عِنْدَهُ

\* وَأَقْلَى الذَّلِيلِ النَّفْسَ مِمَّا تَوَدُّدًا

(٣٠٧)

مَاذَا يَفِيدُ الصَّوْتُ مَرْتَفَعًا

\* إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّوْتِ ثَمٌّ صَدَى؟

وَالنُّورُ مُنْبَثِقًا وَمُنْتَشِرًا

\* إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ هُدَى؟

وتجهر بالشكوى وفي وسعك الصبر

ومن حكمه المصرية التي تتمشى مع العصر • (٣٩١)

فكن ذاك أو كن بلا شك

فويل لمن ليس بالماكر

فلرب خير جاء من شر

لا بد من حلو ومن مر

فالمسر آخره الى اليسر

انشب السنور فيه ظفره

يملو عليها الصدا الأكل

راه عليه المالمون مخاربا

يكن كالذي في ضرها بات ساعيا

كفيت في ظلمة الأفنان

لا تساوى في المجد بضع ثوان

فلا تقنع بأن سواك يميني

رميم المظلم أو عبثا على ابن

يحيى ، ويموت من يحيى ليجنى

وعاف للدين بردا عاد عريانا

وشر المزايا أن يصيبك حادث

وما الناس الا عبيد القوي

أشد من الدهر مكرًا بنسوه

لا تكروها شرًا يصيبكم

وأثر الآية القرآنية في الجملة واضح •

قل للألى يشكون دهرهم

صبرًا إذا جلل أصابكم

وإذا الليث وحت أظفاره

والنفس كالمرأة إن أهملت

إذا المال لم ينفقه في الخير

إذا المرء لم يسح لخير بيلاه

إن حيا بها بان يلمس النور

وحياة أمد فيها التوقى

سبيل المعز ان تبني وتبني

ولا تك عالة في عنق جسد

فمن يخرس لكى يجنى سواه

إذا ارتدى المرء ما فى الأروم من برد

(٤٧٢)

ليس البدر من يقلى دراهمه \* إن البدر من للدين ملصنا

(٨٣٦)

ومن لم تُضرسه الخطوب بناهبها \* يظن شكايات النفوس تشاكيها

ومن كتاب "إيليا أبو ماضي" لجورج سليم . نلتقط هذه الحكم من أشعاره المجهولة

(٢١٦)

تحس الذي رضى الأمانى ثروة \* إن الأمانى ثروة الكسلان

(٢٢٨)

من يطلب من غير نصرا \* كالطفيء بالنزيت الجمرا

من يخضن ، يا قومي ، الهرا \* لا يجنى إلا أقذاره

ويقول :-

ما دامت دارك من خشب \* لا تقذف غيرك باللهب

إن هجت الليث بلا سبب \* لم يأمن جسمك أظفاره

(٢٥٤)

قل لامرئ مثل "قارون" بثروته \* إنى امرؤ بصحاىي فوق "قارون"

من يصطنع صاحبا تبقى مودته \* فهو الفنى به لاندو الملايين

فاختر صحابك وانظر فى اختيارهم \* إلى الخرائر قبل اللون والدين

(٥١٤) زهير مبرزا

من كان يشرب من جداول وهمه \* قطع الحياة بخلة لم تقنع

ومنه (٣٠٧)

لاشى يدرك فى الدنيا بلا تعب \* من اشتبهى الخمر فليزرع دواليها

(٣٤٥)

من ليمر يفتح للنهار جفوانه \* هيبها تكحل مقلتيه نهارة

شر من الخصم اللدود على الفتى \* صاحب المتذبذب الخوار

(٥٧٩)

ما للضعيف مع القوى مكانة \* إن القوى هو الأحب الأفضل

## الهجاء

الهجاء من الأغراض الشعرية القديمة ، وقد مرَّ بأطوار من التقلب ، ليتناول جوانب مختلفة حسب ما تقتضى ظروف الحياة

— والهجاء ذكر لمثاليها المرء وكشف عيوبه نيلاً منه ، وذلك تنقيساً عما فى داخل النفس من حنق وكره نسجته وواقع شخصية أو غيرها من أمر الكون .

والهجاء المقبول هو الذى يتبع من رافد وطنى أو مصلحة إنسانية . عامة لا تظهر فيها خيالات الأثرة المهلكة . ، هذا الهجاء هو الذى تقود دفتيه غايات نبيله . . . . .

— وأما ما ينبع عن الدوافع الشخصية فكثيراً ما تجرّه التجنّيات إلى المياه الراكدة المحمومة

— وما أظهرته الأيام شيء عجيب .

فما ظهر فى دواوينه من ذلك قليل جداً . فتجد فى كتاب " زهير ميوزا " عن إيليا أبو ماضي فى فراش المرض ( ٣٠٦ ) ، لم أجد أحداً ( ٣٠٩ ) ، إلى صديق ( ٣٢٥ ) ، نقد ( ٦١٨ ) وقال ينقد أحدهم ( ٢٣٢ )

بينما جاء فى أشعاره المجهولة التى ذكرها " جورج سليم " كثير من القصائد الهجائية . . . . .

فيه جاء . . .

اليهودى التائه ( ٢٠٤ ) — وقف عليك الشعر ( ٢٠٧ ) — ماذا ؟ ( ٢٠٩ ) ، أيا عجل اليهود ( ٢١٤ ) ، يانوح أين دلائل الطوفان ( ٢١٦ ) ، يا هذا ( ٢٢٩ ) ، ماذا — تقول ( ٢٣١ ) — و . . . . . ( ٢٣٥ ) ، كذا لإله خلقه ( ٢٥٩ ) النار أشروء أكل ( ٢٦٠ ) إلى النابج الطاوى ( ٢٦١ ) ، دعه ينبج ( ٢٦٤ ) .

فما ذا ياترى سبب إهماله لهذا اللون الأدبى إلى هذا الحد ؟

أهو كما ذكر الدكتور جورج سليم أن هذا الأدب يحتبرونه ليس من الأدب الانسانى ، أو أنه يحتاج فى إثباته إلى مقدمات وإيضاحات لا يستقيم الفهم بدونها ، وقد نؤدى ذلك إلى فتح جورج إندملت . وقضى على آثارها النسيان . . . . .

والشاعر كان متقلباً في صداقاته وعداواته فيه شيء من طباع القرب يهجو بلا سبب (١) وما

ينتظر من أمثال ذلك كثرة من الهجاء ، فهل يتناسب الإهمال مع شاعر كهذا .

ولعلهم كانوا يحاربون مناح فلما استقامت لهم واندثرت المسببات لم يرغبوا أن يظهر هذه

القصائد أملاً في أن تندمل الجروح وتبرأ القروح \*

ويلاحظ أن بعضهاً منها أخرجته عوامل الإصلاح الاجتماعية والوطنية إلى الوجود وقيل ما

جاء من القصائد التي دفعت إلى الخوض فيها دوافع شخصية .

ولكن ما السبب الذي جعله ينتحى هذا المنحى فلا ينشر هذه الأشعار ما جعل هذا الموضوع

يظهر شعره بصورة يمكن معها اعتباره متعمداً ؟ حيث لم يظهر منها إلا بعض أريد له الظهور .

ولعل " أبو ماضي " قد انتحى هذا المنحى لأسباب فرضتها عليه حتميات الحياة . ولا شك

لا يخلو مجتمع أيما كان من عوامل السرور والحزن . كذلك لا يخلو من الضيق والكراهية

والنفور . وهو من الناس المعروفين بكثرة تقلبهم وسرعته . ولهذا لا يكون من المستبعد التقلب

في مثل هذه الأحوال . جعله يتمجج في هجاء البعض كما جعلته المراجعة والنظر إلى ترك

نشرها لما فيها من نقائص وعيوب وأسفاف . يكشف عن ذلك شعرة الهجائي إلى " أسعد رستم "

كما سيأتي في ذكر الأمثلة :

وترك هذا الجانب من شعره أمر خطير ، ففي ذلك خفاء للصورة الحياتية في المهجر . وما

عم من عادات وعلاقات وأخبار قد تكون مفيدة للأدب والتاريخ وإن كان " أبو ماضي " قد اختار

لنفسه هذا الإهمال . فإهمال الدارس له مهما كان نوعه تجنى على الشعر والأدب والأمانة

النقدية فكثيراً ما يكون في ذلك نبذ فياض في عكس صورة عن حياة الأفراد والمجتمعات ، ومترقبة

شيء عن النفسية والعقلية والنزعة والقدرة الفنية لدى الشعراء . ولهذا يجدر أن نأخذ

أمثلة هذا اللون من أشعاره المجهولة ، حتى يكون في ذلك كشف لشيء من ذلك . . .

ومن ذلك قصيدة " وَقَفَ عَلَيْكَ الشَّعْرُ " إلى كُلى حامل كشكول من كتاب " إيليا أبو ماضي " . . .

" جرح سليم " ص ٢٠٧ . . . . .

=====

- \* أسفى على الكشكول كيف تمزقنا  
 \* لا يحزننك اليوم أنك مخفق  
 \* عجبى الحماقة ما علمت ، وانمنا  
 \* أعيت كل مهذب ومردب  
 \* كم ذا تطوف فى المداين والقبرى  
 \* متوعدا كل امرئ مستضف  
 \* خلت السنون وأنت تستجدى السورى  
 \* جادول بالهوفر حتى ألقوا  
 \* أنفتت ما لهم كما أنفتت  
 \* لو كان شعرا كنت صاحب لمبة  
 \* بددته وغوث عن ارواحهم  
 \* مال الشحاذة لا يدوم ، وإن يمدم  
 \* كم ذا تشيد الباخرات وتبتنى  
 \* أقلت حتى " الإنكليز " وظالما  
 \* هلا - وقد هيجت كامن حقدهم  
 \* لا ، لا فإن هم اغرقواها كلها  
 \* أعنى " المدرعة المصفحة " الستى  
 \* هى طامة سحرية ، مرها تكمن  
 \* قد قال قوم : مغنطيس تحتهم  
 \* كذب الذين تقولوا ، ياسيدى  
 \* \* \*  
 \* جف القذال ومات أجرد عاريا  
 \* طار السواد عن الفارق وأسى  
 \* لو حاول البرغوث يمشى فوقه  
 \* يا صاحب الكشكول ، طلل لك الهقا  
 \* ما أنت أول ذى رياء أخفقا  
 \* هيئات أن تعظ الحوادث أحقا  
 \* حتى المصا ، وعيت أن تتخفا  
 \* متبجحا ، متنطها ، متفيمقا  
 \* متلقا ممن يمشى المتلقا  
 \* فمتى أراك على الورى متصدقا ؟  
 \* وتلفتوا فراء ول منهم ألقنا  
 \* الله أعلم كيف باد وأنفقا  
 \* أو كان لفظا كنت أغزر منطقا  
 \* لله قلبك ما أرق ، وأعسقنا  
 \* فقد اقتنيت به سميرا محرقا  
 \* مهلا ، فإن البحر أصبح ضيقا  
 \* طنوا المياب لهم حلالا مطلقا  
 \* صافيتهم وعقدت معهم موثقا ؟  
 \* بقيت لديك " سفينة " لن تفرقا  
 \* تخشى العواصف حولها أن تخفقا  
 \* فى الماء فلكا ، فى الفضاء مخلقا  
 \* ويقول قوم أن فيها زئبقا  
 \* الحق أن بها الجنون المطبقا  
 \* \* \*  
 \* لو كنت تحفظ ما وجهك أروقا  
 \* فاليوم أصبح كل رأسك مفرقا  
 \* لم يأمن البرغوث أن يتزحلقا

- ضيمت عمرك في المخاصي كلـه \* فمتى تحن إلى الفضيلة والتقى 2  
وقف عليك الشمر حتى ترعىوى \* وعلى الضلال الحق حتى نزهقا  
أنى حللت وجدت ثم شـواردا \* تلهيك إن تلهوولن تشد قـا  
ملء الشفاء فإن همت بلفظة \* نطقت بها الأفواه كى لا تنطقا  
تخرى بقلبك كل هم مقلـق \* وتذود عنك النوم حتى تارقا  
وتكون إما سرت غرباً مغربا \* وتكون إما سرت شرقاً مشرقا  
فاذا رآك إلى لقاءك شيق \* أسى إلى التوديع منه أشوقا  
لا " مرحباً " إما نزلت ، ولا إذا ٠٠٠ \* أزمعت تسمع من يقول " إلى اللقاء "  
يا ساكنى " كدا " السلام عليكم \* إن المناق بينكم لن ينققا  
وأفاكم ذاك الضراب مـكـراً \* فنحتموه بينكم أن ينمققا  
لو لم تكونوا الأسد أو أشبالهـا \* ما خاف أن يعوى ولا أن ينهققا  
ما مر ذكركم على ذى مسمـع \* إلا تملكه السرور فصققا

وها هى قصيدة أخرى بعنوان " إلى النابح الماوى "

- يأيتها النابح الماوى بلا سيب \* أم لى نفسك ذود فينهاها ؟  
إن كان غرك أن الحلم شيمتنا \* فربها خالفت نفس سجاياها  
نحن النجوم التى تهدي أشعتهمها \* من ضل بل نحن أسماها وأسناها  
لكننا نخشى أن نثار نائرننا \* نيازكا تتقى الدنيا شظاياها  
ما حدتنا بخير المجد أنفسنا \* ولم نشأ ظية إلا بلفناها  
هل يزعج الشهب نباح بلا ذنب ؟ \* وهل يعوق فى الأفلاك مسراها ؟  
إذا سكتنا فإن الليث يأنف من \* قفل البعوضة مهما طال قرناها  
إذا نظرنا إلى الجمالان سارحة \* ولم نطأها فإنا قد حقرناها  
وفى الحدائق ذات الزهر مشفلة \* عن رؤية الجعل يمشى فى زواياها  
فياغبياً على جهل يطاولننا \* ورطت نفسك فانظر كيف عباها  
من أنت؟ هل أنت ذو قدر فنخفضه \* أو حرمة تتأذى إن هتكهاها ؟

ما أنت إلا الهباء المستطار ، فهل \* نرى الهباء بأسياف حملناها ؟

\* \*

يا كلب سوق ويا خنزير ممر بلية \* يا جيفة ما تحامي الناس إلاها  
 على الدروب كلاب مالها عدد \* لا شك أنك أعداها وأواها  
 وإنما الناس في أمر قد اختلفوا \* هل أنت "أسعدها" أم أنت أشقاها ؟  
 إن السقالة لو تاوى إلى سكن \* كالخلق لم يك إلا أنت ما وأها  
 أعيالك أن ترتقى حتى ترى بشرا \* فصرت كالتيس نطاحاً وتياها  
 خمس ترونك ، وأحذر أن تتيه بها \* فكم قرون كهذي قد حطناها  
 في "الأخطبوط" الذي صاحبه عطة \* لو كنت تفهم معناها ومغزاهها  
 كم مرة قرئت منا كتابيه \* فلم تكن لحظة حتى هزناها  
 فارتد يحول من يأس ومن الهم \* عويل جارية قد مات مولاها  
 ألم تكن كهرون الوعل شاككة \* قرونه السود كيواها وصفراها ؟  
 اليوم ليس لها عين ولا أثر \* نحن الذين بأيدينا كسرناها  
 إن يستمن بك فالفرقان لو نظرت \* عيناه في البر سحابة لنا داهها  
 وإن تكن نفسه في الجسم باقية \* فأنما خبثها في الجسم أبقاهها  
 فما نجت بومة يوماً بقسوتها \* وإنما قبحها المشهور نجاهها  
 نفس لو انتشرت يوماً نقائصها \* لعمت الأرض أدناها وأقصاهها  
 نفس يشك الوري في الله إن زعموا \* أن الذي خلق الأرواح سواها  
 فان "عزيريل" يخشى أن تدنسه \* والأرض إن أصبحت في الأرض شواها  
 ما ضر من وصمت بالعار جهنته \* لو أنه بسوى الأوجال غظاهها  
 أتيت به بعد ما شالت نعمته \* وغيب البر يئناها وسراهاها  
 فكان مثل الذي ماتت كرامته \* وكنت مثل الذي جأ يئناها  
 \* \*

يانذل ! والنذل إنسان بلا ضمير \* ما سيم من حطة إلا ويرضاهها

ها أخصمك بأنا قد خطفناها ؟



بالاء يا نجل "....." ممذرة \* اذا ذكرنا لجانا قضيلهما  
 كآ نسينا ولكن ما يوحى بنا \* حتى ذكرنا التى كآ نسيناها  
 فاغفر خطيتنا ، نغفر خطيتهم \* واستغفر الله كى تستغفر الله  
 \* \*  
 ورب طاهرة فى البيت آمنه \* حشمتها خطة شمعاء تباها  
 حسبها كالتى ساءت خلاقمها \* بل كدت تحسبها يا وفد اياها  
 دنوت للورد فى الخدين تقطفة \* فراح يوتغ فى خديك نعلاها  
 \* \*  
 سل السجون التى جاريتها زمنًا \* كم ليلة بت ملقى فى زواياها  
 وفى قفاك نعال الجند راقصة \* كأنما هو ناديه وملكهاها  
 شدوا عليك ، وقد خالوا نعالهم \* تدمى قفاك قاذها وأدهاها  
 فانظر قذالك فى "المرأة" ان به \* آثارها وكثيرا من بقاياها  
 ان كان هاج بك الشوق القديم لها \* فمندا الف نعل قد حفظناها  
 \* \*  
 ما شم فى الأرض من عيب نزيدك \* أنت المحائب أولها وأخراها  
 وما هجوناك يا "لاشى" نمرنه \* بنى القواهى ولكنا هجوناهها

## الفخر

الباحث في أشعار " أبو ماضي " لن يعثر له في غرض الفخر على كثير من الأبيات ، إنها  
أبيات نادرة في الفخر بالوطن والقوم، يمسسه مسأراً قيقياً وفي وقت معين عندما يكون بصدر  
الحديث عن الوطن أو الصهوة أو تهديد للأعداء . أعداء الوطن والدين . . . وإذا كانت  
مرة الشاعر صالحة لهذا الأثر فلماذا التوقف؟

إن مما يبدو لعمري . أن الهجرة وما فيها وانقضايا القومية . ومتطلباتها شغلت من الشاعر  
كل فكر \* فراح يجاهد بصيدا عن هذا الموضوع .

ونحن إذا استتبنا رأى الشاعر . العلى في هذه الحياة وجدناه ينطق . قائلا

أني امرؤ كالفيل يدرك العلى \* وأبى الجهاد وغايتي الإصلاح

ولا بد للصالح من زاد . . ؟

وهو لا يحلق في سماء رسالته إلا على أجنحة الفكر والعقيدة ، وما يرفع من مكانته الإنسانية  
المحببة لدى الناس أن يروى عقائد أفكاره من ماء الثقة التي فجرت ينابيهما محبته لبني الإنسان .  
الثقة التي فجرتها اتجاهاته العملية : الوطنية والاجتماعية والإنسانية .

ربما رأى الشاعر في الفخر نارا تهدم ما ابتناه وتمزق ما نسجه من معاطف الثقة الغالية  
التي لاغنى عنها للمصلح حتى يرى إصلاحه النور ويتمتع بأفاس الحياة .

ربما رأى الشاعر أن الفخر والاعتداد بالذات مادة اجشت جذورها حيث لم يعد للمرء  
والمهلك متوثب للانقضاض عليه بعد أن اقتحم عليه مأمنه أن يحيى النظرة الفردية البالية  
التي لا تلد إلا حنقا وكراهية وضغفاً وتعصباً وهلاكاً .

ولعل للعملية الاستعمارية التي جأكت للوحدة أفتانا بما نصبت من أطناب التفريق والتخريب  
بين الأجناس من مسلمين ومسيحيين . على اختلاف أجناسهم عاملاً هاماً في إحراق ما يمكن  
أن يكون قد سيطر بعض السيطرة . انشد - على عقول البعض من عجبية وفردية ما جعله  
وغيره ينسى الطائفية ويحمل عليها معاول الهدم والتفرد ، ولهذا جاء فخره بالقومية  
بالفرق بلبنان .

(٤٨٠)

وجاء ذلك تنفيها عن وضعات من الحزن والألم سمح لها " لبوطاني " بالانصراف ~~من~~  
موقفها إليها بمحطف الوطنية . . . . .

غير أن شيئاً من الفخر الذاتي جاء بصدر الحديث عن المهجاء فالذي حبسه الشاعر  
كان يخلل بقرته بين الحين والحين . . . . . وسنفسر الحديث عن ذلك . . . . .  
عند الحديث عن موقفه من الاتجاهات الفنية . . . . .

وما جاء له في الفخر بالعروبة والشرق قليل . ومنه هذا البيت في قصيدة :-

" أمينة مهاجر " ( ١ )

أيها السائل عنى من أنا \* أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي  
أنا في نيويورك بالجسم ما بالسر \* وح في الشرق على تلك الهضاب

ويقول بصدر تهديد الخائنون وتوهمهم :-

زعم الخائنون أنا بما نبغى \* يه نبغى الوصول للمنقاه  
سوف يدرون أنا الحرب قوم \* لا يزالون غير رب السماء

\*\*\*\*\*

( ١ ) وهي تجر وتراب بعنوان يارفاقى ، انظر " إيليا أبو ماضي " عيسى الناعوري ١٥٧

انظر إلى ٨٥٩ قصيدة بلادى .

\*\*\*\*\*

## تتمية

=====

وتبقى كلمة أخرى في أرقام أبي ماضي المجهولة...  
 فهو أن كان قد تمعد إيجادها عن النشر أو وقع منه ذلك عفواً وصحواً فينبغي أن نسوق  
 عنها موجزاً (١) إظهار الصفحة أغراضه الشعرية ، وقد ذكرت بعض هذه الأرقام اثنا عشر  
 الاستشهاد على بعض الأغراض الشعرية .

وتسوق حديثاً مجملاً عن تصنيفها وأبرز ما فيها من تخيرات عامة إن وجدت .  
 وعلى وجه الصوم لا يكاد تخرج هذه القصائد عن الأغراض السابقة وإليك هذا البيان -  
 الموجز عن أرقامه التي لم تنشر من قبل في دواوينه أو أرقامه المنشورة في كتب أخرى .

| رقم القصيدة بين المجهولات | رقم الصفحة في الكتاب | عنوان القصيدة                    | عدد أبياتها | الفرض أو الموضوع                                    |
|---------------------------|----------------------|----------------------------------|-------------|-----------------------------------------------------|
| ٢                         | ١٩٤                  | مصر والاحتلال                    | ٣٣          | الوطنية والقومية                                    |
| ٣                         | ١٩٦                  | روزفلت مصر                       | ١٠          | الوطنية والقومية                                    |
| ٤                         | ١٩٧                  | عيد الحرية العثماني              | ٣٦          | الوطنية والقومية وامانيه نحو ذلك                    |
| ١٥                        | ٢٢١                  | إلى شاعر السائح                  | ٣٠          | الوطنية ففيها دعوة إلى التأخي للنيل من ظلم الظالمين |
| ٥                         | ١٩٩                  | نقطة صدر                         | ٤١          | الحنين                                              |
| ٦                         | ٢٠١                  | نجوى لبنان                       | ٣١          | الحنين                                              |
| ٣١                        | ٢٤٦                  | ولقد ذكرت لك                     | ١٠          | حنين وأسى                                           |
| ٨                         | ٢٠٤                  | اليهودى التائه                   | ٣٦          | هجاء                                                |
| ٩                         | ٢٠٧                  | وقف عليك الشعر إلى كل حامل كسكول | ٣٥          | هجاء                                                |

| رقم القصيدة | رقم الصفحة | عنوان القصيدة             | عدد أبياتها | الفرض أو الموضوع                                   |
|-------------|------------|---------------------------|-------------|----------------------------------------------------|
| ١٠          | ٢٠٩        | ماذا                      | ٤٩          | هجاء بح ذكرشي من هجوم الهجرة                       |
| ١٢          | ٢١٤        | أيسا عجل اليهود           | ٣٨          | هجاء                                               |
| ١٣          | ٢١٦        | يانوح أين دلائل الطوفان   | ٤٦          | هجاء لتجار الوطنية وفيها ستة أبيات في تذكار الماضي |
| ١٦          | ٢٢٣        | انقر ياد علي الطاره       | ٢٢          | هجاء الفنان                                        |
| ١٧          | ٢٢٥        | وقائله                    | ٢٤          | مرافمة هجومية                                      |
| ١٩          | ٢٢٩        | ما هذا                    | ٢٨          | هجاء ولوم                                          |
| ٢٢          | ٢٣٥        | و.....                    | ٢٥          | افتخار وهجاء                                       |
| ٢٣          | ٢٣٧        | ماتان احوجني              | ١٢          | هجوم على الظهير بين ومظهرتهم                       |
| ٤١          | ٢٥٩        | كذا الاله خلقه            | ١٨          | هجاء / معارضة                                      |
| ٤٢          | ٢٦٠        | النار أسره آكل            | ٦           | هجاء                                               |
| ٤٣          | ٢٦١        | إلى النابج الفاوي         | ٤٧          | هجاء أسعد رستم / مناظره أجود قصيده لفي الهجاء      |
| ٤٤          | ٢٦٤        | دعه ينبح                  | ٦           | هجاء أسعد رستم                                     |
| ٧           | ٢٠٣        | عتاب إلى الياس عطا الله   | ٢٠          | إخوانيات " عتاب "                                  |
| ٢٩          | ٢٤٤        | في الليل توفيق فخر        | ١١          | تهاني "                                            |
| ٣٧          | ٢٥٤        | جمعية الاتحاد السوري      | ٢٨          | الشاعر في حفلة تكريمه                              |
| ٣٥          | ٢٥٠        | نذر رشيد أيوب             | ٦           | إخوانيات                                           |
| ٤٠          | ٢٥٨        | في عرس ندره حداد          | ١٨          | إخوانيات وتهنئة                                    |
| ٢١          | ٢٣٣        | إلى شكوى أبي صالح         | ٢٨          | إخوانيات وتهنئة " رد على الرسالة "                 |
| ٦٣          | ٢٨٣        | إلى توفيق فخر             | ٣           | إخوانيات                                           |
| ١٤          | ٢١٩        | توديع رستم بك             | ٢٥          | تكريم                                              |
| ٢٤          | ٢٣٨        | تنصير نور عبد المجيد حداد | ١٩          | تكريم                                              |

| رقم القصيدة<br>بين المجموعات | رقم الصفحة<br>في الكتاب | عنوان القصيدة                  | عدد<br>أبياتها | الموضوع أو الفرض                  |
|------------------------------|-------------------------|--------------------------------|----------------|-----------------------------------|
| ٢٧                           | ٢٤١                     | توديع الريحاني                 | ٤٧             | تكريم                             |
| ٣٠                           | ٢٤٥                     | حاملات الطيب                   | ١٢             | تكريم                             |
| ٣٢                           | ٢٤٧                     | تنصير ابن حنا نحاس             | ١١             | تكريم                             |
| ٣٤                           | ٢٤٩                     | توديع نعمة تادروسي             | ٩              | تكريم                             |
| ٣٥                           | ٢٦٥                     | خطبه مثل حداد                  | ١٣             | تكريم                             |
| ٤٧                           | ٢٦٧                     | صوت بلادي                      | ٩              | تكريم                             |
| ٥٢                           | ٢٧٣                     | انه الشاعر                     | ٣١             | تكريم                             |
| ٥٣                           | ٢٧٥                     | تكريم الأب منصور أسطفان        | ٢١             | تكريم                             |
| ٥٧                           | ٢٧٩                     | إلى الموسوي "منصور أسطفان"     | ٥              | تكريم                             |
| ٥٩                           | ٢٨١                     | في حفلة تكريميه • ببيروت       | ٧              | تكريم                             |
| ٦٠                           | ٢٨٢                     | في حفلة تكريميه بدمشق          | ٣              | تكريم                             |
| ٦٤                           | ٢٨٤                     | إلى رشيد أيوب                  | ٨              | تكريم                             |
| ٦١                           | ٢٨٢                     | في صالة منصور                  | ٤              | تكريم                             |
| ١١                           | ٤١٤                     | حكايية                         | ٤٠             | رثاء كلبته                        |
| ٣٦                           | ٢٥١                     | رثاء المطران اثناسيوس عطا الله | ٣٨             | رثاء                              |
| ٥٠                           | ٢٧٠                     | النجمه الهاوية                 | ٢٣             | رثاء سلمى ملكوك قرينة عزيز عطية • |
| ٥١                           | ٢٧٢                     | رثاء رشيد أيوب                 | ١٩             | رثاء                              |
| ٥٤                           | ٢٧٧                     | رثاء إلهي عطا الله             | ١٣             | رثاء                              |
| ٥٨                           | ٢٨٠                     | رثاء نجلاء صباغ                | ٢٠             | رثاء                              |
| —                            | ١٥٣                     | رثاء كلبه كالتسقليس            | ٤٢             | رثاء كلبه فليب كالتسقليس          |

( ٤٤٤ )

ومن هذا نعرف ان موضوعات هذه الأشعار لم تخرج عما قيل في أغراض شعره . إلا في قصيدته

هنا في رثاء الكلاب ما لم يكن معروفاً من قبل .

وجل هذه القصائد والمقطوعات من الشعر الصودي الذي لم يضاف حديداً إلى ما قيل عن الشاعر

ومض هذه القصائد جاء على طريقة الرباعيات ، والموشحات ففي ص ٢٢١ جاءت رباعية طريقته

في معناها على النظام التالي

أ \_\_\_\_\_ أ \_\_\_\_\_

ب \_\_\_\_\_ أ \_\_\_\_\_ " الروي هنا بمثابة اللازمه "

ج \_\_\_\_\_ ج \_\_\_\_\_

ب \_\_\_\_\_ ج \_\_\_\_\_

وهكذا

ومن هذا النوع وعلى نظامه رباعية انقريادف على الطارة . ص ٢٢٣ رباعية يا قوسى ص ٢٣٧ .

يا هذا ص ٢٢٩ . انقريادف على الطارة وهي غير الأولى ما عدا التشابه في العنوان ص ٢٤٠

ومن الموشحات جاء له موشحة الرثاء في كلية فليب كاتسغليس " ١٥٣ ونظامها كالآتي :-

\_\_\_\_\_ لازمه يروي يتكرر على طول القصيده

\_\_\_\_\_ الروي في الضرب واحد . ونختلف في المقطوعة عنه في السابقة

وجاء له في الثمانيات . على النظام . التالي .

ب \_\_\_\_\_  
\_\_\_\_\_  
\_\_\_\_\_

ويلتزم روي الصرور بوحدته في كل مجموعة ، ويلتزم الشاعر وحده الروي في الضرب

وأن تشير الروي في رقم ٢ عن رقم ١ وهكذا

وله رباعية في الرثاء

(٤٨٥)

ا \_\_\_\_\_ x \_\_\_\_\_

ب \_\_\_\_\_

الروي في قافية كل بيتين واحد • ويختلف عنه في غيره من الرباعيات

وهكذا \_\_\_\_\_

ولقد ظهرت قوة التمكن من الألفاظ والأوزان في أكثر قصائده المجهولة -  
وتلك ما أردت أن أصنع به تنم لأغراضه الشعرية •

xxxxxxxx

xxxxxxxxxxxx

xxxxxxxx



الباب الرابع

الاتجاهات الفنية في شـ

الفصل الاول

( المدرسة التي ينتمي اليها الشاعر )

إذا كان من الأنصاف أن يمنح الشاعر حجة في الحكم الأدبي . فمن الواجب أيضا ألا نخفل عن جانب ما من حيثيات الحكم الأدبي ليظهر الحكم مستقيما معتدلا حزيا بالقبول .

— والحديث في المدرسة الأدبية التي ينتمى اليها الشاعر . يجسونا فـسـ البداية لتحدث عن المرحلة الأولى التي عاشها بين مصر ولبنان . وهي مدة لا شك أنها كانت ذات أثر في الشاعر وإنتاجه الأدبي في بداية طريقه الشعرى او بداية طريقة الى الشعر وقد ظهر بعض ذلك على إنتاجه الأدبي مرة أخرى في المهجر في الوقت الذي انطقت فيه مصابيح المدرسة المهاجرة \* الرابطة القلمية \* الواحد تلو الآخر .

— فهذه المرحلة التي عاشها \* أبو ماضي \* في لبنان ومصر لا ينبغي إهمالها أو تناسيها . عند الحديث عن هذا الفصل . لما في التذكار من الانصاف ، كما لا يمكن إدماجها في الحديث عن أدبه المهجري لما في ذلك من بعد عن التمييز الذي يساعد في اظهار الصورة بجملاء ووضوح النقد الأدبي . . . . .

ويجدر بنا قبل الحديث عن هذه المرحلة أن نسمى مبدئيا . الاسم المناسب لها . بـ "مرحلة تكوين الشاعرية" أو مدرسة التدريب والتكوين .

— وفي هذه المرحلة . أخذ الشاعر نفسه بالمطالعة والقراءة والاطلاع على إنتاج الشعراء وعلوم العربية من عروص وبلاغة ونحو أثناء فراغاته من بين السجائر ولم يستطع الانتظام بين صفوف الدارسين .

فظروف الحياة وشئون المعيشة لم تمكنه من الاطلاع والتعليم على يد معلمين أو مدارس نظامية . كما لم يستطع كسح جماع تطلعاته وتحصيل المزمرة الى ميدان آخر " غير الأدب " .

(٤٨٨)  
فراح يتحدى الزمن ليعمل في بيع الدخان • وثقف نفسه بنفسه • فأخذ يقرأ  
الكثير • والحياة أستاذ الأساتذة • وتتفاوت المدد الرضية التي يستطيع  
الانسان جنى ثمره عمله من جامعة الحياة • وحسب الثقافة والاستعداد والقبول •  
ومن الناس من يجنى الثمار قبل نضوجها عنوة أوظنا منه أنها آخذة في النضوج  
ويظل بعضهم يتذوق منها العوارة حتى يجد الناضج الى غايته •  
— ومن الشعراء الذين قرأ لهم " أبو ماضي " شوقي والهارودي • وحافظ  
ابراهيم والمعري وأبو نواس • والخيام •

ولا شك أن تلك المدرسة تركت في شعره بصمات كبيرة من خصائصها التقليدية  
على شعره • كما ساعدته في فرض الشعر على طريقة الذين يقرأون ويكثرون من  
القراءة لهجيدوا التقليد أو لصلوا الى الجودة بها •

— وقد حث " ايليا أبو ماضي " نفسه وأخذها نبوع من الجديدة حتى استقام  
له عامل القسط ويهدو أنه نسي أو تناس أن الأمر أعق من ذلك • فليس الشعر  
علاقات صوتية وموسيقى تولدت من عامل النظم • ولكنه • فكر وطاقة وتصوير وموسيقى  
تعكس اشعاعات النفس والوانها •

ولهذا جاء له في "تذكار الماضي " كثير من الموضوعات القرينة الجافة التي لسم  
يزدها النظم فيها من الملاحظة أو الخفة أو الشوق بل زارها ثقلا • • وكان  
" أبو ماضي " في ذلك يقع على الموضوعات متخذا من الواقعية اللغوية في شعرة  
ديها الواقعية التي تسد اسفاظا يصل الى الجفاف العاطفي والخيال الضحل  
القبيرو •

— ومع هذا جاء بعض من أشعاره جليلة جيدة وتعبيرات سليمة وحكم مفهومة  
وجدة في بعض الموضوعات (١)

=====

١ — انظر ديوان تذكار الماضي ( في الفصل الباحث عن الدواوين من هذا البحث

وقد كان الطابع العام المهيمن على شعره في الديوان .

— التقريرية الخالصة والجافة في كثير من قصائده مع احساس كبير بالتقاط

الكلمات التقاطا اجباريا . لمعالجة وزن أوقافية دون اهتمام بما توحى به

الكلمة من اشعارات عكسية ونفسية مع الارهاق الكثير لمفردات لغوية كثيرة

في " تذكرا الماضي " . يقول: (١)

المرء في عقلائه وسباته — والذهر كالرئبال في شبائنه

والنصر ظل والزمان يحد في — اخفائه ، والمرء في اثباته

والحرب لا تنفك بينهما ، ولا — ينفك هذا المرء في حسراته .

ركاكة وابتذال ومعان مازادها النظم شيئا الا الثقل الناتج من تصادم

الألفاظ .

وأي هذا من قول أبي المتاهية في قصيدة له يخاطب الدنيا بهـ

أن عرفها . (٢)

فألا يا دنيا عرفتك فانهبى — يا دار كل تشمت وزوال .

والليل يذهب والنهار تعاروا — بالخلق في الادبار والاقبال

.....

يهلى الجديد وأنت في تجديده — وجميع ماجدته منه فيسالى

وعلى الجديد العصرى أن يكون أكثر شمولا وعمقا وعاطفة وخيالا..... الخ

وجاءت أشعاره في " تذكرا الماضي " موزعة (٣)

=====

١ — انظر ايليا ابوماضى زهير موزا ٢١٧ ط ١٩٦٣

٢ — انظر القصيدة في كتاب دراسات في الأدب العباسى د . عبد السلام

سرحان ط ١٦١ - ١٦٢

٣ — انظر الفصل الخاص بدواوين الشاعر . " تذكرا الماضي "

ومن بين ما جاء فيه وصف للطبيعة التي لا ترى فيها شيئا جديدا من خلال ذلك فالشعراء السابقين قد وصفوها وصفا ناسبهم في عصورهم • وترجم عن فهم عميق لها فالبحترى يصف الطبيعة في قصيدته •

أناك الريح الطلق يختال ضاحكا      من الحسن حتى كاد أن يتكلما  
وقد نبه النوروز في غسق الدجى      أوائل وود • كن بالأحسن نوما •  
يفتقها برد الندى فلأنه      بيت حديثا كان قبل مكلما

وكما وصفها البحتري وصفها غيرة •

ولكن وصف أبي ماضي لها جاء زيادة نظمية لا تلمح فيها سوى رياضة ذهنية واختيار لمدى ما وصلت اليه قدرته اللغوية والنظمية • دون ما المشقاء نفس أو شعورى بينه وبينها ويسهل على من يتصفح ديوان هذا أن يدرك عدم وجود مبررات فنية أو نفسية • فلا ترابط واندماج ولا فناء واقتنان • • ولا استلهاهم واستيحاء • (١)

ولكنه يتلقف أدنى ما يدركه الوعي من هذة الطبيعة • ويتبارى ببرسادة النظم وتسخير المعانى المتداولة وجهدها • ولا خيال أو شئ من العاطفة يوطب لفتح ثقلها على النفوس • كما يحالج ما فيها من تقطع الأشباه وما يتبع

ذلك من جهد في اقتناص القافية مفهى مباراة خاسرة في حلبة الميدان الفنى • يقول في قصيدة ( الطبيعة ) (٢)

رض إذا زوته كئيبا      نفس عن قلبك الكرويا  
يعيد قلب الخلق مقبرى      وينصر الماشق الحبيبا

=====

٢ - سنتحدث في هذا الفصل عن الطبقة في شعرة المهجرى في الرابطة فيما بعد

١ - المبدأ أبو ماضي زهير موزة ١٨٥

(٢٢١)

من الأسي زهرة المجرى

ولست تلقى له ضريراً

كأنه يقتضى مريضاً

وتارة في الثرى دببياً

أسس به مريضاً خصياً

لم يأت من بعده طبيياً

تجد الوصف الثقيل الذي لا يثبو أي

إذا بكاه الغمام شقياً

ملقى لديه الصفا ضرورياً

وفيها يقول :

وجدول لا يزال يجسرى

تسمح طهوراً له خرباً

إذا ترامى على جديب

صح فلو جاءه علمياً

— وأقرأ له في الوصف " طفلة والقمر "

رعشة نفسية .

أم ملاك طاهر فوق الثرى ؟

زهرة الروض وأنقى حوياً

دُمية حسناء تغرى النظراً

طفلة ساذجة أظهر مهن

.....

تخدع الثير ولا أتى تغدرا

تجهل الشر ولا تحسن أن

مع ملاحظة الفساد في المعنى في البيت الأخير .

والإبتدال المكور . والتقليد البغيض

وأستعمار الطبي فيها الحورا

سرق التفاح من وجنتهم

فالتفاح معروف لديه وجديد في الأسلوب آنشد ولكن أي طبي اشمار الحور ؟

وأين رأى الشاعر ذلك ؟ وحياته معروفة . كما تجد فيها التعبيرات المامية الباردة

الظلمة التي تظلم معها بفسر القارىء حتى تفقده الحياة . . . . .

ولا تجد توالداً معنوياً . . . وكل ما في الأمر أنها قصائد ملفوفة بأثواب من الطبيعة

الخالية من الصدق . وظاية الأمر أنها مهارة عظيمة ما فيها غير حشد من النموت

والألفاظ والتشابه .

=====

وشيع في الديوان الشعر الاجتماعي • وهو صورة حياتيه (١) لبيئة الشاعر آنسند وتلمحها أو تسمع عنها كثيرا في مجتمعنا الآن • ولكنه كان يدخل فيها ويأخذ منها دون استكشاف واستئذان فينظم الواقع المكشوف من غير أن يسلط عليه أشعة الفكر المنظمة أو الخيال الخلاق • ولذلك جاء وصفه لا يزيد عما يحكىه رجل الشارع في جزء كبير من أشعاره في هذا الميدان - آنسند ولكن هذه الاجتماعيات يأخذ بعضها في التقدم بمد أن استقامت له أدوات النظم إلى حد واضح • وأضفى عليها • شيئا من الدقة حتى وصلت إلى درجة يمكن معها ضم جزء من هذه القوائد ورفعها إلى مصاف الاجتماعيات الجيدة، والذي قيده ههنا الجمال وأوقفه عند هذا الحد قرابه عمق التجربة من سطحها • ، ولكن يكسبون الجمال في التجربة والموضوع مبالغا • فمن الواجب عندما " يمس الشاعر في الطبيعة أو في الإنسان مشهدا أو موقفاً أو حالة فيسرى إحساسه إلى مسارب نفسه معتزجا بمحصول سابق من الخبرة أو المعرفة ، ولا يزال هذا الإحساس يرمي في هذه الخبرة ويتخذ من تلك المعرفة حتى يستحيل الإحساس شجرة تحمل في غصونها ألوانا من الثمار هذه شجرة هي ما تسمى عادة •

بالتجربة الشعرية " فهى " المزيد الذى يؤلفه الشاعر من إحساسه وتصوراتيه وافكاره " (٢)

ولم يظهر شيء من ذلك وعلى هذه الصورة وفي تلك الفترة في شعر " أبو ماضي " إلا أن بعضا من ذلك أصفى عليه الشاعر وشاحنا جيدا من الرقة التعبيرية • والرزين الداخلى • بما نشره داخلة من غياهب المواطف التي تجيش بها صدره

=====

١ - انظر إلى القوائد التالية في ديوان " الزواج التجارى " و " الرجل والمرأة "

٢ - بين شاعرين مجدهين • للاستاذ عبد المجيد عابدين ٦٨

( ٤٩٣ )

الأدباء في مثل هذه القضايا الاجتماعية .

ومع هذا ظلت بعض ألفاظها بمثابة قذى في عين الثوب التصويبي ، وخروجاً عن المصر إلى العراق . بالإضافة إلى ما فيها من النقاط من موائد الماضين .

ونحن لا نعيب على من يرغب الاستفادة من تجارب السابقين مهما كانت الهوة الزمنية وتتوقف الاستفادة على فلسفة الاستفادة في هذا الميدان . فإذا التقى الموضوع دون اضافة جدة مناسبة عليها ، وتخصير الموضوع فقد ارتدى أكان الموتى . —

.....

وعلى المستفيد أن يقف بمنظار فكرة أمام الأفكار لمعطياتها ما يناسبها من الظلال والألوان والنبضات الحساسة من الشمور . حتى تناسب العمل الفنى ..... يقول في " شكوى فتاة " . (١) أرضها ذووها على الاقتران يرجل طاعن في السن

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| لى بخل ظنة الناس أبى     | صدقونى أنه غير أبى      |
| وأعدلوا عن لوم من لومزجت | ما بها بالماء لم يستمذب |
| .....                    | .....                   |

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| زعموا أن الفوانى لى      | أنا اللعبة طهما للصبي     |
| وأنا ما زلت فى شرح الصبا | فلما ذا فرط الأهلون بسى ؟ |
| .....                    | .....                     |

|                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| أنا لو يعلم أهل بسى درة | ظلمت فى البيع كالمخلسب |
| .....                   | .....                  |

|                     |                            |
|---------------------|----------------------------|
| ثم بالقول أبى هددنى | أخين من غول الناي مهربى .. |
|---------------------|----------------------------|

فالتجربة هزيلة لم تلق عند صاحبها عقلا قويا يمشى فى ثناياها يحلل ما النقطـة الاحساس بالجملة . ويربط بين ما تفرق فى ارجاء النفس ، ويستوضح ما أبهم من الانفعالات الثائرة ثم يترجمها الى النقص عميقة أصلية مؤثرة . ولم تكسر بشئ عن

=====



طابع الحرارة الماطفية • لمرقة للنفث وقرقتها وشاققتها •••

وهناك بعض القصائد الفنية في هذا المهدان • استطاع الشاعر من خلالها ارتداد تجربة الشعر بصورة أقوى أثرا وأوضح هدفا • وألصق بأحبال التجربة •• كما استطاع أن يحطها أصداً نفسية من خلال اختيار كثير من الكلمات والأساليب •• وتقرأ له " هديتى إلى مدارس الشعب بالاسكندرية " (١) وهي قصة اجتماعية هادفة • مؤداها أن الجهل والفقر والانحراف والبهل من أكبر العوامل التهدامة في المجتمع ويجب العمل على تلافيتها • يقول في قصته •• أثناء سيوه ليلا وهو هارب من الملل والكآبة •

فاستوقفتني ضجة في حانة ■ حسبت مقاعدها على الجهال  
حاموا على الصهباء يرتشفون بها ■ كالطير حول مصفق سلسال  
في غفلة المدال في غسق الدجى ■ إن السعادة غفلة المُدال  
فماذا رأى •••••؟

أ وإذا بمخمور يتيسه معريدا ■ خبلُ به ما ذاك تيهه دلال  
حيران مضطرب الخطى فكأنما ■ قد راح يمشى فوق جمير صال  
وماذا كانت النهاية ••؟

فكبا كما يهبو الجواد على الثرى ■ شدت عليه فوادح الأثقال  
وتقدم الشرطى يمشى نحوه ■ مشى الفخور بنفسه المختال  
متلفتا عن جانبه كما شقق ■ متلفت حذر الرقيب القالسى  
ورأيته وبنائه في جيبه ■ فعلت سر تلفت المحتال  
لا تمجبوا مما لحدثكم به ■ كم تحت ذاك الثوب من نشال  
ثم انشيتي متبسما وإذا فتى ■ غص الأهاب فمزق السريرال  
وافى بحركة فالقى جثته ■ همدت فأجفل أيما إجمال

ومعد البكاء والعمول والنقد السريع لبعض ما ساد المجتمع أنشد •• يقول  
ولقد شهدت صفاره في حيرة ■ من أمرهم لهفى على الأشبال

- أسفى عليه مُضْرَجًا لم تتشقق \* يده الحسام ولم يسر لقتال  
 أودى ضحية جهله كم يائس \* أودى شهيد الجهل والاهمال  
 .....  
 خطران من جهل وقر ما السردى \* غير اجتماع الجهل والاقلال  
 .....  
 فاسموا لنشر الملم فيهم انقا \* فضل النمام يبين فى الإحمال  
 إن الجهول تعلم <sup>إذا</sup> واهتدى \* بث الهدى فى صحبه والآل ...  
 وهذه مقطوفات من القصيدة تبين كيف جاءت بعض قصائده فى هذا الميدان ؟  
 وما يؤخذ على الشاعر فى هذا الميدان التعميم فى بعض الأحيان مثل قوله (١)  
 " فى الرجل والمرأه " ....

هيهات تعدل حسناء إذا حكمت \* فالظلم طبع على الغادات قدغلبا

وقد استخدم الشاعر طريق السخرية فى علاجه لبعض الأمراض الاجتماعية " ٢ " وما يوجب له فسى  
 تذكرا الماضى " باب القصص ... الفزلى والخيالى والاجتماعى .. وقد عرف الخيال أن يلعب  
 دورة فى هذا الباب ..

وطبيعة الموضوع ما يفتح آفاق الخيال الضيقة - عند البعض - فينميها ويظهرها ويرسمها  
 ومع جده هذا اللون كثرة ووضوحا وقتئذ ..

قد استطاع " أبو ماضى " أن يلقى على كثير منها أروية الخيال التى ساعدته فى الوصول بها  
 إلى حد التشويق المعقول ، وكما برآها - إلى حد كبير - من شوائب الواقع فى الفكرة  
 وإن جاء فى بعضها هرولة فى الصناعة ...

تقرأ له قصة ( أنا هو ) " ٣ " .

وهى قصة نصيبتها من الخيال كثير .. يحكى فيها قصة فتاة تدعى " لسيزا " وفتى يدعى " هنرى "  
 وخيوط القصة منسوجة حول ، فتاة امتطت ظهر سيارة مع أفراد آخرين . قرابة الخروب . ومعد سير

=====

(١) السابق ١٧٤

(٢) انظر باب الاجتماع فى الديوان

(٣) نفسه ٤٢٢

السيارة • اخلت من المجلات واحدة • فتحطمت ونزل الركاب • وفجأة أخذت الفتاة  
 في البكاء حتى أوصلته الى حد الاجهاش ، فتقدم اليها فتى جميل ، ولما سألها  
 عن سبب بكائها حتى يستطيع أن يعمل شيئا يخفف به من تلك اللوعة صارحته من خوفها  
 الشديد من فتى الليل الخايم اللعين " هنرى " - المتحدث اليها - ولتسه  
 استطاع أن يقطع كثيرا من جبال خوفها وبعد أن امتطوها مرة أخرى سارت قليلا ثم  
 توقفت كمن طاق من سكوه •

فهبت الفتاة نازلة ومشت ليذا وهنرى الذى لاتعرفه ومنه تخاف ، ولما سارا وتخطيا الخوف  
 من الغابة الدهياء ، وانكشفت دياجير الليل وانتمت الطبيعة بثوب زهى جميل •  
 صارحته بذهاب الخطر وانكشاف البلاء • ، وصارحها بأنه " هنرى " فهبت مذكورة <sup>سورة</sup> ولتسها  
 عاجلها باظهار الأسباب التى من لأجلها يقتل البشر • فقد قتلوا أباه ولا بديل له عن  
 الثأر ••••• ويبدو أنها أحست منه باقتراب • فراحت تسفر له عما نالها فقد أخذ الملك  
 الظالم • أباه وأخاه فراح أبوها ضحية ، وأودع الملك أخاها فى غياهب السجون ،  
 وعندئذ اعتلاه الخرس لما عرف أنها أخته •••

ورج الأمر وانكشف البلاء ••• فبعد العسر يسر وبالنسر تهون المصائب وقد كثر الاسباب  
 فى بعض عناصرها •••••

كما جمعت من أخيلة يرفعها الجمال وتكسوها الروعة ، ويخنيها الايحاء • يقول فيها :••

والشمر قد سالت أشعثها ■ تكسو أديم الأرض بالتسبر •  
 والأفق محمر كأن به ■ حنقا على الأيام والدهر

•••••

قد كان بين الجمع ناهدة ■ الشديين ذات ملاحه تغرى  
 تيكى بناء القانطين وميا ■ أسخى دموع الفداة البكر

وتأخذ القصة فى النمو الى أن يهيب عليك عنصر المفاجاه وقد استقام لأبى ماضى النظم فى

القصة •• ماعدا القليل مثل ••

سيرون نسي الموت منتقما ■ لاشافى فى الأخذ بالثأر

(٤٩٧)

والقصة متأثر فيها بالأدب الأجنبي ...

ويبتدى في النهاية الى فكرة هي بمثابة خلاصة عامية ...

قل للألى يشكسون فوهوهم ■ لا يد من حلـو ومن مر  
صبر اذا جـل أصابكم ■ فالعسر آخره الى اليسر

.....

ومن قصة الفزالية التي بيد وفيها الخيال المسيطر .....

وهي من أجمل ما كتب " أبو ماضي " في " تذكـار الماضي " موشحة غنائية رقيقة " طبيبي  
الخاص " (١) أبرزها في ثوب حسن . وقد جاء عنصر المفاجأة فيها على غير المتوقع ...  
كما لم تفته الإشارة الى المعاني الصامتة التي يؤتيها بالحكمة يقول : ...

رعتني بالنوى بعد اللقـاء ■ وكذا لدينا دنو وافـتـار

وكتيرا ما يث فيها من حالته النفسية ، والقصة متأثرة أو مقلدة لمسرحية ( الطبيب رغم انفه )

مع بعض التعديلات ومع ذلك جاء في تذكـار الماضي باب خاص للغزل يقول في نهايته ...

أنا إمام الذين هاموا ■ وأى قوم بلا هيـام  
فليس قبلى وليس بعدى ■ ولا ورائى ولا أمامى

=====

(١) السابق ٤٦٠

وتطلّ عليك من الديوان قصائد الرثاء • دون أن تتحرك تصرّ عليها عابرا • لأن الشاعر سار في هذا المضمار سيرا محمّدا معلوما • فقد اقتصر رثاؤه على الأحرار الوطنيين الذين يستمتعون بكل تقدير واجلال واحترام • لما قدموا للبلاد من عطاء لا ينفد زرعوا به ثمار الحرية فكانوا جديريين بكل شرف وتخليد • ويضيف الى تلك الدائرة أصدقاءه القويين وأخوته ولا يتعمد الرثاء الى غير ذلك •

ويتسم ذلك الرثاء بالحرارة المندلعة المتواصلة والماطفة الصادقة وبعد ذلك فهذا استطاعه ويتجه في رثائه الى ذكر الأجداد والآثار والمواقف الوطنية التي كان لها أثرها العظيم في حياة الجماهير الشعبية وفي الحرية والجهاد للقارىء والسامع العبرة في ذلك ••  
وله في ذلك " عقيد الوطنية " و " الخطب القادح " و " البدر الأفل " ( ١ ) ومع أنه لم يفرود للسياسة بماها في " تذكّار الماضي " إلا أن كثيرا من القصائد الخاصة بذلك قد أطلت براسها في الديوان • وقد التزم الشاعر بمبدأ المشاركة في الأحداث السياسية والتأثر بها مع اتخاذها من السخرية طريقا للحط من الظالمين • والشدة واللوم والعتاب الساخر من هؤلاء الذين يحملون من أنفسهم ذيوالا للاستعمار • ومن هذه القصائد " فتنة ١٣ ابريل " و " عقيد الوطنية " و " تحية الدستور العثماني " ( ٢ )

وينتقل الشاعر الى أمريكا • ويظل يأخذ النفس بالمران ويقلل الموقبة بالاطلاع والثقافة •••••  
ويأتى عامل الإحساس بضعفه أمام تيارات الحياة التي لم يستطع مجانبه آثارها على نفسه • في مصر ولبنان ( ٣ ) فيحضر في أغوار نفسه فيحانا مظلمة • وينصب فيها وترا حزينا • ظل يقوى كلما عفته أحداث الحياة • حتى ظهر هذا الثوب الأسود • الذي كمن في تلافيف فكو الشاعر والذي كثيرا ما أبى " أبو ماضي " أن يظهره للناس • ولكنه التزم الصمت لما فيه من الحفاظ على الكرامة والكبرياء ومعدا عن الظلم الذي يآباه يقول •••••

=====

(١) السابق وصفحاتها على الترتيب هي ٥٥٤ ، ٥٥٨ تذكّار الماضي ١١١١

(٢) السابق وصفحاتها على الترتيب هي ٥٧١ ، ٥٥٥ ، ٦٥ الى بطل الوطنية ٢٤٥ ط بيروت ٧٤

(٣) انظر الفصل الخاص بحياته وهجرته في هذا البحث •••

إذا أشكو إلى خمدن همومى \* وفى وسعى السكوت ظلمت خدنى  
 ومد مدة زمنية - لا يستهان بنتاج الشاعر فيها - ينشر ديوانه الثانى " ديوان إيليا  
 أبوماضى " .....

الذى جاء مملواً بحيوية صبغت شعره وأظهرته فى ثوب أفضل بكثير مما كان عليه فى  
 " تذاكر الماضى " شكلاً ومضموناً وما فيه من لوحات التجديد التى ظهرت فيه بكل وضوح  
 (١) كما تجلى ذلك فى تجمع خيوط الشخصية عنده . وظهر المبدأ الذى اشتهر به  
 واعتقه وظل ينافح ويكافح فى سبيله . وغير ذلك من نظراته فى مسائل الحياة .....  
 وتمحقت مفاهيمه حول الحياة . كما تغيرت بعض مفاهيمه الشعرية وتنوعت تجارية حتى  
 أخذت أبعاداً حرة بانتظامها فى مضاف الأدب الجيد . الذى واجه كثيراً من  
 شئون الحياة .....

ومن ذلك " ابنة الفجر " و " فلسفة الحياة " و " البغضاء " و " يا جارتى " و " أمة  
 تفتى وأنتم تلمبون " و " الخلود " و " بائعة الورود " و " الشاعر " و " مسرح القمر " و  
 " الفقير " .....

وراح الشاعر فى هذه المرحلة يحمل على التقاليد والمقلدين . وبمقت كعادته - كل من  
 أظلم نفسه بحب الملق . وراح يجرى وراء بريق المادة ...  
 كما جعل كثيراً من تجاربه وقفاً على عالم النفس يعمق منها الطغف النساء ويأخذ منها  
 أطيب الألحان خدمة لعالم الوجود ..

### (( الرابطة القلمية )) "٢"

كان للصحافة العربية فى المهجر دور كبير مهم فى ميلاد فكرة الرابطة القلمية فقد عنيت -  
 بأحوال الأدباء السياسية والاجتماعية والأدبية كما عنيت بنشر كتاباتهم فى المجلات اشتهر  
 بعضهم فى بادىء الأمر . كأمين الريحانى وجبران خليل جبران . . .  
 )=====

(١) انظر الفصل الخاص بدواوينه فى " ديوان إيليا أبوماضى "

(٢) اعمدنا فى ذلك على أدب المهجر لميمى الناعورى ، الرابطة القلمية . وقد سبق  
 الحديث عن ذلك فى الشاعر فى المهجر وتتمه للحديث ستمر على ذلك سراعاً مع بيان  
 أقوال الرابطين فى بيان اتجاهاتهم الأدبية ..

ولكن عودة الريحاني لوطنه آنشد كانت عاملا مهما في إيقاف بكرة لجزء كبير كان منتظرا  
من نشاط الرابطة . . . . .

وقد أعجب الكثير بجبران فأخذوا في تقليده والائتناس به . وكانت الغاية من ذلك . بحث  
الأدب العربي وث روح جديدة فيه أبعد ما تكون عن الخمول الذي تعود الناس أن —  
يسلكوا طريقه . . . . .

وكان قد ظهر في هذا الوقت " مجله الفنون " لصاحبها " نسيب عريضة " وكان جبران من  
أبرز كتابها ، وفنانها الروحي . . . . . وأما نعيمة فقد كان وقتئذ يدرس في جامعة —  
واشنطن " بعيدا عن هذا الميدان ولكنه قرأ مقالة نقدية . في إحدى جرائد نيويورك حول  
" الأجنحة المتكسرة " لجبران ، فلم ترقه طريقه النقد التي يكثر فيها الاطراء والاسباغ  
للألقاب بحق وغيره ،

— ثم وصل إلى يده " عدد من الفنون " فأعجب بها لما فيها من الذوق السليم طبعاً  
وتنظيماً وشكلاً وفناً .

— والذي ربط القلوب برباط روحى رواية " الأجنحة المتكسرة " فلما وقعت في يد " نعيمة "   
كتب لها نقداً جعل عنوانه " فجر الأمل بعد ليل اليأس " ندد فيه بالجمود الذي أحاطا  
باللغة العربية حتى تحول كتابها عن الكون إلى بهرج اللفظ والتقليد والبخيس . . . . .

— ثم واصلت الفنون صدها حتى توقفت لأزمات مادية ومعنوية . لم يكن الثغلب عليها  
سهلاً فتوقفت خاتمة أعمالها الأدبية بنشر " دمنة وابتسامة " ١٩١٤ . . .

وفي عام ١٩١٦ عادت الفنون إلى الظهور لتعود معها الآمال حبلى بالأحلام في خدمة  
العربية . وساعد في إدارتها " نظمي نسيم " وكتب نسيب عريضة إلى صديقه في دراسته  
في الناصرة " نعيمة " ليشارك معه في إدارتها وتحريرها . وقبل " نعيمة " وهناك تعرف على  
جبران . وهكذا آلفت الصحافة بينهم من خلال كشفها عن وحدة أهدافهم . فأحبوها . . .

واعترؤا بها . ولما قضى على الفنون تألم لذلك الكثير من الأدباء . . . . .  
ولكن السائح " التي أظهرها إلى الوجود " عبد المسيح حداد " ١٩١٢ . قامت بدور —

الفنون إلا أنها حوت أخبارها السياسية والاجتماعية وعضوا من الكتابة الأدبية ، كما أصبحت إدارتها مستقرا رحبا للادباء . . .

وفي اجتماع في بيت صاحب السائح في ٢٠/٤/١٩٢٠ جمعوا فيه رهطا من الأدباء والأصدقاء وقرروا إنشاء رابطة توحيد مساهم في سبيل هدفهم الأول ، وهو التجديد في الأدب حتى — يصبح قوة فعالة في تاريخ الأمة . . .

— وفي ٢٨/٤/١٩٢٠ برزت إلى الوجود كما تابع السائح نشر إنتاجهم في أعداد متتالية . . . وكل ما نشر لهم نال تفریط القارئين وثناهم . . . وفي عام ١٩٢١ صدرت المجموعة الأولى للرابطة القلمية اشترك في تحريرها كل أعضاء الرابطة عميها وفيلسوفها وعمالها . . . نالت كل اعجاب وتقدير . . .

ويجدر بنا أن نقتطف بعضا من مقالاتهم التي تكشف عن اتجاهاتهم . . . يقول " ميخائيل نميمة " في هذا العدد " المقدمة "

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا ولا كل من حوّر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب فالأديب الذي نعتبره هو الأديب ، الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خصر بوقه الحس ودقة الفكر وبعد النظر في توججات الحياة — وتقلباتها ومقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير " (١)

والنفس أو الروح هي الشيء الأهم في أدب أعمال الرابطة ، وكل ما يكتب أو يقال من أجلها يمد أدبا حيا عندهم . يقول " فالأثر الطالد لا يموت ، والميت لا يعيش ولا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح المخلدة " (٢) ويتحدث عن الغرض الذي من أجله أصدرت هذه المجموعة فيقول " إن الرابطة القلمية " ما كانت لتقدم المجموعة إلى قراء العربية إلا لاعتقادها بأنها اتخذت من الأدب رسولا لامعرضا للأزياء اللغوية والمهرجة العروضية وقد تكون مخطئة فيما تعتقد ، ولئن إخلاصها في الأقل يشفع بخطئها ، فهي لا تدعى لهذه المجموعة أكثر

=====

(١) مقدمة المجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ ، ص ٤

(٢) نفسه ص ٦ نقلا عن صحراء الرابطة القلمية ١٩٦٤ . . . . .



(٥٠٢)

نما تستحق ، فان لم يكن لها غير تسويق بعض الأرواح الناشئة الى طرق الأدب  
عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجزات فحسبها ثوبا ، فقد كفانا ماغدنا من  
المعجزات اللغوية ، وأن لنا أن نثقف ولو بالتفاته على ذلك الحيوان  
المستحدث الذي كان ولا يزال سر الأسرار ، ولغز الألفاظ ، فلملنا نجد فيه  
ما هو آخرى بالنظر والدرس من رأس السمكة في قولهم : أكلت السمكة حتى  
رأسها . (١)

وكانت قراءات الشرق لانتاج الجماعة لها أثرها الكبير ، فقد اهتم ببعض  
الأفراد في مصر ، بجمع قطع من نثرهم وشعرهم كالأستاذ " محي الدين رضا "  
في كتابه " بلاغة العرب في القرن العشرين " ، وفي عام ١٩٢٣ صدرت  
بمصر مجموعة مقالات أدبية ونقدية " لمخائيل نعيمة " في كتاب " الفريال "  
الذي كتب مقدمته الأستاذ " عباس محمود العقاد " حيث فيها ما يدعوا  
إليه المؤلف من روح تجديدية صادقة ، ومع ما لاقى هذا الأدب قبولا وارتياحا ،  
لاقى معارضة من المحافظين ، فقد حملوا على هذا الشعر الذي لا يتوحى

البحر المعروفة والأوزان المطروقة ليس غير ، .....

كما عارضوا في ذلك الأدب خاصة عدم اهتمام أصحابه أحيانا باللغة وقواعدها  
والصرف ومشتقاته ، و العروض وما عرف عنه من أوزان وبحر ، وكان من  
المعارضين له ، في مصر مثلا ،

الدكتور " طة حسين ، المازني ، والدكتور محمد حسين هيكل "

وفي وسط جو الرابطة الفكرى والأدبى صدر لأبى ماضى ديوان الجداول ، سنة

١٩٢٧ وتبعتها الخمائل ١٩٤٠

=====

(٥٠٣)

ولكن الرابطة أخذت في الزوال حين انتشر عقد الجماعة بموت جبران في أبريل  
١٩٣١ ، ومخادرة ( ميخائيل نصيفة ) لأمريكا بعد هزنة الكبير علي صديقة

الحسيم جبران ، واستقراره في قريته " بسكتا " .

— كما مات الشاعر الرقيق " رشيد ايوب " في ١٢ / ١٩٤١ في بروكلين

بنيو يورك وتبعه في مارس ١٩٤٦ " نسيم عريضة " في بروكلين بنيو يورك

وأما " نداره حداد " فقد توفي فجأة في عرس أحد اصدقائه ويسمى

١٩٤٩ وانتشر العقد ، ولم يجد الزمان بعثله . وكان أيليا أبو ماضي

آخر هؤلاء فقد مات في ١١ / ١٩٥٧ . . . . .

• ولقد كان لهذه المدرسة طابع خاص، وسنسير معها متخذين من

أبي ماضي " وغيره منها مثالا لذلك . أثناء الحديث عن تلك الخصائص، وأهمها

١ — الحرية لهذا الأدب هي الطابع المقام .

لقد خرج هؤلاء المهجريون من بلاد سيطر فيها الكبت والذل على

أهلها . وخلق الاستعمار أنفاس الحرية فيها . وأعمل فيها سلاحه الدنيء

" فرق تمذ " وهشم أقلام الحرية . وشدّد الرقابة على الصحف .

واتخذ من الأعيه طريقا حسب انه يستطيع بها تضليل الناس في تبرير ما يقوم

به من ظلم واجرام . خرجوا من البلاد وهم أشد ما يكونون ظلما إلى الارتشاف

من رحيق الحرية التي كانت انشد من أسس المطالب التي هاجرها من أجلها

— ولما وطئت أقدامهم أرض أمريكا وحدوا متنفسم من الحرية . فراحوا

يكتبون أحرارا ويفكرون أحرارا ويسميون في حل من هذه الوسائل البالية

التي لم تعد تصلح أطمارا للزمن الذي فيه يعيشون .

وهذا أطل عليهم فجر جديد أمكنهم فيه أن يتحرروا من كل ما يعمق تلك

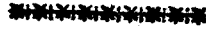
الحرية . ، ولهذا أخذت سمة الحرية تسيطر على كل ما تصونه ألسنتهم

وأدبهم وحياتهم . حتى هبت نسائمها على كل شئ . ولونت الحريرة

(٤٠٤)

كتاباتهم وأشعارهم • فكرا ولفة وتصويرا وبساطة طبعت أسلوهم بطابع  
الصدق والوضوح والحيوية ، ولهذا سمت آدابهم إلى قمة لم تصروف  
من قبل حين أصبحت الحرية ناموسهم الأسمى الذي أخفى على  
إنتاجهم كل جدّة ، وجعل اللفظة مطواعة في أيديهم • فاستعنت لأفئاق  
لم تكن تتسع لها قبلهم •

— كما كانت هذه الحرية عاملا أساسيا في كشف أعماق الأعماق من خلال  
الأدب ، مما جعل هذه المدرسة تأخذ طابعا خاصا في هذا الميدان  
خلقا وإبداعا ، وجسرا •  
وديوان الجداول مثل حتى حرية وطائفة وانسيابا ...



من المعروف أن الحنين إلى الوطن من الموضوعات التي انتشرت في الشعر العربي  
القديم . ولكن الحنين المهجري يختلف عن أي حنين سابق . فهي تجربة عميقة  
في أبعادها ولوانها وفروعها .

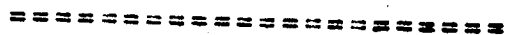
— ولا شك أن التصادم الشاق الذي فجرته المفاجأة الصارخة من أهم العوامل  
التي زادت ذلك اتقاداً . ، فقد كانت لهم أهداف وآمال . ارتجوها . وكسروا  
ما راودتهم الأحلام اللذيذة قبل سفرهم ولكن الحقيقة المرة أظهرت لهم نـار  
الهنئة ( ١ )

وربّ خير انبثق من بواسن الشر ، ولذا لا نمجّب إذا وجدنا أن ارتطامهم بصخرة  
الحقيقة ولد شمو المرارة والندم على فقدانهم حياة الهدوء والوداد على ندى  
لبنان . حيث تعانق أطباء النسيم مرابع صباحهم . وتوحى لهم بما فيها من أنس  
وجمال واشراق وهدوا وودّ وحبّ ولقاء الخائن التي خلقت فتها حياتهم فسى  
المهجر . ، فعاش كل منهم كئيباً حزينا بعيداً عن الهناء والسعادة والطمأنينة .  
والبساطة والتسام والشمّل .

ولهذا عمقت الثرة مفاهيم الحنين وأبعادها ، وصنعت منه تجارب حبة فتيمة  
شبهية .

ولكل شاعر من شعراء المهجر طريقة وفلسفته في فهم الحنين والتصبير عنسه . وإن  
عنا رمت المفاهيم والمشارب .

حنين ووجد وشوق وكاء الصبا والحنين إلى الثياب والقفر . ومواتع الصبا . . . الخ  
وقد كشف الحنين عن آفاق نفسية لم تكن موجودة بهذا الشكل من قبيل



١ - انظر الفصل الخاص . بمادية الغرب وروحانية الشرق في هذا البحث .

(٥٠١)

يقول " نسيب عريضة " (١)

أحسن شوقا إلى ديار  
أهبطت منها إلى قسار  
أهيم في الصوف مثل أمي  
يمزني في الدجى حنيني  
رأيت فيها سنى الجمال  
أنت به الروح في اعتقال  
جاء ولا يحسن السؤال  
إلى الذي مرن وصال  
أبي ماضي " الشاعر في السماء " و " لبنان " و " شبح "

ويقول • نمتذرا :

لبنان لا تعذل بنيك إذا هم  
لم بهجروك ملالة لتمسك  
والنسر لا يرضى السجون وإن تكن  
ركبوا إلى الغلياء كل سفين  
خلقوا لسيد اللؤلؤ المتسون  
ذهبوا فكيف تعابس من طن

— ويتفرغ حنين " أبو ماضي " ويتوالد ليتسع إلى آفاق رحمة فيشمل مصر  
وأهلها ولبنان وألها وسوريا وسنانها بل وبلاد العرب المظلومين الذين عاشوا  
في كسب وظلم مثلما كان • ويأمل لهم الحرية من كل قلبى ••

يقول (٣)

وطنان أشوق ما أكون اليهم  
ومواطن الأرواح يحظم شأنها  
مصر التي أحببتها وفؤادي •  
في النفس فوق مواطن الأجساد  
وتتحد ألوان الحنين ومجالاته عند أبي ماضي • وعسوات صارخة إلى قوم باعوا  
الضمير للمستعمر •• واللقاء التبيحة عليهم فهم سبب للبلاء • ودعوات ملتهم  
ساخرة إلى أخذ الحذر من رجال الدين • والهجوم عليهم • • تهديد توعيد  
إلى هؤلاء الدنالمين فالبويل لهم في يوم لا ريب فيه • يوم تتحقق أمانيتهم

=====

١- الأرواح الطائرة ١٧٨

٢- الخماثل ط ١٣ - ١١٧٩ - ١٢١ - ١٤٦ - ١٨٦

٣- الجداول ط ١٢ - ١٢٧٨ - ١٢٩

العذاب باتحاد وتجمع تنبثق من بين أصابعه أضواء النصر • ، ويدخل في  
الحنين عند • أبي ماضي • إبراز الأضرار والمساوى التي يرتكبها أنبياء  
البلد من جراء المليوننة والخلاعة وترك الوطن في بحر لجس من ظلمات  
القادريين دون اكتراث •

- ٣ -

### الطبيعة مرفأهم الأميين

\*\*\*\*\*

إذا كان للإنسان صديق فمن وفاة الصديق لأخيه أن ينزله من نفسه منزلة  
كريمة • وسقى له بحق الصداقة كاملاً من غير امتنان • يمانسده ويواسيه فسى  
الضراء • وهنئه في السراء • الخ وفي ذلك ما ينفس الكرب ويخفف آلام الحياة  
ويجعلها خفية مقبولة لدى المرء • كما يبحث في القلوب مشاعر الرحمة والترابط  
والانسجام • ولكن •

ماذا يحدث إذا كان كل من الصديقين في مأساة من نوع واحد ؟

لابد إذا من البحث عن ثالث يواسى ويلطف وشعراء المهجر قد فارقوا بلادهم  
وانخرطوا في حياة كلها هم وشقاء • لا بد فيها من العمل الجاد • ولا مجال  
فيها لهذه الأمور التي يرى المرء فيها ترفيهها أو تنفيسا •••••  
ومع حنينهم إلى بلادهم لم يبق لهم إلا ملجأ واحد • يرون فيه صورة بلادهم •  
ويستشعرون من خلاله جمالها فيحسون بذلك احساساً عميقاً • وهذا الملجأ هو  
الطبيعة • | وشعر الطبيعة ليس جديداً في الأدب العربي • ولكن الجودة  
في شعر الطبيعة عند • شعراء الرابطة • ركن هام في أشعارهم • فقد اتخذوا  
منها خطاً وديقاً وصلابة • •••• وتذكارات الحنين • ورمز الوطن • وتمسكوا  
فيها حتى أخذوا يعاملونها معاملة الأحياء • فهي تحب وتكره وتفرح وتحزن • وتزوج  
وتخيّب ••••• الخ •

(٥٠٨)

كما أن فيها الحب لصافي • والدين الكافي • والقلب الرحيم • • دينها  
العدالة • ودينها الشفقة والكرم • • لا تفرق في عطاياها بين مجرم وسوى  
وليس فيها قتل أو موت أو ظلم • • • • • وإنما فيها الجمال والحب • • • • •  
عشقها • فتتواكب فكانت مصدراً لحنين رقيق هادي • • وتأمل عميق • كما  
أنها فوق ذلك مصدر الهام تبعه في القلب والروح • فيغدو المرء  
في عالم آخر من النشوة والبر • • فيعيش حينئذ بعيداً عن أرجاس المادة  
وأدران الحياة • ومصائب الكون •  
وتقرأ في مواكب " جبران " حديثاً يدور بين شبح مثقل بهجوم المدينة  
وفتى ينهم بحياة النشاب • يقول الفتى •

هل تخذت النشاب مثلي منزلاً دون القصور  
فتبعت السواقي • وتسلفت الصخر

=====

هل جلست المصير مثلي • بين رغبات العناب  
والمناقيد تدك • كثرات الذهب

=====

هل فرشت المشب ليلاً وتلحفت الفضل  
زاهداً في ما سياتي • ناسياً ما قد مضى

و " أبو ماضي " كان شغوفاً بها تواقاً إليها • فهي تغذيه بكرمها وسحرها  
وتغريه بالبلها • ومناجاة عصفورها • ونخبات طيورها • وثرثرة سواقيمها •  
وترانيم رياحها • وانسياب التير يلف جسم الطبيعة في الصباح والمساء  
ولهذا احتق " أبو ماضي " دينها فصار له مذهباً • يقول • في " كتابي " (١)

=====

(٥٠٩)  
فدينى كدين الروس يصبق بالشذى      ولولم يكن فيه سوى اللعنة  
ودينى كدين الشهب تبدو لماشوق      وقال ، وفيها ما يحبوما يلقى  
وأحبها حبا جسا فلا فروع أن يدافع عنها      وكشفنا مظاهر ظلم الانسان لها (١)  
وقد وصلت به درجة الحب الى درجة تمنى فيها أن ينقى فى الطبيعة بعد  
موته فيصير بابلا فى :      " قصيدة " الدمعة الخرساء "

=====



## التأملات الباحثة وراء الحقيقة

\*\*\*\*\*

ومن الطبيعة والنفس انبثق مفتاح الانطلاق التأملى • الذى شمل كسيرا من الحياة وشؤونها : النفس والوجود • والبحث فى أسرارها • وما يتعلق به • والسير وراء ذلك سيرا رفيعا • حتى ارتقوا بذلك الى آفاق أوصلت الكثير منهم الى الشك الذى وصل بعضهم الى درجة التحريف • • أو لنقل الى درجة يتكاد يصل معها حدًا الكفر • وذلك عندما لا يستطيعون الوصول الى ما يأملون من مدارك ••••• ولكن للمعرفة الإنسانية القليلة حدود • قال تعالى :

” وما أوتيتم من العلم الا قليلا ” • وقد اتسم تأملهم هذا بطابع الحرية والجرأة والشمول وحب التبصير بدقائق الأمور • والتأمل بهذه الصورة رائع وجديد ومنفتح يفتح آفاقا حية • ويصل المظور بنسبية

ومن ذلك • تراه فى مواكب ” جبران ” • وديوان همن الجفون • و” ابوماضى ” فارس فى هذا الميدان يكثرو من شعرهم • وعلى قمة ذلك طلائع التى خيمت على كل مظاهر الوجود • والتى يقول فيها • مخاطبا البحر •

فيك مثلى ايها الجبار اصداف ورمال

انما أنت بلا ظل ولى فى الأرض ظل

انما أنت بلا عقل ولى يا بحر عقل

فلماذا يا ترى أنفى وتبقى لى ؟

لست أدري

وهكذا راحوا جميعا يسبحون فى بحور من التأملات الواسعة الفسيحة

الفنية بما فيها من آفاق متعددة •

## (( النزعة الانسانية ))

\*\*\*\*\*

كانت هذه النزعة قائمة عند الشعراء منذ القدم تراها على سبيل المثال لا الحصر  
 في حكم زهير \* وزهريات أبي العتاهية .....  
 الا انها في الشعر المهجري تنوعت واتسعت آخذة طابع الحب الشامل لانهم  
 أحسوا أن الحب هو الصباح الفيو منظور . لا تراه الألوب الأصفيا ، وهو  
 قصيدة لها اشراقة كبرى . تمكن المرء من خلالها للوصول الى النفس والايضان  
 الكامل بالله ومعرفة الحق .

يقول " أبو ماضي "

أنا بالحب قد وصلت الى نفسي وبالحب قد عرفت الله

ومن هذا المعتقد رحبت قلوبهم ، وصارت مخلقة بهيمنة الحب الطاهر العفيف . الذي  
 رحب حتى شمل الوجود بما فيه ومن فيه . أملا في حياة هانئة لكل كائن على ظهر  
 البسيطة . ، وليوى المرء فيها أياما تموج أحلاما . وشبابا غضا نضيرا يزاحم في  
 دنيا الحب بأجنحة الأمل وقوة التعاون القلبي .

وهذه النظرة نبعت من خلال تأملاتهم الغنية التي جعلتهم يحيون وينقمون .  
 ويتأملون ويكونون ويضحكون ..... الخ .

كما انبثقت من خلال معاناتهم في العزلة والحياة الضيقة المريرة .  
 فراحوا يتحاطفون ويتحابون ويتعاونون . حتى أصبح مجتمعهم مثاليا في نبيل  
 عواطفه وروعة ايثاره . ونقاء حبه وسلامة نواياه .

إنه لمجتمع ففواني روحاني إنساني إلى آخر مدى . . . . .

ولم لا يكون الحب هو نسيم الكون وشعاع الشمس وعطر اللبساتين يراه هذا في وجه  
 الآخر ويتبادله الكون فيكون مجتمعا ملائكيًا .

- ومن الوفاء ألا يفتر التذكار لأهلهم ، فخيال الأمل لا يفارق ضميرهم

ولا يترك تفكيرهم ،

هوؤلاء المساكين الذين صاروا طعمة للخدر والخيانة ، ونالت فيهم سيطر

الظالمين . فلماذا يحيى المجرمون على امتصاص دم الأهل والأخوة والأقارب

لساذا ؟

لماذا يسخر منهم فيقتلون ويشردون ؟ ما أعدل أن نصب حُمنا القاتلة

ونقمنا الجارفة على هؤلاء الظالمين .

وعلى خط متواز من النموسارت الإنسانية مع تلك النقمة كما سار التأمل

مع الشك هذه المسيرة . . ولهذا توالى النداءات الرفيعة الرقيقة

الحنون . وتوالى فى عمق واتساع .

يا أخى . يا رفيقى

يقول " أبو ماضى "

يا رفيقى أنالوا أنت ما وقعت لحننا

كنت فى سرى لما كنت وحيدى أنفسى

ومن ذلك قصيدة " ابتسم " و " كن بلعنا " و " أيهدا الشاكي " .

وهذا " ميخائيل نعيمة " رحبت نظراته حتى شملت كل شئ ، تلح ذلك

عندة فى قصيدة " إلى دودة " يرى الدودة جزءا من الكون لا يقل عن شئ

فيها فهي كالإنسان . والطير . وفيها . بما أكن الله فيها من أسرار . ليل

انها أكثر جمالا من بعض البشر . فهي لا تفرق فى نظراتها بين الأشياء ولا

تفضل هذا لرفعته على ذاك لحقارته . . . . . ففيها يتجلى العدل والحب

والجمال ، وهكذا اصطبغ أدب هذه المدرسة بصبغة إنسانية عالية . . . . .

\* \* \* \* \*

وتتسع الآفاق إلى أقصى مداها فى الحرية والنظرة الانسانية لتضم إلى أفانين

خمائنها علاقة اخرى هي :

~~~~~

فى الطبيعة الورد والأشواك • والأزهار والرياحين • والحمام والثمايين •
والبابل والبوم • ومع ذلك يعيش الكل فى رحابها • ومن فكر المهجريين المعطاء
فى هذه الأمور • تسربت هذه المشارب بصوتها المكسرة إلى قلوبهم • فدارت -
مناقشات وتفسيرات خاصة بالأديان • للسمو بها عن بؤرة التعفن ومركز
الضعف • ورأس الفساد • تلك التعصب والجمود اللذين كانا من أسباب
الخراب والدمار والقضاء على كثير من البشر •
ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل راحوا يضعون الأسس المؤدية إلى ما رسموه •
فأخذوا يقضون على ما نشرة رجال الدين فى أزمان البسطاء والعمامة مما يعمل على -
نشر التعصب ويؤدى إلى الكفران •

فراح " جبران خليل جبران " يحطم من كبرياء رجال الدين وغرورهم وظلمهم
ويبين هذا الظلم المائل فى تسخيرهم للناس متخذين من علمهم إلى ذلك سبيلا
ولهذا وضعت كتب " جبران " فى قائمة الكتب التى حرم على الكاثوليك • التمتع
بها فيها من تسامح وشفافية • لمخالفتها - على حد زعمهم - لكالم رجال الدين
الكاثوليكى

ومن أروع ما كتب جبران فى ذلك قصة " الأجنحة المتكسرة " ففيتها حملة ماخرة
كبيرة على ذلك المطران الذى اتخذ من منصة رخصة يستعبد الناس بها •
ويتحكم فى حياتهم ويتصرف كيف يشاء فى أغراضهم والاستيلاء على أموالهم
كما تجد مثل ذلك فى عرائس المروج • والموكب التى يقبول فيها :

والدين فى الناس حقل ليس يزرعه	غير الألى لهمو فى زرع وطير
من أمل ينمى الخلد ميتش	ومن جهول يخاف النار تستم
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدا	ربا • ولولا الثواب المرتجى كبرا
كانا الدين غريب من متاجرهم	إن واظبوا ربحوا أو أهطوا خسروا

وقد اتخذ الريحاني من هذه الحرية سبيلا إلى توحيد قلوب الناس على الخير
والوطنية • ويقول في إحدى خطبه في حفلة مدرسية (١) •

كلنا ندين بدين التوحيد ، كلنا توحد الله ولا نرجع في النهاية إلى سواه ، نحن
أبناء الأديان التوحيدية ، فإذا كان إلهنا واحداً ، ولساننا واحداً وبلادنا
في سهولها وجبالها وصحاريها واحدة ، أفلا ينبغي أن يكون الوطن كذلك
واحداً فرداً لا تقسيم فيه ولا تجزئة ؟ !

" عندما أفكر في المذاهب والطوائف الدينيّة - بليتنا الكبرى - وفي أولئك
المتعصبين جهلاً أو نفاقاً ، الذين يكفرون الناس وتعيشون بجهل الناس
وأذكر بيتين من الشعر الانجليزي لصديقي الأمريكي الشاعر الكبير " ادوين موكهام "
ترجمتها () ان المتعصب رسم دائرة صغيرة وجعلني أنا الكافر خارجها ، ولكني
- والحب هوني - غلبناه فرسمنا دائرة كبيرة وجعلناه ضمنها (٥٠٠٠) ولنصميمه
مقالات في ذلك منها في مرحلة واحدة بعنوان " الجندي المجهول " •

" وأبو ماضي " شاعر الرابطة • وغضوها الذي تنسم منها غير الأدب الجميل
إنه مسيحي المقيدة • ولكنة لا يؤمن بمذهب " يحجب بين كاثوليكي وأرثوذكسي
أوبين مسلم ومسيحي • أوبين درزي وشيخي بل لا بد من التسامح الديني - الذي
ينبثق من الحرية الفكرية - واليهد بالمقيدة عن هذه المهارات الدينية
المهلكة • ، وليكن الروض لنا رائداً • والخير اماما •

فديني كدين الروض يعميق بالشذى ولولم يكن فيه سوى اللص منسلاً
وفي أشمارة الكثير من هذا البستان الخير • ، وفي هذا المجال يروق لى أن
أذكر هذا البيت للقروي • يقول :

كافر يمشق المكارم خـ
من لئيم يخص في الإيمان

ويقول آخر

ولو أوصى بكوه الصرب دين
لكت إذن إمام الملاحدين

غلب على هذه المدرسة المهجرية الشمالية طابعاً خاصاً في الثورة على التقاليد
الشكلية القديمة • وبعض المضايق • بل والثورة على كثير من البناء التقليدي
للقصيدة •

— ففي مجال اللغة " الألفاظ والأساليب "ُ

انقضوا على أنقاض القديم ، وأسرعوا لحملة إلى مكان سحيق فألقوه
فأهوت به الريح في مكان بعيد عنهم ، فهذه الأنقاض لم تعد تصلح
لحياتهم الحاضرة • بما فيها من شعر قديم أو مقامات اكتظت بخشونة
الألفاظ وغرابتها • ، وما فيها من ضروب من الريادة الذهنية اللفظية
الأخرى التي تجعل الأفكار والمعاني في المرتبة الأخيرة •

لقد حررت موكب التعبير ليساير موكب الحياة المتجددة الدافئة • ويتسع
للتعبير عن التطور بالألفاظ متطورة • تشق بأشعاعاتها طريق الشخصية الأدبية
والفكرية • والتي بها يكتمل الهيكل الأدبي جدة بارعة جميلة • •
وهذه الجدة عشقها بعض الأدباء لما فيها من حيوية متدفقة • وقراءة السوس
النفوس •

— فاللغة وسيلة لنقل الأفكار ، وينبغي أن نخضعها للمعاني الخلاقة
لا نخضع المعاني لها • فالهدف من الأدب : تقديم صورة حية مفهومة
من الحياة • للاستفادة والعظة • • • • • الخ •
وليس القصد من ذلك عرض صورة قديمة من الماضي السحيق •

— وما لبث أن ارتفع شأن المهجريين في هذا الميدان • ووجد كثير من الأدباء
إزاء تلك الطريقة ارتياحاً ورضى • • لما في ذلك من الطبيعة بساطتها
وصورها • وذلك أجمل ما يحشق فيها كما يتبع ذلك إطلاق النفس
والأقسام على سجيتهما •

تقرأ لجبران " الأجنحة المتكسرة " . أو " المواكب " أو " البدائع والطوائف " فتجد فيها الحرية والبساطة متوازنة وملائمة مع الابداع في الخلق والابتكار ووجدة في الموضوعات .

وقد جاء قول "أبو ماضي " في جداوله معلنا عن ذلك

لست مني إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً

• خالفت دريك درسي وانقضى ما كان مني

• فانطلق عني لكلا تقني هما وحرزنا

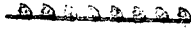
ولهذا حفلت جداوله وخمائله بالحنان وأنغام من هذه البساطة الحلوة التي

• تأخذ بالنفس الى عالم السماء .

كما تلاقت تلك البساطة والحرية في التعبير . الثورية " الرومانتيكية الحية

التي ساعدت على نشر تلك الأدب على نطاق واسع كما ساعدت على خلودها

غنية ولهذا يلاحظ المتتبع لأدبهم مميّزه كبيرى هسى :



من كبرى مميزات أدب هذه الطائفة أن لكل أديب منهم طابعا خاصا يميز شخصيته بخصائصه . . . مع وحدة المنبع والغاية للكثير منهم

— وأول ما يميزهم في ذلك : الأعتزاز من داخلهم والتأثر بما يحيط بهم يشعرون بمشكلاتهم والطبيعة شعورا عميقا . ويحنون إلى أوطانهم حين الشتاتين . . . ويحيون بحثا عن حقائق النفس، وجريا وراء مرفسة الحقائق الأيدية الكبرى .

— كما ولوا وجهتهم هذه الوجهة أملا في خلق أدب حر حري بالوجود يزين الوجود ويجعله حديقة فسيحا لا يملها عشاقها مهما طال الزمن . . . فراحوا يتفننون بالمعاني المتعة والأفكار الكبيرة التي تلتهم عبير الحرية التهاما دون استجابة لأي شيء يحيق الأدب عن التحديق في آفاق السموات

ولم تستطع وحدة المصدر والهدف أن تصبغه بصبغه تندثر من جراثيم الشخصية . بل طلت الشخصية المجنحة ، وفقى لكل منهم طابعا الخاص في التفكير والتعبير . مع انفرادية خاصة حتى في مخيلته وما تبذع من تصوير . وتلك ميزة عند المعظماء ، وطريق لخلودهم الأبدى المتشمل في أديبهم الخالد . . .

— وهذا التميز في الطابع . ووضوح ظهور الشخصية الفنية . قد انتقل إلى مصر . مثلا في كثير منهم . طه حسين ، العقاد " العملاق " المازني — شكوى — وفي لبنان ظهر الأثر في نزار قباني ، وسعيد عقل ، والياس أبو شبكة وذلك بحد أن كان السبيل هو تقليد الأساليب البيانية والبديعية الجوفاء وما ذلك إلا التقاط لفتات موايد السابقين ، الذين استخدموا

في حياتهم ما ناسبهم وكانت سمعة البارزة هي وخصيصة أدبية • وتقارب شديد • •
فكراً وصورة • وثوباً • ما جعلها تظهر للوجود • وقتهم • بصورة لا تميز أدبيات
عن غيره •

أما المهجريين فقد جددوا وجددوا واستجدوا •

فهذا " جبران خليل جبران " قد اشتهر بين الأدباء بأسلوبه الجبراني
الرائع • بما فيه من خيالات جميلة رقيقة جذابة مؤثرة • وصورة دهشة وسيان
رقساق يجمع كل ذلك في ثوب بسيط سهل معبر عن ذوق رفيع محبوب جميل
مع ما يطويه تحته من ثورة وتمرد في غالب الأحيان •

— ولقد اخفت هذه الخصائص على أسلوبه الجبراني • أو البلاغية

الجبرانية • وعلى سبيل المثال

في قصة " الأجنحة المتكسرة " يخاطب الروح والقلب بلغة الماطفة الضميرة
بصورها الآخوية الرائعة • المتعة • التي يحملها أحياناً نغماته على
رجال الدين •

وفي المجنون تراه حكماً مجرباً يسدى الحكمة والوعظ • ولهذا يخاطب
منك الفكر والعقل • •

وفي مواكبة يستخدم الحوار التمثيلي البسيط • ومع بساطته تلمح فيه رقة وسهولة
وجمالاً •

وفي كل هذا هو جبران الفنان القوي الشخصية • المتفرد في طابعه الفني
فخورة روحه على كل فاسق من التقاليد والشرائع • والنبل والحجة الإنسانية
واحتلال الأنسان لمعظم دائرته الأدبية كل ذلك وجه أدبه وجهة خاصة • ربط
بينهما جميعاً رباط الجمال • ورشاقة التعبير وروعة الصور وقتها •

وهذا أبو ماضي تعكس بصمات فكره على هيكل أدبه • وجوانب قصائده نسميات
إنسانية رائعة • برغم ما يكسوها من طابع ثوري نفس يلصق بتلابيبه أحياناً •

كما يتعمق بالصور الجارفة من الواقع كثيرا والخيال أحيانا ، كما تجده يتخير طريقا خاصا في رومانسيته التي تخفى تحتها تيارات جارفة من المهورم والألام .

قدم كل هذا في أثواب بسيطة النسيج زادت بها بساطة الطبيعية ، والفكر الذي يسير بين طياتها حاملا معه شكوكا وهموما ، وتشاؤما اتخذ له من قلب " إيليا أبوماضي " أوكارا . أحسن بلوغته ، وشراسه أنيابة فراح يعصيه عن الوجود متخذنا طريقه من هذه السمة التي اشتهر بها في شمسوة في عالم الأدب " التفاؤل والابتسام " يصبر عن ذلك في حل من التزام المسالك المورثة

وهو إذ يعبر عن فصيته - ضلا - يتسم بالجارفة في وجه الاستقلال والظلم الذي يمدق أثواب المحبة الانسانية .

- والمهجرىون قد ثاروا على كل قديم ، ولهذا نألف عن شماليهم خروجا عن الطرق القديمة في فهم معايير الفن الأدبي فلم يحدوا بمعتقدون أن الفن يكمن في قواعد البديع والبيان من جناس وشورية وطباق واستمارة مبهرة وغير ذلك من هذه الوسائل دون نظر ثاقب الى زوج الحياة التي يعيشها الأديب

- وقد كان لهذا الخروج الفضل في إطلاق عنايتهم لتخلق حيث يجود التحليق وتمدح حيث يكون الابداع مفيدا بلا حدود ولا قيود وشمة أمر لا ينبغي تركه دون الاشارة تاليه ، وهو أن أكثر المهجرىين المبدعين . لم يكونوا يهتمون بجمل فروق بين لغة الشعر ولغة النثر . ، فلفتهم دائما كانت وشاة بالطف التماييز ، وأبهى الصور والطقمها الخيال الخصيب . ، واللغة المستحيلة لغة بسيطة جميلة تدل كل لفظة منها على معناها ومفزاها بقوة ، وتترك في نفس قارئها نفعا عذبا ، ورتينا نفسيا جميلا .

(٥١٦ م)

الباب الرابع

.....

الفصل الثاني

.....

موقفه من الاتجاهات الفنية السائدة

في

.....

في عصور

.....

— سنتناول في هذا الفصل .

الاتجاهات الفنية السائدة في شعره .

ففي ذلك مرآة تعكس لنا بجملاء موقف الشاعر من الاتجاهات الفنية التي سادت عصره . سواء في محيط الصبغة العربية أم في ما رنت إليه الآداب العربية — أنذاك — من أخذ بالمذاهب الغربية وتأثيرها
وهنا سنتناول أشعاره موضحين الاتجاهات التي ولت وجهته نحوها . والتي فرضتها عليه ظروف الحياة .

أولاً : اتجاهات وطنية وقومية وسياسية (١)

=====

سندرج تحت هذا العنوان شعر " إيليا أبو ماضي " الذي يتصل بالوطنية والقومية والسياسة ، وقبل أن تطرق الباب إلى ما نريد ، ينبغي أن نمر سراطاً على مفهوم الوطنية والقومية ((فالوطنية هي حب الوطن)) والشعر يرتبط باطنياً نحوها ، والقومية هي :

حب الأمة والشعر يرتبط باطنياً نحوها . ، والوطن هو قطعة من الأرض ، والأمة هي جماعة من البشر الوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف باسم الأمة (٢) .
ومن الطبيعي أن يحب المرء أمة وموطنه ، ويتعلق بهما برباط فكري وقلبي وثيق ، ومن إندياح دائرتي الحب تتولد الوطنية والقومية ، ونسب مع

=====

١ — سنفصل الحديث عن ذلك . إلى حين . لتحصه بتفصيل خاص . وذلك تسهيلاً للدراسة .

٢ — ساضح الحصري آراء واحاديث في الوطنية والقومية ط ٧/٣ .

(٥٢١)

الشاعر نستشعر مدى روحه الوطنية والقومية • وموقفه من السياسة •
- زكريا من قبل أن أبا ماضي رحل من قريته الوادة " السعيدة " •
صغيرا • لم يكن يدرك ما يدور بلبنان من فقر وجهل وكبت وظلم بصورة
شمولية فهو لم يتلق من التعليم قدرًا يمكنه من استكناه هذه الأمور •
ولا نتكر أنه خرج من لبنان كارها الحياة هناك • • ومع ذلك نستطيع
القول • بأن حياة " أبو ماضي " اتسمت بالحرية منذ طفولته • " حرية
التصرف " • والتفكير • والاعتقاد • • • • • فهو الذي هاجر من لبنان
طفلاً • واختار مصر موطنًا له • وفيها أخذ يحب من رواد الحرية • فهو
قد أحب الحرية صغيرًا • وعشقها واعتقها مذهبًا كبيرًا • يقول (١)
للوقت أجمل من عشر على ماضي إن الحياة بلا حرية عديم
ويقول (٢) :
حرٌّ ومذهب كل حرٌّ مذهبين ما كنت بالسفارى ولا الضمب
ويقول (٣) :
كن قنيًا كن قائدًا كن إمامًا كن حياة كن غبطة كن سلامًا
لست منى أو تحشق الحرية (١)

ففى مصر • وبعد رحيله إليها • عشر على رافد كبير لاتجاهه الوطنى برويه
وصغديه • • فما كاد يفرغ الصبى من نصب السفر حتى امتلأت أسماؤه بملا
كان يدور من حديث عن الإحتلال - مصطفى كامل - الجلاء - اللواء
- الأتراك - • • • • الخ فتلهم إلى معرفة ذلك • وتكفلت له الأيام
يكشف ما أراد من ذلك • فعرف عن هذه الأمور أشياء كثيرة • عرف الشاب
الطموح " مصطفى كامل " وعرف مطالبه • وعرف دوره العظيم فى قضية

١ - إيليا أبو ماضي زهير موزا ٦٤٢

(٥٢٢)

الجلال التي وقف عليها كل ما وهبته القدره الربانيه
ولم يرحل هذا الوطني العَمَلَقُ إلى العالم الباقي • قبل أن يترك في قلب
" أبو ماضي " مثالا نبيلًا للحرية والوطنية • ولذا تعلق به الشاعر وحزن
عليه • فكان مع الباكون والرثاسين يقول : (١)

بكيت ولكن بالدموع السخينة وما نعدت حتى بكيت بمهجتي
على الكامل الاخلاق والندب مصطفى فقد كان زين العقل زين الفتوة
— ولما تولى قيادة المسيرة " محمد فريد " عاش معه أبو ماضي بقلبه وفكره
بعد أن عاد من الخارج بعد جولته جهادية مضمية • استغرقت ثمانية
شهور وقد هينفًا • (٢)

اليوم يذهب همُّ جدِّ في طلبي حتى عجت وحتى كاد يذهب لسي
حسيت من آف لولاه ما حفلت بالأنس نغم ولا اشتاقت إلى الطرب
أنت الهمام الذي في الله رحلته والحق ، لافى سبيل اللهو واللعب
— لا يخفى أن ذلك قد أرسى قاعدة هامة في فكر الشاعر وعقله • ممزوجا إلى
ذلك ما كان يجمع ويقرأ عن لبنان • وما فيه من أتراك • ورجال الديار
والاستعمار والطائفية الخ
— وعندما يوضع الشيخ " جاويش " في السجن • وذلك بعد اسناد
إدارة جريدة " اللواء " له • فيتمكن من بحث القسلق في نفوس القائمين على
صالح الاحتلال بمصر • فيتصيدونه ليكيلوا له التهم • ويوضح — أخيراً — في
السجن ويقف الشعراء ومعهم " أبو ماضي " لينشر قصيدة في اللواء بعنوان " إلى
بطل الوطنيه " يقول فيها

لئن حجبوك عن قتل البرايا فما حجبوا هواك عن الصدر
ويداوم الصهد على الوفاء • فيحیی الشيخ " جاويش " عند خروجه من السجن

=====
(١) السابق ٢٢٢

(٢) إيليا أبو ماضي • جورج سليم ٦٦

(٥٧٣)

في ١٩١٠/٨/٧ وسارع بإرسال قصيدة له بعنوان " نسجوى شاعر " وهى
من شعره المجهول . (١) يقول فيها :

عبد العزيز تحية من شاعر — ما قال إلا أطرب الجمهورا
نفس فداؤك . وهى نفس هجرة تأبى الهوان وتكوه التصفيرا
— وكان ذلك مناخاً مناسباً طيباً لينتمى اتجاه " أبو ماضى " الوطنى القومى
وسقيه من روافده الكبرى . حتى أصبح لمصر وآلها عنده مكانة خاصة . مما
جعلهم يلهج بالثناء عليهم يقول : وهو يصدر الحديث عن المحتل الظالم
في قصيدة أياكيل (٢)

" غورست " فى " مصر " يسدد سهمته إليه وقناص " السوحوش " يضاهيه
يلجون فى اغنائه ، فاذا شكوا يصيحون . إن الشعب قد ثار ثائرة
... رعى الله من أبنائه من يذعن حماه ، ومن أضيافه من يظاهره
وقصيدة " مصريات " " مصر والاحتلال " فيها من ذلك الكثير (٣)

ويزداد اقتناع " أبو ماضى " أن مصر دولة عربية والحرب أمة واحدة ، وزلزلة
أنقاض الظالمين فى أى مكان إنما هى رفع لواء الحرية ...
— وبعد معاهدة " بانكوك " فى ١٩٠٩/١/١٠ راح يطالب لمصر بالدستور
فى قصيدة " مصر والشام " (٤)

إلام تمنع الدستور مصر — وقد كادت تفوز به سيام
وعندما أعلنت عودة الدستور العثمانى فى ١٩٠٨/٧/٢٣ بعد الفاشل دام

- =====
(١) إيليا أبو ماضى جورج سليم / ٧٠
(٢) إيليا أبو ماضى زهير ميوزا ٣٤٠
(٣) انظر القصيدة فى أغراض شجره
(٤) إيليا أبو ماضى زهير ميوزا ٦٤٨

٣٠ عاماً . ألهم ذلك حماس الشعب المصري . فراحوا ينتظرون عودته إلى مصر وفي هذا نظم " أبو ماضي " قصيدة " تحية الدستور العثماني " (١)
 ويسير " أبو ماضي " وسط مسيرة الشعب مؤيداً . فعندما وقف " محمد فريسد " مطالباً بتطبيق الامتيازات الدستورية على مصر . باعتبارها عثمانية فهي تأييداً
 للعثمانيين ، يظهر شعور " أبو ماضي " في قصيدة " عبد الحميد بحد إعلان
 الدستور " (٢)

يقول فيها :-

أبا الشعب أطلع من حجابك يلتقى	بطرفك مثل العارض المتدفق
تطلع تجده حول مصرك واقفا	يحدق تحديق الحب الوثيق
يهش لمرآك الوسيم . وانمنا	يهش لمرأى الكوكب المتألق

وعندما يتنكر (عبد الحميد) لدستور ١٩٠٨ تقوم حركة الأستانة عام ١٩٠٩ فتخلعه
 وتخرج أخاه " رشاد " من السجن ، وتوليه الحكم باسم " محمد الخامس " وفي
 هذا ينظم " أبو ماضي " فتنه ١٣ أبريل " ليبارك الحركة ، ويندد بـ " عبد
 الحميد " يقول فيها : (٣)

يا " رشاد " الملك تهنتئة	بالذي أوتيت من نعم
كن لهذا الشعب " يوسفه "	ينج من عدم ومن عدم

وفي العيد الأول لتولية " رشاد " يتمثله " هارون الرشيدى " ويتمثل " الأستانة "
 " بغداداً " مقرأً للخلافة الإسلامية في " عيد الحرية العثماني " (٤)

=====

١- انظر السابق ٦٥٩

٢- السابق ٥٢٧

٣- السابق ٦٦٢

٤- ايليا أبو ماضي - جورج سليم ١٩٧

(٥٢٥)

— وتتوالى وقفاته مع الشعب • معبراً عن شعوره • ومفتخراً بنصرهم في بعض المواقف
مثل انتصار الشعب في عدم مدّ أجل امتياز قناة السويس • بفضل الله وحمولات
الشعب والكتاب يقول في قصيدة ١٩١٠ (١)

وسموا إلى سلب "القناة" فأخفقوا سعيًا وشاء الله ألا تخفقا
عرض الحساب المستشار ولم يكن لولا السياسة حاسبًا ومدققًا
وعندما ألف الوطنيون جمعية مدارس الشعب ١٩١٠ راح يهديها هديته الكبرى في
"قصيدته" "هديتي إلى مدارس الإسكندرية" (٢)

— وحين صدر القرار الوزاري لتقييد حرية الكتابة في ١٩٠٩/٣/٢٥ نشرت "المؤيد
ل" أبو ماضي "قصيدة يناجي فيها قلمه • بعنوان "أيها القلم" (٣) • ويقول فيها
فيها :-

فأذا جنيت عليهم أيها القلم والله ما فيك إلا النصح والحكم
إنى ليحزننى أن يسجنوك وهم لولاك فى الأرض لم تثبت لهم قدم
خلقت حرًا كعوج البحر مندفعًا فما القيود؟ وما الأصقار واللجم؟
وهكذا أخذ أبو ماضي جولة كبرى ودرسًا عملياً • عرف من خلاله • كيف يقدم
المخلصون حياتهم • لأوطانهم؟ هذا فى الوقت الذى كان وطنه يعانى من الظلم
والفساد •

— وطيلة هذه المساحة الزمنية بمصر • كان على صلة بحالة بلاده السياسية والاجتماعية
السيئة • ذلك الأمر الذى جعله يعانى • ويعانى • وخاصة من الطائفية حتى بين
أبناء الدين الواحد • ولقد كان واثقًا من رجال الدين لا فى إخماد الطائفية والقضاء

=====

١- السابق ٥٣٨

٢- السابق ٥٩٤

٣- السابق ٦٤١

(٥٢٦)

عليها وإنما في النذالة التي تتجلى في إزلال نار العداوة والبغضاء بين الناس •
ويبدو من أشعاره أنه قد رحل إلى مصر يعمل في حقيبة سفره بعضاً من هذه المعرفة
ما أذكي نار الكراهية في قلبه ضد رجال الدين • فراح يعلن شكه عما الطاعة
ويتنرد عليهم ويندد بهم كما بدأ يصب عليهم أحط اللعنات وأقساها • يقول
في قصيدة " ضيف ثقيل " (١)

خبرتُ بنى الدنيا وفشت فيهم فلم تر عيني قط أثقل من قس
ويقول (٢) : مناجيا سكان لبنان ومحدراً لهم من هولاء :

ياساكنية تحية من نـناجـ ان التحية لهنى جهده العانيسى
أصبحتم فوق المالك رنمسة لولا وجود معاشر الفريمان
••• قوم قد اتخذوا الديانة بونكم شركاً لصيد الأصفر الرنسان
ويتوجه للشعب محدراً ومبيناً طريقتهم الدنيئة في ابتزاز الأموال :
ولقد ثغانوا في انتهاك حقوقهم وهو المحب رضاهم المتفانيسى
حتى حسبنا آثم ينحط عن كسل • ولم يك قط بالكسلان
لكنه يسمى ويذهب سحيبه للقس والشماس والمطران
وتستمر المعاناة • لتأخذ منه كل مأخذ • فقد كان استشعاره لها يزداد بخبرته
ومعاناته ومعاملاته للأخرين •••••

ومرود إلى لبنان • ١١
ليأخذ دوره • بين المصلحين ليصلح ما أفسد المستعمر يعينه في ذلك " القس
والشماس والمطران " وبدأ في احتلال منصبه بين المصلحين • فراح ينهال
عليه التهديد • يقول :-

=====

١- السابق ٥٠٢

٢- السابق ٢٢٥

قصص • وقد أظرتهم زففسا ساقوا إلى الحزن والكمد
 هم هد لوني حين صحت بهم صيحاتي الشعراء منتقدا
 • • وسمعت صائحهم يقول لهم أن اقتلوه حيثما وجدنا
 حتى وصل إلى حالة يملن عنها (١)
 ارتاع إن أبصرت واحدهم ذعر الشويهة أبصرت أسدا
 وإذا رقدت رقدت مضطربا وإذا صحت صحت مرتعدا
 وقيل أن تستقبله أبواب السجن - امتطى ظهر سفينة كانت متوجهة إلى أمريكا •
 فيتهدل الرعب والاضطراب إلى تنديد واحتقار وسب وهجاء إلى القوم والوطن
 والحكومة يقول (٢) -

وطن أردناه على حب العلى فأبى سوى أن يستكين إلى الشفا
 وطن يضيق الحر ذرعا عنده وتراه بالأحرار ذرعا أضيقا
 • • شعب كما شاء التخاذل والهوى ففرق ويكاد أن يتمزقا
 لا يرتضى دين الاله موقفا بين القلوب ويرتضيه مفرقا
 • • وجكومة ما إن تزحج أحقفا عن رأسها حتى تولى أحقفا
 - وشئت هجومه على رجالا لدين • إيماننا منه أن الأديان لا تفرق بين أبناء البلد
 الواحد أو الشعب الواحد أو الوطن الواحد وإنما سرود ذلك إلى عصاة لعيننة
 ورأ من حرية أئمة ، وزمرة عانت في الأرض فسادا حتى أصبح الوطن غابة وحشها •
 وفريستها من البشر • ، وهؤلاء هم الذين دفنوا بالوطن في دياجير الهلاك
 وللشعب في ذلك سواة كبرى لأنه •

كلف بأصحاب التعبد والتقوى والشرا ما بين التميد والتقوى (٣)

وهو القائل : (٤)

- =====
- ١ - إيليا أبو ماضي • جوج سليم (٩) ٣ - إيليا أبو ماضي ٥٣٤
 ٢ - إيليا أبو ماضي • زهير مبرز ٥٣٠ ٤ - إيليا أبو ماضي ٧٢٦

مخاطب أهل لبنان .

إن الأبالس حين أعيا أمرهم جاءكم في صورة الرهبان
وتلك الدعوة صادرة من قرارة نفسه . . . قد جعل قوم ^{يلومونه} ~~بالوحي~~ على ذلك فقال لهم
إن كان لي ذنب وهم غفرائه آثرت أن أبقى بلا غفوان
أو كنت في النيران حيث لديهم منها النجاة رضيت بالنيران
أشهى إلي نفس من الذل الصردي لا يرتضى بالذل غير جبان
— وعلاجاً لذلك راج يدعو إلى دين واحد هو المحبة التي توحد الناس على اختلاف
عقائدهم ومذاهبهم . " وذلك هو سهل التوحيد " . (١)

ما كان أحوج سورياً إلى بطول يردّ بالسيف عنها كل مفترس
ولا يزال بها والسيف في يده حتى يظهرها من كل ذي ونس
ويجمل الحُبّ دين القاطنين بها دين يقرب بين " البيت والقدس " .
حتى أرى ضارب الناقوس يطربسه صوت الأذان وهذا رنة الجرس
ويحاول التنبيه إلى مخططات الاستعمار وحقارتها . وما ترمى إليه من أغراضه فلا
طريق إلاّ الاتحاد . العرس الذي أثبت التاريخ فلاحه ونجاحه في مثل هذه
الطرق . يقول : (٢)

" بغداد " في " خطر " ومصر رهينة^٥ وغداً تنال يد المطامع حلقاً
ويصدد حديثة عن حماة لبنان . يقول : (٣)

كلكم يا قوم في البلوى سواً لا أرى في الرزّ لبناناً وشاماً
في ربي " لبنان " قومي الأصعباء وبأرض الشام أصحابي الكرام .
..... فادتمروا أحقادكم يا زعماء . . .

=====

ويحمد أن تحرق أسى ولوعة راح يحاول الثيل من المستعمر بأسلوب الداعية الساخر
والذى اكسى منه القول كل هدوء ٠٠٠٠٠ ٠ ولأنه أراد أن يصب على المستعمر
حُمًا مهلكة ٠ ويدعو العرب - وأسفاه - ليذهبوا أملا في التحرير الخالص
فما عاد للنوم وقت ٠ ولكنها دعوه سلبها اليأس يريق الحماس يقول :-

ضيم أحرارنا وريح حماننا وسكتنا والصمت للجبناء
نهضة تكشف المذلة عننا فلقد طال نومنا في الشقاء
٠٠ زعم الخائنون أنا بما نبغى فيه نبغى الوصول للمنقاء
سوف يدرون أنما العرب قوم لا يبالون غير رب السماء

- وكأنه لم ين أن قضية لبنان لا تحل إلا بيد عربية ٠ فراح ينادى - بدعوة
وتنهدياته - الأمة وعلاء العرب (١)

فيا أمة قد طال عهد سباتها متى يكشف الإصباح عنك الدياجيا
٠٠٠ ويا علماء العرب هذا زمانكم فكونوا لمن ضلّ المحجة هاديا
٠٠٠ ويا أيها الجالون إن بلادكم تناديكم لو تسمعون مناديا

- ويحاول - وما أكر المحاولات - أن يصنع من دعوته قاعدة الطريق إلى بناء جبهة
صلبة تسترد الحقوق وتقيم صرحاً شاهقاً للحرية ٠٠٠٠٠٠٠٠

فيتخذ من الحث مطية لبلوغ هدفه البعيد ٠

يقول (٢)

عجبا لقومي والعدو يبابهم كيف استطايوا اللهب والألمايا
وتخازلت أسياهم عن سحقه في حين كان النصر منهم قابيا
٠٠٠ دنياك يا وطن العروبة غايبة حسدت عليك أرقماً وذئابيا
فاليس لها ماء الحديد مطارفاً واجمل لسانك مذبذباً أو ناييا

=====

— ويظل يبنى أملاً جديداً من رجاء خائب ، فيتوسل بندايات لم يكتب لها البقاء طويلاً
فراح ينظم لوفادات النجمات ، إلا أن الطائفية كانت قد ضربت جذورها في الأعماق
والاستعمار من ورائها ، يرسم معالم الطريق للهلاك .
وماذا في الأمر ؟

لا شئى إلا التهنيد والبيكاء والحزن والألم حتى وصل إلى درجة من الحنين
والحسرة حتى طبع الحزن على حياته بطابع البقاء)

— فانتقل " أبو ماضي " إلى مرحلة الدعوة ، التي لونت بها أحزان الناجاة ، أخذ
يناجي أسود بلاده ، الخائبة عنها لتمود فقد تجنى لبنان من ذلك شهيداً .
يقول لبنان على لسان الشاعر الذي قدم التلمة بالهجرة ، (١)

فأجابني والدمع ملء جفونـــــــه
أنا كالعربين اليوم غاب أســـــــودُهُ
الأرميني على سفوحى والرـــــــبى
ونو يهودا ينصبون خيامهـــــــم
ونى عنى غافلون كأنـــــــى
وتفرقوا عنه لكل عربـــــــين
ببنى الحصون لنفسه بخصـــــــونى
فى ظل أوديتى وفوق حزونــــى
قد صرت فى الأشياء غير شمــــين

— ويصنع دموعاً ، ويتنهد ، [ويناجي] ، وينث ، ولكن لا جدوى
ويظهر أن إيمانه بالمروية كان مشرباً بالضعف لماذا ؟
— لم تظهر قضية فلسطين فى شعره إلا مرة واحدة فقط ، تحت عنوان " فلسطين " .
وظهرت فى ديوان " الخماثل " ومعنى ذلك أنه قالها بين عامى ١٩١٩ - ١٩٤٠
ما يجعلنا نقول إن حديثه عن لبنان والشام أخذ منه كل ما أخذ ، كما تحدث فيها
بلفظ كماها ثوب تقيرى ، مكنت الحسرة بين كهوفها ، يقول :- (٢) فيها

ديار السلام ، وأرض الهنــــبا
فخطب فلسطين خطب الملــــى
يشفق على الكل أن تحزنــــبا
وما كان رزء العلى هينــــبا
تحرزبا كبادنا هينــــبا
سهرنا له فلأن السيبــــوف

=====

وكيف يزور الكرى أعيننا
 بنفس أردنها * السامبييل
 لقد دافعوا أمن دون الحمى
 وجادوا بكل السدى عندهم
 الا ليت * بلفور * أعطاكم
 نصحتكم فارعوا وانهبوا
 وما ابتم فأوصيكم
 فانا سنجعل من أرضهم
 ترى حولها للردى أعيننا ؟
 ومن جاوروا ذلك الأردننا
 فكانت حروبهم حرننا
 ونحن سنبدل ما عندنا
 بلادا له لبلادنا
 بلاننا * بليفور * ذيبالك الأرضنا
 بأن تحملوا معكم الأكننا
 لنا وطننا ولكم مدفننا !

والقصيدة لانتهم عن عمق يراه القارىء في أجواء التفكير المنظم العميق في هذه المشكلنة .
 بل كان مروره عليها بفكره مرورا عابرا . كما أهمل الجانب الشعري في التجربة ، واتخذ
 من الواقعية المكشوفة التي لم يتدخل العقل ليلبس دوره فيها

— ويدولى بوضوح ، أن " أبو ماضي " يجيد حين يمانى ، ويتعمق ويتوسع ويجمع أطراف
 التجربة بالتفصيل المنق والفور المفيد . . فتخرج أطراف التجربة ممزوجة مزجا شعريا
 تجذبك إليها الماطقة الحارة والثوب الشعري البراق .

— كما يبدو أنه لم يقف على نوايا الظلم فلم يكن يعرف أنشد ما عرف عنهم من القسوة
 والفتك والقتل وسلب الأرض وغيايب السجون . فيما بعد . ولم يكن يعرف ما رمت إليه
 أسرا بل في المستقبل . . ولو عرف أنها كانت تزور للطائفية وتخطط لها في الماضى البعيد
 لتمخض عن هذا الحاضر البغيض لعمل لذلك حسابا .

— وهذه النزعة أخذت في الضعف حتى أوشكت على العدم في شعره . فراحت في هرمها
 تظهر في صور آمان يطبع بها الشاعر وجه حياته . (١) يقول :

قل للما خطين على الليالى
 سينجصر الضباب عن الروابي
 وترجع أمة ترجى وتخشى
 ومن سكبوا على يأس وناموا

 وان كره الزعانف والطفام

وقبل أن نصل إلى نهاية مطاف الغزوة عنده نسجل هذه الأبيات . .
 وطني أحبّ التي من كلّ الدنسى * وأعزّ ناس في البرية ناس
 ويقول في نفسه مصدر (١)

سوى لبنان يحقته فـوادي * وغير بنيه أمصهم وادي
 وفي "نجوى لبنان" يقول (٢)

* لبنان حسبي أنى لك أنتى * وتكأنى البلبيل الصداح
 ويعلن أنه ما رأى "سناً ولا صوراً ولا طيوراً . ولا أزهاراً ولا أنهاراً مثل ما فى بلاده . وهو
 القائل

..... ولكن بلادى سبباً * قفراً فطست أحب غير بلادى

ومع ضعف الأمل وتخيم شجرة اليأس على آلامه . التى كانت عذاباً . خفت موت الدائمة
 ولم يعد كما كان . وصار يهيم همسا يتقاطر حزنًا وبأساً مشيراً إلى الواجب الوطنى من
 خلال إنتاجه فى رثائه للوطنيين "قصيدة مجاهد" والاجتماعيات كما أخذ ينص خنوع قومه
 من خلال "شعره" ترى ذلك فى "قصه الشاعر والأمة" ولهذا بدأت تظهر تقلصات الجبرية
 التى جعلته يتخذ من الرضا بالحزن مذهبا حتى أخذت آلامه تحتضر . وتظلم الحياة حولها
 ولذلك عاش الشاعر طريد البؤس والشقاء والألم وياترى .

أيقضى الحياة مشرداً مكتئباً ؟ أيعيش بين بنى البشر شكاء بكاء ؟
 وذلك أبغض ما يكون إلى نفسه ؟

لقد رأى الحياة قصيدة والحرر ظلالاً زائلاً . فلينتزع من آلام نفسه السرور للأخريين كسى
 يعيشوا سعداء ولهذا

أمر الدعوة إلى التفاؤل "تبريداً لظمأة" ورضى بواقعة . وإيهاً للغير برضاة التام عن
 النهاية . ولكن صفحة نفسيته الجريئة راحت تشهد أن باطنه المتقد يخالف ظاهره —
 الهادى وراح تقيه فى مهجره أمنية تداعبه . وهى أحلى من كل شئ "إنها تجلسى

===== (١) "إيليا أبو ماضي" . جوج سليم . أشعاره المجهولة

(٢) "إيليا أبو ماضي" . جوج سليم .

في الكمال عنه بنور وطنه • وقد حقق الله له الأمنية فزار بلاده في أواخر عام ١٩٤٨ وبها
وقف يناجي ويمسجد معها ذكريات الصبا
وطن النجوم أنا هنا * * * حدّثني إن تذكر من أنا ؟

وهكذا عاشت وظيفاته في الاتجاهات الآتية :-

- مصر وأهلها فهم سادة وقادة وأحرار أوفياء لصل أهله يجدون في ذلك عبرة وموعظة
- نصي وهجاء وسب لرجال الدين • فهم آفة البلاء وأصل الدناءة • ومذرة النفاق وفي
التخلص منهم نصر وارتياح •
- نقد الحكومة والوطن والشعب الذي رضى بالذل • ، كما نصي خنوع هؤلاء وتخاذلهم
حيال قضية التحرير •••
- الانقراض على الاستعمار وهجائه • والتنديد به ، وفضحه أمام البشر والتهديد إن لم
يرجع عن الأرض والظلم ••• فنحن له بالمرصاد في يوم يسير المجاهدون على أكوام من
الأشلاء وسط بحر من الدماء •
- وفي آخر الشوط استنجد عرس • ونداءات عامة تدعو إلى الثورة على المستعمرين فهم
أيضا ذهبوا بلاء كبير وشمر مستطير •
- ولكن هذه النداءات شابها الضعف الموهل واليأس القاتل ، حتى أصبحت نداءات تعوزها
الحرارة والحيوية والعمق ••••• بمعنى أنها جوفاء مما جعل انتفاضة الشاعر في نهاية
المطاف تبدو ضعيفة •••••

* * * * *

إذا فتحنا التاريخ الإنساني طالعنا صفحاته . أنه لم يخل في عصر من عصوره من دعاة -

مصلحين أو فلاسفة وأدباء يوجهون أعمالهم إلى خير الإنسان وإذا كان الأمر كما قال جبران الخير في الناس مصنوع إذا جبروا * والشرف في الناس لا يفنى وإن قبروا

وإذا كان لكل فعل رد فعل كما قال نيوتن فذلك يتحقق في الحياة الاجتماعية على وجه خاص ، وإذا كان هناك من يتصد على مبادئ الخلق الإنساني فهناك الكسير الذي يتصد على هؤلاء المترددين محاولاً إصلاح ما عس له من مساوي في مجتمعه بما يبيث من نظرات وآراء اجتماعية إصلاحية ونقدية

— وتختلف الوسائل التي يتلمس فيها هؤلاء جدوى لدعواتهم الخاصة بتقويم الأخلاق والطباع البشرية فبعض المصلحين مال إلى استخدام العنف والشدة ، — وبعضهم مال إلى الوعظ والإرشاد ، وبعضهم إلى النقد والتوجيه ، ومنهم من أضاف إلى ذلك الرمزية الساخرة الثائرة .

— كما يتفاوت كل منهم في المساحة الإنتاجية التي جعلها مجالاً للعلاج ما يرى فمنهم من عالجها في جزء من إنتاجه ، ومنهم من عالج زوايا محددة منها . ومنهم من وقف حياته وقلمه وإنتاجه لعلاج ما يرى من مساوي ونقائص في المجتمع هؤلاء المصلحون الذين يرفضون الصيوب والنقائص لما فطروا عليه من حُب للخير وكره للشر وما يمتلكون من نفوس حساسة .

ولذلك يفقد المصلحون التوافق مع مجتمع يحتوى على زيف وأباطيل ، ويصعب عليهم التكيف معها . ، ولهذا يتصدون لما فيه من عيوب ومحاولين التقويم والإصلاح وللشعر رسالته الأخلاقية . يتوجه الشاعر فيها بالحديث إلى مجتمعه معلناً عن نقائصه من أجل انتزاع الاعتراف بها . ثم يمتطى مطيته وينطوي تحت لواء الجهاد ليحيل بينهم وبين ما يشتهون منها .

— وأبو ماضي له جولة كبرى في هذا الميدان . ضم فيها بجانب الكرة السبواغة واستخدام الرمزية الطريقة . وأغنى ومزية الموضوع مع واقعية مختلفة الأديم ونسج معه لنرى اتجاهاته في هذا الميدان

فهؤلاء رجال الدين الذين رأهم وعرف ما فيهم من تخاذل وضعف ومساندة للاستعمار
فهؤلاء هم الذين اتخذوا من أنفسهم غرضاً خسيساً كما اتخذوا من الدين مطية
لجمع المال ، ولتسيير خططهم الدنيئة من إذكاء جذوة التفرق والبغضاء والطائفية .
ما جعل التآلف مع هذا محالاً .
كل هذه الأمور هوت في نفسه فثارت ثائرتة . حتى راح يعرط لوحه عن هذا الوحش
" الإنسان " وطباعه .

فحكاهم فاسدون ، وزعماء طاغون ، ورجال دين ظالمون ، وطائفة دينية ومخل الأضياء
والنفاق والغرور والكبرياء . وكل الماديات الاجتماعية السيئة وتأنس يتخذ من ذلك
جبراً لهجائه ونقده للإنسان وأفعاله . وذلك ما أعلن عن بغضه في قصيدة الإنسان
والدين . (١) . . .

إنى عرفت^{هنا} الإنسان ما كاننا * فلست أحمد بعد اليوم إنسانا
بلوته وهو مشتد القوى أسداً * صعب المراسي وعند الضعفاء عيانا
تعود الشر حتى لوبت يده * عنه إلى الخير سهواً بات خسرانا
هو الذي سلب الدنيا بشاقتها * وراح يملأها همًا وأحزاننا
قالوا ترقى سليل الطين قلت لهم * الآن تم شقاء العالم الآننا
إنى ليأخذنى من أمره عجبٌ * أتلما زاد علما زاد كهرانا ؟
ومن سوء ظنه بالبشر . قوله .
لاتصطفيه وإن أثقلته منننا * فالشر والقدر إما عز أو هاننا
أما هجاؤه الماديات السيئة . كالكذب والنفاق . والجبن . والدُّل . والتكبر والبخل
وكثر الأموال . فهي كثيرة في أشماره .
يقول

أشهى إلى نفسى من الدُّل الردى * لا يرتضى بالدُّل غير جبان

=====

أحِبُّ الأَبْسَى الحُرَّ لا وَدَّ عُنْدَهُ * وَأَقْبَسَى الذَّلِيلَ الحُرَّ مَهْمَا تَوَدَّدا
وفى قصيدة (هدايا الصيد " (٢) تريك معرفته وإلمامه بطباع الناس عن تجربة
طويلة ناجمة عن احتكاك بالمشمر . يقول فيها :

خرج الناس يشترون هدايا	*	الصيد للأصدقاء والأحباب
فتنيت لو تساغنى الدنيا	*	فأقضى فى الصيد بعض رغابى
.....	
والى كل عاشق مقلد تيم	.	صركم من ملاحه فى السراب
والى الفادة الجميلة امرأة	*	تربها . ضمائر المرآب
والى معشر الكمال قصورا	*	من لجين ومسجد فى السحاب
والى ذى الشنى الذى يوهب	*	الفقر إزدياد الذى به من عذاب
كلما عدّ ماله مطمئنا	*	أبصر الفقر واقفاً بالباب
والى صاحب المراوغ وجهها	*	أسوداً حالكا كوجه الضراب
فإن لاح فرّت الناس منه	*	من طريق المناق الكذاب

وقصيدة " الطين " ما هى إلا مَقْتُ للمغرور الجاهل وهجاء شديد له ، وكثيرا ما يكرر

مقته للرياء والمرائين يقول . بصدده الحديث عن شعراء المدح الذين يراءون (٣)

الفوا الرياء فصار من عاداتهم * لمن المهيم شخص كل مرائى

وما أكر قصة الرمزي الساخر ، الثائر والهادى . ومن ذلك . . . التينة الحياء " رمز

للبخيل الأحق ، والخدير الطموح " رمز لمن لا يهنئ بقسمته وحظه فراح يطلب ما ليس

له حتى كان ذلك سببا ففاته فى غيره . ، والأبريق " رمز للمتكبر المغرور الشامخ بأنفسه

والضفادع والنجوم " رمز لذلك النفاق المغرور الذى لا يعرف قدر نفسه المتناول على

أقدار الناس .

=====

نالت المرأة فتاة وامرأة • نصيباً كبيراً من نقد " أبو ماضي " الاجتماعي ، المرأة الكدود ، والفتاة المتبرجة ، والأرباء ، والطلاء والتزييف ، وما هو غطاء لكثير من الأمور • ، كما أنها خداع كبير • ، وكيف يرضى المرء بالخداع ؟ • لذلك يمقت تبرجها وزينتها وتمسكها بما يسمى " الموضة " La Mode يقول في قصيدة • " المودة " (١) •

ما لهند وكل حسناء منهنده ■ كل يوم تبدي بسرى جديد

تلهم الثوب يومها وهي تطربه ■ وتطربه عندها كل خدود

فاذا جاء غيوة أنكرت به ■ فرأينا الحميد غير حميد

أولعت نفسها بكل طريق ■ ليتها أولعت ببعض التليد

لا رعى الله في وجه تنفق ■ الأموال والصر في اقتناء البرود

ليس في اللهو والبطالة فخر ■ إنما الفخر كل عرس كدود

وفي قصيدة " الحسن لا يشرى ولا يستجلب " (٢) يقول فيها عن المرأة المتبرجة

بين الطلاء وبينهم قرابتة ■ مشهورة عنها الجميلة تنكب

قل للخواني إنها خلقت كذا ■ الحسن لا يشرى ولا يستجلب

فاذا بلغت الجمال تطربها ■ فاعلمن أن بقاءهن مستصعب

وفي إسرافها في زينتها ، وقتلها الوقت والمال فيما لا يجلب إلا الخيبة والتخلف والفقر

يقول :- (٣)

أقامت لدي مراتها تتأمل ■ على قفلة من يلوم ويغفل

وبين يديها كلما ينبغي لمن ■ يصور أشباح الهوى ويغفل

تغار إذا ما قيل تلك مليحة ■ يطيب بها للماشقين التفرزل

فتاة هي الطاووس عجباً وزينها ■ ولم يك زيل شعرها المتهدل

(١) السابق (٢٩١)

(٢) السابق " ١٣٧ "

(٣) السابق " ٥٦٢ "

(٥٣٨)

وان حكيم القوم بأن يورى * أسير طلاء بعد حين سينصل
وكل فتى يرضى بوجه منفق * من الناعمات البيض فهو منفق
إذا كان حُسن الوجه يدعى فضيلة * فان جمال النفس أسنى وأفضل
وهو يعلن عن رأيه صراحة في عدم الانخداع بالطلاء والقشور

أنا لا فغشنى الطيالس والحلى * كم فى الطيالس من سقيم أجرب
وهو إذ ينظر إلى مجانيها فلا ينسى أن يدافع عن حقوقها • ناقدًا الذين يحتدون على
حسرتها ويتخذون منها سلعة للتجارة • (١) فيقول على لسان فتاة أرغمت على
الزواج من رجل طا عن فى السن •

زعموا أن الفوانسى لمب * إنما اللبنة طبعاً للصبى
وأنا ما زلت فى شرح الصبا * فلما ذا فرط الأهلون بى ؟
أخذوا الدينار منى بـدلا * أترانى سلعة للمكسب ؟
لا ولكن راعهم عصر بـه * ساد فى الفتیان حب الذهب
كما ينصح لها بخاخ من المرّة والكرامة ••

الا إن شعباً لا يميز نساؤه * وإن طار فوق الفرقدين ذليل
ولا بُدّ من توفير المكانة الطيبة اللائقة بها (٢)

سجل الشرب علينا ممشر * سجل المرأة بين السهمـل
فهي إما سلعة حاملـة * سلماً أو آلة فى مـمـل
ولا ينبغي أن توهى خفّ القلجـع المـال ••••• فما خلقت لغير البيت •••••
فى سبيل المـال أو عشاقـه * تكـدح المرأة كـدح الأبل
ما تراها وهى لا حول لها * تحت عبء فادح كالجبـل
جشموها كـل أمر مـمـل * وهى لم تخلق لغير المـنـر

ولا يفوته أن يعرض لوحه من نقده على أضرحة الشباب المتفرنجين الذين يضربون فى الأرض تيمها

=====
(١) السابق (١٤٢)

(٢) نفسه (٥٦٠)

يا أيها الشرق الذي يرانظر المسير * القوم الذين شدت أشركت منهم
 ما زلت تكلامهم بطرف ساهـ * يحيى الظلام وهم هجود نـ
 يا طالما مثلوا لديك كأنهم * أسد الشرى فنسيت أنك تحلم

(٥٣٩)

وعجبا من ذكر وانك ما والوطن في حاجة شديدة إليهم • يقول (١)

يا أيها الشرق التميم انظر إلى * القوم الذين شدت أشركت منهم
 ما زلت تكلامهم بطرف ساهـ * يحيى الظلام وهم هجود نـ
 يا طالما مثلوا لديك كأنهم * أسد الشرى فنسيت أنك تحلم
 ولطالما شدت القصور من المني * خاب الرجاء وساء ما توهـ
 ألهمهم الدنيا فهذا بالطلبي * صب وهذا بالحسان مينيـ
 والخمر ما تكة فكيف بناعـ * ترف يكاد من النساء يمقـ

ويبين المساوي التي يجنيها الوطن من ذلك •

بتقاويات الشرق يمشى القهقري * مع ذاك نحسب أننا نقدم

— وينبه إلى أسباب الفحش والخمر والفتك بالواجب في قصيدته " هديتي إلى مدارس الشعب

بالأسكدرية (٢) يقول حين كان سائرا ذات ليلة •

فاستوقفتني ضجة في حانـة * حبست مقاعدها على الجهال
 حاموا على الصهباء يرتشفونها * كالطير حول مصفق سلسال
 خطران من جهل وفقر ما السودي * غير اجتماع الجهل والاقلال

ويؤكد أن نشر العلم قضاء على ذلك ••

ان الجهول اذا تعلم واهتدى * بث الهدى في صحبه والال •••

— ولا نعدم رؤية أشباح الحزن والمرارة والألم والتشاوم تخيم عليه أثناء علاجه لهذه القضايا •

وبجانب علاجه الشافي لهذه الأمور — لو أتبع — يسدي نصائح المفيدة في مجال التقدم

والبناء • يقول (٣) •

مضى زمن كان فيه الفستي * يياهي بما قومه أثـلوا
 ويرفعه في عيون الأنعام * ويخفض من قدره المـنزل
 فلا تقمدين عن طلاب العلي * وتحذل بنيك إذ تمـنزل

(٢) نفسه ٥٨٢

(١) السابق ٥٩٤

(٣) نفسه ٤٨٦

وكن رجلاً ناهضاً ينتمى (٥٤٠) إلى نفسه عندما يُسأل
ويصوب إلى الدين الذي فرق بين أبناء البشر بما بث فيه القوم من فوارق • هو منها
منها بمراء • ليدعو إلى دين المحبة الذي يربط بين البشر • ويوجد الأهداف في
سحق المظالم وأهلها • هذة المظالم التي تنصب شريك الفقر والجهل والموت •
فالحب يخلق المسيرة الموحدة (١) .

ويجعل الحب دين القانطين بها وبين يقرب بين " البيت " و " القدس " حتى أرى ضارب الناقوس يطرببه صوت الأ زين ، وهو رنة الجوس - وهذا من أجل الوطني وعزته وكرامته ، الوطني الذي آثره بحب خاص .
وطني أحب إلى من كل الدني و أعز ناس في السوية ناس - ومن منطلق الحرية الفكرية والحب اعتنق دين الروض والتدبير التي تعامل
كذلك الخلق من منطلق المساواة ؟ كتابي (٢)

قد يسنى كدين الروض يعبق بالشذى ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلاً .
وكما تيمت حملته على ما حملة القوم للدين حملة على رجاله الذين تحوصلت فيهم
جرثومة الهلاك ، ولهذا احمل عليهم حملة شعواء يقول :-
خبرت بني الدنيا وفتشت فيهم فلم تر عيني قط أثقل من قس
ويبدو لي أنني تكلمت عن ذلك بوضوح في اتجاهاته في الشعر الوطني ؟؟؟؟
- ويتخذ " أبو ماضي " من أسلوب السخرية المشوب بالألم في غالب الأحيان
مطية لمعالجة هذه القضية •

ويتخذ - كذلك - من التلميح طريقاً للهجوم على رجال الدين الذين بلغت بهم
الحقارة إلى اتخاذهم من التماثيل ملجأً يعترفون بفضل من خلقتهم ههنا
التماثيل ويحتفون بها يقول : (٣)

=====

من العرم المسنون صاغوا هـاله * وطافوا به من كل ناحية زمـره
 وقالوا نحنناه لتخليد رسمه * قلت : الا يفنى كما فنى الأثر؟
 . . . ولم ترفموا التمثال للبأس والندی * ولكن لضحني في نفوسكم استنره
 — وتظهر نوعية المجتمع المثالي الذي أرادہ " أبو ماضي " من خلال هجومه على السكر
 وانحطاط الاخلاق ، أنه يريد مجتمعا تسود فيه الرأفة والرحمة والتعاون ، دستوره الملم
 وقانون المساواة . . .

* * * * *

— ولقد أطر الشاعر قضية " الفقر والغنى " اهتماما كبيرا ، فقد فاضت بها تجاربه وعجت
 بها أشعاره ، استطاع " أبو ماضي " أن يبين واجب الأغنياء ودورهم تجاه إخوانهم الفقراء
 ووصل في فهم الفقر والغنى إلى معناه الذي ينبغي أن يفهم به ، فأفة الفقر ليست مقتصورة
 على ذاته . فالخوف من الفقر هو عين الفقر . يقول " في هدايا الحميد "
 كتأهدى *
 وإلى ذي الغنى الذي يرهب الفقر * ازدياد الذي به من عذاب
 كلما عدت ماله مطمئنا * أبصر الفقر واقفاً بالباب
 فالفقر الحقيقي هو فقر النفس ، كما أن الغنى هو غنى المكومات . يقول في قصيدة
 " الفقير " .

ويا فقيرا يتمنى الغنى * هلا تمنيت غنى المكومات . . .
 و " لأبي ماضي " معارضة جيدة تصل في مساينها حد التحريض المسافر ، فهي تشيى الشفقة على
 الفقراء بقدر ما تشيى غيظ القارئ على الأغنياء . تتدد بالتحفة والإملاق النفسى ، تحس فيها
 هدير السخرية التى تكتم تحتها أمواجاً من الغيظ الشديد عالج الشاعر فيها حواراً ومعارضة
 بين الغنى والفقير . . . وفيها يقول

كلوا واشربوا أيها الأغنياء * وإن ملأ السكك الجائعون
 ولا تلبسوا الخزاً جديداً * وإن لبس الخرق البائسون
 وقد ينبسح الشر من النسيم .
 وحوطوا قصوركم بالوجمال * وحوطوا رجالكم بالحصون

ويدلك على غباء الفنئ . الذى لا يدرى أن الشر ناهى فى نفسه ، ولا يترك طرائق الوعظ
المهدد بزوال القصور وأصحابها وينفس عليهم حياتهم بالآفة التى تقشعرُّ عنها جلودهم

دعوا الأغنياء ولذاتهم ————— * فهم مثل لذاتهم زائلون

..... سيمسون فى "سقر" خالددين * وتمسون فى جنة نعمون ؟

ومع رمزياته الموضوعية . وقصصه الساخرة ، وتهكماته البالغة ، وحوارة المحكى بالقول و —
الحركة التى تسجل مساحة القصيدة ..

قد كان له طابعه المميز من الطرافة والظهار ظلم الأغنياء ونبائهم وخروجهم عن الحق متخذاً
من الدين وسيلة عليها تجدى (١)

يفضح الظلم ويدعو إلى العدالة والأخوة والمساواة ويتلمس الحقائق الواقعية الفعلية ..
وتتسع نظراته فتشم اليتيم ، و بعض الطبقات البائسة

كما ترحب النظرة لتجود بالخلاصات التجريبية .. حيث يقدم الآلى المنظومة الفريدة عن
خير شئ فى الحياة (١)

ذهبت مسائلنا عن خير شئ * لأعرف كنه أخلاق البرية

فقال لى الكيسة خير شئ * هو الزهد الذى يحو الخطية

وقال لى الشريفة خير شئ * شمول العدل أنباء الرعية

ولما أن خلوت سألت نفسى * لأعرف أربابها فى ذى القضية

فقال لا أرى خيراً وأبقى * من الإحسان للنفس الشقية

والحق أن طلباً واحداً مما دعا إليه " أبو ماضى " لجدير برفع لبنان إلى قمة القوة وأعنى
بهذا " القضاء على العصبية والطائفية " وإحلال الحب محل تلك الحم الصاعقة وكان هذا

وحده جديراً بنشر الحياة الكريمة على ذرى " لبنان "

" أبو ماضى " يصبر فى شعره . مخبراً عن تجربته الشخصية تصبواً دقيقاً شاملاً تظهر فيه
آلامه وآماله وقضاياها الخاصة والعامة ، كما يظهر ارتباطه بالمجتمع ، ومومناً بكل ما يقدم

من عروض لحل هذه المشكلات . وكان ما ارتآه من علاج كافياً شافياً ولكن كما قال الشاعر ..

لقد أسمعت إن ناديت حياً * ولكن لا حياة لمن تنادى

وقد حملته ذلك على مضاعفة النظرة التشاؤمية ومع أن هذا الشعر يميل إلى
التفريغ والاشهاد به . فقد تركت المنطقية فيه هي الأخرى .

بسماتها . يستخدمها الشاعر عندما يستشعر أنه في مكان المدايح والمرايح الذي يقدم للسامع
برهانا يفتن به شفته وثوته . لكل حسب وضعه .

— وقد اكتمل كثير من شعره في هذا اللون مسحة من الجمال في عرضه وأسلوبه وروعة

الخيال . كما أدخل فيها حقائق الدين والسمميات للوصف بالأمرالمسي ما يريد .

— تدخلت الواقعية الفعلية في عرض كثير من الأحداث . كما اقتصرت إليها الرمزية

لارمزية اللفظ . ولكن رمزية الموضوع . وقد برز " أبو ماضي " الرابطين في ذلك عقلاً

واتساعاً ونتاجاً ما ضم إليه شهرة أكثر منهم في هذا المجال . .

— وقد ساء الشاعر في الواقعية الفعلية أحياناً في بعض الموضوعات مثل " شكوى فتاة "

ما أتاح لطفيان الفكرة على الحر أن تلقى عليه غيابات النظم الثقيلة

- الأدب الإنساني " التفاضل " ..

* من دياجير التشاؤم تنشق أنوار التفاضل *

نزعة إنسانية أصبحت لصيقة بـ " أبو ماضي " واشتهر بها بين شعراء المهجر وقراء الأدب ،
إنه يحب الناس وحببهم في الحياة ، سواء أحبها هو أو تظاهر بحبها "

دنيا مزينة ودهر مُـنـادقُ ❖ مافي انفلائك منها من ياس

ولكنه يدعوهم جميعا إلى محبتها والرضا بها ففيها من كل خير وجمال ، ومن هذا الباب
تميز شعره بميزة خاصة ونغم باسم مشرق يغطي هذه النزعة الإنسانية المحببة ودافع هذا
النوع الشعري تكاد تقتصر في سببين رئيسيين :-

(١) احتناق الشاعر مذهباً خاصاً أعلن عنه كثيراً في أشعاره ، فمع ما حطته يد الأيام من

أباريق الشاعر ودنّه ، فهو يوضح المذهب فيقول : ..

ولكني امرؤ للناس ضحكي ❖ ولي وحدي تبارحي وحزني

وزهد في الإيضاح قائلاً :

إذا أشكو إلى خدن صديقي ❖ وفي وُسعي السكوت ظلمت خدني

وتأبى كبريائي أن يراني ❖ فتى مفروقاً بالدمع جفني

فأستر عبرتي عنه لئلا ❖ يضيق بها وأن هي أحرقتني

وأن بكى الصديق

فأسح أدمعاً في مقلتيه ❖ وأن حكى اللهب وان كوتني

لأنى كلما رقيت عنده ❖ طربت كأنني رقيت عنسي

ويذكر البهت الثالث والرابع من المجموعة السابقة .. يقول الشاعر في قصيدة " ابنتهم " :

قال : الليلي جرحتني علقماً ❖ قلت : ابنتهم ولئن جرعت الملقطاً

فلعل فورك إن رآك مرمماً ❖ طرح الكلبة جانباً وترمماً

فهو يتسم أمام الناس مستبشراً ، ككعب حزين في قرارة نفسه يتلظى بنيران الحياة ، يرى الظلمة
القائمة في جوانب نفسه فيصارع نفسه كي يعكس الأمر نورا ، وفي ذلك كبرياء محببه ، وشرف وطموح
همة في الأخلاق والطباع ، والإفان حياة المرء ستخيم عليها الأحزان وكسوها الغمام والظلام

وتتحول إلى مندبٍ كبرى يشغل الناس بها فيها عن تعمير الكون وإرساء قوائم السمادة .
فشفاء لسيرته ، يحتفظ بهموده ، ويمسح عبرات الآخرين مهما كلفه ذلك من عسر وشقة
فيو بال بما فيها ولو كان لهيباً ، وكل هذا حتى لا يثيرو غباراً في حياة الفير . فهو رجل
حرص على مثالية الأخوة والصدقة ، يحيل الشوك الساكن قلبه ورداً ناضرة تفتح للناظرين .
تنصتها أنوفهم فتطيب نفوسهم وتندمل جراحتهم فيرون الحياة وردية ناضرة .

وهو الذي يخلق السمادة في روحة . فقد عرف منهما والوصول إليها . . . يقول . . .

إذا أنا لم أجد حقلاً مريماً * خلقت الحقل في روجي وذهني

فكادت تملأ الأفراح كقسي * ويهيق بالشذى الفواح رذني

وتلك طهيمه الشاعر رسالته فقد خلق الله الكون ثم

خلق الشاعر كسى يخلق للناس عيوننا

تبهو الحسن وتمواه حراكاً وسكوننا

وزمانا ، ومكاناً وشخوصاً وشؤوننا

فاستمر الحسن في الدنيا ، ودام الحب فينا

(٧) الجبرية التي تظهر على نفس " أبي ماضي " في كثير من أشعاره . كان لها أثر كبير وتلك

القضية ظهرت مثلاً في قصيدة " الخلود " و " الطلاس "

فالمرء جاء إلى الحياة دون إرادته ، ويذهب منها مجبراً . . . دون أن يدري كنهه

قبل أن يكون وصد أن يفنى ، ويحار الإنسان دون وصول إلى حل هذا اللغز الأبدى

الذي يستكته كل مظاهر الوجود ويحيا بالجواب " وما أشقى قول الله تعالى " وما أوتيتهم

من العلم إلا قليلاً " والمرء حدود في معرفته . . . ولكنه - الشاعر " رأى أن الحزن فسى

الدنيا كبر ومير ، وشاق ومحرق وهالك ومهلك

فالحياة أقصر من أن نقابلها بالتأفف والتأوه والتشكى . والبكاء ولا سبيل إلى عيش ظليل

إلا بالرضا . نتقبلها أيما كانت فلا نتشاكى بها ^{بل} نبتهم راضين حتى لو غارت علينا الآلام . . .

وما على المرء إلا التماس الرضا من مظاهر الوجود فما في الكون شئ وجدير بتوليد الرضا

كمتشكى وتقول انك معدم * والأرض ملكك والسماء والأنجم

(٥٤٦)

وعلى المرء أن ينتزع الرضا من جوانب الآلام ، ويفعل في الدنيا ما تصل إليه قدرته . ويترك ما لا يستطيع (١) يقول .

أنا من قوم إذا حزنوا ■ وجدوا في حزنهم طربا
وإذا ما غاية عيبنا ■ هونوا بالترك ما صحبا
وليعلم المرء أن طريق السعادة جواز مروره الأوهام .
وأرى السعادة لا وصول لمرسها إلا بأجنحة من الوسواس

في هذا اللون المشرق يتوجه " أبو ماضي " مخاطبا العقل فهو الواعد المرشد والحكيم المجرب يستلهم الطبيعة ، والوجود في تقديم آراء قبول القضية ، يستنتج منها حكمة ونظريات ، ولا يرى فيها إلا الهدى للجمال وفي قصيدة " ابسمي " يدعو صاحبه التي عراها البأس من التلذذ بالحياة إلى الابتسام كالورد في الصباح والنجم إذا حسن السماء . (٢) . يقول :

أبسمي كالورد في فجر الصبأ ■ وابسمي كالنجم ان حسن السماء
وإذا ما كفن الثلج الثرى ■ وإذا ما ستر الخيم السماء
وتسرى الروض من أزهاره ■ وتوارى النور في كهف الشتاء
لاحلى بالصيفاء ثم ابتسمي ■ تخلقى حولك زهرا وشذا

والطبيعة كلها جمال ، فجمالها في كل مكان ، في الربى ساعة الأصيل وفي الجبال وقت المساء حين تبدو وكأنها رهبان تتعبد في صلوات سوداء ، وفي السواقي حين تشرثر وتناغي الأطفال الأبرياء . وفي البروق وهي تضحك كالمجانين . وفي ابتسامات آيار وروعتها . يقول النفس تخلق كل شئ

لاحين للحمن لاحد يقاس به ■ وإنا نحن أهل الحد والحين . (٣)

فالخطبة فكرة قبل كل اعتبار ، ولهذا نراه مرة ينظر فيوي الناس يرايين عابسين متجممين ، فسي

=====

(١) اشرنا الى رأينا في هذه الأبيات والمذهب في فصل "ظروفه الاجتماعية والنفسية"

(٢) " ايليا أبو ماضي " زهير ميوزا ١٢٦٠

(٣) الخواصل ٣٦

(٥١٣)
يوم عيد ، فيأسروندم ، فهم اذا كانوا كذلك في يوم العيد فما بالهم في باقى الأيام .
وتوجه إليهم مخاطبا في مقطوعة " انما النسيطة فكرة " يقول . . .

أيها الباكي ، رويدا ■ لا يسدّ الدمع ثغره
أيها العابس ، لن نـ ■ سطر على التقطيب أجوره
لا تكن صرا ، ولا تجف ■ سل حياة الفيو موره
ان من يبكى له حـ ■ ل على الضحك وقدره
سهل وترتـ ■ فالفتى العابس صخره

*** ** **

وتوجه في تفاعله . . . السى

— نفسه واصحابه باعتبارهم اول سائر على الطريق وقائدا للمسيرة فهو الذى يخلق الحقل فى
روحه اذا افتقده فى الحس . ويقابل المشاكل بنفس راضية " ايما كان الرضا وشفر باسم
وجه مشرق وعزيمة وأمل . . . تقرا له وهو يقول فى موقف الوداع . فى قصيدة " وداع وشكوى"
(١)

يا صاحبي تصبر فلترنما ■ عدنا وعاد الشمل أبهى رونقا
ان كانت الأيام لم ترفق بنا ■ فمن النهى بنفوسنا أن تزنقا
ان الذى قدر القطيعة والنوى ■ فى وسعه أن يجمع المتفرقا

وفى قصيدة " يا صاح " يناجى صديقه قائلا . . .

خلّ البكيا صاحبي والأسى ■ الليل لا يقصيه عنك النحيب
لا خير فى الشئ انقض وقتـ ■ والقنيل حاجة بالطبيب

— المتشائم من غير سبب ظاهري أوداء موجب . . .

أيها المشتكى وما بك دا . . . ■ كيف تخذوا إذ غدوت عليلا
ان شر الجناة فى الأرض نفس ■ تتوقى قبل الرحيل الرحيل
وترى الشوك فى الروود وتمسى ■ أن ترى فوقها الندى إكليلا

وأحيانا لا ينظر وهو بصدر الخطاب أو الحوار الى دا النفس وربما اكتفى بذكر ذلك فى قصيدة
" كم تشكى " أو لان كثرة الحديث فى هذه الأمور يدفع المرء الى التأمل . والتأمل فى الحياة

يزيد أوجاع الحياة .. والنظر في الموت والمصائب المختلفة والمفارقات مع عامل الزمن وطيبه
لغراض العمر . يشير نبات الاحقاد ويمدد بناء المذهب . وحينئذ يتدلق الدخان فيهدد
كل ساء ..

— المصائب بدهاء النفس وكراهية الحياة الذي وقع أسير المشاكل ، ووسط حومة التشاؤم ، —
وقصيدة " ابتسم " (١) مثال لذلك يقول فيها :

قال : الساء كهيئة * وتجهمها * قلت : ابتسم يتقى التجهم في السما !
قال : الصبا ولي اقلته : ابتسم * لن يرجع الأسف الصبا المتصرم !
وقصيدة كم تمنكي مثال آخر يروج بالواقعية في هذه الحياة .. ورضاه بها ارضاه لنفسيه
ان كنت خسرا لنا لمؤ قد مضى * هيها ت يرجعه اليك تنتم
أو كنت تشقى من حلول مصيبة * هيها ت ينفع أن يحل تجهم
أو كنت حاوزت الشهاب فلا تقل * شاخ الزمان فانسه لا يهـرم
* * *

* وأبو ماضي " سار يخرض ألوانا من مضايقات الحياة — التي تشكل عند المرء — كما شكلت
عنده — عقبات نفسية فتحرق سروره وترمي به في الجحيم .. فالتعاضد عن كل قبيح شئ " جنهمل ،

والذي نفسه بخير جمـال * لا يرى في الوجود شيئا جميلا
ليس أشقى ممن يرى الميثر مرآ * ويظن اللذات فيه فضولا

— كما راح يضح نفسه تحت مجهر زمني لينتقى منها ما كان سببا في كل ضوائقه ، ثم ينسج
البرهنه معتمدا على الواقعية الوجودية ، ، ليجد منفذا في نفس المرء يسلط منه عليها التفاوض
محاولا اعطاه بلاسم النسيان من هذه الآلام .. (٢)

وقد غلبت على اللغة والأسلوب التقريرية وهي المسحة الغالبة على الحكم وكثيرا ما يتحمل البيت
وحده معنى تاما . وهذه النظرة أشبهما تكون بالحكم وصاحبها بالحكيم ، والحكيم حين يفكر
يلتقط ما عن له من أمور بلا انتقاء ولا ترابط .

— أكثر في هذا اللون من أسلوب الحوار المحكى في صيغة القول الطريف . مما زادها طرافة
وحيوية وأثر على النفس البشرية التي تقبل هذا الفن من القول وخاصة اذا كان بعيدا عن كسل

(١) الخمائل ط ١٣ ٥٨ (٢) انظر قصيدتي ابتسم ٦٧٥ كم تشتكى ٦٣٠ ، كن بلاسا ٦٧٧

وكان يختم بعضها بأفكار هي في مضمونها خلاصة عامة • يقول في ختام عشر للجمال ٠٠٠٠٠
 خير وأفضل ممن لاحقين لهم * إلى الجمال تائيل من الطين
 ورغم ذلك • فالشاعر يريد من الانسان أن ينتزع من نفسه جزءا من لباس الشعور ، يدعو المرء
 كي ينتزع ركن المواطف الحزينة من قلبه (١) •

قال : الليلي جرّعتني علقما * قلت : ابتسم ولكن جرعت العلقما

فلعل غيرك أن رآك مرتما * طرح الكآبة جانبا وترنما

ويختم القصيدة بهذا البيت ٠٠٠٠

قلت : ابتسم مادامهينك والوردى * شبر ، فانك بعد لن تبسمنا

والطبيعة ميدانه الرعب الذي يستعير منه البراهيمن والدلائل لادخال الهدأ على النفس
 الانسانية ٠٠

٠٠٠ ويطلق أحيانا في أحكامه ففي قوله ٠٠

هو عبء على الحياة ثقيلا

من يظن الحياة عبئا ثقيلا

يضع مقياسا واحدا لكل البشر في هذا الإطلاق • ، وأود أن أقول إن في ذلك فسادا قسى

المعنى ٠٠

لكثير من الناس من يظنها ثقيلة فيعمل لها كل معمل من أجل تحقيق الأهداف أفي ذلك

غبار ٠٠٠٠٠٠٠٠ وليس يلزم أن يتخذ كل من رآها ثقيلة ٠٠

وأخيرا لا ينبع الجمال والسعادة من خارج النفس والجمال هو مصدر البشر والسعادة ٠٠٠٠٠٠

وعبنا بل عبث كبير أن يبحث الانسان عنها خارج نفسه •

والذي نفسه بغير جمال * لا يرى في الوجود شيئا جميلا

* الحنينين *

شعر الحنين في أبسط معانيه • هو الذي يتخفى فيه الشاعر بمسقط رأسه أو بلاده عامة أو بمكان نزل فيه وطابت له الإقامة ، وصقاله الخلان ،
 — وهو غناء يشيد فيه بجمال بلاده • ويبين مدى تعلقه الروحي بها ، كما يفتح صفحات الماضي الحلوة من ذكريات الشباب • ومرات الصبا • ومدارج الطفولة • وكثيرا ما تلمح سبحات الحزن الرقيقة تنشر كآبتها في الأعماق ، وعلى وجه خاص عند من لا يملك القدرة للذهاب إليها أو الحلول فيها منها كانت الأسباب وعند هؤلاء تلمح في حنينهم
 رومانسية طادة •

— والحنين قديم في الأدب العربي وفي كل عصر ، وتلك عاطفة توجد حتى عند كل

الحيوانات •••••

غير أن الحنين لم يأخذ الحجم والعمق والأثر والتفصيل الذي أصبح عند المهجريين فحنين القدماء كالأهلبيين لعبت فيه أصابع المصيبة ، فأصبح مرتبطا بالملاقات البشرية والمكانية الخاصة • وليس بالرابطة المكانية المطلقة كما هو الآن فقد أصبح الحنين راقيا يضم المتخفى به كل أناس ووطنه ويرتبط بجغرافيته ولاغرو فقد ولد فيه ومنه نشأ ، وقد رحبت المفاهيم عند كثير منهم حتى شمل الحنين العائلة البشرية كلها •
 فبينما كان في القديم • يحن إلى مكان القبيلة أو أمكه ترحاله لأن بها سعادا أو هندا أو غيرها ••••• من ذكريات ارتبطت بهذه الأمكة وقد لا يكون لهذه الأمكة ذكر في شعر الشاعر لو لم ترتبط بها الذكرى •

— فقد كان حنين المهجري حنينا إلى موطن الأهل والروح ، الوطن الذي هو نرة من —

ترابه وقطرة من مائه • فستان بين وجهي الحنين في القديم والحديث ••

ولكن ما هي الأبعاد التي وصل إليها " أبواضي في حنينه " ؟ وما هي حقيقة هذا الحنين

ودوافعه ؟

أما أبعاد هذا الحنين فتأخذ عنده اتجاهين ••

أولا : اتجاه مكاني : وينشطر البسي : (٥٥١)

أ - جزء كبير يهيم بما في لبنان من جمال طبيعي • أنهار • أشجار وفدوران •
وورود • رياحين وجبال شوامخ وشمس صافية • وهواً تفتحى معه كل عطية
ولليل وشحارير • • وحياة روحية هادئة وادعة • وسواقى مشرقة • • • • •
ب - هيام وحنين وحب لتلك البلاد التي قضى فيها وضرا ووجد فيه من مبتغى
سواء من الحرية أو الحياة أوهما معا • • وللبلاد والمدن التي له فيها
زكريات مع رفاقه : • • الخ

ومن • • هذه الأماكن • مصر • القاهرة - بلاد الشام - ملقود • أم القرى الخ

ثانيا : اتجاه انساني :

ويقوم حول تذكار الأهل والأحبة وفاق الصبا من تركهم في لبنان • يحن إليهم
ويرجو لهم حياة مخوفة بالكرامة مشوشة بالهناءة وفغد العيش • كما يحن الى كل -
من جمعت بينهم الأقدار من هم شركاء في البعاد • في حفلات تكريمية • يكوم
فيها بعضهم بعضا • فيذكروهم ويمنيهم بعودة محبوبة • وفي كثير من المناسبات
البعيدة عن هذا يخرج عن مجال المناسبة الى اعلان مواجعه ومفاجعه وحنينه
الصارخ الى بلاده • ولهذا أوكد ما سبقت الاشارة اليه من أن المناسبة ضد
أبي ماضي " في أمريكا خاصة " كانت تهيب لظهور الشعر • دون أن تصنع
ومن هذا الكثير • • •

أما دوافع الحنين عنده (١) فلا تكاد تختلف عن دوافعها عند أي مهجري • فقد اصطدم
هو لآ بحرارة الحياة ولهبب المادة • والتي نفتتها أبواق الحياة في أمريكا • وكان ذلك
بمشابة فارعة الهلاك الشديد لهؤلاء • • • • •

- ولهذا كان لابد من التخفيف • والتلطيف وتهوين الحياة على أنفسهم • فآخذ أبو
ماضي " يسترجع ذكريات الوطن البسيط في " لبنان "

وأول هذه الذكريات التي لا ينساها الأم • الأب الحنون الأخوة الكرام • وكان ذلك في

شعره قلبه • • •

(٥٥٢)

كما أخذ يستغرق في روى يتخيل فيها نفسه في الوطن مع رفاقه • • يتذكر روحانية وطنه
الصافية الرقاقة ، والطفولة العابثة البريئة • • والأ فكيف تتم مسيرة الجهاد في أرضه
غريبة من أجل المسيح والحياة • • ولكن كل ذلك لم يشف غليله ، فراح يضرب في الأحلام
كى يكسر حدة هذه الآلام • • إلا أن الإحساس الشديد بالضيق واللهيب وافتقار
روح الانتماية • جعلته يهيم في رباح هو جاء • • وهنا يأخذ حنيده • • •
— مرحلة التهايمه صارخة • الى جبال لبنان • وآله وناسه ومراتع صباه ، حيث كان يجبو
محاو لا الوقوف فيتمشتر ، فان لهذه المواقن في نفسه رعشات من الحب الصادق • • • • •
ولكن •

تخونه الطاقة الاحتمالية ، فمحاو الهرب الى ما يقتل وقته ، ويمتص غضبته الكبرى • —
ويذكرنى ذلك يقول الشاعر: —

والمستجير يعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

فقد انتقل من حيرة محدودة الى حيرة لاتحددها حدود ، فراح يضرب في حرب — من
الشكوك • ولهذا كانت مسيرة حنيده تمر بمراحل • • • الحنين العادى — الانسانى والمكانى
الاحلام — الهروب الى النفس وما وراء الطبيعة •

فالسمة المسيطرة على الحنين هو شوق الرماكان فى سالف الدهر فى أرض الوطن يشتاق
اليها وهو بعيد • فيجنى من ذلك راحة لخطية نفسية — تولد تعباً طويلاً ، ولا يهدأ
المرء أن يدب الحنين الى قلبه إلا بعد أن يشرب من مائها ويتمتع بروئيتها ورسومها • • •
والحنين عند " أبو ماضى " • ويتصرف كذلك الى مجرد التمليق بأرض الوطن يفهم ذلك
فى قصيدة " وداع وشكوى "

نفسى أخلدى ودعى الحنين فانما * جهل بعيد اليوم أن نتشوقا

— وأما الأ بحاد التى وصل اليها فلا تقف عند حدود " لبنان " ولكنها تتجاوزها الى " مصر "
والشام • وبعض البلاد العربية • • وبعض القرى الأمريكية •

— فمصر وطنه الثانى قضى فيه شطرا كبيرا من حياته " وليس عشر قرن بقليل " فى ميدان البناء
الفكرى والثقافى والأدبى والنفسى ، فقد لاقى من أهلها كل كرم واحترام • •

وقد كانت حفلة كبلاده ، والمصائب تجم المصائب

وقد اعترف الشاعر بفضل مصر وأهلها ودعى لها بالخير ، وكانت عنده لبنانا أخرى
بسبب ما له فيها .

وإعود فأعرض فروع حنانـــــــــــــــــه .

حسن الشاعر إلى الصبـــــــــــــــــا . يقول : (١)

■ زمن الشباب رحلت غير مسدّم ■ وتوكت للحمرات قلبى الوالها

ويقول (٢) فى حفلة فكرهية أقامها له صديقه " مالك الرومانسى " بكاليفورنيا

■ ياليتنا رجع الزمان الأولـــــــــــــــــا ■ زمن الشباب الضاحك التهلل

■ عهد ترحلت البشاشة ناضى ■ وأتى الأسى فأقام لا يسترحل

■ ولي الصبا وتبددت أحلامه ■ أودى به وسها قضاء حـــــــــــــــــول

■ حين إلى المنازل وما فيها وحولها (٣) كثيرا ومن ذلك قوله :-

■ فلك المنازل كم خطرت بما حها ■ فى ظل ضيغها وعطف فزالها

■ وثمة موت مع أطيارها ، وسهرت مع ■ أقمارها ، ورقصت مع شلالها

■ رسجنت للإلهام مع صفافها ■ وضحكت للأحلام مع وزالها

■ ففتفتاق عيني قبل يفضها الردى ■ لو أنها اتحلكت ولو يرمالها

■ ويقول : أرض آباتنا عليك سلام ■ وسقى الله أنفس الأبيــــــــــــــــا

وإلى الأهلـــــــــــــــــل . . . يقول : (٤)

■ فى المنزل المهجور أذكركم ■ فأخالتى فى جنة الخلد

■ أنتم مسى فى كل أدنية ■ والناس يحسب أننى وحسدى

وإلى مــــــــــــــــر . يقول : (٥)

■ لكن " مصرا " وما نفسى بناسية ■ ملكيكهنة الشرق ذات النيل والمهرم

=====

(١) " ايليا أبو ماضى " زعيم ميوزا ٦٠٥

(٢) نفسه ٦٠٦ (٣) السابق ٥٦٩

(٤) نفسه ٢٨٧ (٥) نفسه ٦٦٦

卷之三
三

• ۱۰۰ •
• ۱۰۱ •
• ۱۰۲ •
• ۱۰۳ •
• ۱۰۴ •
• ۱۰۵ •
• ۱۰۶ •
• ۱۰۷ •
• ۱۰۸ •
• ۱۰۹ •
• ۱۱۰ •
• ۱۱۱ •
• ۱۱۲ •
• ۱۱۳ •
• ۱۱۴ •
• ۱۱۵ •
• ۱۱۶ •
• ۱۱۷ •
• ۱۱۸ •
• ۱۱۹ •
• ۱۲۰ •
• ۱۲۱ •
• ۱۲۲ •
• ۱۲۳ •
• ۱۲۴ •
• ۱۲۵ •
• ۱۲۶ •
• ۱۲۷ •
• ۱۲۸ •
• ۱۲۹ •
• ۱۳۰ •
• ۱۳۱ •
• ۱۳۲ •
• ۱۳۳ •
• ۱۳۴ •
• ۱۳۵ •
• ۱۳۶ •
• ۱۳۷ •
• ۱۳۸ •
• ۱۳۹ •
• ۱۴۰ •
• ۱۴۱ •
• ۱۴۲ •
• ۱۴۳ •
• ۱۴۴ •
• ۱۴۵ •
• ۱۴۶ •
• ۱۴۷ •
• ۱۴۸ •
• ۱۴۹ •
• ۱۵۰ •
• ۱۵۱ •
• ۱۵۲ •
• ۱۵۳ •
• ۱۵۴ •
• ۱۵۵ •
• ۱۵۶ •
• ۱۵۷ •
• ۱۵۸ •
• ۱۵۹ •
• ۱۶۰ •
• ۱۶۱ •
• ۱۶۲ •
• ۱۶۳ •
• ۱۶۴ •
• ۱۶۵ •
• ۱۶۶ •
• ۱۶۷ •
• ۱۶۸ •
• ۱۶۹ •
• ۱۷۰ •
• ۱۷۱ •
• ۱۷۲ •
• ۱۷۳ •
• ۱۷۴ •
• ۱۷۵ •
• ۱۷۶ •
• ۱۷۷ •
• ۱۷۸ •
• ۱۷۹ •
• ۱۸۰ •
• ۱۸۱ •
• ۱۸۲ •
• ۱۸۳ •
• ۱۸۴ •
• ۱۸۵ •
• ۱۸۶ •
• ۱۸۷ •
• ۱۸۸ •
• ۱۸۹ •
• ۱۹۰ •
• ۱۹۱ •
• ۱۹۲ •
• ۱۹۳ •
• ۱۹۴ •
• ۱۹۵ •
• ۱۹۶ •
• ۱۹۷ •
• ۱۹۸ •
• ۱۹۹ •
• ۲۰۰ •

المرء لا يستطیع کم أنفاس العاطفة الإنسانیة فی نفسه ، والنفس الشاعر الحساسة أشد انفعالا واطهارا لهما یجرى فی مهدان النفس من عواطف . نهى مرأة تعكس كل ما یسقط على سطحها من خيوط التأثير مجتمعة فی لوحة تعبيرية رائعة . يتأخر الفكر والخيال فی اظهارها . . .

— وأما ذلك المرء الذى یجر قلمه ویحضر قرطاسه ویبدأ فی وخر فكره انسياقا وراء تأديته واجب اجتماعى فما صنع سوى الكذب الفنى .
— والرثاء من الأفراس الشعرية التى أنبتتها المحبة والوفاء ، و " أبو ماضى " يستقى رثاءه من يتابع الوفاء الصادق والحب الخالص والوطنية الحققة فی كثير من قصائده

* * * * *

وتتخذ قصائد " أبو ماضى " فی الرثاء اتجاهات ثلاثة .

١- رثاء الأحرار والوطنيين الذين قدموا ما عليهم من أجل العرب والعروبة وقضايا الحرية غیر آیه بنوعيتهم وجنسياتهم ، والدافع الحقيقى هو ما قدم هو لاء من جليل الخدمات لتحرير البلاد . وفى رثائه " لمصطفى كامل " ، " موسى كاظم " و " محمد عبده " . . .
أمثلة لذلك

٢- رثاء الأهل والأصدقاء الأوفياء الذين استحوذوا من قلبه على منزله عليا بما ظهر فيهم من إخلاص وحب ومساعدة له فی دار الاغتراب .

وله فی ذلك . كثير من القصائد . وفى رثاء الأهل " البدر الآفل " رثاء لأخيه " طانيوس " و " مصراع القمر " رثاء لأخيه " مراد " و " أبى " رثاء لأبيه .
وأما الأصدقاء " فالريحانى قال فيه " ما زال فى الأرض حيا " وفى تسيب عريضة ، لم يهدم الموت الا هيكل الطين " وهذا على سبيل المثال لا الحصر

٣- رثاء لبعض الراحلين انسياقا وراء تأدية واجب اجتماعى ، وتلمح فی ذلك المبالغة والتكليف فمن ذلك رثاءه للمطران رفاعيل هواوينى ، " جرج زيدان " .

فأسلوب الشاعر وعواطفه وتناوله للموضوع يختلف فى هذه الاتجاهات . وفى الاتجاه

صرفت شطرا لها فيها فما خشيت * نفس الحثارة ولا نفس من الوصم

ويقول :

وطنان أشوق ما أكون اليه ميسرا * مصر التي أحبيتها ومصرى

والى القاهرة يقول : فى قصيدة لقاء وفراق (١)

أصبوا إليها وأصبوا كلما ذكرت * غدى اشتاقا الى مصر وأهلها

لأن أهرامها الأطوار يا ذخنة * هذى الى جنبها الأخرى تسامها

والى بلاد الشام منفردة يقول : (٢)

حتى الشام مهتدا وتابعا * والغرظة الخضراء والحرايبا

وأهبط على يردى يصفق ضاحكا * يستعطف التلعات والأعشابا

روح أطل من السماء عشيبة * فرأى الجمال هنا فحن فذابا

والى الشام ومصر معا * والى لبنان وأهلها وما أكر ذلك وتجترى * بمثال فى هذا المقام

وخير مثال * الشاعر فى السما * (٣)

سكان لبنان العزيز وجلسق * حياكم عنى النسيم الوردى

وارجع الى الصفحات ٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ٢٩٩ ، ٥٨١ ، ٧٢٥ ، ٧٤٦

٨٢١ ، فى كتاب "إيليا أبو ماضى" زهير ميرزا .

وعن لبنان وسورية انظر ٦٢٦ ، ٢٦٤ ، ٤٩٨ ، ٦٨٣

والى البلاد المربيتصا ٢٢٠

ومع هذا فهو يملن أن الحنان زيادة للظما والنصب

لا تذكرين لى الحنان وما جرى * مجراه إنى قد قتلت حنانى (٤)

ونستطيع القول أن "أبو ماضى" قد غلظ حنينه الذى يتجاوز به حدود بلده . . . وركزه

بخلاف من الشعور القومى والروح الوطنية . . . إذ أن كثيرا منه يدخل فى نطاق شعوره الوطنى

والقومى .

=====

(٢) السابق ١٦٧

(١) نفسه ٨٢٦

(٤) نفسه ٧٣٢

(٣) نفسه ١٢٧

يحتذى ، ويظهره • قدوة للناس • ؟

ويبين ان فاجعته فاجعة الناس جميعا • فاجعة الوطن كله ، ويستغل المناسبة •
 وذلك - ما عهدناه - ليعرض لمشكلات الوطن وحكامة العرض والسياسة الاستعمارية
 حتى لتكاد تخرج القصيدة من مجال الرثاء الى مجال السياسة والوطنية ، ولعله يختار
 الرثاء ليهبت فيه لواعجه وآماله ، ويثبث ثورته في الناس عليهم يفعلون ما يريد • والحقيقة •
 ان موضوعات شعره يصعب فصلها فصلا دقيقا فالسياسة والوطنية والحنين تتداخل فسي
 أغلب شعرة المهجرى باستثناء " تبر وتراب " فما ظهرت فيه من ذلك كان قليلا •

أما عواطفه تجاه المرثى في هذا الاتجاه فلا تشبع فيها اللوعة والألم وحرارة الفراق
 بقدر ما تشبع فيها الوطنية والقومية : وربما رجع ذلك ايضا الى نبذة الانفرادية
 أو الى عدم الاهتمام بحياة الأشخاص بقدر اهتمامه بأعمالهم الوطنية ، وكما قال
 " فالمر الا بالمآثر فارغ "

- وتنوع أسلوبه بين الرقة والمنسف المرير • فيرق حين يتحدث في بدء القصيدة
 عن الفقيد وأعماله وأثره • ويصخب حين يتوجه الى الوطن والحديث عن كبلوه
 وأخروه • ، والأسلوب يتجاوب مع الحالة النفسية للشاعر •

أما الاتجاه الثاني فيدخل في مجاله رثاء أخوه وأبيه • وتميز رثاؤه في هذا المجال
 بالاجمال وأعنى بذلك أنه عندما يدنئ أباه يذكر أثر الصدفة بالجملة فلا يذهب
 بعيدا الى ما تركه الفراق وما كان يجوع من ثمار حياته ، •••• شعور بالجملة • إلا أنه
 شعور بنخيس أسي ولوعة حين ينظر فلا يرى عتدة شيئا يفيد في كسر شوكة الصوت
 فهو يأتي دون ما إذن • أو أدنى خوف وعند ذلك يفيض ألما ومرارة ، ويزيد ذلك
 تجدد صورة يجد نفسه أمامها مجبرا • ويميش فلا يجد للفز الموت حلا •
 ويغنى موضوعات هذا اللون الحزن العميق والحسرة الشديدة •

- أما أسلوبه فيميل الى الهدوء الحزين الذي تكاد تلمح من خفاياه ثورة خافتة وصخبًا

على الفراق وآثارة من جهة أخرى لعب الموت بالافراد يقول : في مصرع القمر (١)
 فصن كان والصبا يتشـنـى
 نال صنى الزمان ما يتمـنى
 وتجنن ما شاء ان ينجـنى
 حطم السيف وما أبقي السـروع
 هصرته يد الروى فانا آدا
 وأبى أن أنال فيه مرادا
 وأسبذت صدوفه امتـبـدا
 وتداعى دونه السور المنيع
 وأرانى المـسـير أطـوارا

وأما الاتجاه الثالث فيدخل في مجاله رثاء هؤلاء الذين لا تربطه بهم غير صلة شخصية . ضعيفة يشعر الشاعر من خلالها بضرورة الواجب الحتى في الرثاء . ، أو يشعر نحوهم بحافظة شخصية . في حدود ضيقة . . فهو يستجدي الشعر ليسعفه أو تظهر هنا قوة البهائم التي تتم عن كذب فنى وخروج العاطفة عن إطار الصدق
 ويبدو حديثه في الثالب عن أثر الصدمة بالنسبة للشر أو الال . كما يروج ضاربا فنى التهاويل فنور الشمس ضئيل . ، والليل في صمت وحزن ، والعالم كله تقطر قلوبه دما الخ .

ويتخلل قصائد آثار المصيرية على البلاد العربية أو موطن الموشى .
 يقول في رثاء لجرى زيدان (٢)

سرى نصية فالدمع فى كل محجر
 . . . وللنجم وهو النجم مشية ظالم
 كان قلوب الناس خلف الحاجـر
 وللأرض وهى الأرض وقفة حائـر

* * *

جلل فى مصر لكـن
 ماد لبنان ومـاد
 فى العراق صداه
 الشام لما سمعاه
 فرقدها وشمـاه
 قد بكاك الأفق حتى

. . . . هذا وقد يتخذ " أبو ماضى من الرثاء ميدانا فسيحا يتنفس فيه بالأم الوطن

(٥٥٩)
أو بث آراء شخصية تتناول بعض أمور الحياة . (١) وقد يخطط الراحل على انتقاله
إلى دار بعيدة عن الأذى وأقرأ له فلمش (٢٤٧) وتراه يقول : فيها
رحل الشاعر من دار الأذى
كلنا منتظر ساعة
وانقضت مده الليالي القدر
والمصير الحق ما ننتظر

==

إذا كان الفزل هو التائر بجمال امرأة معينة • متبوعاً بوصف جمالها المعنوي أو الحسى • والميل إليها •

وإذا كان أبو ماضى " قد أفرد للفزل باباً فى تذكر الماضى • فذلك من باب استيفاء الأغراض الشعرية • أو اختيار للشاعرية •••••

فأقول مبتدئاً انه من خلال ما يشئ لأشماره له يكن من الذين يتفزلون إحياءً لمحافظة سطت عليه • أو تعبوا عن شعور تولد من حب حقيقى تجاه امرأة بعينها وهو وان قال : - فى " تذكر الماضى " : -

أنا امام الذين هاموا	وأى قوم بلا امام ؟
فليس قبلى وليس بعدى	ولا ورائى ولا أمامى •
فهو القائل أيضاً فى ديوانه الثانى : -	
أنا ما وقفت لكى أشيب بالطلبى	مالى وللشبيب بالصهباء
لا تسألونى المدح أو وصف الدمى	انى نبذت سفاسف الشعراء
وفى قصيدة " فنون الوصف " (٤٢٨ موزاً) يقول : -	

ذر المدح والتشبيب بالخمر والمهين فانى رأيت المدح أليق بالشمر

فشعره فى هذا الباب نوع من العبارة • وتعبير عن تجربة مختلفة • ونوع من الانسياق وراء التقليد • فى المرحلة الأولى عند الشاعر وهذا الدور يعرّبه

كثير من الشعراء وليس كلهم كما قال أبو ماضى فى تقديمه لديوان نعمة الحاج " الجزء الأول " (١) وبعد هذه المرحلة نزع الشاعر عنه سجوف التقليد والجمولة •

والطفت للنظر انه اذا قلنا باحصاء لقصائده الفزلية نجد أن الأكثريه حملت ذكره

لاسم معين هو " هند " فهل تصيد لفزله هذا الأسم لتكمل عنده وجوه التقليد ؟

أهى فتاة رأها فقلت منه اعجاباً • وصنعت فى أعماق شعوره بوثرة لها • ؟ •

أم أنها أية فتاة تخيرها لينسج حولها . هذه الأشعار ؟ ما هي قصتها معه ؟
انه تاره يلقي عليها أثقالا من لومه ، وأخرى يتحوّل عنها ، وثالثة يحكم عليها و(زوات
جنسها بالتعرد . ورايعة يسلو عنها بخيرها ؟ وخامسة يهجوها . ما لم نعهد له
نظير في الشعر العربي . ولنسر معه وهند هذه لنرى من هي ؟

يقول في " قصيدة المودة " (٢٩١ - زهير)

فالمهند وكلّ حسنا هـنـد	كل يوم تهدو بذى جديـد
... قصرت همها الحان على اللهبـو	وباليت لهاها بالمفـيد
... ما حال الأزواج في عصرنا هذا	وساءت أحوال كلّ ولـيد
... لارعى الله زوجة تنفق الأموال	والعصر في اقتناء البرود

وفي قصيدة " لو " في ديوانه الأخير " تبر وتراب "

لو أننى يا هند بدر السمـا	نزلت من أفقى الى مخدعك
وصرت عقد لك أو خاتمـا	في جيدك الناصح أو اصبعك

وهنا بدأ الزمن ينثر فوقه الشيب . وتتساقط أوراق الشباب . كما تتساقط أوراق الخريف
وذلك ما يجعله مغنا للتفكير ونهبا للهموم والأحزان وهذه المرة يذكرها قائلاً :-

(٢٧١ - زهير)

ومليحة لا هند من أسائهمـا	كلّ وليمت كالحسان الخـرد
وافتحاح القصيدة .	

شوق يروح مع الزمان ويختـدى	والشوق إن جدده يتجدد
----------------------------	----------------------

تجربه غير عملية . تركت أرضها ببابا لا تخرج إلا بالجهـد . ، والشوق إن كان مقبـيا
في جوانب المرء عن طيب خاطر وحب فلا يتركها مادامت الحياة . وهو القائل

ان النساء اذا مرضن نفسفتي	فليس غير تدانسيهن يشفيهما
---------------------------	---------------------------

وفي حكاية قديمة ، (٢٤٧ " يقول :

وريت أمريكية خلت وددها	يدوم ، ولكن ما الثابتة ودّه
------------------------	-----------------------------

(٥٦٢)

صوت الى هند فلما رأيتهم ————— سلوت بها هنداً وما صنعت هند

ولأنه يحلن أنه يتخذ من ذلك مسلاة له في الحياة • وقتئذ •••••

وهذه الحسناء الأمريكية • ماذا قال عنها في نهاية هذه القصيدة حين خدعته ؟

شقى الله نفس لا شقى الله نفسها ولا غاب عن أجفانها الدمع والمهيد

••• هذا هو غزله وطريقة سلوانه بالفتيات • والنساء •

وفي قصيدة " العيون السود " (٣١٥)

يا هند قد أفنى المظال تصبري وفتيت حتى ما أخاف مزيدا

ما هذه البيض التي أبصرتها في لمتي الآلئالي السودا

علمت نفسي أن تسح دموعها بالبخل علمت البخيل الجودا

وفي " الغابة المقودة " (٨٢١)

يا لهفة النفس على غايمة كت وهندا تلتقي فيها

••• جنة أحلام وأحلامها ودار حبي وتصابيحها

ومن هذه الأبيات التي لا تحتاج الى انفاق جهد لما تبديه أخلص الى ما يلي :

١ - تاقت نفس الشاعر الى أمان عذاب وهي ما يتمناها كل مهاجر من تحقيق

للنجاح المادي والنفس ومن خلال ذلك فله أحلام يؤسس بنيانها ، ويبدو أن فشله

في تحقيق أهدافه في بداية الطريق • أمر قطع عليه خوض التجربة ومواصلة السير

قدراح يتفنى كلما حن الى أمانى الصبا الحلوة •

٢ - هذا الاسم " هند " تصيّد الشاعر وصار يطلقه على كل فتاه عربية

حينما تسول له نفسه السير في هذه الطريقة •

٣ - الشاعر له - كما لنيرة - حرية الهيام بالحسن والسجمال • البشـرى ،

ولكن يأبى ميدان الفن أن يقبل التجارة التي لا تنجم عن تفاهم وحب صادق • كجارب

إلياً في هذا المجال • وما جاء به الشاعر فقد فشل فيه . وربما يرجع بعض من هذه

(٥٦٣)

الأسباب إلى مزاجه وجفافه وعصبته

مقتنما

٤ - بعد أن تقدم بالزمن لم يمد الشاعر ^x بالفزل كقروض يليق بالشعر.

٥ - الممدح والتشبيب بالخمر والنهي فاني رأيت الوصف أليق بالشعر
اتخذ الشاعر من هند رمزاً الأيام الصبا وذكرىات الشباب . فبعض من شعره التي
ذكر في ذلك . ميل وحنين إلى الصبا .

كما اعتقد الشاعر إلى حدّ الجزم أن الغائيات ليس لهنّ ودّ أبداً ، ولهذا فلسين
جديرات بالحبّ أو التفكير في منازلهم .

وفي بعض القصائد التي ذكر فيها " هند " ينسلخ إلى الحنين والحديث عن
الوطن كما في قصيدة " لقاء وفراق " .
" ثلاث نساء في حياة أبي ماضي " (١)

ولو أننا نظرنا في قصيدة الرقيقة اللطيفة العميقة . الشهيرة . في الفزل والتفائل
لوجدنا اقتناعاً بما ذكره . " جورج سليم " في كتابه " إيليا أبو ماضي " على لسان
الصحف المصرية " خيرية خيرى " يقول :

سمعتة - وأنا جالسة أمامه وجهاً لوجه يقول لى .

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء غاصبة الجبين .

والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهديين

لكن عنياك باهتتان فى

سلى بماذا تفكرين ؟

سلى بماذا تحلمين ؟

ولما سألتها أواخر عام ١٩٥٥ عن أحبي قصائده الفزلية كتب هذه القصيدة كلها ،

===== ١ -

١ - عن جوان ٣٢ إيليا أبو ماضي جورج سليم

وكان ذكر هذه الأبيات يولد في نفسه ذكري عاطفة قديمة .

— كما اختارها لتكون ضمن مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ . إن سلمي هذه امرأة

ظل يذكرها حتى أخريات أيامه ، وينبض قلبه بحبها وخذلها في جداوله .

إنها أم الشاعر . " سلمي ابنة جرجس اسكندر " من صحبته لبنان . أم مراد ،

وايليا . الذي تذكرها حين كانت شابة نضرة . ثم تصورها في غيبته وهي تطرق أبواب

الشيخوخة ، تخيلها واضمة رأسها بين يديها . فراح ينظم هذه الفريدة وما ذلك

إلا تعبيرا عن حب عميق خالص . كالذي ينطلق من الأبناء نحو آبائهم .

وفي قصيدة " أبسى " يتحدث عنها طالبا منها أن تبسم ، فهي تسيو على وجحة

الماء فينهما كثير من أوجه التشابه في الجو المسيطر على الشاعر وأفاقه .

ويكفي أن تعرف أنها . تزوجت ظاهر (ضاهر) بن ايليا بن طانيوس أبو ماضي .

وأنجبت له ستة أولاد ،

" مراد ، ايليا ، متري " ديمتري " ، طانيوس ، ابراهيم ، جنيني (أوجيني) .

ولما مات طانيوس ومتري و ابراهيم ، وبعد وفاة جنيني وذلك ربيع عام ١٩٢٣ ، رحلت

إلى نيويورك ، وظلت هناك حتى قضت نحبها . بعد أن تزوجت ثلاث عشرة سنة

وذلك عندما مات زوجها بعد رحيلها إلى نيويورك بحوالي سبع سنين فقد عاد ليلقى ربه

في لبنان ، ووجز الأران " أبو ماضي كان محبا لها ووفيا ، شوقا عليهم

أما الثانية والأخيرة في ترتيب الأسرة فهي أخته التي أحبها حبا جما . وكانت تتعاطى

مهنة الخياطة . واقترنت عام ١٩٢١ بالشاب " ابراهيم نحر الخوري نعيمة " من

قوسايا البقاع ، وانتقلت والدتها ووالدها ليقبلا معها ولكن واقتها المنية أثناء ولادتها

الأولى . وقد خلدتها ب مقالاته النثرية ، في مرآة الغرب " (١)

=====

أما الثالثة • فهي •

درسى : ابنة " نجيب موسى دياب " إقترن بها ايليا أبو ماضي عام ١٩٢٠
 واستولدها " رتشد " و " ادوا رد " و " روبرت " والمؤسف انهم
 تقلدوا بالقلاد الاجنبي ثقافة وتعلما ولفة وعميلا
 وهذه الزوجة ظلت معه حتى الوفاة ، وقد خلدها الشعر في قصائده
 " بلاه أم نعمة " و " غرافية " ، " تعالى " ، هدية العيد " ،
 " قائله " (٢) .

— وما ظهر من شعر لها ولعلسى يحمل طابع الطرافة والحب العميق •
 أما ما جاء له في النزل السابق • فأضيف الى ما قلت قول : " جورج سليم "
 ويصدر بالحديث عن النساء في حياته والنزل • أن " أبو ماضي " أما
 تقلدوا أما قاصرا واما شاطح بخياله (٢)

ومن هنا نكرر أن الممق الشعري والحرارة العاطفية تلازم الشاعر حين يكون
 الصدق الفني الذي تتجلى عمدة في صدق العماناة ...

=====

١ - السابق ص ٥٣ وما بعدها •

٢ - السابق ٤٥

(٥٦٦)
((المهجس))

قال : " ميخائيل نعيمة " عن أبو ماضي " في المرحلة الثانية (١٧١) سيمون انه " صقلب في صداقاته ، وعداواته ، حيثما تطلبه مصلحته ، فيه شئ من طبيهة العقرب ، صادق الريحاني زمانا ثم انقلب عليه ، فاتهمه بالتجسس للأجانب . ونقم على جبران فكتب عنه مرة في " مرآة الضرب " في صدر الكلام عن مرضه وقال " العقل السليم في الجسم السليم " وتابع " نعيمة يقول ودونها أي صهب أعرفه . كتب مرة مقالا . يهجو في فيه أفذع الهجاء ، ثم لم يلبث بعد هذا أن كلفني كتابة المقدمة لديوان الجداول " فكتبتها ، واشتبت قبيل وفاته بقليل في مهاجرة صحيفة مع " عهد الصبح حرداد " بلغت منتهى البشاعة والندارة من الجانبين . "

والثقلب أرضية صالحة وفضاخ مناسب للهجاء ، وما أكره هجاءه الاجتماعي ، والسياسي وقد سبق الحديث عنه . في الوطنيات والاجتماعيات ، ولكن أنواع الهجاء كثيرة . لا تقف عند ذلك . ، فهناك الشخصي والديني . الى جانب ما تقدم . ، وقد حاول الشاعر أخفاء كثير من ذلك . (١) ولكن أنى لمن ظن بين اثنين أن يختفى)

أما هجاءه الشخصي فكانت تدفعه اليه عوامل متباينة منها الاساءة لشخصه أو مهاجمته سواء أكان ذلك في شعره أو موهبته . أو لفته . أم في شئ آخر .

ومن هجائه الذي دعاه اليه هذا السبب مقطوعة " وقال ينقاد حدهم " (٢)

إني أنا الأسد الهصور بمالسة ويل لقوم حاولوا احراجي

=====

١ - تعرضنا لذلك اثناء الحديث عن الهجاء كغرض من أغراض الشعر . عنده .

٢ - ايليا أبو ماضي - ز . موزا ٢٣٢

مما ولت أن يحتاجني من هوى نفسي ■ لتال ذكرا ه خبت يا فدا الراجسي
 عار إذا أنشبت فيك مخالبي ■ إذ ليس من خلقى افترا من نجاج
 وظننت أنك بالغ شأوى إذا ■ رمت القريض فما ظفرت بحجاج
 إن القوافى كالخرايد منممة ■ وتفوقها فى نهذ كل مسداج
 خذها مثقفه إذا وقمت على ■ جبل لأزعج أيما ازعجاج
 أنا خير من قال القوافى مادحا ■ أنا خير من قال القوافى هاجسي
 قد كنت زهد في الهجاء لو لم تكن ■ لك يا مريض المصحب ه خير علاج
 وينهد سفاسف الشعراء لمخالفتهم مذهبه ه وهذا ما جاء فى قصيدة القسي
 لا تسألونى المدح أو وصف الدمي ■ إني نهذت سفاسف الشعراء

وهذا السبب:

باعوا لأجل المال ماء حياتهم ■ مدحا وبث اصون ماء حياتي
 والبحث فى هجائه يراه لا يتمرر لذكر الأسماء ما عدا قصيدة واحدة * إلى التابع
 العاوى * وهى القصيدة التى مثلنا بها فى غرض الهجاء * وهى فى هجاء * أسعد
 رستم * لما بينهما من معارضات * يقول *:

يا كلب سوق ويا خنزير مذبلنة ■ يا جيفة ما تحامى الناس الآهنا
 على الدروب كلاب مالها عدد ■ لاشك أنك أعداها وأهواها
 وإنما الناس فى أمر قد اختلفوا ■ هل أنت أسعدها أم أنت فقها
 إن السفالة لو تأوى إلى سكتي ■ كالخلق لم يك إلا أنت ما وأها

وقد بلغ هجاءه فى هذه القصيدة حدا بالغاز فى الإقذاع واللذوع والثورة الصاخبة

فى النفس حتى جعل المهجو لا يوضع فوق ميزان *

وأما القصيدة التى عنوانها "يانوح أين دلائل الطوفان" والتى لم تعرف مناسبتها
 فيلغز فيها عن اسم المهجو * (١) وهذا كل ما ظهر من أسماء والغاز فى هجائه يقول

=====

مابال مصفوع المفارق والقفا * يهذى ، كمن قد بات في سجران
 لاتحسدا ، ياأخديعه ، قذاله * عندي لكل منكما نعلان
 بل ما القلوب اسمه يخفى اسمه * والحسن لا يخشى من الاعلان
 ويتجه جزء ليمر بالقليل من هجائه إلى المسيئين إلى الوطن والمشوهين لصورته . امثال
 " الشحاذة " ، المتواكلين الذين لا يقدمون للوطن غير الركود والكسل ، مما يؤدي
 به وحياة أبنائه ، ويطردهم بعيدا عن دائرة الحياة الكريمة " وخير مثال لذلك " السى
 كل حامل كشكول " (١)

وفيهما يقول :-

يا صاحب الكشكول طال لك البقا	أسفى على الكشكول كيف تمزقا
ما أنت أول ذى رياء أخفقا	لا يحزنك اليوم إنك مخفق
متبجحا ، متنظما ، متفهبقا	كم ذا تطوف فى المدائن والقرى
متلقا ، من يحشق المتلقا	توعدا كل امرئ مستخف
فمتى أراك على الورى متصدقا	خلت السنون وانت تستجدى الورى

وهكذا يختلف طابع الهجاء فهو هادى ، احيانا ، ناثرة ثورة صاخبة حينما تكون الدوافع
 شخصية بحتة ، وعندها يتخير أتبج الصفات واخسها كالناجح ، والكلب ، والخنزير
 والتيس والبومة ، والنذالة الخ

واعتقد أن ذلك يوحى بشئ من شخصية ايليا أبو ماضى " على حقيقتها
 الغضبية التقليدية المتقلبة يتحول فيها لسانه إلى سوط يلهب ظهور الخصوم
 وفى ثورته ترى الاسلوب النقى البعيد عن مصاف التقرير والذي يدخل من الباب
 الواسع فى دائرة الشعر الحسن .

=====

الحِكْمُ (٥٦٩)

دوافعها * * اتجاهاتها

=====

الحكمة : هي ثمرة تفاعل بين العقل الواعي والحياة . بما فيها من تجارب وخبرات

موجهة إلى الإنسانية رغبة في تحقيق السعادة .

وهي : قول موجز يحوى فكرة عميقة يعبر عنها تعبيراً صادقاً أو تعبيراً عن أمر أو معنى

أو موقف أو حادثة

وهذه : الأقوال المأثورة ليست قصراً على مكان قائلها أو زمانهم فقد تلائم مساحة

زمنية ومكانية أكثر من ذلك .

والحكمة ليست عصارة دهر . بل هي مخاض الدهور ، وخلاصة نور الفكر واليقين

وطريق إلى الحقائق السامية

وتختلف الحكمة باختلاف المصوّر والبيئات ، وذلك لا اختلاف التجارب والخبرات

في كل بيئة .

وتسير الحكمة تحت ظلال نفس صاحبها ، ومن هذه الحكم ما يعالج أخلاق

البشر ، ومنها حكم تفيض بالقوة ، وأخرى تنبئ بالكآبة والتشاؤم

وغيرها بالتفاؤل ، ومنها ما ينبع من آلام القلب الجريح

قد ترد متأثرة بفلسفة صاحبها

* * * * *

وحكم "أبو ماضي" تسيل من تجاربه الشخصية وعصاميته وظروف حياته . وهذا ما يكون

منها الجزء الأكبر ، وقلة منها تجسّد تأكيداً وتأييداً لحكم سابقة وفي ثوب آخر .

وحكم الشاعر تتسم بالبساطة التي يتوخى منها الفائدة لكل البشر على اختلاف ثقافتهم

أما ظروف حياته . فقد ذكرناها سابقاً ، وهي لا تتجاوز كونها هجرة وتجوّلاً وترحالاً وعمل

وتنقل بين كثير من البلدان ، احتكاك بالناس ، وتعامل معهم مما أكسبه خبرة كبيرة فسي

الحياة ، وتعرف عميق على البشر *

كما عانى عيشة قاسية يعانى من الشقاء والفقر الذي لم تخف وطأته إلا فى أخريات أيامه . . .
 فحكى ولادة لظروف حياته العروية وخبراته ومعاملته لبني البشر الذين رأى منهم كثيراً
 من التحديات . فى آرائه . فى آدابه الخ
 ولهذا جاءت حكمة دقيقة صائبة وملونة بالحسرة والألم أحياناً ، وبالتفاؤل أحياناً أخرى .
 وأبو ماضى " فطرت نفسه على حب الوطن والحرية وتقدير المساواة ، والاعتداد بالنفس
 والطموح . والتوقى إلى المثاليات . ومقت الكبر والرياء ، وهذا ما يجعل حكمه تميل
 إلى القوة أحياناً وإلى الترفع عن الدنيا أحياناً أخرى كما تشمل محاربة الذل والمهانة
 واليأس ولهذا
 تدمر حكمه حول القوة والحرية والوحدة ومحاربة التمسب ، والطائفية والدعوة إلى العمل
 والابتسام وعدم الاتكال على الأوهام . . . وهذا ما يبين أصالة النبع الوطنى والقومى عنده
 فلقد تداخل ذلك فى كل أغراضه الشعرية .

* * *

وتأخذ الحكمة عنده هذه الاتجاهات

حكمة الطموح والقوة

ومن ذلك :

ومن نال منه السيف وهو مجسود

وقوله :

وما الناس إلا عبيد القوي

أشد من الدهر مكرًا نبوه

وقوله :

وإذا الليث هتأظفاره

وقوله :

إن حياً يهاب أن يلمس النور

وحياة أمد فيها التوقى

وقوله :

لاشى يدرك فى الدنيا بلا تمسب

تهيب أن يرنو إلى السيف مغمدا

فكن ذاك أو كُن بلا شاكرو

فويل لمن ليس بالماكرو

أنشب السُّنورُ فيه ظفَره

كميت فى ظلمة الأكلان

لا تساوى فى العيش بضع ثوانٍ

من اشتبهى الخمر فليزج دواليها

وقوله :

إذا المرء لم يمسح لخير بلاده
 - حكمة الأخلاق التي لمبش من الولا
 يكن كالذي في حضرها بات ساعيا .
 من بين بعض لبناتهما .

وقوله ذلك :

اتخذ أخا يكن لك عوناً
 كل نفس محتاجة للأخيار

وقوله :

ليس التعمد عزلة وتنسكاً
 لكنه ضبط الهوى في عالم
 في الدير أو في القفر أو في الضباب
 فيه الفواية جمة الأسباب

وقوله :

ماذا يفيد الصوت مرتفعاً
 ان لم يكن للصوت ثم صدى

وقوله :-

وشر المزايا أن يصيبك حاديات
 وتجهر بالشكوى وفي وسعك الصبر

- حكمة الأمل . المشوب بالخيبة والضراعة :

من ذلك قوله :-

ومن عصبت عيناه فالوقت كله
 لديه وان لاح الصباح ، غروب

وقوله :-

قل للألى يشكون دهرهم
 صبراً إذا جلل أصابكم
 فالتسر آخره إلى اليسر

وقوله :-

من يطلب من غر نصراً
 لا يجنى إلا أقداراً
 كالمطفيء بالزيت الجمراً
 من يحضن ، يا قوم ، الهماً

وقوله :-

من كان يشرب من جداول وهمه
 قطع الحياة بخلقة لا تفق

(٥٧٢)

— حكمة الدين الحمى .

قوله :

ليس المبذر من يقلب دراهمه
إذا ارتدى المرء ما فى الأرض من بريد
ليس الكفيف الذى أمسى بلا بصير
إن المبذر من للدين ما صاننا
وعاف للدين برداً عاد عياننا
إنى أرى من ذوى الأبصار عياننا

ههههه

سبق الحديث عن هذا كفرض شعري ، وذكرنا أسباب ندرة هذا اللون عنده وتتممة
للموضوع نعرض على أي حال ، لعدة واضح الفخر واتجاهاته عنده .

والفخر :
===== هو ترجمان لوزنات النفس ، وتطلعاتها إلى ذاتها ، والمكانة التي

ترجوها ، وهو على ندرته البالغة لدى " أبو ماضي " يتخذ اتجاهين .

أولاهما : اتجاه عام ، أو فخر جماعي . لا يهدف إلى ذات الفخر ، وإنما

لائارة مشاعر العرب . الذين يتوجه إليهم ، أو الذين يفخر بهم

علمهم يسيرون مستأنسين بسيرة الأبناء والأجداد الذين نشروا

أسماعهم في الأفاق بما كان لهم من قوة وحضارة ، وأنك لتحس بسحب

الحزن التي تنزلن النفس ، وتنقبض معها الروح بسبب ما آلت إليه

حالة قومه من سوء . وهو في هذا الاتجاه .

يفتخر بالشرق يقول :

أيها السائل عني من أنسا أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي

وفتخر بماضي العرب المجيد ، فيشير عليه ذلك زلزلا من الهم على حاضره . يقول :

تأملت ماضينا المجيد الذي انقضى

وكيف أمحت تلك الحضارات كلها

وأبناء لبنان معللا هجرتهم :

لبنان لا تهجر بنيك إذا هم

ركبوا إلى العلياء كل سفين

لم يهجروك ملالة لكم

خلقوا لصيد اللؤلؤ المكسون

والنسر لا يرضى السجون وأن تكن

ذهبا فكيف يحاسب من طين

ومعدالة قومه ويحدهم عن الظلم . يقول على لسان جارته .

وأنت من أمة تأتي خلافتهم ————— أن يقتل الطير في الأقفاس سجان

ثانيهما : الفخر الشخصي • فيدور حول الافتخار بالحريّة •

وما أنا بالعبد الذي يرهب العصا ————— ولكنني حرّ تروع بيح ————— وادره

وأديه ((قلمه وشعره))

وما كان نظم الشعر رأى وإنما ————— دعاني إليه الحبّ والحبّ ذو أمر

ولى قلم كالرمح يهتز في يدي ————— إلى الخيو يمتنى والرماح إلى الشرّ

ويمتلكه من جوانب القول كتمكن الأميو من إمارته • يقول • بصدر مقابلته لدروشى •

في مهجره قبل الزواج •

همست فأنكرني مقولسى ————— وشاء الفرام فلم أهجس

كأني لست أميو الكلام ————— ولا صاحب المنطق الأنفس

بالحائس :

أنا كالطائر الذي أندفق السحر عليه ففصّ بالألحان

بعلوهمته • وكلفه بالملى والإصلاح •

إني امرؤ كلف بإدراك العلى ————— دأبى الجهاد وظاهتى الإصلاح

وهذه الأبيات القليلة — كما يبدو لى — ما هي إلا وسيلة • يحارب بها سـو

ظنّ الناس • ويورد بها ضمناً على نظراتهم إلى فنه • أو انتفاضة في وجه الظلم

أو أعجاباً بنفسه وتمزية لها • ولهذا غلب على هذه الأبيات الصرامة أحياناً

والهدوء أخرى •

(٥٧٤ م)

الباب الرابع

الفصل الثالث

ملائح التجسس في شمره

=====

أولا : فى المحتوى .

~~~~~

## \* الاغتراب وضممه \*

" أبو ماضى " من أولئك الشعراء الذين عاشوا حياتهم الشعرية غرباً ، وغربتهم إجبارية - تقريباً - صنعتها . ضمنية ذئاب البشرية ، ومخالب القدر الأثمة .

وبالطبع غربة " أبو ماضى " فى مصر تختلف كثيراً عن اغترابه فى مهجره " أمريكا " . ففى مصر لم يكن لها اللوعة والأسى التى احترق لهما فى نيويورك . ، ولا عجب ففى مصر عاش بين أهله ، وفى وطن عربى تجمعه ولبنان جغرافية مشتركة ، ولهذا عاش مع التجارة والتكوين الثقافى دون شعور بغربة روحية ومن المعروف أن " غربة الأجسام ليست باغتراب " وهناك راح يمتدح من عمالقة الوطنية ودعاتها . حتى وجد هذا الاتجاه لدية متنفساً كبيراً وعميقاً ، فظهرت له أشعار فى حب الوطن ومقت الظالم وأعدائه المجرمين . . . . .

بينما شعر بغربة روحية مضطربة تعمل فى كيانه بعد رحيله إلى أمريكا ، وما أجمل قوله . ( ١ )

والسنا حولى وروحى فى ضباب  
وكأنى لم أذق غير سراب  
حيرة الزروق فى طاغى الصباب  
لست فى أرضى ولا بين صحابى  
وبالروح فى الشرق على تلك الهضاب  
ولیکن للخيرو فى الأخرى ثوابى

جمعت والخبز وفيؤ فى وطابى  
وشربت الماء عذبا سائغاً  
حيرة ليس لها مثل سـوى  
ليس بى داء ولكنى امـرؤ  
... أنا فى نيويورك بالجسم  
... رب هبنى لبلادى عموداً

- ومن قدر الغربة الحامية . ( ٢ ) راح يفيض شعرة حنيناً وأنيناً ولوعة وأسى . . . . .

=====

( ١ ) إيليا أبو ماضى شاعر العربية الأكبر زهير مبرز ١٥٣ - ١٥٤  
( ٢ ) انظر الفصل الخاص بالغربة وأثرها فى شعر أبو ماضى فى هذا البحث

وان كان قديما في الشعر العربي . فهو عند " أبو ماضي " جديد . لامن حيث الكثرة ولم تأت الجدة من تفوقه في تصور مشاعر الألم والحب ، ولكن الغيرة في الشعر القديم صنعت شعرا . ، بينما نراها عند " أبو ماضي " صنعت فكوا وشعرا وشكاً وتمرداً وعمقا وحبا خالداً . .

الحنين في الشعر العربي القديم يرتبط كثيرا . بزمان تزوج الشاعر عن وطنه الصغير " مكان القبيلة " أو ديار المحبوبة . . . . . ويستحيل الشاعر تحول طاقتة الشعرية إلى غرض آخر .

أما حنين " أبو ماضي " المتولد من الغربة . التي هي قدرة المحتوم . هذا الحنين يركن هائل ولد أيضا من شعر الحب الصافي الخالد .

غربة " أبو ماضي " صنعت في حياته الأدبية كل شيء : اللجوء إلى الطبيعة . الحب التأمل . النزعات التضاربية ، الثورة المستقلة بالحسم على الظالمين . ، والتعود على رجال الدين ، البكاء على مأساته الكبرى ، التعاطف مع أفراد بلاده ضد المسف والجر ، اللجوء إلى الأحلام . الهرب من الواقع . النفس والتأمل . والشك الرهيب الثقيل بالحيرة . الغربة أشعلت في قلبه كل لوعة وألم . يقتاتان من التذكار الدائم للوطن وما فيه . ، وترويه الحياة الأليمة الشاقة في المهجر . . . . . ، وكل شيء يمتري الهرم والضعف يعبر قوافل الزمن . إلا الحب والحنين كلما مرت الليالي عليها يزدادان قوة وشبابا . . .

وقد سمّت الغربة حينه في مراحلها الأولية بذكر لبنان وساكنيها . وما فيها من حسن المبدع ، وما أرق الحنين حين يستمد روافده من " لبنان " الجميل .

والحنين لا يتوقف عند حدود الشوق إلى بلاده ، بل اختلط به ذكر أمجاد ، وأمجاد قومه . وماضيهم المشرق ، وحاضرهم المرير ، ومستقبلهم التي تخيم عليه السحب القائمة . ، والسياسة والظلم وآله . . . . . الخ .

(٥٧٧)

الغريبة : جعلت من شعر " أبي ماضي " سلسلة متماسكة ومتداخلة تداخلا  
يصعب معه أحيانا فصل موضوعات شعره فصلا دقيقا ، وما أخرجته قسريته في هذا  
المجال . (١) قوله عن بلاده .

قالوا أليس الحسن في كل الدنيا ؟  
فصلي لم تمدح سواها موضعا .  
فأجبتهم اني أحب الأحسننا  
ابدا . وأحسن ما رأيت ببلادي

\* \* \*

قالوا رأيناها فلم نر طبيبا  
ولى صباها والجمال مع الصبا  
فأجبتهم لتكن بلادي سببا  
قفرا . فليست أحب غير بلادي

والغريبة : جعلت " أبو ماضي " ينسحب من الواقع الأليم معلنا عن هزيمته أمام  
مظاهره وقائمه ، فأسرع فيارا إلى الغاب والنفوس والطبيعة ، وما رواه الطبيعة ،  
وسحب الهموم تخيم عليه . . . وخيالات الأحزان تتابعه وأشباح الخوف تتهادى  
حوله من كل جانب ، وهذا ما يحتر آماله . وانقض على وكسر أحلامه ، فواج يجسوب  
الآفاق الكونية .

النفوس وكسبها وما يتراحم فيها من ملائكة وشياطين ، الحياة بما حوت ، وهل بمددا  
بمك وحشر . ونشور ؟ . أم كل ما زعموا بهتان وزور ؟ . عزله قاتلة . وهذه  
العزلة الكئيبة ، والحزن الداكن ، واللجوء إلى الطبيعة والتعبيرات النفسية التي

=====

(١) ايليا أبو ماضي . . . . . زهير مهزنا ٨٥٩

(٥٧٨)

حممه النفسية كل هذا لئلا يكون من أشعاره بصيغة رومانسية حزينة . ومن بعض  
أشعاره في ذلك " ابنة الفجر " (١) ، " الناسك " (٢) ، " السجينة " (٣) حياة ثانية

كليّة . بما فيها من .....

غربة . إحساس بثقل الحياة كمادية رهيبية تتناقض مع مكوناته الأولى ، وعالمه  
الروحي . كل هذه أمور ألفت به وسط أمواج الحياة القاسية . التي صوّته صيدا  
ثمينا تفرسه مهالكها وشرورها . وهذه أمور أعققت به ووجهته إلى مواجهة  
القضايا " الوطنية والاجتماعية وكل ما يمسّ بلاده .....

وما أكثر ما قال : لو سمح المقال . ولكن سوط الظلم كان شديداً . وأشدّ منه  
أمواج اليأس المتلاطمة التي تبيحت من هذا الواقع الأليم . وأمام ذلك راح ينشد  
الخلاص من هذا الواقع : وأنتى له ذلك . وقد سواه الله بعقل وروح .  
ولهذا عاشر وسط بحر متلاطم الأمواج متضارب النزعات والآراء . وماذا يفعل ؟

(\*) (\*) (\*)

تغنى باللذة ولها كما غنى للألم ، وجمال الكون . ومواطن البهجة في الحياة ، ورغم  
ذلك فقد أحس إحساساً شديداً بما في جوانبه من يأس شديد جعله يحس بمبشية الوجود ،  
تشاؤم مرير . سار فيه مجرى الدم في المروق ، فخرًا كقرق بين أمواج الحياة ،  
وهذا الموقف التشاؤمي . يستند على فكر " ايلياثي " خاص . له أعماقه ، تدخلت  
في صنعة الظروف الحياتية ، وقد ظلّ زمانا يرفع عليه ستارا من التفاؤل الذي نبع من  
موقفه ، الذي هو ليس بالفكري ، ولكنه التفكير الإنساني . . . بالإضافة إلى أنه مذهب  
أخذ نفسه به ، والحياة إن كانت قد حطمت أباريقه ودنّته فلم تحطم روحه .  
يقول في قصيدة " وقائفة " في خمائسه .

=====

(٥٧٩)

فما حطمت يد الأيام روحى  
والله حطمت أباريقى ودنسى  
ولم أقعد على خوف لسانى  
ولا ضننا على الدنيا بفى  
ولكنى امروء للناس ضحكى  
ولى وحدى تباريحى وحزنسى  
إذا أشكو الى خدن هموسى  
وفى وسعى السكوت ظلمت خدنسى  
وتأبى كبريائى أن يرانى  
فتى مغرورقا بالدمع جفنسى  
فأستر عيوتى عنه لثلا  
يضيق بها وإن هى أحرقتنى ..

روح يتامل النفس والحياة وما وراء الحياة • وهو فى •  
" تأملاته "

يبحث أحساساً عميقاً بصراع داخلى بين الخير والشر ، وما جمعت نفسه من تناقض الميول  
النفسية والروحية ، وحوار بحثاً ليحرف سر هذا الإزدواج وكتمه ولكنه لم يعثر على  
طائل من وراء بحثه ..... يقول فى طلائمه تحت عنوان " صراع وعسراك "

إننى أشهد فى نفس صراعا وعراكا  
وأرى ذاتى شيطانا وأحيانا ملاكا  
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا  
أم ترانى وأهما فيما أراه ؟  
لست أدرى •

\*\*\*

بينما قلبى يحكى فى الضحى اجدى الخائل  
فيه أزهار ، وأطيبار تنفى ، وجداول  
أقبل المصر • فأمسى موحشا كالفقر قاحل  
كيف صار القلب روضاً ثم قفراً ؟  
لست أدرى •

ويضرب بحثاً فى جوانب الكون • وما حوى • ولكنه عاد كما بدأ • وهو يمصرف



جيذا - أو سمع جيذا • قول الله تعالى :

وما أتيتهم من العلم إلا قليلا • ولكنه

- كما يبدو - استعذب نعمة اللا أدوية فماد يضرب على وتسرها ..... الأمر

الذى جمع حولها • سلسلة من آراء الباحثين .....

وهكذا أصبح " أبو ماضى " بنفسه فردا بين الناس • بعيدا عنهم • فنفسه تخالفة

وتتورد عليه وتخرج عن المألوف من عاداتهم • فلا تهتم بما يهتم به البشر ولا تطربها

ما يطربهم وكان عليه أن يخاطبها ويلومها على هذا البعد والخالفة وخروجها عما

ألف عنهم • يقول فى خطائه تحت " يانفس "

يانفس لو كنت تـرـين الشـؤون \* كما يراها سائر الناس

لما رمانى بعضهم بالجـنون \* ولم أجد فى الناس من بـاس

ما برح الناس كما تعلمين \* ولم أزل فردا من الناس

ولما لم يجن من وراء هذه التساؤلات عن النفس راح يرى السعادة فى الرضى مهما كان

متكلفا • يقول فى قصيده " هردي ياسحب "

رضيت نفسى بقسمتها \* فليأود غيوى الشهب

أنا من قوم اذا حزنوا \* وجدوا فى حزنهم طربا

وإذا ما غاية صعبت \* هونوا بالترك ما صعبا

ولهذا يخبط البلبيل الذى لا يفكر ، لان التفكير مجلبة الكآبة ..... يقول فى " الخمائل "

تحت عنوان " الفيلسوف المجنح "

طوباك انك لا تفكر فى غسد \* بدء الكآبة أن تفكر فى غسد

وعبثا أو شططا • أن نقول إنه لم يجن من وراء ذلك شيئا ، ولم يعرف عما تسأل عنه شيئا

فهو الضارب فى الارض العارف بأخلاق الناس وطباعهم بعيد النظرة فى تأملاته .....

ولم يتوقف به التأمل الى هذا الحد بل زادت تأملاته • ومن خلالها أيضا تكونت عنده

آراء حول الانسان :-

آمن بوحدة الجوهر الانساني • يقول في خمائله تحت عنوان " ماء وطين "   
 سألتني وقد رجعت اليه   
 وعلى مفرق غبار السنين   
 أى شيء وجدت في الارض بحدى ؟   
 قلت : انى وجدت ماء وطينا   
 جمع الحسن والدمامة والاق   
 دمام والخوف والنهي والجنونا   
 .....

كل من قد لقيت مثلك يا نفس   
 فانظري مرة اليك مليئا   
 سى ما تبدينة او تخفينا   
 تبصرى الأولين والآخرينا   
 كما أعتبر الذات الانسانية وحدة واحدة لا تنقسم ، فلا نفس ولا جسد ولا فرصة   
 للتفريق بينهما فى مواجهة العدم والوجود ..... ومع هذا عرف أبو ماضى • أن الانسان   
 لا يقنى حين يموت لانه يتحول الى تراب وعلى عناصره تنفذ الطبيعة ومانيهما   
 من نبات • ونحن نأكل النبات فالانسان آكل مأكول • وليس هناك دنيا وأخرى .....   
 يقول فى الجداول بمنوان الناسكة :

أبصرت فى الحقل قبل المغييب

سنبلة فى سطح ذاك الكيب

حانية مطرقة الراس \* لانما تسجد للشمس

أو أنها تلتصق بصلابة المساء

ولما اخذ يلتقط الحب وينزر ربة تارة ويلقى ببعضه فى النار فاذا ما نضج فيها

أكله فى فرح وفرح • واذا بصوت يصيح به • قائلاً :

ما الحب يا هذا ولا السنبيل \* ما تأكل النار وما تأكل

وانما أسلافك الاصفيا

ويعود الشك فيقتله ..... ويشير على كهوف سعادته • فيجعلها خراباً تلمح ذلك

مجنحاً فى قصيدة " الدمعة الخرساء "

فحين قابل أبو ماضي هذه الفتاة الحزينة التي لم تهق لها الشكوك من الرضى والسعادة  
شيئا وخاصة أمام فكرة الموت . حين رأت جماعة من النساء . يتكبن صبوة اختطفها الموت  
نصرا . فملك الشك عليها حياتها . وعمل فيها كل معمل . . . . .  
ولكن أبو ماضي " يطيب خاطرها . وعملية تحديرية وهمية ينتزع اليأس منها وما درى أن  
اليأس قد وجد باب قلبه مفتوحا فدخله على خمرة . . . . . بينها ملاء الهدوء والغبطة والبهجة  
حياة الفتاة الى حين . . . . . ولهذا يقول . فى جداوله

ثم افترقتنا صاحبين الى غــــد والشهب تهمس فوقنا وتشــــير  
هى كالسافر آب بعد مشقــــة وأنا كأتى قائد منصــــر  
ولكنه عندما آوى الى مضجعه . كانت المسحة الموقوتة من الرضا . قد أكلتها الشكوك ، وقام  
تخال اليأس أمامه مجسما . فاذا الكون حوله ظلام دامس وإذا به يردد ما قالت الفتاة  
بعد انتقال المدى الشديدة .

أكذا نموت وتنقض أعمارنا نــــا فى لحظة وإلى التراب نصــــير ؟  
ومع هذا يناقش فكرة الخلود . . . . . والتي آمن بها بعد الموت . أخذ يفكر فى طريفته وكيفيته  
بطريقة الفلاسفة . . . . . والذي ساق إليه الشك والكمد .

— كما يبدو لى — أنه ينظر اليها بمنطقه العقل فلا يأخذ ذلك به إلا الى الحمىة  
الأبدية . يقول : فى جداوله تحت عنوان " الإله الثرثار " (١)

إن تكن للخلود ذاتك فى الــــدنيا فإنا الأمر الذى تهــــواة ؟  
وإذا صرت غير شخصك فى الــــأخرى فهذا الفنا الذى تخــــاه  
فى التراب الذى تدوس عليه الــــألف دنيا وطالم لا تــــراه  
... . بالحى بالموت عنه انصــــال إن دنياه هذه أخــــراه

=====

١ - انظر الجداول قصيدة الأشباح الثلاثة . الأبيات النهائية الأربعة كذلك

وهكذا تراء يفترض أسئلة تأملية عميقة (٥٨٣) وجيب عنها متحدثا عن مخاوفه وهو اجس نفسه . . . هل يخلد الانسان بهيئة الدنيوية ؟ ان كان ذلك فهذا مالا يرتاح له الشاعر ، لأنه في تخليده بهذه الصورة تخليد لكثير من النقائص التي لازمته في حياته ، و "أبو ماضي" يريد للمرء الخلود صافيا من النقائص . واذا كان هناك تحسر وتغير في ذات الانسان ، فذلك تحويل وتبديل ، وفي ذلك نوع من الفناء الكره الذي يخشاه ، وينتهي السى أن الانسان لا يفنى ولا يحيا حياة أخروية ، ولا تحل روحه في غيره ، وإنما يتحلل وينمو غيره عليه ويأكل غيره ، وهكذا يأكل الحى الميت ، وهكذا البقاء والخلود . فديننا المرء هى أخرواه .

ومع هذا تراء يقول . فى كتاب زهير ميوزا ص ٢٨٢ . مخاطبا الفقراء .

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| دعوا الأغنياء ولذاتهم     | فهم مثل لذاتهم زائلون     |
| سيمسون فى " سقر " خالدون  | وتمسون فى جنة بنعمون      |
| .. كذا وعد الله أهل الثقى | وأنتم هم ، أيها المتعجبون |
| ألا تومنون بقول الكتاب ؟  | فويل لكم انكم كافرين      |

وهذا الاضطراب ، كان مصدر غنى لفنه حيث ظهر فيه كثير من أنواع الفكر والتأمل الطريف . . . وكان صورة لنفسه التي تكون مشرقة فى الصباح واذا بها تتحول الى قفر يهاب فى المساء . يقول فى طلاسمة . عن ذلك .

كيف صار القلب روضا ثم قفرا ؟

لست أدرى .

ويتردى دائما فى الشك . المتعلق بمصير الانسان ، والبحث . والخلود . وظاهر شعره يفيد بأنه لم يجد فى نفسه أى ميل لفكرة البحث . يقول . (١)

=====

(١) ايليا أبو ماضي شاعر الصربية الاكبر ميوزا . ٨٦٢

قل لمن يخبط في ليل الظنون ليس بعد الموت للظلمة شيء رى

( ١ ) ( ٢ )

مثلا يذهب لون الورق

عندما تبيض في الأرض الأصول

مثلا يفقد نور الحدق

حين أفضى ..... هكذا نفس تزول

كتلاشي الشمعة المحترقة

تتلاشى بين ضحك وغم

أنا بعد الموت شيئا لا أكــون حيث أنى لم أكن من قبل شى

وأبو ماضى يحاول الوصول إلى ميتناه يعنى نفسه بما يريد ، فاذا ما صدقته واقمية الحياة  
وأحس بانهمزاميته أمامها ، وراح يعيش فى غيابات من الوهم والخيال ، وينطلق هاربا من  
عالم الاحساس . . . لأن

قم نطلق من عالم الاحساس

الحسن مجلبة الكتابة والأسبى

إلا بأجنحة من الوسواس

وأرى السعادة لا وصول لعرشها

ولكنه القائل

قطع الحياة بنحلة لم تنقع

من كان يشرب من جداول وهمه

وماذا يفعل . لو كان له من الأمور شى ؟

تناولته النزعات المتضاربة ، فراح يتردى بين أعماق التشاؤم القائم بين جوانبه ، ويطفو على

أسطح التفاؤل . الذى ينتزع من بين مخالب اليأس يراه حين يورى فى الطبيعة ما يقضى

على الشكوى والبكاء . يقول : فى الجداول تحت عنوان " كم تشتكى " .

والأرض ملكك والسما والأنجم

كم تشتكى وتقول إنك مقدم

ونسيمها والبلبل المترنم

ولك الحقول وزهرها وأريجها

(٥٨٥)

••• صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يمسح

ويدعوا إلى اغتنام اللذات • قبل فوات الأوان •

قم بأدر اللذات قبل فواتها • ما كل يوم مثل هذا موسم

ولما لم يجد في ذلك ما يفيد • ذهب يبحث عن السعادة • ولما مات يحشا • ونال منه التعب

حدا كبيرا • عرف أنها لا تتبع إلا من نفس المرء ••

وعلمت حين العلم لا يجدي الفتي أن التي ضيعتها كانت ممسوى

كل ذلك تمخض عن نتاج جهد قشيب في الشعر المرسي • اشتهر به أبو ماضي في عالم

الأدب والفن ••••

\*\*\*\*\*

يلتقى " أبو ماضى " بالطبيعة التقاءً نفسيًا ، وحسبها احساسًا كليًا وحبها حبًا  
ينبتق من ايمانه بهذه النعمة الإنسانية التي تتجلى فى مظاهرها المختلفة . ومن هذا  
الشعر التأملى الطبيعى تهتق ديروس فى النفع العام وحب الخير لا يجد من يعديه اياها  
سوى الطبيعة المعادله التي تدين بالمساواة فى كل مظاهرها " ليلها وشمسها  
مريدها ونجومها • ظلها ونداها • زهرها وشذاها ..... الخ •  
وهذا تظهر الجدة فى شعر الطبيعة عنده • بينما كان تناول الشاعر القديم لها  
تأولا حسب ما ديا تناول " أبو ماضى " لها فى بدء تكوينه الشعرى (١)  
أما أبو ماضى " فميت أفكاره فيها ومحدثها فتجيبه وشن لها فتعنى عليه .....  
وهى أم لكثير من أفكاره العالمة وتاملاته الخلاقة • • ومن أجل ما أثارته الطبيعة  
عنده • من تأمل • تقرأه فى قصيدة " موكب التراب " (٢) فى ديوان " نبر وترايب "   
وشبيبتها " ربح الشمال " فى جداوله • • وهى موضوعات لا يتصور المرء أنها  
شعر نائره شاعر • ولو أثارته فماذا عسى أن يقال فيها ؟ • إن مقدرة " أبو ماضى "   
الفكرية • والفنية استطاعت أن تدبج من ذلك فكرا عميقا فى ثوب شعرى رائق • وماراينا  
طبيعة حوارية مثلما عند الشاعر • يقول : فى " ربح الشمال "

سألت وقد مررت الشمال  
الى أيما غاية تركضين  
تتوح وأوتة تتسول  
ألا مستقر ؟ ألا موئل ؟

وفى النهاية تجيبه • يقول : عن لساتها •

فجاؤنى هاتف فى الظلام  
ولكنها أنفس الغابرين  
غلطت فما هذه الشمال  
تجوس الديار ولا تنزل

ويظل يحاورها الى أن يخلص منها بقولها • عن البحث والظنود •

=====

فمن حسب العيش دنيا وأخرى \* فذا رجل غله أحول

ولقد ظهرت آراءه حول الطبيعة مبثوثة في ثوب من الجمال الفني والفكرى فى ديوانه " الخمائل " وكله مجموعة من الخمائل المبثوثة فى الروض الشمسى تفيض بالهزود والرياحين ، وثرثرة السواقى وتفريد البلابل والطيور . والفكر الشاب ، والتأمل المزواق الجامع بين ما فى الطبيعة من نفع عام وحب الخير لجميع الخلق والذي يرى فيه الشاعر مبدءا له ومذهبا (١) .

وفكر العباقرة ورومانسية الخيال . استطاع أن يقرن بين الطبيعة ونفسه ، وآلام وطنه فى مناجاته لهذه السجينة التى بث فيها كثيرا من لواعج وطنه ومطالب روحه وقومه (٢) . وفى الطبيعة فأوحى إليه بوحدة جوهرها - كما اعتقد بوحدة الجوهر الانسانى - . فشاهدها ما هى إلا مرآى متعددة لشيء واحد . . يرى ذلك من خلال " الفراشة المحترقة " فى ديوان الخمائل يقول . .

قالوا فراشة حقل لاغشاء بها \* ما أفقر الناس فى عيني وأغشاك  
رأيت أحلام أهل الحُب كلهم \* لما مثلت أماسى عند شباكى  
من نائمى على نذل ومتربية \* ومن تجار وأشرف وأمسلاك  
أليس ليك من العشاق حيرتهم ؟ \* فكيف لا يفهم العشاق نجسواك  
ومن آن لآخر تلمح ومضات الايمان من خلال الطبيعة . . يقول مخاطبا الفراشة  
ما أقدر الله أن يحييك ثانية \* مع الريح كما من قيل سواك  
فيرجع الحقل يزهو فى غلائله \* وترجمين وأغشاه فألقساك  
ومن خلال حجر صغير أثار لواعج نفسه وغيامات منها يعطيك ما لم تسمعه عند الصعابيين من أقبومه . . ونظرتة الى أهمية الشئ مهما كان صغيرا فى نفسه . ففائدة السد

الكبير مرتبطة بهذا الحجر الصغير . (٣)

(١) راجع قصيدة كتابى فى الخمائل ٧٦ ط ١٣ مارس ١٩٧٩م .

(٢) الجداول " السجينة " ١٦ ط ١٢ يناير ١٩٧٨م .

(٣) الجداول " السجينة " ٣٧ .



والطبيعة ضير ينسد من فوقه بظلم الانسان . لماذا ؟ لأنه كثير ما جنت مظالمه  
وأنايته على الطبيعة فنزع منها الحُب والبهجة والسرور وأهدى إليها الهلاك يقول :  
في جداوله عن الزهرة التي ولح بها الجاني ققام مختلا يفصلها عن ثدى أمها وحرم  
الجميع من عبوها . " وأبو ماض " يتقدم إليها مواسيا محتفرا . . . . . يقول : . . . . .

أيا زهرة الوادي الكريمة أنسى ■ حزين لما صرت إليه ككبيب  
وأكثر خوفاً أن تظني بنى الوري ■ سواء وهم مثل النبات ضروب  
وأعظم حزني أن خطبك بعده ■ مصائب شتى لم تتع وخطوب  
سيطرحك الانسان خارج داره ■ إذا لم يكن فيك العشية طيب  
فتمسين للأذنان فيك ملاعب ■ وفي صفحتك للنعال ضروب  
اسارك يا أخت الرياحين مفجع ■ وموتك ما بينت الريح رهيب

ومن قصيدة المهدي في هذا المجال " المساء " التي أعارها مخبات نفسه ولواعجها  
ووصف فيها تأثير خلول المساء على نفس محبوبته ومشاعرها وأفكارها . . . يقول :

المحب تركن في الفضاء ■ الرحب ركض الخائفين  
والشمس تبتدو خلفها ■ صفراء عاصبة الجبين  
والبدر سماج صامت ■ فيه خشوع الزاهدين  
لكما عنناك باهتت ان في الأفق البعيد

سلمى ، لماذا تفكرين ؟

سلمى ، بماذا تحلمين ؟

ويأخذه تأثير ذلك في صديقه " أمه " ولم كل هذه الهواجس والشكوك التي يحير  
عنها شجوب وجهها . ولماذا الحيرة ؟ وماذا تفكر ؟ أفكر . . .

بالأرض كيف هـوت عرو ■ ش النور عن هضباتها ؟

أم بالعروج الخضر سـ ■ د الصمت في جنباتها ؟

أم بالمصافير السـتى ■ تغدو إلى وكلماتها ؟

أم بالمسـا ؟

ثم يبت نظر تعوجه للطبيعة في مساواتها . وتقديمها النفع لمائر الخلق بلا أشيرة .

إن الما يظنى المدائن كالأرى  
والكوخ والصروح المكين  
والشوك مثل الياسمين  
لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع  
يخفى ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

و"لأبى ماضى" مع البحر مناجاة شيقة يسألها الشاعر عن أصله وعمره وقصيده وقد خصه  
فى طلائمه بأثنى عشره رابعة هـ تفاعل الشاعر ونفسه مع البحر فراح يقارن بين خصائص  
من نفسهم بعض خصائص البحر مفكوا فى ظواهره متبهما أسواره دون أن يترك واحدة •  
ولما أعياه الجواب أطلق • عبارته المعهودة "لست أدرى" الـست معنى أيها القارىء  
أن فى ذلك حدة وتجديدا لم يعهد منه شىء فى شعر الطبيعة التى سبقت عصر  
الشاعر • كما هى جدة فى عصره خص فيها بالشمول واستيعاب مظاهر التساؤل •  
واليك منها ثلاثة ••• يقول فيها (١) •••

قد سألت البحر يوماً هل أنا يا بحر منكأ ؟  
أصحيح مارواه بعضهم عنتى وعنكأ ؟  
أم ترى ما زعموا زوراً وسهتانا وانكأ ؟  
ضحكت أمواجه منى وقالت ••• لست أدرى

( \* )

• أيها البحر أتدرى كم مضت ألف عليكأ •  
وهل الشاطىء يدرى أنه جاث لديكأ  
وهل الأنهار تدرى أنها منكأ اليكأ  
ما الذى الأمواج قالت حين ثارت ؟  
لست أدرى  
فيك مثلى أيها الجبار أصداف ورميل  
إنما أنت بلا ظل ولى فى الأرض ظل  
إنما أنت بلا عقل ولى يا بحر عقل  
فلما ذا يا ترى أضى وتبقى •••  
لست أدرى

(٥٩٠)

وفى قصيدة الطلاس . كل مظاهر الوجود التى وضعها الشاعر تحت مجهر التأمل  
الخالق الذى أخذ الشاعر به نفسه بعد أن فتحت الغربة أمامه هذا الدرب .  
الطويل . .

وقد زين بعض طبيعياته بالحوار المحكى الجذاب . . قرأ له فى ذلك "الضفادع  
والنجوم" والتينيه السقاء" .

كما كانت الطبيعة ، منبرا يلقى من فوقه عظامه لبنى البشر . وفى القصيدتين السابقتين  
مثالا لذلك . .

وفى الطبيعة المرفا الأمين الظليل وصدى لبنان الجليل ، ومسرح الذكريات الحلوة  
" الغابة المفقودة " فى ديوان الخمائل مثال حسى لذلك . وقد كساها من أحزانه  
الرومانسية والحسرة الأفريقية على عهود سالت ما عابها إلا تلاشيها .

وهكذا جدد أبو ماضى مع الطبيعة المتجددة فكان فى شعره جديد على  
جديد . مما زاد فى روعة شعره وظهوره بهذه الصورة القشبية المحيية . .

\*\* \*\* \*

\* \*

\*

(٥٩١)

((معتقدات عند "أبو ماضي" ))

\*\*\*\*\*

قبل الحديث في هذا الموضوع يجب أن نضع أمامنا هذه العبارة •  
يتداخل شعر "أبو ماضي" في كثير من الموضوعات تداخلا قد يفهم منه البعض أن فسي  
الحديث عن تلك العنواين تكرر • والتاظر بعين الفحص يورى في ذلك تداخلا  
بعيدا عن التكرار •  
من أجمل شعره " أبو ماضي " الذي يتحدث فيه عن نفسه ويدعوها إلى الطمانينة  
قولـــــــــــــــــه (١)

ما بنفس خشية الموت ولا منه ارتها بى  
أنا للأرض ، وإن طال عن الأرض اغترابى  
غير لنى لم يزل ضرعى لمسى واجتلاب  
لم أهب كل الذى عندى ، ولم يفرغ وطابى

والنفس عنده جزء من مكونات الكون •

أنا نهر لم أتم بعد فى الأرض انسيابى  
أنا روضى لم أذرع كل عميرى وملا بى  
أنا نجم لم يمزق بعد جلباب القباب  
أنا فجولم تتوج فضتى كل الروابى  
لى رغب لم تلد بعد فتلى بالتباب؟  
ونفسى ألف معنى لم يضمن فى كتاب

\*\*\* \*\* \*

وهو مؤمن كل الإيمان بدور المرء فى هذه الحياة ، وأن على الإنسان رسالة عليه

=====

(٥٩٢)

أن يجدت لتكلمتها ، فمن أجلها هلسق، اسمه يخاطب العليقة قائلا :

فإذا استنفدت ما فى دنّ نفس من شراب

وإذا أنجم آمالى ثورات فى الحجاب

وإذا لم يبق فى غيمى ماء لا نكسب

وإذا ما حدث كالحليق تثال اكتساب .

لا يرجينى محتاج ، ولا يطع سباب

فاجذبينى . . . . . إن يكن منى نفع للتراب .

وإذا تركنا ثورته التألمية قليلا وطفنا بمعتقداته وفكره الايماني نلتقى فى شعره بكثير من

مظاهر الايمان ودلائله .

ايمان بأصل المرء . يقول فى الجداول .<sup>١</sup> "الطين" مخاطبا الفتى القوي القوم

أنت مثلى من الثرى واليبس فلماذا يا صاحبي التمية والصد

ويصدر حديثه عن "القمير" يقول فى جداوله . حاشا الفتى على التصدق على

أخوانه الفقراء .

لهفى | ولو أجدى التemis تلهفى لسفكت دممى عنده ودمائسى

قل للبنى المستمز بما لسه مهلا لقد أسرفت فى الخيلاء

جبل القمير أخوك من طين ومن ماء ومن طين حبلت ومساء

فمن القساوة أن تكون منعميا ويكون رهن مصائب وسلاء

ومو من بالموت . يقول : معزيا صديقة . "السيد فهمى" فى قصيدة "كل

من عليها فان" وقد أفجمة الموت فى ثلاث من أسرته (١).

لمرك ما الأحزان تنفع ربها فيحمل بالمحزون أن يتجلدا

فما وجد الانسان الا ليقتدا وما فقد الانسان الا ليوجدا

=====

( ٥٩٣ )

وما أحد تنجمو من الموت نفسه      ولو آتته فوق السما كين أصمدا  
فلا يحزن الباكي ولا تشمت المدا      فكل أمرى يا صاح ، غابته السوى  
وضو من بالجزء . يقول للأضياء فى القصيدة السابقة " الفقراء "        
إن كانت الفقراء لا تجزيكم      فالله يجزيكم عن الفقراء  
وفى قصيدة " يا رفاقى " ( ١ ) يقول :

رب هبنى لبلادى عوده      وليكن للغير فى الأخرى ثوابى  
ومؤمن بالله . يقول : على لسان غيره . ( ٢ )

أشهد الأرض والسماء      أشهد الله موجى لى  
وفى قصيدة الفراشة المختضرة " يقول لها معزياً .

ما أقدر الله أن يحييك ثابته      مع الريح كما من قبل شواك  
ومؤمن بصفاته .

إن تغفل الدنيا وغفل أهلها      عنكم فخالق أهلها لا ينفل  
ويقول .

تبدل الدنيا تبدل أهلها      والله ليس لأمره تبدل

ومع هذه الظواهر الايمانية فانك لا تعدم وجود نزعات من الريبة التى تقصف بها الحياة  
ريبة تعنى عدم التسليم المطلق ، فحياة " أبو ماضى " يشك معها من غابت عنه  
المظاهر الايمانية السابقة . أنه شك . مترد .

غير مؤمن . . . . . وأعتقد أن أكثر ما يمكن اطلاقه عليه حيا ل تلك المظاهر الفكيمة  
أنه غير متدين . - إن صح ذلك - و الفرق بين الإيمان وعدم التدين . . . . .  
وإذا كان " أبو ماضى " يرى السماء والسحب والقيوم . . . . . الخ . .

فإن له سماً أخرى من بنات فكرة ، تتعدد الرغائب . يقول فى جداوله " السماء "        
=====

كل قلب له السماء التي يهوى      وان شئت كل قلب سمى  
 صور في نفوسنا كائنات      ترتديها الأنقال والأشياء  
 ربّ شئ كالجوهر الفسرد فذ      عدته الأغراض والأهواء  
 كل ما تقصر المدارك عنه      كائن مثلما الظنون تشاء

وهكذا " جهنم فكرة تاجرو " وكثير من المعتقدات مربع صنع الرغائب والأهواء  
 فهو شئ نسبي ، هذا ما يفهم من ظاهر الشعر . ولكن من الخطأ الكبير أن نأخذ  
 شعر الشاعر كقضية مسلمة ، أو تمبير عن معتقد . أو نأخذ معتقده بالنسبة للأمر  
 قياساً على آخر . ، وينهني التعغل أثناء الخوض بمعتقداته .  
 وهناك من يوزن طلسم " أبو ماضي " ما يظهر معتقده الايماني بقوله .

عجبا لنا سك القانت وهو اللوذعي

هجر الناس وفيهم كل حسن المبدع

ومضى يبحث عنه في المكان البلقع

أرى في القفر ماء أم سرايبك ؟

لست أدري .

والناظر في لفظة الله عند " أبو ماضي " لا يجده . يحيطها بما تقضيه من توقير  
 قاله . يضحك ، ويتحدث ، ويشارك الناس ، ويتمجب ويحار ويثرثر . ، إلى غير  
 ذلك من مظاهر تميظه التصرفات البشرية ، إقراله في جداوله - الإله الثرثار  
 وفي خاتمه " أمنية الإله "

فما كان من الشاعر إلا أنه نفخ في اللفظة من أساطير السابقين . . . . . ليستفيد من

قوة إيمانها ومساحة بيانها . . . . .

كل ذلك أعطى نتاجاً جديداً للفن الشعري جيدة في الموضوعات نفسها وجدة في

كيفية جعلها تفيض بالحياة والطاقة . . . . . وفي ذلك نوع من التمرد الفني على

مدلولات الألفاظ .

اشتهر " أبو ماضي " من بين قوافل الأبياء وجماعات النقاد بهذه النظرة الإنسانية المرحبة ، التي عمت كل أفراد البشر . فراححت تحبب الحياة لديهم كما تحببهم في الحياة من أجل الميثاق السميد . ، ولم تقتصر هذه النظرة على بنى الإنسان . بل راح يعممها بين الأحياء في الكون بأسره .

ومن تلك المحبة نبعت كراهيته للنظم والظالمين ، ورجال الدين . وسحاويلته العلاجية للأمراض والملل الاجتماعية بشتى ضروبها . دون أن يبتغى من وراء ذلك سبيلا ، إلا سبيلا واحدا هو الاتحاد والسعادة والنصر والحرية وأبو ماضي " يعتمد في نظراته على مواقف عملية يستخلصها بنفسه . ، ولهذا بات يوزع موقته ويصوب غضبه ولعناته على بعض بنى البشر الذين لمس عندهم ما يشير بغضاوته ويصمت ثورته ، كما راح يقف بكل ما أوتى من عقل وفكر وحس مع طائفة أخرى . لمس أنها في حاجة إلى أصوات تنتزع لها حقها من بين مطالب الضلال . . . . . ومن خلال تعامله الميداني . يعطى صورة جديدة جييدة صادقة شمولية في فنه عن هذا الانسان . . .

فالإنسان على مستوى الموجودات الأخرى

كائن مغرور عاجز وجاهل . يستفيد ولا يفيد ، يأخذ كل شيء ولا يعطى شيئا . . . . . وهو المتفاخر المتباهي ، ليس بمظهره ولكن بدلائل عجزه . . . ومظاهر عبوديته . . . مع أن هذا المغرور يعرف وحدة الأصل . . . وإن لم يكن من خلال عقيدة فمن خلال النظرة الحسية لما يرى من أموات . . . وكان ينبغي أن تكون لتلك المعرفة لوازمها وأحقيتها . كان تفيض في قلبه الرحمة والحكم والكوم لا أن تفيض معاني الود والوفاء والإنسانية . لتحل عنده محلها اللوم . والحقارة والتكبر . والطغیان . . . . .

ومع ما بيد يه . فليس يملك من المعرفة النسيبية ذرة تميزه عن الآخرين . . . . . وتراه يصغر الخدين ويمش كالمجانيين يلقي نظرات السخرية من الآخرين ، من كل جانبى وفى كل مكان .

وأبو ماضي يناديه مسافرا هازئا ، وأحيانا مستعظفا متوددا . بقوله .  
يا رفيقى أنا لولا أنت . . . ما وقعت لحنا . . .



أوبقوله :

( ٥٩٦ )

- يا أخى لا تمل بوجهك عني \* ما أنا فحمة ولا أنت فرقـد  
أنت مثلى من الثرى واليسـه \* فلماذا يا صاحبي التيه والصد  
وبالتسفيه المقنع . والمنطقية الرائقة \* يرد المرء الى مكانه اللائق به  
لست أدري من أين جئت ولا ما \* كنت أو ما أكون يا صاح فى غد  
أفتدري ؟ .. اذن فخبّر وإلا ... \* فلماذا تظن أنك أوحد ( ١ )

ولهذا يرى أن الخير كل الخير يتمثل فى الميزة التامة عن ذلك الكائن المغرور الجاهل

المصير المستعبد اتقاء لشره وجهله الذى قهر الورى . يقول ( ٢ )

- قهر الورى وأذلهم أن الورى \* متعلل أو ظامع أو مجتد  
جملوا رغائبهم قياس زمانهم \* والدهر أكبر أن يقاس يقصد  
وقتل فى نفس الرغائب والمنى \* فقهرته بتجردي وتزهدي

وفى الميزة عنه حصن من شره المستطير . فقد ( ٣ )

- تعود الشر حتى لو تبت يده \* عنه الى الخير سهوايات حسرانا

\*\*\* \*\*

أما الانسان فى المجتمع . فهو العموية فى يد الأقويا . والحياة للأقويا . . . . . ( ٤ )

- وما الناس الا عبيد القوى \* فكن ذاك أو كن بلا شاكـر  
أشد من الدهر مكررا بنوه \* فويل لمن ليس بالماكر

وهذا معناها . . .

من لهبئذ أب تالكة الذئاب ، ومن لا يظلم الناس يظلم . . . وهذه منطوقية عصرية . فرضتها

عليه عوامل الحياة . وجسارتها . . .

ومع هذا راح ينثر عليه من شذى تفاؤله الرقراق . . . ويدعوه الى التمتع بالطبيعة وما فيها

من مفاتن ومباهج يقول فى قصيدة " فلسفة الحياة "

(٥١٧)

فتمتع بالصبح ما دمت فيه \* لا تخف أن يزول حتى تزولا .

وإذا ما أظلم رأسك هم \* قصر البحث فيه كي لا يطولا

أدركت كمها طيور الروابي \* فمن العار أن نظل جهولا

ويطالب من المرء كي يسعد - أن يتسم في غفوة الخطب الكريمة حتى آخر مدى من حياته

قلت: أبتسم ما دام بينك والوردى \* شبر فانك بعد لن تتبسما

والمال الذي هو أكبر مؤسس للفرور وصانع الكبرياء عند بعض البشر . هو عنده عرض زائل

ولهذا أنتشرت عنده الدعوة إلى الجود بالمال ودم البخل . . . وقد تجمعت له كوكبة

من الأشعار التي سمت بها ورفعت من جدتها نغمات الحث على العطاء . والكرم والأسى

لبوس هو . . . ومن أجمل ما جاء في ذلك المعارضة التي يعقدها بين الفقراء والأغنياء

في النهاية لأن الأغنياء بتختتمهم ويخلهم . ( ١ )

سيمسون في "سقر" خالددين \* وتمسون في جنة تنعمون

فلا تعطشون ، ولا تسفبون ، ولا يوتون ، ولا يشبهون

وكان من كره تفكيره وشموله وتأملة العميق راح يخطط لحل أهدى بين هؤلاء ، وأخيرا

وجده ماثلا في الاشتراكية : التي تجمل الكون فيضا من الرضا ، ولا يتحقق ذلك الا -

إذا طبع الأغنياء على البذل والجود وطبع الفقراء على القناعة . . . وتقرأ له في هذا المجال

في جداوله " الفقير " يقول فيها مخاطبا الغنى . . .

أنفن بالديتار في إسمافه \* وتجود بالآلاف في الفحشاء ؟

انصر اخالك فان فعلت كهيتيه \* ذل السؤال ومئة البخلاء

و . . . وذوى اليسار وما اليسار ينافح \* إن لم يكن أهلوه أهل سخاء

وقصيدة " اليتيم " الجداول ، و " كتابي " و " الكرم - الخائل " تسفر عن رقة إحسانه

وقلبه الخنون نحو مشاكل الضعفاء .

- وهذه المشكلة الأهدية ذات صلة بنفس الشاعر وسبب من أسباب ارتياده والصحاب هو

=====

( الخائل " كلوا واشربوا )

ومن هاجروا من " لبنان " بُنشد ، وهى الأمر الذى ظل ملازماً الشاعر بمشاكله المختلفة من قوة وضعف ، حتى أصابه الهزال فى نهاية المطاف ، وذلك عندما تحولت جريدة " السمر " إلى جريدة يومية فانتعشت ما ديته قليلاً فأصبح فوق الأفق ودون الفنى والوقوف بجانب الفقراء ، مواساة وعونا والتزاماً لببدأ الرسالة الشعرية . لدى الشاعر وإيمانه بها فقد ممت المديح ، وجعل هذه الدعوة خير منه ألف مرة . . . . .

لا تسألونى المدح أو وصف الدمشى \* إنى نبذت سفاسف الشعراء

... باعوا لأجل المال ما حياتهم \* .....

أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفى \* إلا لأندب حالة التمساء

على أحرّك بالقريضى قلوبكم \* ان القلوب مواطن الأهواء

ويكرر خطابه إلى الأغنياء ، لعل فى الخطاب تذكرة .

قل للفنى المستعز بما لسه \* مهلا لقد أسرفت فى الخيلاء

جبل النقيير أخوك من طين ومن \* ما ، ومن طين جبلت وما

ومعرض كل ما يملك من براهين فى هذا المجال حتى تجتث المشكلة . ولكن دون جدوى .

فراح يحصل من نفسه إماماً للفقراء متظاهراً بالتفاؤل (١) . . . . .

الذى تحدثنا عنه قبل قليل . . .

=====

(١) انظر " الإتجاهات الفنية فى شعره - القسم الخامس بالاجتماعيات

فى هذا البحث ففيه الموقف متضحاً .

أما قضية الحب ضد "أبو ماض" (١) فقد وجدناه في شعره حُبًا رقيقًا صافيًا  
للأم والزوجة ، وهو فيض من وجدانه الصادقة ومشاعره الحارة . واكتفى في مجال شعره  
الحب عند "أبو ماض" حول الأم بشهادة الأستاذ "انس داود" (٢) يقول "ومن  
المع ما قيل في هذا الجانب - من شعراء الشطآن قصيدة "أبي ماض" (هي) وقد  
وضفها في أسلوب قصص جذاب ، صور فيه مجلس سراب جمع نخبة من القوم في قصر  
فاخر . فوطا فيه رب القصر إلى أن يشربوا نخب من يخبها ثم دعاهم ثانية إلى أن  
يشربوا نخب صاحبة كل منهم " .

فكل نفس مثل نفسي لها \* في هذه الدنيا أمانيتها

وكل قلب مثل قلبي لـ \* حسناء ترجوه ويرجوها

فراحوا يشربون ويمدون في نشوة كبرى . غير أن فتى لم يشاركهم الشرب والطرب . مما

أثار تساؤلهم . . . . . أليست لك عادة تحبها وتشرب نخبها وتحبها ؟

قال : أجل أشرب سر التي \* بالروح تغديني وأفديها

صورتها في القلب مطبوعة \* لاشيء حتى الموت يحوها

لا ترضاني رياء ولا . . . . . \* تلثمني كذبا وتمويهها

. . . سر التي لا عادة بينكم \* مهما سمت في الحب تحكيها

اتهم أثار غضب الجميع وأقلق بالهم . . . وجعلهم في شوق إلى التساؤل . ولكنه تساؤل

غضب لاشغفه كالمسابق . . . فماذا قالوا ؟

فصاح رب الدار : يا سيدي \* وصفتها لم لا تسميها

أتخجل باسم من تهوى ؟ \* أحسناء بغير اسم ؟

فاطرق غير مكتسوت \* وتمتم خاشعا : أمسى

=====

(١) التجديد في أدب المهجر ٣٠٦

(٢) إيليا زهير ميرزا ٥٤٨

(٦٠٠)

فقام الجميع وكلُّن على رؤوسهم الطير . وهكذا تشمر بالوفاء والحب والخان الصافي  
ولا غسرو فقد وهبته الروح ، وقدمت له كل شئ دون من أو أذى ومن ذلك الحب . حبه  
لزوجته في قسديتى "تمالى" الجداول "هدية العيد"

والحب عند "أبي ماضى" ليس مظهرا بل يعتبره عنصرا ضروريا وهاما من عناصر الحياة  
يفيض بالسلام على الكون ، ويسعد البشر فى كل مكان وهو يوصل إلى الحقائق الكونية  
ويخلق الجمال على كل مكان ويوفرف بأجنحته البيضاء . . . . وهو الطريق إلى معرفة

النفس والله . يقول "أبو ماضى" (١)

قال قوم : إنَّ الحَبَّةَ اثم ٠٠١ ■ وحب بعض النفوس ما أغباها

ان نفسا لم يشرق الحب فيها ٠٠ ■ هى نفس لم تدر ما معناها

ليس عند الاله نازلذى حب ■ ونار الانسان لا أخشاها

أنا بالحب قد وصلتالى نفسى ■ وبالحب قد عرفت الله !

ومن أجمل ما فى شعر الحب عنده من جدّه . ربط بين شعر الحب والمحبوبة  
والطبيعة الجميلة ، وما وراء الطبيعة ، والحياة والموت ، وبين مظاهر الطبيعة بعضها  
ببعض ، ومظاهر الحياة بعضها ببعض ، ومظاهر الموت بعضها ببعض . وكان بارعا

فى تصوير عواطفه ومشاعره وإحساسات هيبينية (٢)

التي تسربت إليها آفة النفس والهلاك وغرور الحياة وانقضاء الاحلام وضياح المنى ، وذهاب  
المرء وكان شيئا لم يكن ، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا والذي أثار عندها كل هذا سماعها

نسوة يئكين فى جنح الظلام هيبينية . .

ومن هذه القصيدة قوله لها . .

لا تجزعى فالموت ليس يضيوننا ■ فلنا إياب يمدده ونشور

إنا سنبقى بعد أن يمضى السورى ■ ويزول هذا العالم المنظور

=====

(١) السابق ٨٠٢

(٢) الجداول - الدمنة الخرسا .

(٦٠١)

فَالْحَبُّ نُوْرٌ خَالِدٌ مُتَجَسِّدٌ  
فَإِذَا طَوَّتْنَا الْأَرْضَ عَنْ أَزْهَارِهَا  
فَسْتَرْجَمِينَ خَيْلَةَ مَعْطَاةٍ  
يَشْدُو لَهَا وَيَطِيرُ فِي جَنَابَتِهَا

أَوْجِدْ وَلَا مَتَرَقًا مُتَرَقِّمًا  
أَنَا فِيهِ مَوْجٌ ضَاكِكٌ وَخَرِيْرٌ

أَوْ تَرْجَمِينَ فَرَاشَةَ خَطْمَاةٍ  
أَوْ نَسْمَةً أَمَّا هَمْسَهَا وَجَفِيفَهَا  
تَغْشَى الْخَمَائِلَ فِي الصَّبَاحِ بَلِيْلَةَ  
أَوْ تَلْتَقِي عِنْدَ الْكَيْبِ عَلَى رَضَى  
تَمْتَدُّ فِيهِ وَفِي ثَرَاهُ عُرُوقَهَا  
وَيَفُوسُ فِيهِ خَيَالُهَا فَيُلْقِيْنَ  
يَأْوِي إِذَا أَشْتَدَّ الْهَجِيرُ إِلَيْهَا

انظر إلى جمال التجديد ولطفه من تصوير شعور الحب والعطف . . . . . وكيف صوّر  
الحبّ إناثة نور . فأين هذا من الحبّ عند السابقين الذي ينصبّ على الإعجاب  
والرغبة في الاستمتاع . ولكنة هنا الحب الروحي الذي تتبعث منه لذاذات النفس ومسرات  
الحياة .

— وإذا كان لبنان هو كعبة الجمال ومرفأ اللذات ومكان الحبّ فإن أبا ماضي يطلب من  
محبوبته في رقة ووداعة وحب . أن يجتمعا هو وحبوبته في مكان الحبّ . ليسرقا  
اللذات ويمتزجا كالخمرة والماء . يقول في جدواله في قصيدة " تعالى " .

تعالى إِنَّ رَبَّ الْحَبِّ يَدْعُونَا إِلَى الْغِيَابِ  
لَكِي يَمِزْجَنَا كَالْمَاءِ وَالْخَمْرَةِ فِي كَيْسٍ

(٦٠٢)

ويخدو النور جلبابك في الفباب وجلبابسى  
فكم نصنى إلى الناس ونعصى خالق الناس

\*\*\*

يريد الحب أن يضحك فلنضحك مع الفجر  
ولن تتركض فلنركض مع الجمدول والنهسر  
وأن نهتف فلنهنف مع الليل والقمرى  
فن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجرى ؟

\*\*\*

تعالى • قبلما تسكت في الروض الشحاريرو  
ويذوى الحور الصفاف والنرجس والآسى  
تعالى قبلما تطمو أحلامى الاغاصيرو  
فستيقظ لا فجر ، ولا خمرة ، ولا كأس  
وأبو ماضى يهود أن يسكب روحة خمرة فى كأس صاحبتة حتى لا تستطيع كتم الحسب  
أو الانفلات من صداقته • يقول: (١)

لو استطيع سكت روحى خمرة فى كأسها  
حتى انا حال النوى بينى وبين كأسها  
وتجاهلت أو انكوت أمرى لدهى جلاسها  
أطلت من أجفانها وجريت مع أنفاسها

فأبى عذوبة هذه ( وأبى روعة فى جدة المعانى والمأخذ والمحافظة والشعور •

\*\*\*

=====

\*\*\*\*\*

الشاعر " أبو ماضي " أوسع حضوراً في إناطة الرسالة القومية والوطنية فالشاعر عين للبشر  
يروون بها كل حسن وجمال ، فيهرسون إلى التمتع به .

كما يروون بها كل مستقبح ومسترزل فيعلمون ما يستوجبه الوعي الاجتماعي والوطني (١)  
يقول في رثاء - مطران - تحت عنوان الشاعر .

عندما أبدع هذا الكون رب العالمينا  
ورأى كل الذي فيه جميلاً وثميناً  
خلق الشاعر

كي يخلق للناس عيوننا (٢)

يقول عن الشاعر " ندره حداد " في حفلة تكريمية تحت عنوان " انه الشاعر " (٣) .  
يقول فيها : -

|                                  |                           |
|----------------------------------|---------------------------|
| عندما أنشأ الوجود الله           | في زمان في الدهر ما أقصاه |
| وددت في النبات والماء والاحياء   | والصخر يقظة وانتباه       |
| ... نظر الله في السماء وفي الأرض | من طويلاً فتمت شفاه       |
| " أنى قد خلقت كونا بديماً        | كل شيء فيه كما اهـاه      |
| غير أنى نسيت أخلق شيئاً          | لازماً لا يتمم إله        |
| ... وإذا شاء الله أمر قضاه       | أو تمنى وجود شيء بهـاه    |
| فإنما كائن له هيكل الطين         | وفي هيكل التراب الهـاه    |
| ... هو للحق غيظه ورضاه           | وهو للحب ضحكته وكـاه      |

(١) ارجع إلى الفصل الأول " الباب الثالث من هذا البحث . ففيه توضيح .

(٢) الشاعر . نبر وتراب .

(٣) إيليا أبو ماضي ، جـ مـ هـ جـ سـ لـ كـ ٢٧٣ .



... إنه الشاعر الذي كل دنيا تتطوى قبل تتطوى دنياه

— وأبو ماضي يسيط بالشاعر تحمل رسالة التعبير عن آلام الأمة ومطلعاتها . (١)

والشاعر يفتز القلوب ، يسيط من البيان الفكري والشعري ، في رسالته ، تجاه

الحياة .. رسالة " أبو ماضي " في الحياة تعطى جوانب الحياة على اختلاف

جذوبها " قومية — اجتماعية — سياسية وطنية — ، وهذه عند أبي ماضي ، جديدة

في مبحثها وكما وكيفية عما في أشعار السابقين — لماذا ؟

لأن الفرق واضح بين من يقحم نفسه بين الجماهير ليلقى نظماً بارداً فارقته الروح ...

أرضاً للجماهير وكما لودتهم ، وبين من يذهب تحركه عقيدته ويوجهه إيمانه العميق

بواجبه ، ويدفعه إحساس حقيقي وتغهم انساني لرسالته تجاه بني قومه فوقه يلقى

قصيدته بين الجماهير . فستان بين هذا وذاك .

وأبو ماضي . نفسه عانى من كل شيء عاناه الوطن . فقد اشتدت آلامه من معاناته

للظلم والفقر والكبت ، وليس من رأى كمن سما " وفي ذلك صدقه لتجربته القولية

التي ولدتها المعاناة .

ولا يخيب عن الوحي أن هجرته في حد ذاتها هدف قومي . وتفور من حياة الخنوع

— ويعتبر صموده العملاق في وجه الحياة المادية والأدبية ومشاركته الواعية في الأحداث

عن إيمان وعشق وفهم ، وتجربة نفسية يقم الشاعر تحت أهوالها ومعانيها بكل ذرة

من كبره ~~أنه هذا الأمير جديدي في~~ ~~مؤثره ومبعثه لصوته ، الشكوية والتعبيرية . . . . .~~

ومرجع هذه الجدة أولاً وأخيراً هذه عشق الإيمان بالوطن والدفاع عن قضاياها . وحمايته

والوقوف بجانبه (٢)

وللوطن في رسالته مساحة عظمى . يتجلى ذلك في أشعار الحنين وتصويره للوطن

وأحداثه . والقوف معه في محنته ، والرترله بما حبيب لديه القاب . . . . . إلى

غير ذلك ما تقدم ذكره .

(١) اقرأ له قصائد " الشاعر والأمة " ٤٤٧ زهير ميوزا ، " الطين " ٣١٨ . . . في

سبيل الإصلاح ٧٢٥

(٢) أرجع إلى القسم الخاص بالاتجاهات الوطنية والقومية والسياسية " في الفصل الثاني

من الباب الرابع .

( ٦٠٥ )

ومن أجمل ذلك قصيدة " شبح " (١) و " الشاعر في السماء " (٢)  
بما جمعا من مناجاة ، ونفخ في ثوب موشى بالحب وفضياض  
بالمشق وفيه من الباطنه الساحرة جمال أخاذ .

\*\*\*\*\*

=====

(١) ايليا أبو ماضي ، ٥٠٠٠٠٠ ، زهير مـ يوزا ٧٤٦

(٢) الخائل ١٢١

## ثانياً : التجديد فى البناء والصورة

\*\*\*\*\*

أولاً : الأوزان والموسيقى .

وقبل أن نسير مع "ابى ماضى" فى هذا المجال نشير الى أن .  
 الشعر الجاهلى كان صورة حية محببة وراقية وملائمة لشعرنا العربى أنشد .....  
 وفى أوائل العصر العباسى اكتشف الخليل بن أحمد علم العروض والقافية ، وظلت  
 القصيدة العربية على نظامها وزناً وقافية ، وقد ألزم الشعراء أنفسهم بالارتباط بالبحر  
 طول القصيدة ، وعدم الخروج على تقليد القدامى ، وبهذا يظل نظم القصيدة متوازناً  
 فى جميع عناصرها الموسيقية ، وما يشجع بين هذه العناصر من قوة تجاذبية ، وتتوالى  
 الاهتزازات ، والحركات والسكنات ، والإنسجامات الصوتية وتلحق هذه بتلك فى قطع  
 موسيقية متساوية .

وظل الأمر كذلك إلى أن استحدثت المباسيون (ضرباً من المقطوعات الخمسة  
 استحدثه بشار . إذ تتوالى القصيدة فى وحدة خفاسية الشطور ، وهى أصل الشطر  
 المعروف باسم "المهشيط" كما استحدثت بشار ومن جاءوا بعده ضرباً من الشعر  
 المزدوج تتوالى فيه وحدات القصيدة . ثنائية الشطور . وكل شطرين فيها يتحدان فى  
 قافيتيها . (١)

وشاع الازدواج معتمداً على الرجز عند "أبان بن عبد الحميد" وأبى المتاهية .  
 الذى استخدمه فى "ذات الأمان" التى يقول فيها .

إن الشباب والفراخ والجدة \* مفسدة للمرء أى مفسدة

وظل ذلك طريقاً لنظم الشعر التلميزى . لما فيه من قدرة على إثارة الانفعال . بأنظمة

=====

— وبلغ حب القافية شأواً جعل أبا الملاء — حباً لها أو اثباتاً لقدرة لغوية يأتى  
 بنظام اللزوميات • يتلزم فى القصيدة حرناً أو حرفين قبل السوى • بينما ظلت صورة  
 القصيدة القديمة هي السائدة... حتى... جاء الأندلسيون •  
 فتأثروا — فيما تأثروا به — بالخناء الشائع وبهيفه الترف... وتمخض ذلك عن ظهور  
 نظام جديد للقصيدة • هو نظام الموشح • الذى يتألف من لازمة تتكرر قافيتها ووزنها مع  
 كل الأبيات وقد يكون — تعداد سطورها من ٢ — ٤ — ٦ والأبيات تتكون من شطـر  
 من ٣ — ٧ وكل مجموعة تلتزم بقافية واحدة • ومخالفة لما يأتى بعدها من أبيات فى  
 القافية أما الوزن فواحد على طول الموشح •

والموشح لحنان مختلفان • والوحدة فيه هي القطعة المركبة من هذين اللحنين • وقد  
 يكون الموشح من وزن واحد • أو من وزنين كل لحنٍ منهما من وزن • تبلغ أنغامه وقتته  
 ونغمته مبلغاً حياً • بما فيه من ضروب توازن موسيقى • وإيقاع كامل • ومع هذا  
 ظلت القصيدة التقليدية مخوفة بسلاطنتها سائدة فى ميدان الأدب • وظل الأمر كذلك  
 حتى عبء المحيط الأدبى من شذى الجماعات الأدبية... المهجر — الديوان — أبولو  
 فأخذوا يتحررون من القيود التقليدية ويتغنسون فى التحرر الشكلى والموضوعى واحسوا  
 يتحللون من جمود القديم فى شكله ومحتواه • وتفاوتت درجات تحللهم من الثوب القديم  
 وكان أشدهم جراً فى هذا المجال — مدرسة المهجر الشمالى • التى جمعت  
 الألفاظ فى المقام الأخير • فراح كل منهم يستخدم ما يحلو له من الكلمات • ويشتمق  
 منها ما شاء فيما يشاء • مما ساق اليهم كثيراً من التحامل والهجوم الشديد... الذى  
 يصل إلى حد السخرية أحياناً... وكان ينبغى للناقدين قبل تقديمهم أن يضموا فى  
 أخبارهم أن لهؤلاء مفهومًا للأدب يكاد يبلغ حد المعتقد عندهم • يقول ميخائيل  
 نعيمية ..

• الأدب الذى تعتبره هو الأدب... الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها  
 كما قال "إن الرابطة القلمية ما كانت لتقدم المجموعة (الرابطة القلمية ١٩٢١) التى

(٦٠٨)  
قراء المرعبة إلا لاعتقادها بأنها أتخذت من الأدب رسولا لا معرضا للأذياء اللغوية  
والبهرجة المروضية .

ويقول " أبو ماضي " في فاتحة " الجداول " . .

لست منى إن حسبت الشعر الفاظا ووزنا  
خالفت دريك درسى وانقض ما كان مننا  
فانطلق عنى لئلا تقتنى هما وحزنا  
واتخذ غيرى رفيقا وسوى دنياى منى

وكان شعار " السمو "

أنا لا أهدي إليكم ورقا \* غيوكم يرضى بحـ ~~ورق~~ ورق . .

إنما أهدي إلي أرواحكم \* فكوا تبقى متى الطرس احترق

وفى حفلة ميلاد ديوانه الخمائل يقول : . .

ليس لى من قصائدى غير أوزان . . . \* وليست أصيلة أوزانى

أصدق الشعر فى الحياة وفيكم \* ليس غير الأظلال فى ديوانى

هذا هو رأى الشاعر " أبو ماضي " صراحة فى مسألة الصياغة " اللفظ - الوزن - الموسيقى "

فالقصيدة فكر قبل كل شىء تخدمه باقى المكونات الشعرية . .

وليس معنى قول " أبى ماضي " لست منى . . . ألفاظا ووزنا " . أن الشعر عنده ضرب

من القول بعيد عن الوزن ، فالشعر تجربة تفروها إلى الوجود الصياغة " الألفاظ -

والأساليب والصور " وإذا ارتضى الشاعر أن يسوق التجربة فى ثوب خال من الوزن بعيد عن

السوا المتولد من موسيقى التفاعيل فما كان إلا تأثرا فالوزن للشعر أيا كان ضرورة .

ولكن ما يعنى به " أبو ماضي " إن الممانى والأفكار فى الدرجة الأولى ، والألفاظ بعدها

فالقصيدة فكر خالد متجدد ، يبقى بقاء الزمن ، وإن كان الفكر الجميل لا يمنع أبدا أن يكسى

بالثوب الرائق الجميل .

وقد جاء فى رصيده فكر خالد فى ثوب براق متع أخذ عذب . . . .

وقبل أن نسير معه فى تجديده الصياغى . نستعرض نظام صياغته فيما جاء له من أشعار

— نظم " أبو ماضى " كثيراً من شعره على النهج العربى من وحدة البحر والقافية على طول القصيدة . . . . . وكرر ذلك فى ديوانية الأول . " تذكّار الماضى " والثانى " ديوان إيليا أبو ماضى " .

وفى مجال السير على لبنات السابقين مع بعض من التمرد الذى يمكن أن نعتبره نوعاً من الجدة الصياغية . الوزنيّة .

٢— يحلوه أحياناً تقسيم القصيدة إلى مجموعات تختلف كل مجموعة عن غيرها عدداً ، وقد تتفق . . . . . وكل مجموعة تلزم رويّاً واحداً وكلها من نفس البحر . وأحياناً . يعزج فى القصيدة بين البحرين والثلاثة أو أكثر حسب حالته النفسية ، وذلك ضرب من الخروج عن التقيد المهادم لطاقة المرء الشعرية . ومن ذلك " نار القرى " الجداول ، و " الأسطورة لأذلية " الخمائل . وأمنية . الإلهة " الخمائل . يقول فيها بعد أن طلبت منه مطالب لبّاءها ودعاها كى تبارك له صنعه .

|                                  |     |                                |
|----------------------------------|-----|--------------------------------|
| وعاها إليه كى تبارك صنمهُ        | *   | ولم يدر أن الحبّ جمّ المطالب   |
| أ: فقالت له: أحسنت! أحسنت مبدعاً | *   | فيا لك ربّاً عبقريّ المواهب    |
| ولكن لى أمنية ما تحقّق           | *   | إذا لم تُنلنيها فما أنت صاحبى! |
| ***                              | *** | ***                            |
| فد نياك هدى على حسنهما           | *   | وسحر مشاهدِها والصـ            |
| ب: تشاركنى سائر الإلهات          | *   | لذا ذانها ونساء والبشر         |
| ***                              | *** | ***                            |
| أريد دنيا فيها شعاع              | *   | يبقى إذا غابت النجوم           |
| ج: أريد دنيا تحس نفسى            | *   | فيها نفوساً بلا جـ             |

٣— نظم جزءاً كبيراً منتهجاً نهج الموشحات الأندلسية ونادراً ما يتقيد فيها بطريقة الموشحة الأندلسية . . . . . ويبدو أنه غالى فى حرته الاستخدامية والتصنيعية للموشح فراح يتمرد على أنظمة المألوفة . فقد خرج فيها عن الروى الواحد ، وجمع فيها بين بحر أو بحرین أو أكثر وفتح لها مجالاً فى سائر الأغراض الشعرية . . . . . وأجمل ما صنع أنه أحياءها بالحوار أحياناً . . . . . استخدمها فى الرثاء . . . . . فى موشحة " مهرع القمر " ( ١ ) وفى التأمّل ( ٢ ) . . . . .

(٦١٠)

وفى الشعر الوطنى (١) وفى الغزل (٢) والاجتماعيات (٣) .  
وسار فيها شوطاً بعيداً وكأنه قد عشق حريتها فراح يقلبها على شتى وجوهها . . . . .  
ومن ذلك تجمعت له فى أثماره مجموعة كبرى من الموشحات المختلفة التى تشقت عبر الحرية  
المطلقة فى الوزن والردى والقافية . . . . . الخ . . .  
وانظر إلى عمق هذه الموشحات عند " أبى ماضى " ، واتساع أفاقها ، وساطة التعبير فيها  
ما جعلها غنية بالأحاسيس الرقيقة ، ويكثرو من ألوان الموسيقى . . .  
ويبدو أن أثر الأدب الفرسى قد بدا فيها واضحاً فانظر إلى تصرف " أبى ماضى " فى  
أوزانها . استمع معنى إلى قوله فى قصيدة " مصرع القمر " (٤)

|                            |   |                             |
|----------------------------|---|-----------------------------|
| لوعة فى الضلوع مثل جهنم    | ■ | تركت هذه الضلوع رقاباً      |
| بيت وفى للدهر بى يتعلم     | ■ | كيف يرمى القلوب والأكبدا    |
| كيف ينجو فواده أو يسلكم    | ■ | من تهادى به الأسى فتمادى    |
| أنا لولا الشعر لم أتالم    | ■ | ليت هذا الفؤاد كان جماداً   |
| كيف لا أبكى وفى المين دموع | ■ | كيف لا أشكو وفى القلب صدوع  |
| قل فى الناس من صعب         | ■ | مختاراً                     |
| **                         |   | **                          |
| لحظة ثم صار ضحكى وجيماً    | ■ | ونشيجاً ، والنوم صار سهاداً |
| رب لما خلقت هذى الخطوباً   | ■ | لم لم تخلق الحشا فلولاً     |
| كلما قلت قد وجدتك جيماً    | ■ | طلع الموت بيننا يتهادى      |

=====  
(١) السابق ٢٧٦ ، ٢٧٩

(٢) السابق ٥١٧ " تعالى "

(٣) السابق ٦٥١ . .

(٤) السابق ٢٩٥ . . . . . زهير ميموزا .

صوت في هذه الحياة غريباً ■ ليت سهدى الطويل كان رقاباً  
فتجلد أيها القلب الجزوع ■ أو تدفق كلما شاء السولوع  
فندما أو دما هدير ■ أو نارا

ترى فيها جمالا • فى غناها وتنوع موسيقاها الداخلية وما فيها من لزمة إيحائية بهذا  
الحزن وتأوهات النفس • وسحابات الغم • مع اكفاظ الشطرات بالوجيب والنحيب  
واستقلال أكرها بيمان مستقلة •• ما هيأ لها جندة فى - لونها الموسيقى ••  
ولنمد إلى \* موشح آخر • وهو بعنوان " فى الليل " ( ١ ) ونسير على هذا النظام

|   |       |
|---|-------|
| أ | _____ |
| ب | _____ |
| أ | _____ |
| ب | _____ |
| أ | _____ |
| ب | _____ |
| أ | _____ |
| ب | _____ |

لزم الروى فى شكل القصيدة  
والبحر الشعرى مع تشفير يمتري باقى الأبيات بنظام معين • فأشطر الأبيات الأولى  
" عروضها " تلزم رويًا واحدا • يتغير فى كل قسم •• وضروبها كذلك ••  
ومع أن البلاغيين قد عدوا - مع إخوانهم المرؤسيين - التضمين عيبا تجد لبعض تضمينات  
الشاعر جمالا ورقة يقول ( ٢ ) تحت عنوان " بلادى " •

إنى مررت على الرياض الحالبيّة  
وسمعت أنغام الطير الشاديّة  
فطربت لكن لم يحبّ فوئديّة  
كطير أرى أوزم - بلادى ••••  
قالوا : رأيناها فلم نرّ طبيّة  
ولّى صباها والجمال مع الصبيّة  
فأجبتهم : لتكن بلادى سببيّة  
قفروا ، فلمت أحبّ غير بلادى



ثم استمع إلى أوزانه الجديدة التي لم تصهد في الشعر العربي من قبل . . . والتي يبدو فيها

أثر الموسيقى والصياغة العربية . يقول في قصيدة العميان (١)

كم خفضنا الجناح للجاهلــــــــــــــــين

وعذرناهم فما عذرونــــــــــــــــنا

خبروهم يا أيها الماقلــــــــــــــــون

إنما نحن معشر الشعــــــــــــــــراء \* يتجلى سر النبوة فينا

٤- نظم أبو ماضي على طريقة المزدوج والمثنويات ، والمثلثات ، والمربعات والمخمسات . . .  
والمسدسات . . . والمقطوعات التي تصرف فيها بحرية مطلقة . الأمر الذي غيّر في الإيقاع  
الموسيقى في أجزاء القصيدة من خلال التغيير التفصيلي أو استبدال الروى بغيره والقافية  
بغيرها . . . . . الخ .

وأعمل في بعضها التمديلات المختلفة من زيادة ونقصان ، كما تصرف في تفعيلات البحر  
الذي استخدمه . . . وذلك وإن كان اجتهاداً (٢) . لا نقول أنه نوع من التجديد

في ظل نظام معين . . . مسبوق بالموشحات . فهو أيضاً نوع من التجديد . والتجديد الشكلى  
في صورته الواسعة . ولم نقول إنه اجتهاد ولا نقول أنه نوع من التجديد الذي لا يستهان به  
بشأنه في مجال الشكل . . . ألسنت معنى أيها القارئ . أنه يوم أن ثار أبو نواس على مقدمة  
القصيدة الجاهلية . . . أو التي تبدأ بالبكاء على الأطلال . . . وما شابه ذلك . ووضع مكانها  
مطلماً آخر قلنا " النقاد " إن ذلك لا يعتبر تجديداً . وهو وإن كان قد حارب مطلقاً  
قد استبدله بقيد آخر . تنبهنا وقتها إلى أن ذلك غرس لثورة تبنيتها الأيام وأظهرتها على  
مدار الزمن فقد تغيرت الأشكال من يومها إلى وقتنا هذا مراراً . . . بل إن ذلك كان فاتحة  
بدايات ملائمة للعصر . . . ويوم أن ظهرت الموشحات وهى معتمدة على تفاعيل من صنع  
الخليل ألم يبارك تجديدها فهو من الناس ؟

=====

(١) السابق ٧٧٤

(٢) انظر التجديد في الوزن " انسى داود . "

(٦١٣)

فمن المزدوج قوله (١) في قصيدة الكأسان ١ مصرعة ١

كان على خوان رب المال  
كأسان من خمر ومن زلال  
هاتيك في الخمرة مثل العندم  
وتلك في بياضها كالدهرهم

وتسير القصيدة على هذا النمط من الازدواج الذي يتخبر في كل بيت

— ومن ثنائياته وهو غنوده قليل ٠٠٠٠

بنيت فودوس وزخرفته \* حتى إذا ما تم ضيقته

أجريت في أنهاره كوشرا \* فذاقه الناس وما ذقته

— ومن رباعياته التي انتشرت في شعره وشاعت أنواع كثيرة منها ٠ الطلاسم ٠٠٠

وهي تسير على هذا الشكل ٠٠

متحددين في الروى في جميع الرباعيات  
أ  
أ  
أ  
ب

لازمة — ج تتكرر مع كل الرباعيات بنفس الروى والمعبارة

وتختلف قافية كل رباعية في ( رويها ) عن الأخرى ٠ فالأبيات الثلاثة الأولى تلتزم بروى واحد

في كل رباعية يختلف عن باقى الرباعيات ٠٠٠ والبيت الرابع والأخير يأخذ مع كل رباعية رويها

فتكون في الثانية مشلا ٠٠

ويختلف رويها عن السابقين  
ع  
ع  
ع  
ن  
ج

=====

إن يك الموت رقاداً بعمده صحوً طويل  
 فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل ؟  
 ولماذا لا يدري متى وقت الرحيل ؟  
 ومتى ينكشف السرُّ فيدري . . . . .  
 لست أدرى !

ومن هذه الرباعيات ما يأخذ هذا النمط:

أ \_\_\_\_\_  
 أ \_\_\_\_\_  
 أ \_\_\_\_\_  
 متحدة في رويها وتختلف عنها ما بعدها وهكذا  
 تختلف الثالثة عن الثانية .  
 ب \_\_\_\_\_ يلتزم بروية طيلة القصيدة .

ومثال ذلك رباعية "أما أنا" (١) يقول فيها :

الطود يقرأ في السماء الصافية  
 سفراً جميلاً متنه والحاشية  
 أما أنا فإذا افتقدت كتابي  
 أتلو كتاب الحب في عينيها . .

ومن أشكال الرباعيات عنده ما يأخذ هذا الشكل :

أ \_\_\_\_\_  
 أ \_\_\_\_\_  
 أ \_\_\_\_\_  
 يلتزم فيها اتحاد الروى في كل رباعية وتختلف  
 عنها في كل رباعية . كما تختلف كل رباعية  
 عما قبلها وما بعدها .  
 ب \_\_\_\_\_ وتغير في كل رباعية لا  
 ج \_\_\_\_\_ لزمة في كل رباعية يلتزم فيها بالاتحاد في الروى  
 ج \_\_\_\_\_ وتغير في كل رباعية . .

=====

(٦١٥)

من ذلك قصيدة "المساء" (١) يقول : لمن يخاطبها .

مات النهار ابن الصباح فلا تقولى كيف مات

إن التأمل فى الحياة يزيد أوجاع الحياة .

ورعى الكأبة والأسى واسترجس مرح الفضاة

قد كان وجهك فى الضحى مثل الضحى مشهلا

فيه البشاشة والبهسا

ليكن كذلك فى المساء

ومن مخمساته التى تنقسم فيها القصيدة إلى خمسة أشطر . خماسية " يابلادى " (٢)

ونظامها كالآتى :

أ \_\_\_\_\_ أ \_\_\_\_\_

أ \_\_\_\_\_ أ \_\_\_\_\_

ب \_\_\_\_\_

ج \_\_\_\_\_ ج \_\_\_\_\_

ج \_\_\_\_\_ ج \_\_\_\_\_

ب \_\_\_\_\_

وهكذا تسير مع اتفاق عروض وضرب الأربعة أشطر الأولى فى الروى فى كل خماسية بينما يختلف

روى ما بعدها مع اتحاد . ، أما الشطر الخامس فيلزم رويًا واحدا على طول القصيدة ومنها

مثلا يكن اللظى فى الرمساد \* هكذا الحب كامن فى فوادى

لست منرى بشادن أو شمساد \* أنا صبت متيم . يابلادى

يا بلادى عليك ألف تحية

\*

هو حب لا ينتهى والنعيسة \* لا ، ولا يضحك والأمنيئة

=====

(١) نفسه ٧٨٤

(٢) نفسه ٢٦٣

كان قبلي وقيل نفسى الشجيرة \* كان من قبل فى حشا الأذلية

وسيقى مادامت الأبدية

ومثال المخصصة السابقة " باخرة الإغاثة " (١) يقول فيها ..

سوى تراعىك النجوم الساهرة

ليلا ، وعين الشمس عند الهاجرة

فلأنت عند الشرق أجمل باخرة

تجرى إليه بها المياة الزاخرة

يا ليت أنى فىك أو إنى

— وهذه المخصصة وسابقتها فى الحنين إلى الوطن .....

ومثلها فى النظم والشكل • ولكنها فى موضوع الرثاء " مازال فى الأرض حياً " (٢) وفيها

يقول: راثيا الأديب أمين الريحانى •

المسى قد غاب تحت الرغام \* إنما لم يفب عن الأفهام

فهو باق فىنا مدى الأيام \* فعلمية تحيتى وسلامى

عاش حراً ، ومات حراً أبنا

ومن سداسياته • التى لم يلتزم فيها بالعدد فى كل مجموعة فقد جاءت سداسية فى

كل الأقسام غير قسم جاءت فيه رباعية وهذا القسم وسط القصيدة وعنوانها " ليالى

بوسطن " (٣) ونظامها كالتالى ..

آه لو يفنى خيال عن عيان \* كان كالمنهل رسم المنهل

ولعاش البرء فى دنيا الأمانى \* يقطع الدنيا ولم ينتقل

وسلونا عن مكان بمكان \* ولاغنى آخر عن أول

=====

(١) السابق ٤٤٥

(٢) السابق ٤٨

(٣) السابق ٥١٠

(٦١٧)

ولنا بت عن نجوم نسران \* صور مطبوعة في المسوق  
واكتفينا بخير الساقيات \* في الدجى عن مائها المنفق  
ونراه يلتزم بتروية الضرب في كل قسم بحرف واحد . وكذا المروض .  
وانظر الى تصرفه ليس في المروي فقط ولكن في البحر والتفصيلات . . .  
من تغيير وزيادة ونقصان . يقول في " الناسكة " ( ١ )  
أبصرت في الحقل قبيل المنيب . . .  
سنبلة في سفح ذاك الكتيب . . .  
حانية مطرقة الرأس . . . . . \* كأنما تسجد للشمس  
أو أنها تتلو صلاة المساء

وعندما راح يجمع الحب ويلقيه في النار متخذاً منه لنفسه طعاماً إذ سمع صوتاً يقول له :  
عندما كان يسبح في فرجه

وإنني في مرجى والسدر  
إذ صاح بي صوت بلا موعيد  
ما الحب يا هذا ولا السنبيل \* ما تاكل النار وما تأكل  
وإنما أسلافك الأصفياء

ومن التجديد الذي انبثق من كسر الشاعر للصورة الموسيقية ، تلك الصورة القائمة على  
جزئيين متساويين ، واستعاض عنها بصورة تغيرت فيها نسبة القسمة بين الشطرين . ( ٢ )  
مما أضفى عليها الجودة الوزنية - والموسيقية " يقول فيها . . .

عصفت ريح السودي بالشميل . مخبأ  
أيها القائم عنا والعيون في سهر  
نحن من بعدك أسرى للشجون والكدر

=====

( ١ ) السابق . . ١٨٨

( ٢ ) السابق ١٧١

(٦١٨)

تفتكى أرواحنا ظلم المنسجون والقدر  
للسما للليل ، للفجر الجلي للسرور

وأحياناً يقسم " أبو ماضي " القصيدة إلى مجموعات بروى واحد على طول القصيدة وبحر واحد . ولكنه يختم كل مجموعة بالزومة وكان هذه المجموعة تصور عنده حالة نفسية تعترية تكون هذه اللازمة بمثابة اللمسة الأخيرة لتصوير حالة نفسية تعترية وقد لا يلتزم في هذه المجموعات بنسبة عددية واحدة . ومن ذلك . لم أجد أحد " (١) التي اتخذها في نهاية كل لزومة . وجاءت أعداد المجموعات باللائمة كالآتى :

١٣ - ١٠ - ٩ - ٧ - ٨ - ٣

ومن مجموعاته الشعرية " في القصيدة الواحدة " " أمة تفتى وأنتم تلمعون (٢) - نظمها الشاعر مقسمة إلى أقسام كل قسم خمسة أبيات منها ثلاثة على قافية بعينها والبيتان الأخيران على قافية أخرى بمثابة لازمة يتكرر رؤسها على طول القصيدة يقسول فيها : . . :

الليالى غاديات رائحة \* باللهواهى وأراكم تضحكون  
ما اتعظتم بالسنين البارحة \* لا ولا أنتم غداً متمظنون  
يا الهول الخطب (٠٠٠) باللفاحه \* أمة تفتى وأنتم تلمعون  
فادفنوا أضغانكم يا زعماء \* ييمث الله من القبر الوثام  
وابسطوا أيديكم يا أغنياء \* أبفض السحب إلى الصادى الجهام

=====

(١) نفسه ٦٩٤

(٢) السابق ٣٠٧

(( الألفاظ والأساليب )) (٦١١)

يطيب لي أن أستعير هذا القول لأحد النقاد . (١) يقول . .  
( إن للألفاظ أرواحاً ، ووظيفة التعبير الجيد أن يطلق هذه الروح في جوها الملائم

لطبيعتها ، فتستطيع الإيحاء الكامل ) .

ويقول آخر . .

" إن تحت كل كلمة من حيث هي لبنة في بناء اللغة . تاريخاً نائماً يوقظه الشاعر بأنفاسه "

فالألفاظ إنما يكون شاعر يا عندما ينضج فيه الشاعر من روحة " (٢)

وأسوق هنا قول " أبي ماضي " الذي أورده في الجداول " الفاتحة "

لست مني إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً

وهناك فرق بين القولين في عالم الألفاظ . " فأبوماضي " لا يهتم بالألفاظ اهتمامه بالفكرة

الخالدة ، ولهذا نجده يطلق لفته من سجن القواميس . مما أدى إلى وجود كثير من

التجديدات اللفظية التي تسير في حيرة تامة :

— فهو يعتبر العناية باللفظ فضولاً ، وكأنني به يرى أنه في حل من الخطأ . مادام الفروض

الذي يرمى اليمفهوموما ، ولهذا راح يشتق مفردات جديدة . ويرتجل أخرى ، وينقح في

ثالثه ، وبلغ من تمرده على اللغة خروجة في ألفاظه وتعبيراته عن دوائر الصحة النحوية

واللغوية والصرفية أحياناً وكل ما أستطيع قوله في هذا المجال إن هذا الرافد أتى للشاعر

من ناحيتين . .

أولاهما : التكوين اللغوي للشاعر والذي لم يكن شيئاً مذكوراً " في بداية شاعريته

جعلها يهرب من قيود اللغة . التي لم تسلم قيادها له . . . فراح يتمرد

عليها كما تمردت عليه (٣)

=====

(١) نقلا عن كتاب " ابراهيم ناجي " سلسلة الاعلام د . على محمد الفقى ٢٧٧

(٢) الاسلوب ، د . أحمد الشايب ١٦٤ . . نقلا عن السابق .

(٣) ارجع إلى الفصل الخاص بمدواوينه وانظر إلى سقطات الشاعر في تذاكر الماضي "



ثانيهما : تأثيره بنسب الرابطة القلمية . التي قال عنه جبران في هذا الشأن "

" لكم لغتكم ولى لغتى • لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات • • • • • ولى فيها ما غرسته الأذن • وحفظته الذاكرة من كلام مالوف مانوس تتداوله السنة الناس فى أفراحهم وأحزانهم" • • • • • لكم لغتكم ولى لغتى ! • لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقة من أثواب لغتكم : ولى أن أمزق بيدي كل عتيق بال وأطرح على جانبى الطريق كل ما يحرق مسيرى نحو قمة الجبل • • • • • (٢)

وقال فيها نعيمة عن القاموس الشنعوى " هذا القاموس ليس تنزيلاً مقدساً ولسنا نحن مطالبين بأن نعامل لغة الصلوح بدل الحصا ، والأسفلط بدل المدامة ، والخشليل بدل السيف ، والقدوكس بدل الأسد (٢) فمن حق الانسان أن يستعبد اللغة " لأن الانسان أوجد اللغة ولم توجد اللغة الانسان ، فهى تحيا به لاهوبها ، وتتغير بتغير أطواره ، ولا يتغير بتغير أطوارها " (٣)

وأستصير قول الاستاذ محمد مندر " إن الاستفادة لا تكون إلا من اللفظة — المألوفة وليست المبتدلة • ولا المهجورة التى تقل إفادتها ، التى تتداعى بسببها مشاعرنا " (٤)

وأما أبو ماضى فقد "أجاز لنفسه كل تعديل وتبديل • ، وأخذ من مبادئ — الرابطة مبرراً للسور فى الانطلاق اللغوى حتى خرج باللفظة من قواميسها اللغوية والنحوية والصرفية كما قلنا • • • •

وجاءت الفاظة تحوى الآتى :

— السهولة البالغة التى ظهرت فى أساليبه • وقد تحقق ذلك لألفاظه من استخدامه للعامية تارة • ، ولاختياره أخرى •

(١) انظر بلاغة العرب فى القرن العشرين جمع محى الدين رضا • ٥١ وما بعدها •

(٢) انظر الضربال ٧٨

(٣) السابق ٧٦ ، ٧٧ (٤) الميزان الجديد ٥٥

(٢٢١)

— اشتقاق كلمات جديدة • وذلك لسهولة سبيل عنده ما دام هناك دواعي لذلك ومثل هذا النوع

قوله •

والمجرب داء لا ينال دواؤه حتى ينال الخلد في " الدنيا " (١)

وقوله :

روحي التي بالأمس كانت ترتجح في القباب مثل الطيبة القمراء (٢)

ومن ذلك استخدام جمع خاص فخصا لف للقواء واللخوة المبرونة • يقول في قصيدة " ابن الليلى (٣)

للك هذا الأفق لكن هو أيضا للكواكب

إنما لو كنت لبثا ذا " يتوب " ومخالب

لم تمت في وجهك الحاظ الثقالب

ضنَّ جمالك

وجمعه لأم على كاسات • يدل من كسوس (٤)

— واجتماع الإضافة والتسريف • قوله (٥)

هان عصر الينان والواكبها وفي قصيدة أنت • يقول (٦)

عند عصر البخار والكهرباء

قد بكى التاركوك منك فنوطا فبكى الساكوك خوف التناسى

=====

(١) • (٢) — ايليا ابوا ماضى — زهير ميرزا ١٠١٥١٥٠

(٣) — جداول ٩٦

(٤) — جداول ١١٩

(٥) — ايليا ابوا ماضى — زهير ميرزا ١١٩

(٦) — نفسة ١٠٣

واستخدام بعض الألفاظ غير العربية في صورة كلمات معرّبة .  
يقول في كتاب إيليا أبو ماضي لزهير موزا ص ١٢١ وكان " تكس " وهي في  
هذا الحمى صَقَّ " كما يقول " قصي ناء " ويقول في ص ١٥٧  
أنا في " نيويوك " بالجسم والسرَّوح في الشرق على تلك الهضاب  
في ابتسام الفجر في صمت الدجى في أسى " تشرين " في لوحة " أب " .  
وفي ص ٣٤٢ تحت عنوان أيانيل  
" فخورست " في مصر يعدُّ سهمه إليه وقناص الوحوش يضافه  
وفي ص ٤١٥ قصيدة " الماشق المخدوع " يقول فيها  
ويد الفتى " هنرى " تطوقها فحصدت ذاك الطوف في الخصر  
وفي ص ٤٨٣ ، قصيدة " هـلا أم نعمة " يقول فيها :  
أحبّ ممانقة النرجس لعينيك يا ابنة " كولبئيس " .  
ومن هذا كثير .

ومن الألفاظ التي استخدمها أبو ماضي ما يدل على ذوق موسيقى . فقد استخدم  
كلمات الكنجه ، المزمار ، ، القيثارة ، وتجد له قصيدة تحت عنوان " الكنجه المحطمة " <sup>(١)</sup>  
يقول فيها .

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| شاهدتها كالبيت في أفانسه   | فوجت الأعيوة أرتيهها       |
| مهجورة كسفينية منبودة      | في الشطّ غاب وراءه ما ضيها |
| لاحس في أوتارها لاشوق فسى  | أضلاعها بالاحسن في باقها   |
| كم هزنى الشدو الرخيم ساقطت | لنفس هموماً أوشكت تليها    |

وكثيراً ما تجد من الشدو والنغم . في ديوان الخائن

وهو القائل فيها تحت عنوان " كمنجة الشوا " .

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| نيويوك يا ذات البرج التي | سمت وطالت كي تمس الغمام |
|--------------------------|-------------------------|

(٦٢٣)

لن تبلغنى والله باب السماء \* إليّ أوتار كسار الشام

فاصغى إلى ألقائه لحظـة \* تحترق كل صنوف الكلام

ومن ألفاظه الجميلة الموحية .. قوله فى (١) قصيدة الأسرار .

يا ليتنى لعل لأسرق فى الضحى \* سر اللطافة فى النسيم السارى

وأجس موثق الجمال بأصبعى \* فى ورقة الأفق الجميل المارى

ويبين لى كنه المهابة فى الربى \* والسرى فى جذل الفديرو الجارى

والسحر فى الألوان والأشام وا \* لأنذاء والأشذاء والأزهار

.. وترى ذلك فى قصيدة . المساء . ابنة الفجر . والكثير من قصائد ..

كما عاد ببعض الألفاظ عند الاستعمار إلى الجو الأسطورى فلقطة الله . تعنى عند

المؤمنين شيئاً معروفاً هو الجلالة والقدرة والخالق .. الخ .

بينما استخدمها " أبو ماضى " جاعلها كالبشر تمنى . وتثرثر ويضحك . فقرأ له ذلك فى

قصيدة .. الشاعر فى السماء .

" وليس من ضئير عطسى الشاعر أن يستعير قدرة هذه الألفاظ - عندما تسبح فى جو

أسطورى - فى عمله الفنى - ما دام متوحى له بما هو فى حاجة إليه ..

أما من حيث الأسلوب . فتمثل جدته فى استخدام أسلوب الحوار الجذاب الذى يستمبد

المقارى . ويحفزه على المتابعة وأكبر مثل - والأمثال عنده كثيرة - قصيدة ابتسم ..

فحين يحكى " أبو ماضى " عن صاحبه الماييس قولـه . (٢) .

" السماء كهيئة " ويصف نفسيته الداخلية التى انعكست على مظهره فراح فى كدر شديد

" وتجهما " ويترك فى نفس المقارى السامع اشتباهاً إلى ما سيدور بعد . فيكون بذلك

قد غرس بذرة التشويق للمتابعة والاستمتاع .. لما يأتى بعد . وهكذا عرف " أبو ماضى "

=====

(١) الجداول ٦٣

(٢) انظر الخائل ط ١٣ مارس ١٩٧٩ ٥٨

كيف يصنع حوارياته الممتعة المتبوع حواراه في أكرها بالدليل تلو الدليل على القضية التي يدور حولها الحوار . . . مما يجعل السامع يتابع حتى النهاية . ما قرأ له هذه الأبيات من القصيدة نفسها . .

قال : : " السماء كثيفة " ونجّها \* قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السماء  
قال : الصبا ولى اقلقت له ابتسم \* لن يوجع الأسف الصبا المنصرما  
قال : التي كانت سائى فى الهوى \* صارت لقلبي فى الفرام جهنما  
خالج : خانت عهودى بحد ما ملكتها \* قلبى ، فكيف أطيق أن أبتسما ؟  
قلت : ابتسم واظرب فلو قارتها \* قضيت عمرك كله متألما  
قال : التجارة فى صراع هائل \* مثل المسافر كاذ يقتله الظلما  
أو غادة مسلولة محتاجة لـدم \* وتفت كلما لهنت ، ودمما  
قلت : ابتسم ما أنت جالبداء لها \* وشفاها ، فإذا ابتسمت فرما  
وكثيرا ما كان يجرد من نفسه شخصا يحاوره . عن أسرار الكون ومشكلات الحياة . ومن ذلك قصيدة " لا أنا ولا أنت " ( ١ ) ومنها قوله . .

قلت : السعادة فى المنى فرد دتنى \* وزعمت أن المرء آفته المبنى  
ورأيت فى ظل الغنى تماثلها \* ورأيت أنت البؤس فى ظل الفنى  
ولقول إن خلقت فقد خلقت لنا \* فتقول إن خلقت فلم تخلق لنا  
ومن ذلك الكثير وعلى سبيل المثال " التينة الحماة " - الجداول ، الفراب والبابل  
الجداول - ، الخديبر الطموح " الجداول ، " الشاعر فى السماء " الخمائيل  
، الشاعر والسلك الحائر " الخمائيل . ويميل أبو ماضى كثيرا الى استخدام الأسلوب  
القصصى فى بعض قصائده ، وهو الأسلوب السردى الماظى ، أو التأمل الحزين ؛  
تقرأ له ذلك فى قصة " الشاعر والملك الجائر " والأسطورة الأفريقية .  
فتجد التأوهات المميرة والظلم والألوان المتقنة وأسلوب القص الواضح الذى يحمل بين  
طيئاته ذخرا من التحريك الداخلى وتصوير الواقع .

=====

## (( الصورة الشعرية عند ))

" أبي ماضي "

~~~~~

إذا كانت الموسيقى من مقومات الشعر الأساسية • وعلى الشاعر أن يختار منها ما يناسب
إيحاءاته النفسية • فإن الصورة شمس في سماء الشعر بدونها تبقى الجثة الشعرية
مظلمة • وأعنى بالصورة • تلك الصورة الحية المتحركة الهادفة • التي تنعكس
النفس أو ظلالها • وليست الصورة الشكلية التقليدية البسيطة التي تنقل صورة الأشياء
كما هي

والصورة الشعرية • هي فلسفة الشاعر في تناوله لمظاهر الوجود والوجدانيات في
محاولة لنقل التجربة إلى غيرة مخوفة بثوب شيق جذاب يثير المشاعر والانفعالات
وينقل القارئ إلى حالة نفسية شبيهة بحالة صاحب التجربة حين عاشها وتأثر بها •••••
ويثير الإيحاء والتصور في الشعر نظماً بارداً وكومة من الكلمات • الرهيمية •
.....

وتختلف الصورة من شاعر لآخر • ومن بيئة لأخرى • كما أنها تخضع لعدة عوامل • منها :-
قوة تخيل صاحبها وثقافته • • واللغة القادرة على الإيحاء • والدقة في نقل ما
يريد المبدع • ومنها ما يتعلق بالبيئة والظروف التي يعيشها الشاعر والمصدر الفعّال
فيها هو الخيال " إنه القوة المنظمة المنسقة الرابطة بين الذهنيات بطريقة يراها
الشاعر • " وهو الإبصار التام الواضح الحقيقة التجربة الإنسانية " (١)

- والصورة ليست محاكاة حرفية دقيقة للنفس أو الطبيعة ولا شك أن الصورة المنقولة
تقلد نسخاً عن الواقع لا تدعنا نشعر بذهول الأشياء إلا أن ذلك لا يعني
أن سلطة العقل ينبغي أن تزول • وتتساقط • لأن ذلك يحول الصورة إلى نسوع
من الهديان الذي لا ينعكس إلا سطح النفس • كما نرى في صورة الحجارة المهرولة

=====

(٦٢٦)

والزهيم التي تنزر في الرصيف ، فهدما نقول إن الشعر يتخطى حدود الفكر
لا نعلم أنه يزله ، * (١)

والأديب إذا فعل ذلك فما أتى بشئ * أبداع مما في الطبيعة والنفس وحينئذ يكون
قد قتل الوقت ، وأخذ شيئاً من الجهد من غير استفادة أو إفادة
وهيون الأمر لو اقتصر على قتل الوقت ، ولكن هناك قتلاً أشد وأقوى ، إنه
قتل الإبداع الخلاق الذي يقوم بالتنقيح ، ويغير النسب ويحمل من أجل إبراز
صور رائمة

والخيال

مرتبط بالمعاطفة ، فيتأثر بها كما تتأثر به ، ولا يقتصر الخيال على التشبيه
ولكنه " يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها ، وقد تكون القصيدة
ملأى بالتشبيهات وهي بالرغم من ذلك تدل على ضالة خيال الشاعر ، وقد تكون
خالية من التشبيهات ، ولا تدل على عظم خياله .. قيمة التشبيهات في إثارة
الذكرى أو الأمل ، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس ، أو إظهار حقيقة .. فالخيال
ليس قصوراً على التشبيهات ، وإنما كل ما يتخله الشاعر من وصف جوانب الحياة ،
وشرح عواطف النفس وحالاتها ، والفكر وتقلباته ، والموضوعات الشعرية وتباينها والبهوات
الشعرية " * (٢)

... وهذه الصورة ليست جديدة ، فقد قام عليها الشعر منذ كان ، ولكنها لم تصل
إلى هذه الدرجة من العمق والهدف والشمول ، التي وصلت إليه وقت " أبي ماضي " وأبو ماضي
قبل كل قول يحب الطبيعة ، وألفها لغة جعلته يفقد معها صداقة
حقيقية ، ويتخذ منها إماماً وهادياً ، وهو الذي نشأ طفولته في بيئة تحفها جنان

=====

(١) - مجلة الآداب ، إدارة د . سهيل ادريس العدد السابق السنة التاسعة

١٩٦١ ص ١٦

(٢) - انظر ديوان شكوى ج ٥ القدمة ٣٦٢ وما بعدها - ٣٦٥

الطبيعة • يلتصق فيها الجطل والراحة • كما يلصق المظبي ذلك من كانه وقت الاصيل • •
 والطبيعة هي التي تلقنه ببردها ولطافتها وهدوئها • بعد أن لفظته ماديه المفسوب
 ونار الحياة وصخبها القاتل • فواج يجب منها • الصور الجميلة • ونبراسها المستقيم
 وجمالها الساحر • يمزج فيها بين الانسان والطبيعة • ومظاهر الحياة مزجاً يصعب
 معه أن يفصل المرء أحدهما عن الآخر دون أن يتهلهل الموضوع ويتصدع المنهسان
 ترى ذلك في " ابنة الفجر " ، " والدمعة الخرساء " .

يعتمد على الطبيعة في تصويره كمادة أساسية لاغنى عنها للأصاح عن النفس وهيجانها
 وعاطفة المرء المجنحة • اقرأ له •

الشمس تركض في الفضاء الرّوح ركض الخائفين
 والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
 والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهديين
 لكما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

• سلمى بماذا تفكرين

• سلمى بماذا تحلمين

انظر إلى جمال الصورة وحيوتها حين يصر الشمس وهي تركض مذعورة فلفظ " تركض " في حد ذاته صورة • • يصرها وقت المساء • والشمس تبدو خلفها صفراء شاحبة اللون • عاصبة الجبين • كأنها تخشى إقبال المساء • والبحر ساج في هدوء الراهبين الخاشع • • • • •

فمظاهر الطبيعة • يستلهمها أبو ماضي لتصوير حالة فتاته الحزينة • فكل مظاهر الطبيعة التي ذكورها تولد في نفس حبيبتة الرهيبية • وتوحى لها بذكريات مخيفة وترسم في ذاكرتها • أشباحاً بفرزه • تتمكس في ناظرها • وتصل إلى درجة العميق في التجربة والخيال والصور أنك لا تستطيع فصل تصويره للطبيعة عن تصوير حالة الفتاة دون أثر هدام في هذه الصور • فقوله " السحب تركض في الفضاء الرّوح ركض الخائفين " .

(٦٢٨)

" والشمس تبدو الجبين " " والبحر ساج "

صور حسيّة ذات مرمى نفسى ، هذا وقد جمعت بعض الكلمات ودلالات ضاغطة

كالشمس والبحر ، كما أن صورة الشمس هنا تجسدية معبرة .

وتأمل " فيما يمد قول الشاعر " بالأرض كيف هوت عروش النور "

فعرش النور من عرش شعورة الكتيب .

ولنعد إلى صورة أخرى ، إنها صورة السنبلة المتحدثة الساجدة ، التي رآها فى

سفن كتيب . مطرقة قبيل المغرب . كأنها تسجد للشمس ، وتصلى للمساء . فمنونها

" بالناسكة " ولفظة المنوان فى حد ذاتها صورة رومانسية . يقول : فيها

" أبو ماضى " .

أبصرت فى الحقل قبيل المغييب سنبلة فى سفح ذاك الكتيب

حائية مطرقة المســــرأس كأنها تسجد للشمــــس

أو أنها تتلــــو صلاة المســــاء

وع جمال الصورة روحها فهو يتخذها مدخلا لحاجة فى نفسه فقد جمــــل

يتناول الحبّ ويلقى فى النار لينضج فى أكلته ، وغابت الشمس وخيم السكون على الكائنات ،

والشاعر متهلل لجمال الطبيعة ، فرح بما يعمل ، وإذا بالسنبلة ، ترفع هامتها

وتصبح بمــــه ...

ما الحبّ بهذا ؟ أو السنبلة ؟ ما تأكل النار ؟ وما تأكل .

إنما أمــــلاك الأصفى

وهكذا اتخذ من ذلك هدفا لعقيدة ييشها ولرأى يعلنه . ، و أحدثت هذه صدمة

فى نفسه فما أصبح عليها إلا أن يكون وقياً لهؤلاء . وأقرأ له هذه الصــــورة

فى " شيخ من يرتجف " . يقول :

وجاء شيخ حائر واجــــف مشتعل اللمة بالى الإهــــاب

لأننا زلزلته تحتــــه لما به من رعشة واضطــــراب

ويجوز هذه الصورة • حسن اختيار للألفاظ فهو يختار منها ما هو أجدر وأسبق
والحق • يوصف الشيخ المرتجف •

وهو عندما يشخص الطبيعة ويلونها من غير هدف إلى مطلق الإثارة • وإنما يتخفف
من ذلك وصيلة إلى نسلقتها بفلسفة النفسية عليها تتمكس للناظرين في أوفى
صورها وأكملها • ولهذا تراه يتهادى برفق ونعاب بهدوء وسط نفسية يفلج
عليها الهدوء •

الصورة • الجزئية تتضارع أخواتها • وممازج بهم لتخرج اللوحة فهاضه حقيقة
معبرة مؤثرة دقيقة ••••• في الظواهر الواقعية حيناً • والرمزية أحياناً •
وأبو ماض يصوب كل صورة إلى هدف محدد • يرمى إليه • حينما فكر وتمقّ وفصل
صطب بين أجزاء التجربة النفسية • ولهذا تجد صورته تتقدم شيئاً فشيئاً لتتجمع فيها
كل العوامل المساعدة في إثارة ما يريد من سخط وسخرية • • صورة " الضفادع
والنجوم " التي إيدعت عند الفجر واختفاء صورة النجوم • أنها انتصرت على النجوم
فمشت في سربها مختالة كطليق ظافر بين قروم •

صور مجتمعة في سلاستها لتتفرع من هدير السخرية من الظالمين الذين يتطاولون على
أقدار البشر •••••
وتصور أبي ماض إنما يكون • أنعكاسات لذات نفسه • وآرائه في الحياة وما فيها
وما بعدها • وتصوير لكأبته وشكّه • فما هو جديد في باب المدرسة الشعرية
الرومانسية وقتئذ • وإذا أردت المزيد • فهناك قصائد • " الخلود " و " الدمعة
الخرما " و " العنقاء " •

— صور أبي ماض تأتي في لفظة ••••• كما نخدم في كلمة " تركض "

أو في شطر كما في قوله • في قصيدة " ابسى "

وابسى كالنجم إن جنّ النسيان

(٦٣٠)

أوفى بيت . فى . قصيدة " عشر للجمال " (١)

عشر للجمال تراه العين موثقاً ■ فى أنجم الليل أو زهر البساتين
وفى الرئى نصيت كفا الأصيل بها ■ سرادقا من نضار للرياحين

أوفى مجموعة الأبيات مثل " ابن الليل " (٢)

أشرف البدر على الغابة فى احدى الليالى

فراى الثعلب يمشى خلسة بين الدوالى

كلما لاح خيال خاف من ذاك الخيال

واقصموا

— والسورة الشعرية تتفاوت فى ألوانها وظلالها فهى تارة حزينة باكية مثل قول (٣)

فى قصيدة " وداع وشكوى "

يوم النوى ، لله ما أقسى النوى ■ لولا النوى ما أبغضت نفسى البقا

رضا حيارى صامتون كأنهم ■ للهول نحذر عنده أن ننطقا

أبادنا خفاقة وعيوننا ■ لانستطيع من البكا أن نرقنا

أورقيقة ساحرة . مثل (٤)

لو أستطيع سكت رو ■ حى خمرة فى كأسها

حتى إذا حال النوى ■ بهنى وبين كأسها

وتجاهلت أو أنكسرت ■ أمرى لى جلا سها

اطللت من أجفانها ■ وجريت مع أنفاسها

أوراقه مثل قصيدة " شاعر الشهر " (٥) التى تلح فيها النغم الراقص .

(٢) الجدا ول ٩٦

(١) الخمائيل ٣٦

(٤) ايليا أبو ماضى زهير ميوزا ٤٨٢

(٣) رقم ٣ ميوزا ٥٣٠

(٥) الخمائيل ١٠٢

(٦٢١)

"آيار" ياشاعر الشهير ■ وسمة الحب في الدهر
وخالق الزهر في الروابي ■ وخالق المطر في الزهو
وباعت الماء ذ الخضرير ■ وموجد البحر في الخيرير
وغاسل الأفق والسدرارى ■ والأرض ، بالنور والخبير
لقد كسوت الثرى لباساً ■ أجمل عندي من الحرير

وقيل أن نأتى على نهاية الأمر ، نشير إلى أنّ أبا ماضي • استخدم كل ما رأى من وسائل • استعارة ، كإيات ، تشخيص ، تلوين ، تجسيم ، رمز ، من أجل الرقة في إخراج الصورة الرائعة التي تظهر في ثوب قشيب تقرأ له ذلك نسي قصيدة " أم القري " ١

يقول فيها :

أبصرتها ، والشمس عند شروقها
فرايتها • مغمورة بالنهار
وأيتها • عند الغروب غرقنة
في لجة من سُنْدُسٍ ونَضَارِ
وأيتها تحت الدجى فرايتها
في بردتين : سكينية ووقار
فتبّيت في النفس أحلام الصَّبِي
وغرقت في بحر من التذكار

وهذه بعض من لوحاته التصويرية التي لمب فيها خياله البكر القشيب دوره الخالد من ذلك قوله في " السبا "

مات النهار ابن الصباح فلا تقولى كيف مات
إن التأمل في الحياة يزيد أوجاع الحياة

=====

(٦٣٢)

فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مرج الفناء

قد كان وجهك فى الضحى مثل الضحى متهللا

فيه البشاشة والبهاء

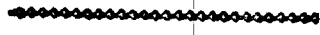
ليكن كذلك فى المساء

يقول فى قصيدة " الشباب والحب " فى دعوته الى التفاؤل (١)

ولاتك كالصّداح إذ ظلّ أنسه * إذ ادخرو الألقان أكسبها نبلا
فضنّ بها والشمس تنشر تبرها * وفضتها والأرض ضاحكة جذلى
فلما مضى نور الربيع عن الربى * ودبّ إلى أزهارها الموت متملا
تحفّز كى يشدّ و فلم يلقى حوله * سوى الورق الهائى كأحلامه القتلى

" القصة الشعرية "

" من التجديد في البناء "



القصة : في أبسط مفهومها الحديث • هي

مجموع من الأحداث والشخصيات تتعامل مع بعضها بطريقة يختارها الأديب حتى يصل الى نقطة التمهيد مع التسلسل والتشويق اللذان يجذبان القارئ لتتابعها في جميع مراحلها • وأحداثها حتى تنتهي الى حل يرضى الأديب •

وعن طريق تفاعل الشخصية مع الحدث بطريقة معنية تظهر أفاصيل متنوعة حول

الحدث الواحد • أو الشخصية الواحدة •

والقصة • تقوم على •

العرض ، والمقدمة ، والحل • • والتسلسل من أهم عناصر الربط والتشويق فيها •
والوحدة العضوية التي تعلم فيها كل جزء من الحوادث إلى الذي يليه امر ضروري •
والإكثاف لمجموعة من الأحداث المهلهلة •

.....

ومما يظهرها في ثوبها الجذاب بعدها عن القسر أو الحشو أو الاستطراد أو التدخل ، وأن تعبر في حوادثها في شكل طبيعي منطقي وهي تعتمد

على الإيحاء والإيحاء أكثر من اعتمادها على الإسهاب •

والقصة الشعرية فن من الفنون الجديدة في الشعر العربي بصورتها التي ظهرت بها في هذا العصر • ، وكانت جزءاً من ثمرة الثقافة الغربية وأبو ماضي • • من المكثرين في هذا اللون الأدبي • بما ظهر لديه من رغبة في القصص • نمتها وعمقت مضمونها وجوانبها المختلفة

اطلاعاته على قصص "مطران" (١)

وما غذى به بوهيته من اطلاع على الثقافة الغربية وقد تفرغ في قصة ما بين الواقعية والرمزية والاسطورية . كما نوسع بين اهدافها فجاءت في الوطنية والاجتماعيات ، والفلسفة

وفي ديوانه " تذكارات الماضي " وردت له قصص متنوعة في درجة نضجها الفني فهو القصص الذي لم يزد النظم شيئاً بل ظلت تحوم حوله نسو النثرية والتقريرية الجافة . ومثال ذلك " قتل نفسه " (٢)

ومنها الجهد الذي تلح منه آثار الأدب الأجنبي . الذي جاءه من خلال اطلاعه على الآداب اليونانية المترجمة بالعربية . وأكبر ظني أن قصة " طبيبه الخاص " - مشابهة في حياكة جوانبها وأحداث الفجأة فيها بمسرحية " الطبيب رغم أنفسه " (لولبير) (٣)

في الأدب الغربي وهذه القصة تبلغ من النضج القصص حدا لا يجعلنا نتألم حين قلنا إن الشاعر خرج من لبنان وفي فكرة المكور رغبة قصصية قابضة بين شعوره . ولا ينكر أنه يوم أن داعبت فكره أول قصة شعرية أن خطاه كانت متعثره في هذا الطريق .

٢- نظم واقصي جاف يصور فيه الشاعر الواقع بما هو عليه سواء كان هذا الواقع

=====

(١) انظر الفصل الخاص بالدواوين من هذا البحث واقره " ديوان تذكارات الماضي "

ففيه لمحة عن ذلك .

(٢) إيليا أبو ماضي . شاعر العربية الأكبر . زهير مهزاً ٣٩١

(٣) انظر المسرحية الامتاز عمر الدسوقي ٣٦٠ دار الفكر ١٩٧٠

والذى ينبغى فى هذا المجال تصوير الواقع بإحدى طرق ثلاثة ••
 — كما هو كائن • أو كما يمكن أن يكون • أو كما ينبغى أن يكون ولكن لا ينبغى
 حينئذ ألا نخفل المنصر الإبداعى الذى يدخل القصة دخول الروح فى الجسد
 فيبعث فيها الحركة والروعة والجمال •••

— وفى ديوانة المهجرى الأول ترد قصة بعنوان " حكاية حال " (١) •
 ففيها سرد للواقع الملموس • مع اصطدام بالمنطق ••• فى القصة التى جمعت
 بين فتاة وأبيها فى حفلة تنكرية • فتمجيب الفتاة بالأب ومجيبها وعندما
 كشفنا عن نقابيهما عرف كل منهم الآخر ••• وأين الصوت ونبرات والوجه
 وصوته ؟

ويرتقى فئة (فى حكاية حال) الثانية (١) وتحكى قصة فتاه كانت تبغ البرود فى
 إحدى قرى باريس فاحبها فتى واحبته وأعطته ما تعطى المتيمة الولهى حببها
 فاعطته كل شىء • بعد ما مضى الزواج ثم خدعها • فما كان منها إلا ^{أن} صرخته
 يكابوسها التى أجهزت به على نفسها • بعده فقضيا نجيبها •
 ومن أجل القصص الواقعى — الذى كان فيه رائد " لجماعة الرابطة " • أو على
 رأسهم فيه قصة " هى " (٢) • وقد بلغت حدًا كبيرًا من التضج الفنى فى
 عرضها وإثارتها وعقدتها الشيقة المستغرية • وحل مشر لم يكن ضمن مسأ
 تخليته العقول •

=====

(١) انظر المسرحية الاستاذ عمر الدسوقى ١٧٨ دار الفكر ١٩٢٠

(٢) السابق ٢٩٢

(٣) سبقت الاشارة اليها فى تجديدات ابى ماضى اثناء الحديث عن الحب الانسانى
 فى هذا البحث •

(٦٣٦)

واقصة الثانية فيها البناء المحكم والعقدة المحبوكة ، والحل الطبيعي وهى بمضمون
" أنت والكأس " (٣) .

وفىها يصور مجلس شراب بين عاشقين يتبادلان الأخطاب ، غير أن نفس العاشق
ملوثة بالشك والتشاؤم فى نظره إلى المرأة وتقلباتها إزاء عشاقها . .
وتبدأ القصة بهذه الطلعة المدوية .

أنت والحُب فى يدي فلمن أنت فى غد ؟
فاستشاطت لقولتى غضبا فى تمسود

وبدأت تشارك الحديث بعد هذه البداية المشيرة الذكية المشوقة .

وتسرى القصر وهو يصور تشاؤمه وهى تصور غضبها على من الشك والنظرة التشاؤمية . .

قالت الحبيب سرمد قلت لاشىء سرمدى

ويستمر الحديث لتؤكد له حبها حيا وميتا .

انحبيننى إذا * زال مجدى وسؤدى

فاجابت لفورها * أنت لا المجد مقصدى

قلت : هل تحفظين عهد * سدى اذا ضاع عسجدى ؟

فاجابت بروقة أنت ، * ما عشت سسدى

كنت كالشمس فى الفنى * أم فقيرا كجد جند

ويكرر تساؤلها لها هل يدوم حبها له بروقة مع السيب والكبر ؟ وتلجج الشك المجنح

فتقول له :

قلت : الشك آفة الحبيب فانبيذته تسمد

(١) السابق ٢٧٢

(٦٣٧)

ثم يستمر في تعاونه لانه الى ان يوتاد كل منا مدها وهي تجيب كما دتها
موهودة له حبها ووفاءها . حتى قالت:

أشهد الأرض والسماء * أشهد الله هو جدي
سوف أحيها كما نرى * للهوى والتوجي

ولكن لم يمر عليه يومان حتى صار وحيداً ، وخانت عهدا وأخلفت وعدها ! لم تمت
لم تمت لا وإنما * أصبحت في سوى يدي

** ** *

وتنتهي القصة عند هذين البيتين . .

آفة الحب أنسه * في قلوب وأكبه
فهو كالنار لم تدم * في هشيم لموقد

وهذه البراعة تنتهي القصة بحوارها الرائع . وما يتخلله من لحظات التوتر ، المختلف
الدرجات ، وتجمل القصة ما جمعت من واقع في الأبطال والأحداث والأجواء والأحداث
وإيها جمالا ما فيها من جمل اعتراضية - حسنا - قلت غفو - قلت ضاحكا ، وقد
الترم " أبو ماضي " فيها الحيدة والحرور المصمود عنده مما جعلها تحمل طابخة
الإيلياثي . شكلا ومضمونا

- وقد فاض قصصه بالحوار الشعري . مما جعلها تروج بالحركة الداخلية ،
وتنفيق فيها أسلوب الحوار عنفا وهدوءاً وصخباً . متبوعاً بتلون يجعلها
تطبع في صفحة الإحسان . .

القصر الرمزي:

أكثر " أبو ماضي " من القصر الرمزي . . . وليس الرمزية هنا رمزية الإيحائية اللفظي والموسيقى ولكنه " الرمز الموضوعي الذي يرمز بالقصيدة كلها مثلاً أو بالعمل الأدبي كله إلى شيء معين كالرمز في حكايات كليسة ودمنة وخرافات لافونتين الفرنسية إلى مصير الظالم ، أو جزاء الواش ، أو عاقبة المفرور ، في مساق حكاية على لسان البهائم والطيور ، وهذا الرمز الموضوعي هو غير الرمزية المدرسية التي تعطى الألفاظ قيمياً جديداً غير قيمتها

المعجبة التقليدية (١)

وتستقى هذه القصة عناصرها من الطبيعة الصامتة أو الحية ومن ذلك " الضفادع والنجوم " و " الصيور المتكررة " و " التينة الحماة " و " الفديرة الطموح " . وهي قصص مبهوكة ، واضحة الهدف فهدفها العظة الاجتماعية في حسدود الإنسانية . وهي بعد ذلك تسير في وحدة عضوية حديثة . وهي ذات رفق في أهدافها الاجتماعية الفعالة ، والهدف العام هو: نشر التفاهم والتعاون والحب والسعادة بين البشر ونبذ كل ما يشو غباراً على العلاقات الإنسانية . وتقليم أظافر الشرور وتحطيم معازل الشرور وقد تستقى عناصرها من الأساطير التي يطمئن بها حيال أصحابها والتي تسرد من روافد دينية أو شعبية . كما في قصتي . . .

" أمنية إلهة " التي يهدف فيها إلى تصوير روعة ما في عالم " النغم " من جمال

وبها

والشاعر في السماء " التي يصور فيها عمق عاطفته الوطنية وحنينه إلى " لبنان " (٢)

(١) الشعر المرص في المهجر . محمد عبد الفنى . ص ٩٣

(٢) سبق الإشارة إلى القصيدة في باب الحنين والفرقة أثر الفرقة في شعره . . .

(٦٣٩)
﴿ الطلاسم ﴾

من مظاهر التجديد في البناء عند " أبي ماضي " مطولاته الشعرية ومنها الطلاسم وهذه المطولة عبارة عن مجموعة من التأملات التطبيقية في البحث عن الحقيقة يرسلها عقل مفكر كبير .. يحاول أن يتجاوز الطلاء إلى داخل البناء ، والتخلف وراء الإيمان لمعرفة الأسرار الأزلية ، وهي عبارة عن اى رباعية كل رباعية تنتهى بعبارة " لست أدري " وهي موزعة كالتالى : ..

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| الذات الإنسانية " للشاعر " | ٥ مقاطع |
| البحر بما فيه ومن فيه . | ١٢ مقطعا |
| الدير وساكنيه . | ٩ مقاطع |
| بين المقابض . | ٩ مقاطع |
| القصر والكوخ . . . | ٩ مقاطع |
| عودة الى أفكار النفس . | ٣ مقاطع |
| صراع وعسواك . | ٢٧ مقطعا بين الذات والكون |
- و الطبيعة والبحر
- والنفس والموامل المقتمة بقناع الخيب ، والتفكير في الإنسان وقيمة الأشياء ،
والطبيعة والنسبية والجبرية في الطبيعة والكون والبحر والنمل والزهور
يستهلها الشاعر بالبحث عن ذاته والنفس وأسرار وجودها وكنهها ..
- جئت ، لا أعلم من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قَدْ أُمى طريقا مُشيمت
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبوت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟
لست أدري ..

(٦٤٠)

نعم جاء إلى الوجود • ولكن فمن أين وكيف جاء ؟ وهل هو قديم أو حديث
أو حرّ طلق أم مقيداً ••• الخ • ولكنه لا يتكفى بما يملك من معرفة : بل يريد
أن يكون له شيء من المعرفة الخفية ••• ولهذا يتعمّد على ما عنده من فكر
مملنا حيرته وقلقه بحبارة " لست أدري " •

وحيث لا تسعف المعرفة البسيطة • وتحرقه الحيرة • ويكسوه القلق • ينطلق إلى
البحر على يدي ويستفيد • فيعود من عنده بالرجاء •••

فيك مثل أيها الجبار أصغته وهمل

إنما أنت بلا ظل ولى فى الأرض ظل

إنما أنت بلا عقل ولى يا بحر عقل

فلماذا يا ترى أمضى وتبقى ؟

لست أدري ••

ولا يجد جواباً يشفيه فيعود غملاً مما كان : تكسوه الحيرة • وتفكر ويصل إلى علمه
أن هناك أقواماً يملكون المعرفة وأسرار انكون فيهرج إلى السؤا ل عنهم
حتى عرف أنهم سكان الأديرة ••• فسرع اليهم لعل هناك شيئاً ولكنه رجس
بلا شيء ••

قيل لى فى الدير قوم أدركوا سر الحياة

غير أنى لم أجد غير عقول آستسكات

وقلوب بليت فيها المعنى فهى رفكات

ما أنا أعنى فهل غيرى أعنى ؟

لست أدري •••

وقيل أن يترك الدير يتوجه إلى ساكنيه متسائلاً عما يروم • ولكنه وجدهم مثل
باهتين وعلى الباب لافتة مكتوب عليها (لست أدري •••••)

قد دخلت الدير أستنطق فيه الناسكينا

لماذا لا تترك الدير وتذهب إلى بيتك

(٦٤١)
غلب اليأس عليهم فهم مستسلموننا

وإذا باليباب مكتوب عليهم

" لست أدري "

ولما وجد القوم في الأديرة مثله حائرون يتركهم هرعاً إلى القبور ، وهناك تتولد
التأملات الثائرة ، والخواطر المتمردة التي تتم عن معرفة إنسانية ، ولكن دون
استراحة لمظاهر الأشياء دون التغافل في صميمها . . . ويتساءل ويظل في
اللهافة دون وجود المنقذ . . . ولكنه يهز من حدة قلقه بقوله لنفسه . . .

انظري كيف تساوى الكل في هذا المكان

وتساوى في بقايا العبد وبالصولجان

والتقى العاشق والقاسي فما يفترقان

أنهنا منتهى العدل ؟ قالست:

" لست أدري "

ويأخذه التفكير إلى البحث . فيقدم كشف تمرده على ذلك بقوامه . . .

إن تك الموتوقاداً بعده صحو طويل

فلهذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل ؟

ولماذا المرء لا يدري متى وقت الرحيل ؟

ومتى ينكشف الستر فيـدري - ؟

" لست أدري . . . "

ويمود الشاعر . والحيرة تلازمة في وفاة شديدة ، وما يحتاج من أسئلته إلى إجابة

لا يجدها . ، أو لا يجدها يشفى منها ، فيض إلى القصر والكوخ وينثر حولها

من خواطره التأملية على سطح شيئاً منها ، يكفيه ويشفيه ولكنه لا يجد أي شيء

يهدي ثورته ويسكن لوتته ، فينصرف عنهما بعد أن يستنشق من الطبيعة ما

يعاوده على المسير . . .

(٦٤٢)

سائل الفجرَ عند الفجر طينٌ ورخامٌ ؟

واسأل القصرَ ألا يخفيه كالكوخ الظلام ؟

واسأل الأنجمَ وسل صوب الغمام ؟

أترى الشيءَ كما نحن نراه ؟

" لست أدري "

ويختم الرباعية " لست أدري " وهو يسدري .. ذلك

وهو هنا إنما يقرر حقيقة هي . أن ما يُصنع من فروق إنما هو وليد السخافات الوهمية

والنقائص البشرية

ثم يتصرف متساقلاً عن الفكر ومصدرة ، ومجيبه وفراره . ولم ذلك ؟ ولم تتوارد

الأفكار الواحدة عند الكبر أحياناً ؟ أينقل الفكر بين بنى الإنسان ؟ ما كنهه

وعلته ؟ وحين يحار بالجواب يذهب مرة أخرى إلى النفس .. وعلى وجه الضمور إلى

صراعة - داخلها - وعراك ..

إننى أشهدُ فى نفسى صراعاً وعراكاً

وأرى ذاتى شيطاناً وأحياناً ملاكاً

هل أنا شخصان . يابى ذاك مع هذا اشتراكاً

أم ترانى وأهما فيما أراه

" لست أدري "

متساقلاً عما فيها من صراع وعراك ، وخير وشر ، ولدنة وغضة ، وسعادة وشقاء .

ويغض وكراهية

ويتعجب من قلبه المتقلب ، كيف يحكى الجداول فى الصباح والقفار فى المساء ؟

ولكنه لا يستريح إلى ما يتراءى أمام نواظره . الفكرية من بوارق الإجابة ، بل يتظاهرو

أمامه التسببية واضطرابها ، والنسيان والتذكر ، وما يحترى نفسه

تغيير في صحته وإيمانه ونسكه وتعبده ، وينعى نفسه في الجبرية المجرية على (٦٤٣)
العيب . . ومظاهر الطبيعة وجهلها . . وعشا محاولة العثر على ما يبسط
الستر عنه .

كلما أيقنت أنني قد أمطت الستر عني
ولفت الستر سرّي ، ضحكت نفسي مني
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجد نفسي
فهل الجهل نعيم أم جحيم

" لست أدري "

ولا يقنع " أبو ماضي " بعد ذلك بإراحة النفس والفكر ، فيخلع عن ذلك ولكنه يسير
إلى " لذة النغم والنظر والسمع .

لذة عندي أن أسمع تغريدا البلابل
وحفيف الورق الأخضر أو همس الجداول
وأرى الأنجم في الظلماء تبدو كالمشاعل
أترى منها أم اللذة مني ؟

" لست أدري "

ولكن . . إلام يعود مصدر اللذة ؟ ويشده ذلك إلى التناوّل مرة أخرى عن ذاته
وسرور ولذته أمنها اللذة أم من غيرها ؟ ، وعندما لا يجد جوابا يعود ليطلطم
مع أمواج البحر ومظاهر الطبيعة .

في مثل البحر أصداف ورمل ولا لؤلؤ
في كالارض مروج وسفوح وجبال
في كالجو نجوم وغيم وظلال
هل أنا أرض وحز وسماء ؟

" لست أدري "

ويقنع في النهاية أنه وأصغر الحيوانات سوا . . ولكن القلق الحائر أنهما لا يعرفان
شيئا من المصير . .

قد رأيت النمل يسعى مثلما أسمى لرزقي

(٦٤٤)

وله في العيش أوطار وحق مثل حقسى
قد تماوى صمته في نظر الدهر ونطقسى
فكلانا طائر يومنا إلى ما
(لست أدرى)

وأخيراً لا يصل إلى جواب يروى ظمأه ، ويقنع غلته ، ويسد مصيبتة ، ويعد فلل
من التماول العايب ، والتطواف ، يعمود فيعلمن عمايته وحيوته وجهله
بحقيقة نفسه من جديد .

أنا لا أذكر شيئاً عن حياتى الماضية
أنا لا أعرف شيئاً عن حياتى الآتية
لى ذات غير أنى لست أدرى ماهية
فبمى تعرف ذاتى كمه ذاتى ؟

(لست أدرى)

وهضرتى قول الشاعر عمر الخيام " ترجمة الشاعر احمد رامى "

لهمت ثوب العيش لم استشر
وسوف انضوا الثوب عسى
وحررت فيه بين شتى الفكر
ولم اعرف لماذا جئت ؟ أين المفر
ونهبها أبو ماضى بقوله :-

إننى جئت وأمضى . وأنا لا أعلم
أنا لفر ، وذهابى كجيتى ظلم
والذى أوجد هذا اللفر لفر مبهم
لا تجادل . . ذو الحجى من قال إنسى
(لست أدرى)

وهذه صورة مصغرة عن طلاس أبى ماضى الذى زاعت لا أدريتها فى كثير من الأوساط
وكنتها الأقاويل بالشك السلبى . الامر الذى يحتاج إلى وقفه مع آراء الأدباء
وما يعنى لنا من أقوال يقول الاستاذ عيسى الناعورى (١)

=====

(١) إلهاماً أبو ماضى شاعر الصربية الاكبر ط ٣ ٢٨٠ بتصرف

إن هناك ثلاثة آراء في المطولة وفي عقيدة ناظمها

أولاً : جماعة يستكبرون البحث عن أسرار الحياة من الشاعر ، لأن نبيسى

ذلك حياة وشقاء ، وخير للمرء أن يأخذ الحياة كما هي

وهي فلسفة الجهلة الذين يرون السعادة في الجهل والرضى بالمظاهر

وهم - كما يقول - أناس لا يلمسون عندهم القدرة على الخوض فى

الحقيقة التى هى سبيل الراحة والسعادة .

وأبو ماضى أبعد همه من أن يجلس فى هذا الضيق كما تجلس المجائز

حول موكد كانون .

ثانياً : جماعة يتخذون من ذلك حجة على عقيدة الشاعر ، فيسيرونه إلى جماعة

" اللادريين " وفى تلك جهل لأن أبا ماضى ليس من هؤلاء ، ولكنه

يعرف أن سبيل السعادة الروحية لا يجتمع وهذه اللادريات وإنما

هو نوع من التغطية البارعة لفضله الحقيقى .

ثالثاً : جماعة يقولون : إن أبا ماضى يبدو فى هذه القصيدة بدويًا ساذجاً

يدخل المدينة لأول مرة فيبهر بأصواتها ، فوقف أمامها حائراً لا يدرك

منها شيئاً .

وفى ذلك جهل كبير ، فأبو ماضى صاحب عقل مفكر كبير ، وقد طك زمام

المعق فى ذلك .

ويرى الأستاذ الناعورى رأياً فى كثرة هذه اللادريات " يقول . .

" أما لماذا كل هذه " اللادريات " فى " طلاسمة فالذى نراه أن الشاعر

قد يبحث كثيراً مع نفسه ، وتساءل كثيراً ، ولكنه انتهى أخيراً إلى المعرفة

التي يبحث عنها ، وبكلمة أخرى انتهى فى كل ما كان يتساءل عنه إلى

رأى يرضيه ويدخل السعادة إلى نفسه ، غير أن سعاده بالمعرفة لم تكن

كاملة . لأن الشاعر يقول . .

كن غديرا يسير في الأرض رقرا . . . قا ومعنى عن جانبه الحقولا
 يعلم أن السعادة لا تتم بغير المشاركة . لذلك راح يعرض على الناس تلك الأسئلة
 الكثيرة التي تغلب عليها مظاهر في عرضها بالحياة الكبرى ، لكن يرى الناس
 جميعاً يهتدون إلى حلها بأنفسهم كما اهتدى هو إلى حلها " وإذا وصلوا إلى
 حلها . وصلوا إلى قلب الحياة ، وهناك الفرصة الكبرى والسعادة المظلمة " .
 يقول " والذي يؤكده لنا هذا الرأي هو الطريقة التي أورد فيها الشاعر أسئلته
 فهي جميعاً من نوع " تجاهل المعارف " نقوله مثلاً يخاطب نفسه وهو واقفاً في
 المقابر .

انظري كيف تساوي الكل في هذا المكان
 وتلاهي في بقايا العبيد رب الصولجان
 والتقى الماشق والقالي فما يفترقان
 أفهذا منتهى العدل ؟ فقال انت

" لست أدري "

ألا يعني بكل وضوح أن منتهى العدل هو في المساواة الحقيقية بين كل أناس
 الحياة . كما تفعل القبر التي لا تفرق بين إنسان وإنسان " .
 وأرى أن الشاعر انتهى إلى معرفة تمس المعتقدات . وفي حدود المعرفة التي لا تروى
 ظمأ فهو له يصل إلى كل ما يعني من معارف . ففي قوله . . .

إن يك الموت قفاصاً ، أي ذنب للطهارة
 وإذا كان ثواباً ، أي فضل للدمارة
 وإذا كان وما فيه جزاء أو خصارة

فلم الأسماء ائتم وصلاح ؟

(لست أدري)

لم يصل إلى حل يرضيه ، بل وصل وأوصلنا إلى طلاس لا تلقى جواباً ؟
وأما قوله ..

انظري كيف تساوى الكُل في هذا المكان .. الخ
ففيها إعادة بالمساواة من جهة ولكن الحيوة تفيض من جوانبها والشك من ايحاءاتها
لأنه رأى أن الكُل تساوى والمساواة في هذا المكان لا ترضيه لأنه يريد أن يرى أمثرا
وظارفا بين الناس نتيجة أعمالهم من خير وشر .. ليكون في السابقين عبرة
للحاليين .. وفي ذلك المهجة كلها والرضا كله ..

وتعال لتجول جولة أخرى حول هذه اللادريات ، بكلمة أراها .
أولا : هناك كثير من اللادريات لا مكان لها ، ولكنها جاءت بمشابهة
اللزامة والتنظية ، ونوع من تجاهل المعارفين ، ومن ذلك قوله ..

ولقد أبصرتُ قصرا شاهقا على القبـابِ
قلت ما شادك من شادك إلا للخـرابِ
أنت جزء منه لكن لست تدري كيف غـابِ
وهو لا يعلم ما تحوى . أيـدري ؟ ..
(لست أدري)

وما يبدو لي أن كثرة " اللادريات " يرجع إلى ..
- الجبرية التي خيمت كثيرا على خطرات فكرة مما جعله قلعا شامداً ثامرا أحيانا
ومتضرداً أحيانا أخرى .

إن هذا النيث يهيم حين يهيم مكرها
وزهور الروض تفسح مجبرات عطرها
لا تطيق الأرض تخفى شوكتها أو عطرها

(٩٤٨)
لا تمل أيهما أشبه وأبهي ؟

(لست أدري)

قد رأيتُ الشهب لا تدرى لماذا تشرقُ

ورأيتُ السحب لا تدرى لماذا تنفـدق

ورأيتُ الغاب لا تدرى لماذا تـسـرق

فلماذا كلها في الجهل مثلى ؟

(لست أدري)

وما أكثر ذلك في أشعاره

... الخلق الوحيث من ذات نفسه منذ أحسها لأوضاع السياسية والاجتماعية والذهنية

التي تعاقبت حياتهم منذ أحس بوجوده بين الأفعال وأراد هذا الوجود يريها

سليما . كما أراد العريس ويوم أن أراد ذلك مضت المواسم المحيطة التي كانت

تنثر في طريقها كما تنثر يد مجرمة آثمة . المسم في الطعام ؟

وهذا القلق يرافقه ويوافق التطلع في كثير من الأحيان تطلع إلى آفاق بعيدة من

المعرفة والحياة المثلى .

قيل : أدري الناس بالأسرار سكان المصامع

قلت: إن صح الذي قالوا فإن السر شائع

عجبا : كيف ترى الشمس عيونُ نسي يراقع

والتي لم تتبرقع لا تراهاها ؟

(لست أدري)

■

إن تك العزلة نسكا ونقى ، فالذئب راهب

وعين اللبث دبرٌ حبيبه فرض وواجب

(٦٤٩)

ليت شعري أيعيت النسا أم يحيى المواهب ؟

كيف يمحو النسا إنيما وهو إنيما ؟

(لست أدري)

ومما في ذلك القطع من توجيه للناس إلى العمل وتعمير الكون ، وتطهير القلب .

ورغبة في معرفة الحق عما يدور في الكون . . .

— القلق الفكري الذي يمس مشكلات المعتقد عند الشاعر . واعتقد أن ذلك

نوع من الحيوية التي تجتمعت لديه من رواسب الماضي والخوف من مجاهيل —

المستقبل ومشكلات الحياة . . .

وهذا القلق ظهر عند " أبي ماضي " في صور مجببه أحيانا تتلاحم فيها —

الأنوار من وراء ضباب خفيف أو كثيف .

اقرأ معسى قوله . .

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأميين

أتراني كنت أدري أنني فيه رفيين

وأنتى سوف أبدو وأناى ساكـون

أم تراني كنت لا أدرك شيئاً ؟

(لست أدري)

أتراني قبلما أصبحت إنسانا سويـا

كنت محوا أو محالا أم تراني كنت شيئاً

الهذا للفرحل ؟ أم سيقى أبدتـها

لست أدري . . ولماذا لست أدري ؟

(لست أدري)

(٦٥٠)

وما يتضح أن بين اللا أدريتين ارتباطاً ففى الثانية إجابات عن بعض

مما فى الأول .

وفى القصر والكوخ بعض من " لست أدرى " لامجال لها إلا للتغطية فمنا

قبلها لا يحتاج إلى جواب ^{ولا} يضم حيرة ظاهرة تحتها .

وفى طلاسمة بعضاً من التمرد حتى على شرعته هو . يقول . . .

قد يقينى الخطر الشوك الذى يجرح كفى

ويكون السم فى المطر الذى يملأ نفسى

إنما الرد هو الأفضل فى شرعى وعرفسى

وهو شرع كله ظلم ولكن

(لست أدرى)

كما أن ذلك نوع من تمرد التساؤل الذى يواجه الظواهر الانسانية والوجودية

المتنافية كلها أو بعضها بنوع من اللا أدرية . . من أين ؟

والى أين ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ وليس فى هذا تساؤل البادى الساذج وإنما

تساؤل الباحث الذى ووجه بالحائط الأخير ولم يصل بعد إلى اقتناع نهائى

وهو تمرد على استعصاء هذا بالظواهر الابدائية

(١٥٠)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
الباب الرابع
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
الفصل الرابع
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
الحديد الذي أضفناه
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX


~~~~~

إذا كان الشيء لا يحكس إلا ما بداخله ، والبراة لا يحكس إلا ما يسقط عليها من -  
 صور وأصواء ، وإذا كان كل إناء يصفى عما فيه فإن أبو ماضى قد خالف هذه الشريعة  
 الطبيعية .....

وإذا تصاننا لماذا ؟ • نجيب بأن نفسه قد امتلأت بكل حيرة وتشاؤم -  
 وخلق ، كما بينت ذلك • ولكنه على خلاف من القاعدة التى يقول عنها الشاعر  
 أيماك تجنى سكرًا من حظيل \* \* \* فالشيء يرجع فى المذاق لأصله  
 فقد جنينا من هذا القفر اليباب ثماراً واضحة من خمائله ومياه عذبة من جداوله •  
 لقد عكست نفسه التفاؤل والبشر والسرور لكل الناس وهذا ما نجدُه عنده لاعتنائه  
 فـيـره .....

فاضت نفسه بالهم والحزن والآلام ، ولكنها لكرمها وعلو همتها • لم ترد أن تظهر  
 ذلك • الذى يحيل الوجود إلى قمام ، بل ظهرت نزعة التفاؤل الإنسانية  
 ومن يتصور أن ينبت الزرع الجميل بشكل يروق - إلى حد كبير - فى صحراء  
 ييباب •

وبهذه البراعة أوقف بين فكرين مختلفى النزعة والشرب والجذور ، أما  
 أحدهما فأبو الصلاء بتشاوره • وأما الثانى فهو الخيام بدعوتة إلى  
 التمتع بالحياة ، وفى هذا التضارب إثراء للتراث وغنى للأدب .....  
 وكما ترى ذلك فى قوليسه • فله من فكره مثل ذلك •

فبينما يحتلى شعره بدلائل الإيمان • بالله واليهتم والجزاء • والحقاب وجهنم  
 والجسنة • والموت • • والإبداع الالهى • والتدرج فى حياة المرء وقست أن  
 كان فى عالم الخيب • والإيمان بأصل الإنسان الطين " ..... فإذا بك تسرى  
 من خلال تأملاته العميقة • والعميقة الأغوار • إشعاعات من الشك الرهيب

(٦٥٢)

والحيرة المنحصنة والقلق النفسى • الذى قد يجعل المرء يصرع فى حكمة على  
عقيدة الشاعر بالاحاد ••••• ، والخروج عن الإيمان دفعة واحدة •••  
ولقد أشعرنا الى ذلك المعتقد فى فصل التجديد فى شعره ••••• وهو القائل  
كلنا منتظر ساعة \* \* \* والمصير الحق ما نتظر  
فانظر كيف ينمكس هذا من تلك • مع الفارق فى هذا الموضع وسابقه فهناك  
ينبجج النور من الظلام ، وهذا الشك من الإيمان • وأذكر هنا قوله فى  
هدايا السيد • لو كان معه ما يستطيع به الشراء •

كنت أهدى •••••

والى المؤمنين شيئاً من الشك \* \* \* وبعض الإيمان للمرتاب  
ومن هذا تنداح دائرة الفكر والتأمل الفياض المصطفا •••••

\* \* \*

كما يجرك أبو ماضى إلى حدائق تفاوله هذه بقدره تحرره من التقاليد والشرائع  
البشرية مطلقاً إلى حبيته الحسنة • وصديقه الوفية • ومسرتة العظمى • ومسلاته  
الكبرى • وملهمته الكريمة • الطبيعة ليويك من ككوسها ويطعمك من ثمارها •  
وينثر عليك من زهورها • ومشارك عقيدتها التى تتمثل فى المساواة التطبيقية فى  
رحابها •

وأبو ماضى يدعو إلى هذه المساواة • والنداء كثيراً من أجلها حتى ظهرت عنده  
الكثرة الفائقة فى الدعوة إلى المساواة تلمس ذلك وتراه فى وفرة من أشعاره فى  
داوينة • ديوان إيليا أبو ماضى " و " الجداول " و " الخمائيل " <sup>الاشتراكية و</sup>  
ما يجعلنا نطلق عليه شاعر الاشتراكية • هذا إلى جوار النزعة الانسانية التفاؤلية  
السابقة • فإذا ما أطلق اسمة اجتمع فى فكر الأديب هذه النظرات التى خص بها •••  
وقد انضم إلى هذا الجانب الذى شهره أبو ماضى • وصار ملازماً اسمه جانباً آخر  
ليخلد أديبه • وذلك هى القدرة العظيمة فى الإفصاح عن كل ما فى عواطف <sup>النفس من</sup> : حسب

ومغص • ولذة وألم • وفرح وروح • وفشل ورجاء • وآس وأمل • الخ •

\*\*\*\*\*

إن من الجديد الذي أضافه أبو ماضي • الجمع في التجربة الشعرية بين أطراف متعددة متباعدة • لاتجتمع في طبيعة الكون •••••

لقد جمع الشاعر بين أطراف متعددة من الطبيعة والنفس البشرية وما وراء الطبيعة ••• في فكر خصيب وثوب ميسر قشيب • وسعة أفق في هذا المنهاج • الذي أشرنا اليه في بحثنا • وكان في ذلك إثراء للفكر والتراث العربي • هذا من ناحية ومن جهة أخرى نجد الطرافة والجدة في نطاق الكثير من الموضوعات • التي امتشت بثوب رائع • مسن التداخل الشعري في الأنحاض الشعرية بصورة تغاير ما فعل القدماء الذين عرفنا في شعرهم خطوطاً فاصلة بين كل غرض وآخر ولكن تداخل الشرح الشعري عند أبي ماضي • لا يستطيع المرء رؤية خطوط فاصلة أو بالأحرى رؤية شئ • منها غير مزوج بالقصيدة الشعرية مزجا تاماً في ثوب متناسق الألوان والظلال مما أتاحت لأشعاره التحليق في آفاق سامية •

• وهذه التداخلات الشعرية التي وردت في أشعاره طبيعته بطابع خاص • مبرز شعره عن أشعار الرابطين • وهذا ما يجعلنا نقول : إن الشاعر قد اندمج بالحياة وامتزج بها امتزاج الماء الزلال يغم الغمام •

أو امتزاج التجربة الحية بثوبها الرائع الجميل •• ما يصعب الفصل في هذه الموضوعات في القصيدة الواحدة دون أن يحدث هناك خلل في الشعر وتهلهل فسي الفكر •

\*\*\* \*\* \*\*

كما جمع شعر أبي ماضي وفرة من الرمزيات • التي تعالج الموضوعات الحياتية التي تعكس صفو الجماعات • وتغصم عرى الأخوة • وتشر الضباب بأشكاله المخيفة على الكون والكائنات ولا يتوقف الأمر على الثرة التي فاقت أشعار غيره • بكتوتها • وملاحة صورتها البسيطة المعبرة تعبيراً دقيقاً • بما حوت من تقلب بين السخرية حيناً والنقد الساخر أحياناً • بل جمع إلى ذلك الحوار الشعري المشرق • الذي برع فيه • براعة لا يصل إليها أحد من شعراء الرابطة بما فيها من جدة • وسعة أفق وسهولة ماخذ ••• ما

جعلها تتخذ في سما الفس مكاناً علياً لتطلق منه أشعتها على الكون والكائنات .  
بما توحى من دسائير ونصائح ومعتقدات .

\*\*\* \*\* \*\*

وقد جدّ الشاعر في تنقية الفن القصصي من الشعرية الثنائية والانغمالات الذاتية . هذا إلى جوار عقده المحبوك . وحلولة الجذابة . مما جعله يتسم فيها بطابع خاص الأمر الذي جعله يشتهر من بين الرابطين بهذا اللون الأدبي وخاصة الإجتماعي منه والرمزي . . . . .

وقد ولد ذلك في نفسه صبغة تأملية بعيدة الغور ، الأمر الذي ساعده في القدرة الفارقة على تصوير مختلف الأحاسيس النفسية لدى البشر ونوازعهم المختلفة ، ونقلها إلى القراء بمعلقتيه في صورة سهلة ميسرة . . وهذا مما ساق إليه القدر على استعمال الكلمة استعمالاً تتمتع معه لضمون الحياة الفكرية والاجتماعية في إطار من البصوح والسهولة \* التأمّلات المعطاة . والتساؤل الميتافيزيقي عند أبيحسى ماضى يشكلان ثروة كبيرة من الفكر الناصح البارح البناء . وهذا من أروع ما قدّم أبو ماضى للحركة الشعرية المعاصرة . بما حملته من حيوة وقلق ولا أدوية ، فيها من تساؤلات العارفين . وحيرة الجاهلين ، وأوجز ما يقال كثال في تأملاته : طلسماته التي بلغت حدّاً من الشهرة . لروعة فيها أنها الصديق في مدار الفكر الذي لا تحدّه حدود . . . . .

فقد سجّلت انشغالا في أعماق النفس ومخيلاتها والكون وما فيه وما وراء الطبيعة بطريقة جمعت بين عمدي النظر وجدة في استنباط غوامض الوجود بأسلوب جذاب

\*\*\* \*\* \*\*

ولا يفوتنا في هذا المجال الحرية اللغوية . التي انتحت عنده منحى التعرّف أحياناً ولكنها أكثر ما سارت فيه هو التجديد والتبسيط والإبداع . مما جعل الكلمة عنده تشارك في آفاق متعدده . دون أن تضم بين طياتها شخصية الشاعر أو يمتزج بها شيء .

\*\* \*\* \*

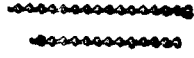
الصور المشرقة التي عكستها رهافة الحس • ودقة الفكر • مما هو منشود بين دواوينه  
وهو في هذه الصور لم يكن جامداً ولا قديماً ولكنه كان معها جديداً كل الجودة  
في ثوبها وهيكلها وهدفها ومنهجها.....

( \*\* )

التصرف في الموضوعات تسميقاً شكلها ، فقد ألقى بها في دائرة الانفتاح الأدبي  
في أغراضها فهي في " أمه تغنى وأنتم تلعبون " غيرها في " صرع القصر "  
وغیرها في " قصيدة " هي " وهي غيرها في " الليل السجين " وهي غيرها  
في " الليل " وفي الخلود وقد فاق الأندلسيين بتنوع الأنغام كما أخصمها  
للموضوعات الوطنية والبحوث الفكرية ..  
هذا الى جانب ما يشارك فيه الرابطون من طابع عام لأدبهم .. مما ذكرناه  
في طابع المدرسة الرابطة ..

.....

.....



من خلال هذه الدراسة تتضح لنا الصلة الوثيقة بين أبى ماضى والحياة وظروفها  
وما فيها وبين منه الشمسى .  
وقد انعكس ذلك على مسلكه ، فى علاقاته بالبشر كما أتضح فى سائر شعره بكل  
فروع الوطنى والقومى والاجتماعى ، والهجاء ، والحكم والرثاء والفكرى . كما  
انعكس على طريقته الاتجاهية الفنية آنس .  
ولهذا من المبعث أن تتفصل دارسة ظروف عصره . سياسية وقومية وفكرية . . . الخ .  
وهذا ما دغمنى إلى تناول ذلك بالدراسة . فى الفصل الأول من الباب  
الأول تناولت ظروف العصر السياسية فى لبنان ومصر . وانتقلت منه  
إلى الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام فى الفصل الثانى ، وفى الثالث  
الاتجاهات الى مادت عصره وخصائصها ولم يكن هدفى فى ذلك مطلق  
الكشف عن هذه الأمور ، فى كتب التاريخ والفكر والفن الكبير .  
ولكنى رمت الكشف عن الموايل النفسية المهمة ، وغيرها من الموايل المهمة  
التي أثرت فى حياته عامة . كمنافى ، لنا مجاهل أشمارة . وكان هذا الباب  
بشابة مقدمة انتقلت منها إلى صفحة حياته . وما فيها . وهذا ما جاء فى  
الباب الثانى . فقد عبر فيها حديثى بحياته فى لبنان طفلا ، وفى مصر شابا  
وفى أمريكا . حتى قضى نجه موضحا الظروف الاجتماعية والنفسية بما فى ذلك من  
أسباب هجرته واختياره مصر أولا ثم أمريكا ثانيا . وخاصة " سنناتى "  
وشمل حديثى كل ما توخيت أن يكون له من بعيد أو قريب . أثر فى منه الشمسى .  
وكان من الضرورى الحديث عن روحانية الشرق ومادية الغرب . والثروة وأثرها فى  
شعره . وهما وجهان لشيء واحد . فلذلك أكبر أثر فى شعره وأبداعاته

الشعرية المفاضة بالحنين والتأمل والبحث عن النفس وغيرها من اللهفة والحوارة ،  
 وبنيت في استفاضة أن الخبرة كانت ذا غناء لفته بما ساقته إليه من نظرات مختلفة  
 بعضها يكمن في الأعماق ، والآخر يطفو فوق السطوح . . . . . الخ

ولكانت هذه الدراسة السابقة بمثابة أرض صلبة أوقف فوقها لأعلن من خلالها عن فهمي  
 لآراء " إيليا أبو ماضي " وسلوكه . ونظراته المختلفة .

— ليني البشر على إختلاف مشاربهم وجنسياتهم ، مشيراً إلى ما أحدثته القويمة  
 من جدة بما كمن فيها من جذوات ملتبهة . . . . . وآمال خائبة .  
 وقد أعانني هذا الفصل على فهم الكثير من تعاليمه وآرائه . وعاداته . ومصدر  
 حيوته . ووفرة من صفاته ، ومن هذا الرصيد انتقلت إلى دواوينه في وقفة  
 تحدثت فيها بما أعقد أنه مناسب للقام . مصمماً لأشعاره مرتلياً فيها الرأي وفيها  
 قيل عن ديوانه الأول الذي سقطت تحت يدي ( خاصة ) فقد أشرت بما يرضى القسام  
 إلى ما قيل فيه وإلى ما يتبعني أن يقال . وتتهمت بعض الأخطاء النحوية  
 والموزنية . . . . . ما كانت تصح به العبارة وزناً وقاعدة في البعض منها . . . . . وأثنساء  
 الحديث عن بنية الدواوين كان من واجبي أن أشير إلى صور من الجديد  
 في ديوانه الثاني . . . . .

ثم انتقلت إلى الباب الثالث مستهياً بما تقدم من دراسة حول الشاعر . ليشمل  
 الفصل الأول من أسئلة ثلاثة . ما الشعر عنده ؟ ومن الشاعر ؟ وما رسالته  
 الشعرية ؟ ومن شعره كانت الاجابات على هذه التساؤلات .

وقد كان إجاباته جدة عما عهدت عنده من قبل يوم أن كان في مرحلة  
 الطفولة الشعرية " كما أسهبها " في ديوانه الأول . . . . . جدة فيسنة  
 أظهر فيها براعة فباق فيها الواطين ، .

وأردفت ذلك بالحديث عن البناء الفني للقصيدة . وكان من الضرورة التحدث عن التجربة  
 الشعرية باعتبارها السروج السارية في القصيدة والمهيكل المعنوي لها . مشيراً إلى

ما اعترى الشاعر من ضعف في بعض تجاربه السابقة على دواوينه ديوان • الجداول  
وخاصة ديوان الجداول " الخائل " ، وقد تخرّج تجربة شعرية لقصيدة شهيرة  
" وهي قصيدة " الطين " الهجائية الاجتماعية الانسانية . . .

وتبع ذلك حديثي عن القوالب ولم أغفل الإشارة إلى مراحل ثلاث في هذا الصدود .

المرحلة الأولى :

..... وتشمل إنتاجه في ديوانه الأول وجزء من الثاني .

والثانية :

..... تضم مشاهير قصائده في ديوانه السابق والجداول والخائل .

والثالثة :

..... التوقف والجمود . ، وقد بينت ما فسى كل مشيوا إلى

بعض من ألوان التجديد في تجاربه وأشكالها تاركا الأضيق إلى فصل خاص بذلك  
وهو فصل " التجديد في شعره " .

وكان ذلك بمثابة أرض صلبة للكشف عن تجارب الشاعر . ، ولم أغفل ما يُخيم على بعض

من تجاربه من زهنية أضفت عليها لونا من التأمل ظهر أبوع ما يكون في الطلام . . .

ثم عرجت على أغراض شعره . . . مشيوا في نهايتها إلى أمر مهم لم يكن موجوداً عند

أحد شعراء الرابطة . بهذه الطريقة الإليائية . ، وهو التداخل الشعري في أغراضه ،

وهذا التداخل تقف أمامه عاجزا عن فصل شيء من الأغراض دون عبث وانقلاب وتهلهل

في القصيدة . وبينت أن ذلك من دلائل تفاعل الشاعر مع الحياة كلها .

وكانت هذه الأغراض نابغة من محيطه الحيوي . وأعنى به حيوية الروح وحياتها . النقي

قال فيها .

أنا في نيبورك بالجسم ..... والروح على تلك الهضاب

رب هبني لبلادي عودة ..... وليكن للشير في الأخرى ثوابي

وأعني إلى أن معظم أغراض الشعر عند أبي ماضي يستأنس بقياس الوطنية

ما طبع شعره بطابع خاص أشرت إليه في الباب الرابع .



وتمة للأمر ذكرت ما جهل من أشعاره ما لم يكن مذكورا في دواوينه ولم يكن منتشرا  
ولا أنكر أنني استفدت في هذا بكتاب جورج سليم عن إيليا أبي ماضي ...

وفى الباب الرابع .

تمرضت للمدرسة التي ينتمى لها الشاعر . وكان لزاما على أن أتحدث عن الطابع  
التي طبعت عليه المدرسة مستشهدا بأشعار لبعض منهم . هونا ما عنى لى  
من عوامل أدت إلى ظهور هذا الطابع عند هذه المدرسة وكان ذلك مفتاحاً  
للانتقال إلى الحديث عن الاتجاهات الفنية في شعره ، والذي تناولت فيه الفخضة  
الإيلياوية رابطاً إياها بالشعر هيناً انعكاسات نفس الشاعر على شعره وكشف  
الشعر عن صاحبه وظهر من خلال العرض أن شعر أبي ماضي يمتزج بشعره الفياض  
من القومية والوطنية في مراثيه ، وحنينه ، وهجائه ، ونقده الاجتماعي الذي فساق  
فيه الكهوية حتى وصل فيه إلى درجة عالية ما يمكننا . معها أن نطلق  
عليه شيخ النقد الاجتماعي للمدرسة .

واخذت ذلك بداية للانمطاف على شعره لاستخلاص الجودة التي يبرع فيها .  
الأمر الذي يشكل عنده خصوصيات في ألوان فنية مشرقة .

ثم أعطيت موجزا عما أضاف من جديد ، ولم أتخذ من التعميم إلى ذلك سبباً  
بل قصرت ذلك على ما ظهر فيه واشتهر به زيادة على ما جع في الرابطة من  
ألوان عامة وطباع مشاعسة .....

وخرجت من ذلك إلى أنه يفرد من بين شعراء الرابطة والمهجر عامة باتجاهات  
خاصة في موضوعات شعرية وأشكاله .

وآمل أن أكون قدمت صوره مناسبة عن الشاعر ونفسه ، لأن الذين تعرضوا للحديث  
عن الشاعر من قبل كان حديث أغلبهم سطحياً يفتقر إلى التحليل العميق والاستنباط  
الداعي والتفهم الحق . وكان حديث بعضهم عموماً لكنه جزئياً يفتقر إلى الدراسة  
الشاملة للشاعر والتعمق في أفكاره وفنائه . وأرجوا أن أكون قد قدمت بشئ من

(٦٦٠)

هكذا في تلك الدراسة الأدبية الفصلية

■ ■ "والله ولي التوفيق" وهو سبحانه أعلى وأعلم " ■ ■

محمد علي سيد أحمد داور

\*\*\* أهم المصادر والمراجع \*\*\* (٦٦١)

\*\*\*\*\*

إيليا أبو ماضي .

\*\*\*\*\*

السجداول :  
=====

طبعت مختلفة أشهر إليها في مكانها . ط دار المعلم

للملايين ط ١٢ / ١٩٧٨

الخائف :  
=====

طبعت مختلفة أشهر إليها في مكانها . ط دار المعلم

للملايين ط ١٣ / ١٩٧٩

بروتوباب :  
=====

دار المعلم للملايين بيروت . ١٩٧٤

تذكار الماضي :  
=====

ط ١ الاسكندرية ١٩١١ ، طبعة دار المعلم للملايين

بيروت ١٩٧٤ .

إيليا أبو ماضي . شاعر العربية الأكبر . زهير ميوزا . دار اليقظة سوريا ١٩٦٣ -

جبران خليل جبران : الأجنحة المنكسرة مكتبة الهلال بالفجالة بمصر ، بدون تاريخ .

جبران خليل جبران : الأرواح المتعددة . المكتبة الأدبية - بيروت - لبنان ، بدون تاريخ

جبران خليل جبران : الهدائع والطرائف المكتبة الأدبية بيروت - لبنان - بدون تاريخ

جبران خليل جبران : المواكب المكتبة الأدبية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ

جبران خليل جبران : المجنون . ترجمة إلى العربية أنطونيوس بشير ط ٣ / ١٩٤٧

المطبعة المصرية صندوق بوسطة ٩٥٤ مصر

رشيد أيوب الأيوبيات دار صادر بيروت ١٩٥٩

نسيب عريضة الأرواح الحائرة نيويورك ١٩٤٦

رشيد سليم الخوري ديوان القروي ط وزارة التربية والتعليم ١٩٦١

( ١٦٢ )

- |                         |                                                 |                                                    |
|-------------------------|-------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| بولس ممد                | لبنان والدستور الثماني                          | دار المعارف ١٩٥٩                                   |
| د ابراهيم ابو الخشب     | تاريخ الادب العربي في العصر<br>الحاضر           | الهيئة المصرية العامة<br>للكتاب ١٩٧٦               |
| د ابراهيم انيس          | موسيقى الشعر                                    | ط ١ الانجلو المصرية ١٩٦٥                           |
| ابن قتيبة               | الشعر والشعراء                                  | تحقيق احمد محمد شاكر ح جزئين<br>١٩٦٧               |
| د انسى داود             | التجديد في شعر<br>المهجر                        | دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٧                     |
| د انسى داود             | الطبيعة في شعر<br>المهجر                        | ط الدار القومية ١٩٦٦                               |
| المقاد والمازنى         | الديوان في جزئين                                | ط ٣ دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ                  |
| امين الريحاني           | الريحانيات                                      | ط ١ ط ٢ بيروت ١٩٢٢                                 |
| د انور الجندي           | أضواء على الأدب<br>العربي المعاصر               | دار الكتاب العربي للطباعة<br>والنشر ١٩٦٩           |
| د انيس الخوري<br>القدسي | الاتجاهات الأدبية<br>في العالم العربي<br>الحديث | دار الملسم بيروت ١٩٥٢                              |
|                         |                                                 | ط ٥ بيروت ١٩٧٣                                     |
| ايليا حاروي             | ايليا أبو ماضي شاعر<br>التساؤل والتفائل         | دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٢                     |
| د جميل صليبا            | الاتجاهات الفكرية في<br>بلاد الشام              | معهد الدراسات العربية ١٩٥٨                         |
| د جورج ديمتري سليم      | ايليا أبو ماضي                                  | دار المعمد مسارات ١٩٧٧                             |
| جورج صيدح               | أدينا وأدياننا قسي<br>المهاجر الأمريكية         | ط ٢ / ١٩٥٧ دار العلم - بيروت                       |
| د حمدي الطاهري          | سياسة الحكم في لبنان                            | المطبعة العالمية ١٧٢١٦ شارع ضريح<br>سمد بدون تاريخ |

(٦٦٣)

- د . درويش الجندى  
الرمزية فى الأدب العربى  
الحدِيث .  
١٩٥٨ نهضة مصر
- د . سمير بدوان قطامى  
الياس فرحات .  
١٩٧١ دار المعارف
- د . سمير نوفيل  
شعر الطبيعة فى الأدب  
العربى .  
١٩٤٥ الخانجسى
- سميره زكى أبو غزاله  
الشعر القومى فى مصر  
والشام بين الحربين  
العالميتين  
العامه للتأليف والنشر  
الأولى والثانية / المؤسسة المصرية  
بدون تاريخ .
- شفيع السيد  
ميخائيل نعيمة فى النقد  
واتجاهاته فى الأدب  
١٩٧٢ عالم الكتب
- د . شوقى ضيف  
دراسات فى الشعر العربى  
المعاصر  
١٩٥٩ دار المعارف
- د . شوقى ضيف  
فى النقد الأدبى  
١٩٦٢ ط ٣ / دار المعارف
- د . شوقى ضيف  
التطور والتجديد  
ط ٤ دار المعارف بدون تاريخ
- د . صلاح لوكى  
لبنان الشاعر  
١٩٥٤ منشورات الحكمة بيروت
- د . طه حسين  
حديث الأرماء  
١٩٥٧ دار المعارف
- الاستاذ / عباس  
المقاد .  
دراسات فى المذاهب  
الأدبية والاجتماعية  
٢٣ شارع الظاهرية القاهرة  
نشر مكتبة غريب مطبعة بدون تاريخ  
دار العالم العربى
- الاستاذ / عباس  
المقاد  
١٩٦٨/٧ دار الكتاب العربى بيروت
- الاستاذ / عباس  
العقاد  
شعراء مصر وبيئاتهم فى  
الجيل الماضى .  
١٩٥٠ / ٢ ط ٢ نهضة مصر
- د . عبد الرحمن  
خشان .  
معالم النقد الأدبى  
الحدِيث .  
١٩٦٨ مطبعة دار النشر  
للجامعات المصرية

(٦٦٤)

- ١٩٧١ د. عبد العزيز الدسوقي • جماعة ابولو وأثرها في الشعر العربي الحديث • للكتاب •
- ١٩٧٤ د. عبد المليم القباني إيليا أبو ماضي حياته وشعره في الاسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤
- ١٩٧٤ د. عبد القادر القطر • في الأدب المعاصر ج / ١٥٢ / ١٣٠٠١ بلديسة دمنهور
- ١٩٦١ د. عبد اللطيف شرارة • إيليا أبو ماضي دار صادر - بيروت
- د. عبد المجيد عابدين • بين شاعرين مجددين مطبعة الشبكي بالأزهر صر بدون تاريخ
- ١٩٧٠ عدنان يوسف سيك • النزعة الانسانية عند جبران • الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
- ١٩٥٥ د. عز الدين اسماعيل • الأسس الجمالية في النقد العربي دار الفكر مارس
- ١٩٦٧ د. عز الدين إسماعيل • الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية دار الكتاب العربي القاهرة
- ١٩٦٨ د. عمر الدسوقي • في الأدب الحديث في جزآن - مصر ١٩٤٨ ط
- ١٩٧٧ د. غلام الدسوقي • المسرحية ط ٥ - دار الفكر • مطبعة الرسالة •
- د. عيسى الناعوري أدب المهجر ط ٢ / ١٩٦٧ ط ٣ / ١٩٧٧ دار المعارف
- ٠١٩٦٩ د. عيسى الناعوري إيليا أبو ماضي رسول ط ٢ / الشعر العربي الحديث
- ١٩٦٩ فريد حبيش لبنان بعد الحرب " ترجمة " دار المعارف

(٦٦٥)

- فوزى صوى جبران خليل جبران (عقري من لبنان) سلسلة يفايهج  
الفكر العربي مطابع الامــــان  
درعون - لبنان - بدون تاريخ بدون تاريخ
- د . كامل السوافوي الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر  
١٩٧٣ ط ١ / ١٩٧٣
- مارون عبود مجددون ومجدون دار الثقافة بيروت  
د . محمد السعدى فرهود الاتجاهات الفنية في شعر عبود الرحمن شكوى  
١٩٦٦ مطبعة زهران . ١٩٦٦
- د . محمد احمد المزيب دراسات في الشعر مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب  
١٩٧٧ ١٩٧٧
- د . محمد احمد المزيب ظواهر التمدد الفني في الشعر المعاصر "اقرأ" ٤٤٢ ديسمبر ١٩٧٧  
١٩٧٧
- د . محمد عبد المنهيز القسراوي الشعر العربي بين الجود والظهور نهضة مصر  
١٩٥٧
- الاستاذ / محمد عبد الغنى حمن الشعر العربي في المهجر ط ٣ أغسطس ١٩٦٢ نشر مؤسسة الخلفاء بالقاهرة .
- د . محمد عبد المنعم خواجهي دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ٢ - مكتبة الأزهر - بدون تاريخ
- د . محمد عبد المنعم خواجهي قصة الأدب المهجري ط ٢ / ١٩٧٣ دار الكتاب اللبناني / بيروت

- ١٩٥٣ د. محمد عبد النعم خفاجي رائد الشعر الحديث احمد زكي أبو شادي . القاهرة
- ١٩٦٨ د. محمد زفلول سلام . الأسر الجبلية في النقد العربي دار الفكر ط ٢ /
- د. محمد زفلول سلام . النقد العربي في النقد العربي الحديث - اصوله - قضاياها .٥٥٥ جناحه - الانجلو المصرية ١٩٦٤
- ١٩٦٩ د. محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث دار النهضة المصرية ط ٤ /
- د. محمد غنيمي هلال . الأدب القلبي نهضة مصر ط ٣ بدون تاريخ
- د. محمد غنيمي هلال . الروما تتيكيية نهضة مصر ١٩٧١ بدون تاريخ
- د. محمد غنيمي هلال . دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده نهضة مصر بدون تاريخ
- د. محمد مندور . في الميزان الجديد نهضة مصر بدون تاريخ
- د. محمد مندور . الأدب ومذاهبه نهضة مصر بدون تاريخ
- د. محمد مندور . الشعر العربي بعد شوقي - الحلقة الأولى نهضة مصر ١٩٦٩
- د. محمد مندور . في الأدب والنقد نهضة مصر ١٩٧٨
- ١٩٢٣ ميخائيل نعيمة . النرمسال دار المعارف للطباعة والنشر
- ميخائيل نعيمة . سبعون (المراحل) - الأولى - الثانية - الثالثة - مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ط ٤ ١٩٧٢



( ٦٦٢ )

|      |       |                      |             |               |
|------|-------|----------------------|-------------|---------------|
| ١٩٤٣ | بغروت | مطابع صادر - ریحانی  | حسن الجفون  | میخائیل نمیة  |
| ١٩٦٥ | بغروت | مکتبة النهضة / بغداد | قضايا الشعر | نارك الملائكة |
|      | ط ٢   |                      | المحاصر     |               |

( دسرات )

• مجلة الآداب \* العدد الثامن أغسطس السنة التاسعة ١٩٦٦ يرأس تحريرها

د. مهديل ادريس

• مجلة الآداب العدد ١٢ ديسمبر ١٩٦٦

• مجلة الآداب العدد المصبع يوليو ١٩٦٦

• مجلة الآداب التي كان يرأس تحريرها الاستاذ /  
( أمين الخولي )

| العدد | الشهر والسنة | العنوان | دار القاهرة للطباعة |
|-------|--------------|---------|---------------------|
| ١ - ٤ | يوليو ١٩٥٨   | الثالثة | " " "               |
| ٢ - ٧ | أكتوبر ١٩٥٨  | الثالثة | " " "               |
| ٣ - ١ | ابريل ١٩٥٩   | الرابعة | " " "               |
| ٤ - ٢ | مايو ١٩٥٩    | الرابعة | " " "               |
| ٥ - ٦ | نوفمبر ١٩٥٩  | الرابعة | " " "               |
| ٦ - ٢ | مايو ١٩٦٠    | الخامسة | " " "               |
| ٧ - ٣ | يونيو ١٩٦٠   | الخامسة | " " "               |
| ٨ - ٧ | ديسمبر ١٩٦٠  | الخامسة | " " "               |
| ٩ - ٤ | يناير ١٩٦٢   | الثامنة | " " "               |

مهندس الموضوعات  
\*\*\*\*\*

| المصفحة | الموضوع                                                                            |
|---------|------------------------------------------------------------------------------------|
| ١       | شكر وثناء                                                                          |
| ١       | مقدمة                                                                              |
|         | الباب الأول : ( ٩ : ١٥ )                                                           |
| ١٠      | الفصل الأول : التيارات السياسية في مصر                                             |
| ١٠٢     | ١- التيارات السياسية في لبنان                                                      |
| ٢٣      | ٢- الحالة السياسية في مصر                                                          |
| ٢٧      | الفصل الثاني : التيارات الفكرية في عصر الشاعر                                      |
| ٣٦      | - العوامل الأساسية في بحث اليقظة الفكرية وظهرها<br>في لبنان .                      |
|         | - العوامل التي أثرت في الاتجاهات الفكرية في بلاد<br>الضام                          |
| ٤٣      | الفصل الثالث : الاتجاهات الفنية العائدة في عصره وخصائصها                           |
| ٤٦      | الكلاسيكية " الاتجاه الاتباعي "                                                    |
| ٦٣      | الرومانسية " الاتجاه الابداعي "                                                    |
| ٧٥      | الواقعية                                                                           |
| ٨٢      | الرمزية                                                                            |
|         | الباب الثاني : الشاعر ( ٩٧ : ٣٨٢ )                                                 |
| ٩٨      | الفصل الأول : حياة الشاعر وهجرته                                                   |
| ١٣٥     | الفصل الثاني : ظروفه الاجتماعية والنفسية . . . . .<br>" الجيرة - اليأس - التفاؤل " |
| ١٧٨     | اهتمامات هذه الظروف من أدب " عند المهجرين عامه<br>" وطني - اجتماعي - مناسبات "     |

|        |                                                 |
|--------|-------------------------------------------------|
| الصفحة | (ب)                                             |
| ١٩٩    | الموضوع                                         |
| ٢١٨    | الفصل الثالث : الشاعر في المهجر                 |
| ٢٤٥    | الفصل الرابع : بين مادية الغرب وروحانية الشرق . |
| ٢٢٨    | الفصل الخامس : أثير المذنب في شمسة              |
| ٢٢٨    | الفصل السادس : دواوينه                          |
| ٢٢٨    | ١- تذكّر الماضي                                 |
| ٢٤٦    | ٢- ديوان "إليها أومض"                           |
| ٢٦٦    | ٣- الجدارس                                      |
| ٢٧٤    | ٤- الخالصة                                      |
| ٢٧٩    | ٥- تير وسراج                                    |

الباب الثالث :  
 مقومات الفن الشعري عنده (٢٨٣:٤٨٢)

|     |                                                     |
|-----|-----------------------------------------------------|
| ٢٨٣ | الفصل الأول :<br>١- العامية والضمير والشعر والشعراء |
|-----|-----------------------------------------------------|

|     |                  |
|-----|------------------|
| ٢٩٧ | ٢- رمالات الشاعر |
|-----|------------------|

الفصل الثاني :  
 البناء الفني للتصنيف

|     |                            |
|-----|----------------------------|
| ٤٠٩ | ١- التجربة الشعرية         |
| ٤٢١ | ٢- الشكل والمضمون (الضمون) |
| ٤٢٨ | ٣- الوحدة الموضوعية        |

الفصل الثالث :  
 التجارب الشعرية عنده .

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٤٣٣ | ١- التجارب الشخصية و شاعر الشاعر . |
| ٤٣٩ | ٢- التجربة الاجتماعية              |
| ٤٤١ | ٣- التجارب الطبيعية                |
| ٤٤٦ | ٤- التجارب الاسطورية               |

( ج )

الصفحة

الموضوع

الفصل الرابع : أغراض الشعر عنده

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| ٤٤٩ | ١- الشعر الوطني والقومي     |
| ٤٥٢ | ٢- الشعر الإنساني           |
| ٤٥٥ | ٣- الوصف                    |
| ٤٥٩ | ٤- القصص الشعرية            |
| ٤٦٢ | ٥- الرثاء                   |
| ٤٦٦ | ٦- الفول                    |
| ٤٦٩ | ٧- الحكيم                   |
| ٤٧٣ | ٨- الهجاء                   |
| ٤٧٩ | ٩- الفخر                    |
| ٤٨١ | ١٠- تنه حول أرقامه المجهولة |

الباب الرابع : الأبحاث الفنية في شعره . ( ٤٨٧ : ٦٥٥ )

الفصل الأول : المدرسة التي ينتمي إليها الشاعر

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ٤٨٧ | ١- المدرسة الشعرية الأولى      |
| ٤٩٩ | ٢- الرابطة القلمية             |
| ٥٠٢ | ٣- من ميزات المدرسة الحرة      |
| ٥٠٥ | ٤- الحنين إلى الوطن            |
| ٥٠٧ | ٥- الطبيعة قرآهم الأمين        |
| ٥١٠ | ٦- الشعر التأملي               |
| ٥١١ | ٧- النعت الإنشائي              |
| ٥١٣ | ٨- الصياح الديني               |
| ٥١٥ | ٩- التحرر من قيود القديم       |
| ٥١٧ | ١٠- الطابع الشخصي لهذه المدرسة |

(a)

الرقم

المجلد

الجزء

٥٩-

الجزء الأول

٥٢٤

الجزء الثاني

٥٣٤

الجزء الثالث

٥٥٠

الجزء الرابع

٥٥٦

الجزء الخامس

٥٦٠

الجزء السادس

٥٦٤

الجزء السابع

٥٦٩

الجزء الثامن

٥٧٧

الجزء التاسع

الفصل الثالث : تاريخ الجزء التاسع

٥٧٥

الجزء العاشر

٦٠٦

الجزء الحادي عشر

٦٦٩

الجزء الثاني عشر

٦٥١

الجزء الثالث عشر : تاريخ الجزء الثالث عشر

٦٥٥

الجزء الرابع عشر

٦٥٥

الجزء الخامس عشر